

جامعة الجزائر-2. "أبو القاسم سعد الله"
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم علوم اللسان

**القواعد التعليمية للاتساق والانسجام
في اللغة العربية
دراسة تأسيسية**

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم

تخصص: علوم اللغة

بإشراف الأستاذ:

أ. د. مفتاح بن عروس

إعداد الطالب:

علي حلواجي

أعضاء لجنة المناقشة:

1. أ.د. عبد المجيد سالمى.....رئيسا
2. أ.د. مفتاح بن عروس..... مقرا
3. أ.د. قدور عمران.....عضوا
4. أ.د. نصر الدين بن زروق.....عضوا
5. د. صحرة دحمان.....عضوا
6. أ.د. الطاهر لوصيف.....عضوا
7. د. أنيسة بن تريدي.....عضوا

السنة الجامعية : 2016 - 2017م/1437-1438هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

المقدمة

لقد تناولت الدراسات اللسانية الحديثة موضوع "الاتساق والانسجام"، و كان لعلماء العربية القدامى إسهامات مبنوثة في مؤلفاتهم الخاصة بهذا المجال، ومازال الربط بين القديم والحديث والدمج بينهما في إطار العربية أرضا خصبة وعذراء في الوقت نفسه، ولا تخفى حاجة العربية إلى مواكبة الركب في ميدان الدراسات الحديثة الأمر الذي ينطق به الواقع وينادى به اللغويون العرب المعاصرون.

ولما تناولت هذا الموضوع (الاتساق والانسجام) في رسالة الماجستير من خلال تدريسها في التعليم الثانوي من منطلق أنهما من مظاهر التجديد والتطوير ضمن إصلاح المنظومة التربوية في الجزائر، كان من أهم نتائج بحثي ما يلي:¹

- ضرورة وضع قواعد لهذه المادة على غرار النحو والبلاغة وطبعها في شكل تعليمي ميسر وتزويد المعلمين والمتعلمين بها، لتكون مرجعا للتدريس السليم.

فبدافع هذه النتيجة بالذات أردت أن أكون من المساهمين في مجال التقعيد لهذه المادة عملا على توفير ما يرجع إليه دارسها ومدرّسها، وكان العنوان المختار لهذا العمل عاكسا لمضمونه ببساطة طبيعية: القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية.

سيعمل البحث في مراجع علم النص و لسانياته على دراسة وضبط الآراء والنظريات التي تدور حول تحديد المفاهيم والأدوات والوسائل في مجال الاتساق والانسجام عملاً على استنباط قواعد تعليمية جاهزة لهما.

1- واقع تدريس الاتساق و الانسجام من خلال برنامج الأدب و النصوص، السنة الثانية من التعليم الثانوي أنموذجا، دراسة تحليلية نقدية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللغة، تخصص: تعليمية اللغة العربية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009-2010م/1430-1431هـ، ص ص 268-271.

وبما أنها لا توجد - في الظاهر - في متناول الطلبة والدارسين العاديين للغة العربية مفاهيم وقواعد محددة ومبسطة جاهزة للغة في علم النص للدراسة والتطبيق، فإن إشكالية البحث هي: هل يمكن صياغة قواعد تعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية على غرار قواعد البلاغة والنحو؟

ومن أهم الفرضيات التي يقدمها البحث بين يدي هذه الإشكالية:
- أن المراجع العربية في علم النص، وهو حديث النشأة أصلاً، لم توفر بعد قواعد تعليمية كافية في مجال الاتساق والانسجام.
- أن هناك إشكاليات وصعوبات لاسيما فيما يتعلق بالتداخل بين الاتساق والانسجام وأدواتهما لا بد من الفصل فيها.

- أنه يمكن من خلال مجموع النظريات والآراء المطروحة في هذا العلم استنباط قواعد تطبق على اللغة العربية حول الاتساق والانسجام من حيث المفاهيم والأدوات.
أما المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فهي استقرائية استدلالية: تنقب في مختلف النظريات والآراء المطروحة وتقترح إضافات عليها لتستخلص منها قواعد الاتساق والانسجام، وذلك من خلال:

- البحث في طرق وكيفيات التقعيد القديم والحديث والعمل بأهم أدواته.
- عرض النظريات والمقارنة بينها واستنتاج واستنباط الأفكار التي تصلح عناصر للتقعيد.

- الإضافة واستكمال النقائص.

- الصياغة النهائية للقواعد.

أما خطة العمل فهي الآتية:

• مقدمة

• مدخل

- الفصل الأول: المفاهيم النصية و التقعيد.
- المبحث الأول: النص وعلمه: المفاهيم والتاريخ.
- المبحث الثاني: التقعيد: مفهومه وكيفيته ودواعيه .
- المبحث الثالث: الاتساق والانسجام: مفهومهما ومكانتهما في النصية.
- الفصل الثاني: المادة النظرية لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام.
- المبحث الأول: أدوات الاتساق.
- المبحث الثاني: وسائل الانسجام.
- الفصل الثالث: وضع القواعد وتطبيقاتها.
- المبحث الأول: نظرات و ضوابط منهجية.
- المبحث الثاني: استنباط القواعد.
- المبحث الثالث: دروس نموذجية وتطبيقاتها.

• الخاتمة

• الفهارس

واستندت في إنجاز هذه الخطة إلى أهم المراجع القديمة والحديثة المتاحة في علم النص ولسانياته أذكر منها:

- بحيري، سعيد حسن ، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات.
- تمام، حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية.
- الجرجاني، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، دلائل الإعجاز.
- خطابي، محمد ، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاقتراح.

فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص.

الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق.

زكريا، ميشال الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) وغيرهما من المؤلفات.

براون، جيليان و يول، جورج، تحليل الخطاب.

تشومسكي، نوام، البنى النحوية و مقال: الطبيعة الشكلية للغة.

فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)..

هاليداي ورقية حسن، الاتساق في الانجليزية.

وكل عمل هادف فقد اعترضت البحث صعوبات مادية ومعنوية هي:

- صعوبة الحصول على المراجع في الموضوع، بسبب البعد الجغرافي عن مظاهرها.
- ندرة المراجع التي تناولت التقعيد بشكل عام وفي الموضوع بشكل خاص مما جعل الباحث يحلب من ضرع يكاد يكون جافا وبخاصة في الجانب التقني للتقعيد التعليمي.

- تزامن فترة البحث مع أحداث ما يسمى "بالثورات العربية". الأمر الذي أثر على حرية التحرك والتعامل خارج الوطن ، مما أدى إلى ضيق رقعة البحث وفرصه.

- كثرة المشاغل وعدم التفرغ المتناسب تناسبا تاما مع حجم هذا البحث الجديد من نوعه خاصة إذا أضيفت إلى ذلك قلة فرص التربص بالخارج المتاحة الناتجة عن إشكاليات إدارية هي الآن محل دراسة بين الإدارة والنقابة.

- المثبطات المتمثلة في افتقار الساحة إلى شيوع جو علمي وروح أكاديمية بالمعطيات والوسائل المادية والمعنوية الكافية الأمر الذي لم نجده حتى في الأقطار والجامعات (العربية) التي خرجنا للتربص فيها على افتراض أنها مؤهلة لذلك على

خلاف ما حدثنا الزملاء الذين تربصوا في البلاد غير العربية، أما في الداخل فأهم
مثبط حدث لي هو أنني لم أجد تجاوبا من الجهات الرسمية عند إنجاز البحث
الميداني الذي قدمته للماجستير والذي بذلت فيه جهدا معتبرا سعيا لإصلاح
الإصلاحات التربوية السابقة ميدانيا.

وفي الأخير ها قد تم العمل - والحمد لله - وأشكر كل من ساعدني بالقليل أو بالكثير
على إنجازهِ وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: د. مفتاح بن عروس والطاقي الإداري
لقسم علوم اللسان/الجزائر 2 رئيسا وأعضاء وكذا كل الباحثين والمؤلفين الذين شكلت
جهودهم مادة هذا البحث. والله ولي التوفيق.

الثلاثاء 01 صفر 1438 هـ - 01 نوفمبر 2016 م.

مدخل

يفهم من ألفاظ صيغة عنوان البحث "القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية" أن موضوعه ينتمي إلى مجالين علميين اثنين هما:

1- علم النص: (أو لسانيات النص) الذي يندرج ضمنه موضوع مصطلحي "الاتساق والانسجام".

2- تعليمية اللغة العربية: المجال الذي تدل عليه عبارة: " القواعد التعليمية.. في اللغة العربية".

وفي إطار هذين المجالين والعلاقة بينهما لابد- في البداية- من ذكر جملة من التوضيحات والضوابط التي - وإن كان البحث قد يتوسع لاحقا في البعض منها إذا كانت جزءاً منه - تُعد الإشارة إليها في المدخل ضرورة كضرورة المفاتيح لدخول كل المغلقات، خاصة وأن العديد من المسائل التي ستطرح لاحقا ستكون هذه التوضيحات بالنسبة إليها بمثابة ما يسميه الأصوليون " تحرير المناط"، الأمر الذي لابد منه لأية دراسة أو مناقشة حتى يكون الكلام فيها في صميم الموضوع المقصود.

* **المجال العلمي الأول** الذي ينتمي إليه موضوع البحث هو ما تتناوله الدراسات اللسانية الغربية والعربية ضمن اختصاصات تتوزع تسمياتها وترجماتها على النحو المفصل في الجدول الآتي:

التسمية الغربية (الفرنسية)	الترجمة العربية	مثال لمستعملي الترجمة (الباحث والكتاب)	توضيح ج
science du texte أو textologie	علم النص	صلاح فضل، "بلاغة الخطاب وعلم النص".	هذه التسمية أشمل في مضمونها من بقية التسميات التي تبدو أنها فروع منها (كما سيوضح البحث لاحقاً) ويؤكد لها صلاح فضل ويجعل مقابلها بالانجليزية "discourse analysis" دون التفات لعدم حرفية الترجمة ويقول في شأنها: «.. ولا يخرج الأمر عن هذين الحدين [أي التسميتين الفرنسية والانجليزية] في بقية اللغات الحية، مما يجعل ترجمته إلى "علم النص" في العربية أمراً مقبولاً» ¹
Linguistique Textuelle	لسانيات النص	محمد خطابي، "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"	يستعمل هذه التسمية بترجمات مختلفة اللسانيون، ومبرر اختلاف ترجماتها العربية هو أن المشاركة يستعملون في مقابل Linguistique مصطلح "علم اللغة" بدل اللسانيات" الذي يستعمله المغاربة. أما بين "علم لغة النص" و"علم اللغة النصي" فالفرق طفيف وهما للتطابق أقرب. ويضاف إليهما استعمال آخر غير شائع "علم النص اللغوي" ²
	علم لغة النص	سعيد حسن بحيري، "علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات"	
	علم اللغة النصي	صبحي إبراهيم الفقي، " علم اللغة النصي: بين النظرية والتطبيق"	
Grammaire du texte	نحو النص	محمد الشاوش، "أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)"	هذه التسمية للنحويين أطلقوها على النص. على غرار "نحو الجملة" واستعمالها شائع بكثرة، وتستعمل أحياناً بديلاً عن كل التسميات أو الترجمات السابقة استعمالاً يستدعي الدقة والتفصيل كما سيأتي عقب هذا الجدول مباشرة.

1- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1413هـ، ص 248.

2- ذكر "علم نص لغوي" مثلاً في كتاب: مدخل إلى علم النص لرتسيسلاف واورزنيك تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1431هـ-2010م، ص 69.

و تتنوع هذه التسميات وترجماتها له مبرراته الموضوعية في الغالب¹ رغم أن ميدانها واحد وموضوعاتها متداخلة، ولاشك أنها جميعاً تمس موضوع البحث ولكن بعضها أخص من بعض؛ وقبل تحديد أي التسميات أخص، لا بد من الإشارة إلى أنه مع وجود هذه المبررات الموضوعية التي تسوغ اختلاف التسميات فإن بعض البحوث "المطبوعة" لا تميّز بينها حيث يلزم التمييز، فتستعمل إحداها مكان الأخرى وربما استعملت أكثر من تسمية واحدة في فقرة واحدة وشأن واحد وكأنها مترادفات متطابقة تطابقاً تاماً، وهي ليست كذلك؛ فهناك العام والخاص والأخص كما يأتي بيانه.

- "علم النص": وهو المجال العام، فهو ليس خاصاً باللغة وحدها بل تشترك فيه عدة تخصصات علمية تعنى كلها بالنص لتدرس منه ما هو من جنسها؛ فإذا كان علم اللغة يعنى في الدرجة الأولى بالأبنية النحوية للجملة والنصوص، كما يعنى بالشروط والخواص التي تتصل بالسياقات المختلفة، فإن كلاً من علم النفس والتربية - مثلاً - يهتم بالطرق المختلفة لفهم النصوص واستذكارها وإعادة صياغتها، ويقوم علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال أيضاً ببحث التأثيرات التي تحدثها النصوص على آراء وسلوك المتلقين وطرق تفاعلها لتحديد الأشكال النصية للتواصل في مختلف المواقف والمؤسسات... وقل مثل ذلك في كل مجال علمي كالعلوم الشرعية وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها.. فكل مجال النص حسب تخصصه.

و "علم النص" يجمع كل مشكلات التحليل النصي وأهدافه الموزعة على العلوم المختلفة لتصبح موضوعاً واحداً لدراسة متكاملة مشتركة بين تلك العلوم ولذلك وصفه صلاح فضل بأنه "عبر تخصصي" (interdisciplinaire)²، وما علم اللغة إلا واحد من هذه العلوم وإن كانت اللغة هي أساس الدراسة لأن النص الذي تعتمده الدراسة تبنيه اللغة.

- علم لغة النص: أو علم اللغة النصي أو لسانيات النص: وهي تسميات لمسمى واحد - كما سبق - ومجاله أضيق من "علم النص" أي أن "علم لغة النص" عنصر ينتمي لمجموعة

1- ذكرت بعض المبررات في الجدول السابق ولكن الخوض في تفاصيلها ليس من صميم موضوع البحث.

2- ينظر: صلاح فضل (مرجع سابق)، ص 247.

"علم النص" الذي يدرس النص من خلال تخصصات متعددة - كما سبق - ومن هذه التخصصات "علم اللغة" الذي يدرس جانب اللغة في النص وليس الجانب النفسي أو الاجتماعي أو الشرعي أو غيره.. وستوضح هذه العلاقة الانتمائية أكثر عند التعرض للمفاهيم والتعريفات داخل البحث فالأمر يستشف من استجلاء التصور العام لهذا العلم أو ذاك. وفي سياق حديثه عن علاقة علم النص بالعلوم الأخرى يقول: سعيد بحيري: «إن الاختلاف بينه (أعني علم النص بوجه عام وعلم لغة النص بوجه خاص) وبين العلوم الأخرى يتمثل أساساً في التصور الكلي الذي يتسم به والاتساع المعرفي الذي اختص به دون غيره..»¹ فهو في الوقت الذي يعبر فيه عن سعة العلمين كليهما يشير (فيما جعله بين قوسين) إلى أن "علم النص" عام و"علم لغة النص" خاص فالثاني جزء من الأول.

- نحو النص: وهو أخص من "علم لغة النص" (وما دلّ دلالاته من المصطلحات) لأن "لغة النص" لها مستويات عدّة والنحو واحد منها. يقول أحد الباحثين: «نحو النص، ودلالة النص، وبراهماتية النص تعد فروعاً لعلم نص لغوي»² ويؤكد ذلك في تعريفه لنحو النص حيث يقول:

« يفهم تحت "نحو النص" ذلك الفرع من قواعد النص التي لم تُقَمَّ بعد، وهو الذي يصف وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النص.

وخلافاً لدلالة النص وبراهماتية النص يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصياً والعلاقات بينها»³.

1- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ط، 142هـ، 2004، ص124.

2- زتسيسلاف، واورزنيك، مدخل إلى النص (مشكلات بناء النص)، ت: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 1431هـ، 2010م، ص69.

3- المرجع نفسه، ن ص.

ويتجلى دور التداولية (البراغماتية) في تحليل العلاقة بين النص و من يستخدمه ، أما النحو فيعنى بتوضيح الشروط المحددة والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال جيداً، والدلالة تهتم بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة وقابلة للتفسير.¹

وهذا سعيد بحيري يخالف القول السابق (لزنسيسلاف في تعريف نحو النص) الذي ترجمه هو ذاته ويعمم مع من عمّم استعمال مصطلح "نحو النص" ولكنه يعترف بأن تسمية القواعد الدلالية والتداولية للنص عند فنديك "بالنحو" غير عادية فيقول: «لاشك أن مصطلح "نحو" هنا ذو دلالة خاصة.. وليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص.»² وفي موضع آخر يتكلم عن "فارق جوهري بين القواعد النحوية المعيارية والقواعد الدلالية غير المعيارية"³ وفي هذا القول وسابقه اعتراف بأن الجمع بين القواعد الشكلية والقواعد الدلالية تحت تسمية واحدة هي "نحو النص" أمر تتقصه الدقة ، وتؤيد هذه الفكرة إشارتان أخريان:

- الأولى للزناد في "نسيجه" الذي اضطر للتوضيح حين ذكر "نحو النص" وسجل في الهامش قوله: «"نحو" هنا تعني كل القوانين التي تحكم نظاماً ما»، لعلمه أن المتعارف عليه هو أن للنحو معنى آخر أخص.⁴

- والأخرى للشاوش في أطروحته حول تأسيس "نحو النص" وبالضبط في "صلة نحو النص بالنحو" حيث يقول رغم استعماله للمصطلح: «لئن أطلقت على الدراسات النصية تسمية نحو النص فإنك لا تكاد تجد لهذه التسمية من خلال تقليب المسائل التي تناولوها فيه مبرراً.»⁵ فالأدق إذن هو أن "نحو النص" فرع من "علم لغة النص" وليس مرادفاً له وذلك كما جاء في تعريف زنسيسلاف السابق؛ فمثلاً أن التماسك النصي ينقسم إلى قسمين بتسميتين مختلفتين

1- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع و جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، إربد، ط2، 2010م، ص 140 .

2- بحيري، سعيد، علم لغة النص ، ص 183.

3- م . ن ، ص 124.

4- الزناد، الأزهر: نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت+ الدار البيضاء (المغرب)، د.ط، 1991، ص 18.

5- الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية-تأسيس "نحو النص"، المؤسسة العربية، بيروت، د.ط، 1421هـ-2001م. ص 96.

(الاتساق والانسجام) فلم لا تكون قواعدهما كذلك قسمين على غرار قواعد اللغة التي تنقسم إلى نحو وصرف؟ فاختلاف طبيعة كلا القسمين من القواعد النصية يفرض اختلاف تسمية كل منهما.....

ومهما تكن قوة الحجج المذكورة وتأثيرها لبلوغ ما تهدف إليه فإن "نحو النص" في واقع الأمر هو فرع من "علم لغة النص" وليس كله؛ ومهما تكن درجة صحة هذا الحكم فإنه لا يعدم تأثيراً في المسألة وأقل تأثيره فيها أنه يضعها في دائرة المختلف فيه مما يجعل البحث يبعد تسمية "نحو النص" عن مجال دراسته فلا يسمه بها ويحاول وضعها في مواضعها¹. وبناء على كل ما سبق فإن مصطلح "علم النص" أوسع من مجال هذا البحث، أما الأنسب له فهو مصطلح "علم لغة النص" (أو علم اللغة النصي أو لسانيات النص وكلها مصطلحات ذات مدلول واحد كما سبق ذكره) فذلك أخص بموضوع البحث و أشمل من "نحو النص" الذي تضيق مجاله بعض التعريفات السالفة الذكر، أو إنه - على الأقل - محل اختلاف في مدى استيعاب مفهومه "الاتساق والانسجام" كليهما، وسيوضح لاحقاً أن الانسجام بالذات يتعدى حدود "الوسائل اللغوية المحققة نصياً" التي يقتصر عليها "نحو النص" كما جاء في تعريفه السابق، ليشمل الدلالات والبنى العميقة.

والخلاصة أن البحث سيعتمد مصطلح "علم لغة النص" أو مرادفيه: "علم اللغة النصي" و"لسانيات النص". ولا مانع من التطرق إلى المصطلحات الأخرى واستعمالها إذا اقتضى الحال، و لاسيما أن بعض النصوص المنقولة قد تفرض ذلك أحياناً.

* **المجال العلمي الآخر:** الذي ينتمي إليه موضوع البحث هو: "التعليمية" وبالتحديد تعليمية اللغة العربية، ومصطلح "التعليمية" هو الترجمة العربية المشهورة والأكثر استعمالاً للمصطلح الأجنبي Didactique ، وهناك ترجمات أخرى تتفاوت في الاستعمال ولكن مناقشتها لا تعني البحث وهي: التعليميات، علم التدريس ، علم التعليم ، التدريسية، الديداكتيك.

1- قد يقال: المسألة تدخل في دائرة التطور الدلالي لمصطلح "النحو"، وهو أمر مقبول مع كثرة الاستعمال الحاصل، ولكن كل ما في الأمر أن البحث يريد تحري الدقة فقط.

و لن يخوض البحث كثيرا في الجانب النظري لهذا المجال العلمي الجديد الذي يهتم بطرق التدريس وتقنياته ومحتوياته ونظرياته... ولكنه يوظف ما أمكن من نتائجه في صياغة قواعد الاتساق والانسجام حتى تكون قواعد ذات طابع تعليمي مناسبة للمرحلة التي تدرس فيها وهي مرحلة التعليم الثانوي.

و"تعليمية اللغة العربية" في البحث تقتضي - ولاسيما في الفصلين الثاني و الثالث - تحري أمرين اثنين هما :

الأمر الأول: محاولة التبسيط والميل إلى ما هو تعليمي أكثر مما هو نظري تجريدي ما أمكن حتى تكون المادة في متناول أهل الميدان؛ والمقصود بما هو تعليمي المعلومات القابلة للاستيعاب بسهولة والتي يمكن تداولها والعمل بها.

الأمر الآخر: التركيز والميل أيضا إلى استغلال كل ما هو جهد عربي و أنسب للغة العربية في علم النص؛ ولذلك ستكون الاستعانة بالدراسات والبحوث العربية كبيرة وستوظف ما أمكن قواعد النحو العربي وغيرها من منتجات التراث قصد محاولة تسهيل استيعاب هذه المادة ، اعتمادا على طريقة الانتقال مما هو مألوف إلى ما هو غير مألوف ؛ ولعل ذلك يسهم أيضا في إبراز التقارب بين ما هو عربي وما هو حديث في هذا المجال ، الأمر الذي عمل له العديد من الباحثين العرب ، لأن تطوير اللغة العربية من أكبر المقاصد وأسمى الأماني.

- وبالنسبة إلى مصطلحي "الاتساق والانسجام" هما المصطلحان المعتمدان في المناهج التعليمية للمرحلة الثانوية ميدان الدراسة وهما ترجمة عربية للمصطلحين الأجبيين "

cohesion و coherence " على التوالي وعلى هذا الأساس اعتمدهما البحث أيضا بشكل رئيسي، رغم وجود ترجمات عربية أخرى عديدة لهما¹ منها: السبك والحبك، والتماسك التي يوظفها البحث هي أيضا في بعض المواضع عند الحاجة التي يدعو إليها مثلا: إيجاز التعبير أو تفادي التكرار أو الارتباط بما ورد في الأقوال المنقولة من بعض المراجع التي تعتمد تلك الترجمات. وقد يذكر لفظ واحد للتعبير على المفهومين معا مثل لفظ التماسك أو حتى الحبك.

1- ينظر هذا البحث ص28 وما بعدها.

- إن العديد من المراجع تجمع بين المفهومين في الدراسة تحت اسم واحد مثل " التماسك" أو "الحبك" أو " الاتساق".. ولكن البحث يرى ضرورة الفصل بينهما لأن الحاجة التعليمية للبحث تستدعي التعامل مع المصطلحين منفصلين، ولكن المحاذاة ودراسة المصطلحين متجاورين في كل عنصر مثنى مثنى أمر مطلوب أيضا نظرا للتكامل بينهما ولحاجة بعض الكلام في هذا المفهوم إلى آخر في صنوه.

الفصل الأول

المفاهيم النصية و التقعيد.

. المبحث الأول: النص وعلمه: المفاهيم والتاريخ.

المطلب 1: مفهوم النص.

المطلب 2: علم النص ولسانيات النص.

. المبحث الثاني: الاتساق والانسجام: مفهومهما ومكانتهما في النصية.

المطلب 1: المفهوم.

المطلب 2: الدور والمكانة والعلاقة.

. المبحث الثالث: التقعيد: مفهومه و كيفيته ودواعيه.

المطلب 1: المفهوم (التقعيد و القواعد).

المطلب 2: أنماط القواعد وقوالبها.

المطلب 3: كيف يتم التقعيد؟

المطلب 4: دواعي التقعيد اللغوي وأهميته.

المبحث الأول:

النص وعلمه: المفاهيم والتاريخ

0 - تمهيد:

لعله صار واضحا مما جاء في المدخل - من وجهة نظر البحث - أن المصطلحات الثلاثة وهي: علم لغة النص - علم اللغة النصي - لسانيات النص كلها ذات مفهوم واحد ويدل الواحد منها على الآخر؛ ولئن وقع الاختيار الأساسي على "لسانيات النص" - خصوصا في العناوين - فإن ذكر غيره في حشو الفقرات ولاسيما في النصوص المنقولة لا يضير. أما مصطلح "علم النص" الأعم والأشمل فلعله يوظف بدلا منها جميعا في مواضع بعينها قد تحدد في حينها أو يفهم المقصد من السياق.

وتجدر الإشارة في البداية إلى أن "في" "علم النص" - بشكل عام - تتداخل معايير علوم مختلفة تلتقي في موضوع واحد هو "النص" وكل واحد منها يرصد فيه شيئا ويغيب من اهتمامه أشياء أخرى، وهذا مدخل الضرورة في بناء علم مستقل متميز عن كل علم آخر هو "لسانيات النص"...

فلسانيات النصوص تدرس النص من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ "نص" ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة، مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها؛ وهي في هذا تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم المتعلقة بدراسة النص وتجمعها، فتتجاوزها لأنها أقصاها تجريدا في ما تقيمه، فلا تهتم بالمضمون وإنما تبحث في ما يكون به الملفوظ نصا، فتنظر مثلا في الروابط المختلفة بين جمل النص¹..

و من هذا المنطلق فإن النص هو ميدان الدراسة فما هو إذن مفهوم النص قبل التطرق إلى علمه؟ وقبل الدخول في تحديد هذه المفاهيم لابد من التذكير بأنها ليست من صلب

1- الزناد، لزهري، نسيج النص، ص18.

الموضوع وما هي ومباحثها إلا تمهيدات يقصد منها تحديد دائرة الدراسة قبل الذهاب إلى المطلوب وهو تأسيس القواعد.

1- مفهوم النص: Texte

لما كانت المفاهيم ليست هي الأساس في الدراسة فإن البحث فيها لن يطول، و يتأكد ذلك في مفهوم النص الذي تكلمت كل المراجع عن صعوبة تحديده، فعلى كثرة المحاولات المطروحة لتعريف النص لم يستقر الرأي على تحديد جامع وبقيت كلها محاولات لأن كل باحث ينظر إلى النص من زاوية توجهه الفكري والمعرفي ، فالنص في نظر السيميائيين نظام سيميائي وظيفته الجوهرية التبليغ، كما عُدَّ في نظر اللسانيين فضاء يخترقه مفهوم الكتابة والنقد والأسلوب، وهو علاقة لسانية مكوناته الجوهرية الدال والمدلول¹ ، وتعود هذه الصعوبة أيضا إلى تكاثف الأسئلة في ماهية النص، وأقسامه، وأغراضه، وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى، ومن بين الأسئلة الملحة؛ أي نص نعني؟ أهو الديني أم الفلسفي أم العلمي أم الأدبي أم اللساني؟ أهو النص المكتوب أم المنطوق؟ أهو التراثي أم الحداثي؟ أهو الشعري أم النثري؟²

ولذلك فمهما طال عرض هذه المحاولات فإنها لن تضيف جديدا وليس من صلب مهام البحث أن يسعى إلى ذلك. ولكن هذا لا يمنع من مقارنة المفهوم دون إطالة ودون الخوض في المعنى اللغوي العربي الأصلي لأن معنى لفظ "نصّ" المقصود والمتداول الآن بعيد عن

1- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية (م.س) ص 20. ينظر هذا الحكم أيضا، مثلا في:

أ- بحيري، سعيد ، علم لغة النص (م.س)، ص 99، ص 104 . 105.

ب- فضل ، صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص (م.س)، ص 229 وما بعدها.

ج- زتسيسلاف واورز نياك ، مدخل إلى عمل النص (م.س)، ص 69.

2 - بوقرة ، نعمان ، المصطلحات الأساسية، ص 11.

دلالاته في المعاجم القديمة التي من أبرزها: الرفع والظهور والتحريك¹؛ والتقريب والربط بين القديم والحديث يطول فيه الكلام.

لإنجاز هذه المقاربة سيعرض المفهوم من خلال نوعين من التعريفات: النوع الأول يتمثل في التعريفات الموجزة والمبسطة التي يسهل استيعابها ويقصر الكلام فيها؛ والنوع الثاني هو ما خلص إليه بعض الباحثين تلخيصاً لجملة من تعريفات النص التي عرضوها.

* فمن التعريفات الموجزة التي تساعد على التصور المبسط للنص ولو بشكل سطحي:

- تعريف كلاوس برينكر الذي يقول: «يَسْمُ المصطلح "نص" تتابعا محدودا من علامات لغوية، متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة».²

- وكذلك تعريف براون و يول اللذين يقولان: «تعريفنا البسيط للنص.. "التسجيل اللفظي للحدث التواصلية"»³

* ومن النوع الذي يعد ثمرة تمحيص وموازنة بين جملة من التعريفات من قبل بعض الباحثين - تعريف زتسيسلاف واورزنيك فبعد أن عرض عددا من التعريفات المتباينة وعلق على كل منها؛ قال: «... نريد هنا أن نخاطر بتعريف موجز يجمل نتائج هذا المبحث. نفهم تحت "نص" مكوناً أفقياً، نهائياً، مقصوداً به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من

1- جاء في المصطلحات الأساسية (م.س) ص 20-22: "أما لفظ النص في المعجم العربي فإنه على معانٍ سياقية متعددة، لعل أهمها: رفع الشيء؛ يقول امرؤ القيس: وَجِدَ كَجِدِ الرَّيْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ * إذا هِيَ نَصْنَتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ (طويل)

ومنه رفع الحديث، وكل ما أظهر فقد نص، يقول طرفة بن العبد: وَنَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الْوُثِيقَةَ فِي نَصِّهِ (مقارب) والنص هو التحريك حتى يستخرج أقصى سير الناقفة، ونص المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض، ومنصة العروس تجلس عليها لتظهر، ونص الشواء نصيباً إذا صوّت على الثَّارِ، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، وقد وُظِّفَ هذا اللفظ في المعجم الأصولي للدلالة على اللفظ الوارد في القرآن الكريم أو السنة المستدل بها على حكم الأشياء بمعنى الظاهر، كما وظف في بيئة النحويين من مثل ما نجده عند ابن هشام في كتابه مغني البيب: "ونص جماعة على منع ذلك كله، واستعمله ابن جني بصيغة اسم مفعول: "... اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص... وأشار الرضي إلى استعمالها = للدلالة على معنى الحدث المساوي للمعنى الصريح الذي لا يقبل أكثر من تأويل واحد، و الظاهر أن دلالة النص في تراثنا النحوي بخاصة ارتبطت بالحدث والفعل ولم تتمخص للاسمية مثلما هو شأنها اليوم، كما أن مصطلح النص في سائر القطاعات المعرفية التراثية من تفسير وأصول وكلاميات دل على شكل محدد من أشكال الكلام لا الكلام في جملة، وربما كانت مصطلحات أخرى أكثر حضوراً منه، منها ما يدل على أجناسه كالشعر والنثر والخطابة، ومنها ما يقترب منه وضعاً واستعمالاً كالخطاب والقول والحديث والكلام والقول واللفظ والرسالة..."

2- برينكر ، كلاوس، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ت: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425 هـ . 2005 م، ص27.

3- براون ، جليان - يول ، جورج ، تحليل الخطاب، ت: محمد لطفي الزليطي - منير، التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، د.ط، 1418 هـ . 1998م، ص15.

*- في الصفحة 227 من نفس الطبعة للمرجع ذاته يعاد التعريف بلفظ "التسجيل الكلامي" بدل "التسجيل اللفظي".

خلال الدمج الإنجازي وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعا متماسكا من الجمل»¹.

- وهذا باحث آخر عمد إلى جمع ما هو مشهور ومذكور في جل المراجع ورأى فيه الكفاية اللازمة لتحديد النص، ذلك هو صبحي إبراهيم الفقي حيث يقول، بعد عرض جملة التعريفات الأخرى: «ومن التعريفات الجامعة ذلك التعريف الذي نقله كل من د.سعد مصلوح ود.سعيد بحيري عن "روبرت آلان دي بيوجراند" (...) و"الفجاني دريسلار". أنه "حدث تواصل يُلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

1- السبك Cohesion أو الربط النحوي(الاتساق).

2- الحبك Coherence أو التماسك الدلالي(الانسجام) وترجمها تمام حسان بالالتحام.

3- القصد Intentionality (القصدية) أي هدف النص.

4- القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5- الإخبارية أو الإعلام Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

6- المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

7- التناص Intertextuality .

... ونميل إلى الأخذ بهذا التعريف الأخير، حيث إنه يراعي المتحدث أو المرسل والمستقبل، ويراعي كذلك [يقية عناصر] السياق، وكذا يراعي النواحي الشكلية والدلالية، وإن كان ينقصه مراعاة حجم النص، ونحن نؤكد أن النص ليس من الضروري أن يكون ذا طول معين»².
بعرض هذه التعريفات تكون قد اتضحت صورة النص الذي هو ميدان الدراسة الأول كما تكون قد برزت أهم عناصره ومكوناته التي سيتم التعامل معها في بناء القواعد لاحقا.
ومن أهم الخصائص والمميزات التي ترسم هذه الصورة والتي اكتسبت أحقية الانتماء إلى مكونات النص بتكرار ذكرها في التعريفات الواردة آنفا، هي:

1- زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص، مرجع سابق، ص 69.

2- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، ج1، ص 34.

- النص حدث تواصلية أي أن التواصل هو وظيفته.
 - وأنه يتشكل من تتابع علامات لغوية أفقية.
 - ولابد أن تكون هذه العلامات مترابطة ترابطاً نحوياً ودلالياً.
 - وطالما هو حدث تواصلية فلا بد أن يحمل مضموناً إعلامياً له قصد ومقبولية وله علاقة بنصوص أخرى.
 - وكل ذلك يدور في مقام معين وبين طرفي تواصل.
- فهذه المكونات والعلاقات بينها هي التي سيدرسها البحث ويستنتج منها قواعده، لأن "الترابط" (الاتساق والانسجام) الذي هو واحد منها يتصل بكل منها اتصالاً وثيقاً.
- ولاشك أن فكرة الاتصال الوثيق هذه ستتجلى أكثر في الكلام اللاحق عن علم النص ولغته فهي من صلب اهتمامه*.

2- لسانيات النص (علم لغة النص) Linguistique du texte

الكلام عن علم بكامله أمر واسع ولكن حين لا يكون هو بذاته المحور الأساسي للموضوع فإن الاختصار فيه يكون مطلوباً والتركيز على العناصر التي تخدم الهدف المتوخى يكون ضرورياً؛ ولذا فإن الجوانب التي ستتناول باختصار من لسانيات النص هي: التاريخ والمفهوم والمهام والفوائد والعلاقة بالعلوم الأخرى والتراث العربي، وستكون كافية للبناء عليها وللرجوع إليها عند الاقتضاء.

1.2- النشأة والحدأة:

عند البحث في نشأة هذا العلم تطفو ثلاث مسائل تفرض نفسها على الباحث بحكم تكرارها في مختلف المراجع؛ اثنتان منها صارت من الحقائق البديهية التي لا خلاف فيها حتى أنه لا يكاد يخلو مرجع من ذكرها، والأخرى تذكر أيضاً ولكن بوجوه متباينة؛ وقد تتفرع عن هذه المسألة أو تلك مسائل أخرى.

* وتتجلى أيضاً في عنصر "دور الاتساق و الانسجام ومكانتهما في النصية"، ص 38 وما بعدها، و تكون فيه عودة إلى تعريفات النص و مكوناته.

الحقيقة الأولى: مفادها أن هذا العلم هو انتقال "من ميدان الجملة إلى ميدان النص" وذلك نتيجة التطور العلمي الحاصل الذي أدى إلى اكتشاف أن الدراسة على مستوى الجملة ضيقة لا تحقق الغرض اللغوي كاملاً، بحيث إن الاختصار عليها تجاهل لنواح دلالية وسياقية كثيرة، مما يؤدي إلى التركيز على الجانب الشكلي والسطحي و يهمل البنى العميقة.¹

الحقيقة الثانية: هي "حادثة هذا العلم" الذي تتفق كل المراجع على أنه وإن كانت له جذور وإرهاصات قديمة فإنه لم يظهر بصورة واضحة ومستقلة إلا في القرن العشرين الميلادي بل في النصف الثاني منه.²

أما المسألة الثالثة: والتي تعددت فيها الأقوال فهي مسألة: "على يد من ظهر هذا العلم، وما هو تاريخ ظهوره و جغرافيته؟".

ففي الوقت الذي يقول فيه سعيد بحيري: «إنه لم يرتبط - كما يذهب أغلب مؤرخي هذا العلم - في نشأته أو تطوره ببلد بعينه أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد»³ يقول صلاح فضل: «وكان "فان دايك" في نفس هذه الآونة قد بشر في بحوثه عن علم اللغة النصي منذ مطلع السبعينيات.»⁴ ويصرّح بأن "فان دايك" هو "مؤسس علم النص"⁵.

أما الفقي فيقول عن هذا العلم «من الصعب أن ننسبه إلى عالم لغوي بعينه يمكن أن نعه رائد هذه المدرسة، ولكن الذي أكدّه الباحثون أن "أجرومية النص قد ولدت من رحم النبوية الوصفية القائمة على أجرومية الجملة في أمريكا، وكان مقال زيلنج هاريس Zelling Harris تلميذ بلومفيلد وأستاذ تشومسكي ثم مريديه فيما بعد عن "تحليل الخطاب"... من معالم الطريق في هذا الاتجاه. ثم شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينيات في أوربا

1- ينظر مثلاً: بحيري، علم لغة النص (مرجع سابق) ص 17.

2- ينظر مثلاً: فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، (م.س)، ص 248.

3- بحيري، علم لغة النص (م.س)، ص 17.

4- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (م.س)، ص 251.

5- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (م.س)، ص 252.

ومناطق أخرى من العالم توجهها قويا نحو الاعتراف بأجرومية النص بديلا موثوقا لأجرومية الجملة".¹

والراجع من خلال هذه الأقوال وغيرها أن هذا العمل لم يظهر طفرة واحدة وعلى يد واحدة أو من جهة واحدة في زمن واحد ولكنه نما متدرجا بعد إرهاصات ومحاولات عديدة، ويظهر ذلك بوضوح فيما يشبه كرونولوجيا بدايات التحليل النصي التي جمعها الفقي حيث يقول: «في الوقت الذي كان أعظم اهتمام لعلم اللغة بالجملة المفردة أو الجمل المفردة نشر زيلنج هاريس Zelling Harris بحثا بعنوان "تحليل الخطاب" 1952 واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي. وقد لقي هذا البحث اهتماما كبيرا حتى اليوم... ثم دراسة دل هيمز Dell Hymes 1960 الذي ركز على الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية، ثم جاء فلاسفة اللغة مثل 1962 Austin Searle، 1969 Grice، 1975.. ثم هاليداي M.A.K Haliday 1973 الذي قدم أعظم عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغير مفاهيم كثيرة في المدرسة اللغوية... ثم Sinclair and 1975 Coulthard... ثم ظهرت أسماء كثيرة في العلم مثل، 1976 Goffman Sacks، 1976 and Jefferson Van Dijk 1972... ثم تطور التحليل النصي كثيراً ليتعامل مع ما فوق الجملة، ويهتم بالسياقات والمؤثرات الثقافية التي تؤثر في اللغة المستعملة ثم الاهتمام بعلم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة الثانية...»²

وإذا كانت هذه هي البدايات البارزة لهذا العلم فهناك من يذكر إسهامات أخرى تعد من بواكيره أيضاً ترجع إلى نهايات القرن التاسع عشر على يد 1887 H.WEIL أو بداية القرن العشرين على يد الباحثة الأمريكية³ 1912 I.NYE

نخلص من كل الأعمال المذكورة وتواريخها إلى أن مولد هذا العلم كان في الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر كأقصى حد إلى عشرية السبعينيات من القرن العشرين وهذا يعني

1- بحيري، علم لغة النص (م.س)، ص ص 36 - 37.

2- بحيري، علم لغة النص (م.س)، ص ص 23-24.

3- ينظر في هذين التاريخين: بحيري (مرجع سابق) ص 18 ومحمد شاوش (مرجع سابق) ص ص 75-76 نقلا عن درسلر Derssler w.

أنه مازال حدثاً لم يبلغ النضج التام إلى الآن (في مطلع القرن الواحد والعشرين) لأن مرور عقدين أو ثلاثة على بداية استوائه كعلم مستقل لا تكفي لنضجه التام، ولذلك ما فتئت البحوث المنتجة طوال هذه الفترة تعلن حدوثه وتصفه "بالغض البكر"¹ وبأن نحوياته " لم يكتمل تطويرها بعد"² و"قواعده لم تُقَم بعد"³ إلى غيرها من العبارات والأوصاف المؤكدة للحدث، إلا أن هذه الحادثة لا تعني انعدام وجود مادة نظرية معتبرة يمكن أن يسهم البحث من خلالها في مهمة إقامة البناء من المادة الخام الموزعة هنا وهناك وفق ما تقتضيه الخصائص التعليمية المناسبة للمرحلة الثانوية.

2.2- المفهوم:

يستخلص مما سبق أن هذا العلم - ك تخصص مستقل - يعد انتقالاً واضحاً من الاهتمام "بنحو الجملة" الذي كان سائداً في القديم إلى الاهتمام "بالنص" ككل، وهذا التطور بدأت معالمه في نهاية القرن 19 وبرزت بوضوح في أمريكا مع مقال هاريس الشهير عن تحليل الخطاب في خمسينيات القرن 20 ثم تأكد في منتصف الستينيات في أوروبا ومناطق أخرى من العالم؛ إلا أن البداية الفعلية لهذا العلم كانت في بداية السبعينيات بعد أن اكتملت ملامحه الفارقة، ولذا فهو قياساً بالعلوم الأخرى علم حديث النشأة. ولا بد قبل تحديد مفهومه من الإشارة إلى أن هذا التخصص العلمي قبل استقلاله قد مر بعدة مراحل منحدرًا من مجموعة من العلوم أهمها "علم البلاغة" الذي تربطه بعلم النص علاقة تاريخية وثيقة، يقول محمد العبد: «ميّز هارتمان Hartmann - في نشأة علم لغة النص - بين سبع مراحل من التطور وضعت معالمه، هي: علم البلاغة، وعلم الأسلوب والتأويل والسيمائية، وتحليل المضمون، ونظرية أفعال الكلام، والبلاغة الجديدة. أما علم البلاغة - من بينها - فقد تجلت

1- بحيري، علم لغة النص (م.س) ، (2004)، ص 10.

2- الفقي، علم اللغة النصي، ص 26، نقله عن جزيل فلانسي (1997).

3- زسيسلاف، واورزنيك ، مدخل إلى علم النص ، (2003)، ص 69.

أهميته في تعامله مع اللغة من حيث هي خطاب فعلي، وفي تشكيله أنماط الاتصال المؤثر ومعاييره.¹

وعن علم البلاغة بالذات أيضا يقول فان دايك :«إن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة. لكننا نؤثر مصطلح علم النص، لأن كلمة البلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع.»²

إن استقلال هذا العلم عن العلوم التي مرّ بها جعل له بالضرورة تعريفات خاصة به وتتفق هذه التعريفات تقريبا على أن لسانيات النص (أو علم لغة النص) فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد.³

وكذلك هو الدراسة اللغوية لبنية النصوص.⁴

ويذكر NILS أن علم لغة النص يعني - في العادة - الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي، الشكلي والدلالي، مع تأكيده أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص.⁵

ويمكن أن يلخص ما سبق ذكره تعريف أحد المعاجم لمصطلح "نحو النص" حيث يقول عنه: «هو تيار جديد جعل من النص مادته الأساسية اصطلاح عليه في البداية بـ"نحو النص"، وهو مصطلح يقابل "لسانيات النص"، حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة ولكنها في مقابل ذلك لا تعدّها أكبر وحدة قابلة للتحليل

1 - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م، ص87.

2 - ينظر: أ - فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص253.

ب- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص-المفاهيم والاتجاهات-، ص20.

3- sackrichard P292، نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، (مرجع سابق) ص 35.

4- David crystal P.166-292، نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، (م.ن) (ن.ص).

5- Nils Erik Enkvist P.25-26، نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، (ن.ص).

اللساني، بل تنتظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص إضافة إلى علاقتها كذلك بالسياق الذي أنتجت فيه ومنتجها ومستقبلها.¹

وبهذا يكون قد صار واضحاً أن موضوع البحث يدخل في صلب هذا العلم الذي يدرس المكونات التي يقوم عليها النص مفهوماً، بما في ذلك ما يحيط به من خارجه، وعلى رأس كل ذلك "أدوات التماسك، الشكلي منها والدلالي" والمقصود بها "الاتساق والانسجام" المذكوران في العنوان اللذان سيعمل البحث على تحديد قواعدهما التعليمية، الأمر الذي يؤكد أن مهمة البحث هي جزء من المهام المنوطة بهذا العلم؛ و هو ما يقتضي تحديد هذه المهام وما شابهها زيادة في التعريف.

3.2- المهام والفوائد والعلاقة بالعلوم الأخرى:

لقد عني علم اللغة النصي في دراسته النحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية.²

ومن الناحية الوظيفية فإن هذا العلم يعنى بشرح كيفية قيام النص بوظائفه؛ أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء، وإعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي.³

وتعدّ أهم مهمة مرتبطة بالبحث هي صياغة قواعد تمكنا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية، ويجب أن يعد مثل ذلك النحو النصي

1 - بوقرة ، نعمان، المصطلحات الأساسية...، ص 140.

2- سونييسكي، نقلا عن سعيد بحيري، علم لغة النص، (مرجع سابق) ص 119.

3- فان دايك، نقلا عن صلاح فضل (مرجع سابق) ص 250.

إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في إنتاج عدد لا نهائي من النصوص.¹

إن المهام و الوظائف المذكورة تدور كلها حول بناء النص وفهمه، وهي التي تجعل للعلم الذي يؤديها أهمية كبرى وفوائد عديدة في مجالات مختلفة تتجلى أكثر من خلال علاقته بعلوم أخرى؛ فما هي هذه العلاقة؟

إن انحدار هذا العلم من مجموعة من العلوم الأخرى (كما سبقت الإشارة) تعني بالضرورة علاقته الوثيقة والمستمرة بها. فعن البلاغة مثلا يقول فان دايك: «إذا كانت البلاغة قد أخذت تثير الاهتمام مجدداً في الأوساط اللغوية والأدبية فإن علم النص هو الذي يقدم الإطار العام لتلك البحوث، مما يشتمل على المظاهر التقنية التي لا تزال تسمى بلاغية.»² ولا تقتصر علاقته بالحقول العلمية التي انحدر منها وإنما تمتد إلى غيرها من العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة والعلوم الشرعية والقانون والترجمة والتعليمية... وغيرها، لدرجة أنه وصف بكونه علما متداخل التخصصات أو "عبر تخصصي Interdisciplinaire" على حد تعبير صلاح فضل الذي حدد طبيعة هذه العلاقة بقوله: «أن مهمة علم النص لا يمكن أن تتمثل في عرض وحل جميع المشكلات المتصلة بالعلوم الفلسفية والاجتماعية ولكنها تنحو إلى عزل بعض المظاهر المحددة لهذه العلوم - وهي المتصلة بأبنية النصوص واستخدام أشكالها في التواصل - وتحليلها داخل إطار متكامل "عبر تخصصي" هذا التكامل يمكن أن يتم بتحليل الخواص العامة التي يجب أن تتوفر في أي نص لغوي ليقوم بوظيفته كنص، وهي خواص ترتبط بالأبنية النحوية والدلالية والأسلوبية والهيكلية، كما تتصل بالروابط المتبادلة فيما بينها.»³

وللتفصيل والتوضيح لا يمكن هنا الكلام عن العلاقة بكل علم على حدة ولكن يكفي ذكر بعض الأمثلة فقط، ومنها أن هذا العلم طبق تطبيقا مثمرا للغاية في مجال علم النفس

1- فان دايك، نقلا عن سعيد بحيري، علم لغة النص، (مرجع سابق) ص 120.

2- نقلا عن : بحيري ،علم لغة النص، (م.س) ص20.

3- بلاغة الخطاب وعلم النص، (م.س)، ص ص 249 - 250.

الاجتماعي وعلم الاجتماع بعد أن تمكن من إيضاح الإشكالات التالية، مثل: كيف نغير سلوكنا الشرائي تحت تأثير نص دعائي معين، أو نغير سلوكنا الانتخابي بسبب خطاب سياسي أو معلومة في الصحيفة، أو أية وسيلة أخرى، وكيف نعرف عن تفاعلنا مع مجموعات معينة تالية في المجتمع بسبب المعرفة التي نمتلكها مع أناس آخرين من هذه المجموعات، وأخيرا كيف تتشكل عاداتنا وأحكامنا ومعاييرنا وأعرافنا وتقييماتنا من معلومة نصية.¹

ولا شك أن أهم مثال ينبغي أن يوضح في هذه العلاقة هو علاقة علم النص ولسانياته بمجال التعليمية الذي هو قرينه في البحث، إذ «تؤكد الدراسات أنه لا يمكن للتعليمية(العربية) إلا أن تخضع لنظرية نحوية (نصية) حيث إن الوقوف بالنحو العربي عند حدود الجملة والاشتغال بتعليمه وفقا لذلك الفهم [السائد] لا يمثل تقصيرا في حق النحو العربي فحسب بل في حق العربية ذاتها لأن تعليم النحو في حدوده التي تدرس فيها اليوم قد يمثل عائقا يحول دون اكتساب المتعلمين كفاية إنتاج النص لأن إهمال هذه العناصر النصية في تعليمنا العربية و"عدم الوقوف على ذلك خطر.. كبير يتهدد المستقبل على قراءة المنوال (النحوي العربي) ومعرفة مداه في الإجراء" ويحرم تعليم العربية من فرصة توسيع مفهوم النحو ليشمل الظواهر النصية التي لها فائدة لا تخفى في تكوين المتعلمين في العربية وإقذارهم على الإنتاج بها في مختلف الأغراض، بل إن الصعوبات التي تعترض متعلم العربية أثناء الإنتاج بها وتعوقه دون بناء نص منسجم، تبرز أن العملية تحتاج إلى أكثر من معرفة بأنواع الجمل والتراكيب و أقسام الكلام والتصريف لأن المتعلم الذي يبني جملا صحيحة لا يقدر بالضرورة على بناء نص منسجم متناسق لذلك نحتاج في المدرسة إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النص وقضاياها»²

ولذلك كله كان الاهتمام بالتقعيد في المجال نفسه محور هذا البحث.

1- فان دايك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ت: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص127.

2- الشاربي، مجيد ، فتحي فارس، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط2003، 1، ص178.

والكلام السابق عن التعليمية العربية ينقلنا نقلاً سلساً إلى العلاقة بالعلوم العربية القديمة وهي مسألة ذات صلة بما لهذا العلم من علاقات بعلوم أخرى من جهة وبتاريخه من جهة أخرى فهي تزيد في وضوح تعريفه وسطوع صورته وامتداد جذوره.

4.2- النظرية النصية والتراث العربي القديم:

"النحو هو ميزان العربية الذي به تقاس درجة الانحراف ومقياسها الذي به يرد الشاذ إلى القاعدة، فهدف النحو العربي في وجه من وجوه منع اللحن وحفظ النص المقدس (القرآن الكريم) من التحريف قراءة وكتابة، ولما كان ذلك كذلك قوي نفوذ النحو في تاريخ العربية على نحو لم تعرفه لغة من اللغات وارتفعت منزلة النحاة واكتسبوا قوة اجتماعية طاغية رسخت آثارها في تاريخ النحو العربي وتصورنا له... فلما كانت تلك وضعية النحو والنحاة في العربية فقد كثرت فيه المؤلفات وتصارعت النظريات حتى جادت هذه الدراسات ودقت وبلغت شأواً مكنها من أن تجد لها موقعاً في قضايا اللغة المطروحة اليوم وأن تبرز أحداثها.

فقد كانت علاقة اللسانيات بالنحو العربي عكسية مقارنة بالنحو عند الغرب، ذلك أن بروز اللسانيات وتطورها لم يحصر النحو العربي في زاوية وإنما كشفنا عن طريق المقارنة وجوه الحداثة في هذا التراث النحوي منهاجاً ونظرة¹ ولذلك فإنه لا يصعب على الدارس اكتشاف صلة التراث العربي القديم بالنظرية النصية الحديثة إلا أن هذا التراث لا يسمى "لسانيات النص" كما تسمى اليوم، ولا توجد فيه المصطلحات النصية كما هي في علم النص الحديث، ولكنك إذا رمت البحث عن مظاهر هذا العلم فإنك تجد إشارات هامة ذات أبعاد نصية، وإن كانت لا ترقى إلى مستوى النظرية النصية الكاملة لمعالجة النص ولكن تعتبرها الدراسات الحديثة لبنات مؤسسة في علم النص.

1- الشارني، مجيد وفتحي فارس، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، (المرجع السابق)، ص ص 155-156.

وهذه الإشارات يمكن أن تصنّف على مستويين: أحدهما المستوى التنظيري التصوري التجريدي العام والآخر المستوى التطبيقي الذي يخص قواعد اللغة وآلياتها. والمستوى الأخير سوف يلجأ البحث إلى مفرداته بالتفصيل الكامل ويعتمد عليه اعتماداً كبيراً في تحديد العديد من أدوات ووسائل الاتساق والانسجام وقواعدهما، فعلى سبيل التمثيل عند دراسة مسائل الوصل والفصل أو المناسبة و العديد من المسائل البلاغية والنقدية وغيرها، فإنه لا مناص من أن تطرح كما تناولها أصحابها، مثل: الجرجاني والسكاكي والسيوطي والزركشي والجاحظ وسواهم من جهاذة التراث .. فلا داعي إذن للتفصيل هنا في هذا المستوى ولكن المستوى الآخر المتمثل في النظرات والتصورات والمواقف العامة من القضايا اللغوية هو الذي يمكن أن يفصل هنا وتضرب له أمثلة.

فمعظم العلماء العرب القدامى كانوا ينظرون إلى النحو على أنه علم يستوعب كل مستويات اللغة « وقد بينت جملة من القراءات في مدونة النحو العربي أن النظرية اللغوية العربية لم تعرف هذا الفصل الشائع.. بين مستويات اللغة المختلفة ولا الفصل بين نحو وبلاغة خاصة في بابها المتعلق بـ "علم المعاني" فقد ذهب الشريف (1993) هذا المذهب في أطروحته وأكد الشاوش (2001) وميلاد (2001) الحقيقة نفسها فـ "لا وجود للدلالة خارج التشكل النحوي للبنية" فكل دلالة هي دلالة بالنحو ومن ثمة فالنحو العربي شامل لكل المعاني ما يحدثه الصوت منها والمعجم والصرف والتركيب والبلاغة. وإلى نفس المعنى يشير خالد ميلاد إذ يبين أن ما تختص به نظرية القدامى النحوية دون سائر النظريات الدلالية والتداولية العربية الحديثة من أصول مبدئية يرضخ بمقتضاها النظم للنظام والصنع للوضع والإنجاز والإنشاء للإعراب والعمل النحوي.¹

ولتأكيد هذه النظرة الشاملة للنحو عند القدامى والتدليل عليها يكفي عرض ثلاثة نماذج: «فهذا ابن جني في الخصائص يحدّ النحو باعتباره علماً شاملاً لكل ما يهم الكلام فيضبط مجاله بأمثلة تتصل بصيغ الكلمة من ناحية (العدد، الجنس، التصغير، التكسير..)

1- الشارني، مجيد وفتحي فارس، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية ، ص148.

وبالتركيب والجملة من ناحية ثانية (الإضافة، الإبدال...) وهو مفهوم يقترب من حدّ سيبويه للنحو في "الكتاب" على أنه العلم الذي يدرس الظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها: المستوى الصوتي (لاحظ دراسته للأصوات العربية)- الاشتقاقي الصرفي - التركيبي (من خلال دراسة الإضافة والنعت والإبدال...) - الإعرابي (من خلال الاعتناء بالعمل والإنشاء) - التداولي أعمال الكلام.

وهذا المفهوم الموسّع، يستوعب الظاهرة اللغوية في جميع عناصرها، حتى ليبدو " التقسيم إلى نحو وبلاغة تقسيما طارئاً وليس أصلياً في المنوال النظري الذي أسسه النحاة العرب". وقد ذهب الجرجاني المذهب نفسه في فهمه لمعنى النحو فكان النحو عنده يتّسع ليشمل عديد الظواهر البلاغية وتجده يتّخذ مبدأ لا يحيد عنه في جميع مؤلفاته هو أن الفصاحة " لا توجّب للفظه مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه". وعلى هذا يكون الرجل قد قدّم النحو على أنه وصل الكلام النفسي (الذي في النفس) وهو نشاط ذهني بالكلام المنطوق الذي تمكن ملاحظته؛ ولا يكون الوصل بين المعقول (الكلام النفسي) والملفوظ (الكلام المنطوق) إلّا بالنظر في العلاقات بين المفردات والمركبات أي تدبّر أمر النظم الذي هو تصور للعلاقة النحوية (علاقة الإسناد، علاقة التعديّة...) والتصور نشاط ذهني بالأساس...»¹

فهذا الكلام وما سبقه يدلّ دلالة قاطعة على أن القوم كانوا ينظرون للنحو نظرة شمولية فهو عندهم مجال لدراسة كل القضايا اللغوية حتى التي تشبه اللسانية النصية الحديثة ولو لم يسموها بأسمائها الحالية*. وذلك هو الدليل على الوجه النظري من الإشارات التي تمثل

1- الشارني، مجيد وفتحي فارس، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية ، ص 145. 146

*- هذه النظرة الشمولية التي كان ينظر بها العرب القدماء إلى "النحو" لا تبطل ما دعا إليه البحث في مدخله من إبعاد استعمال المطابقة الكاملة لمصطلح " نحو النص" مع ما يقصد به " لسانيات " النص، لأن نظرية النص لم تقم بعد كاملة مستقرة مستقلة عندهم آنذاك كما هي الآن، فما كانت إلّا إشارات كما ورد أعلاه، ولأن العديد من العلوم ذات الطبيعة المتقاربة وقتها مازالت لما تتمايز مثلما هي في هذا العصر الذي بلغت فيه العلوم من الدقة والتفريع التخصصي ما يقتضي تسمية خاصة لكل فرع، فلا يخفى- مثلاً- ما لعلم اللسانيات من فروع وتسميات مختلفة لكل فروع، ثم إن المفهوم الشائع المستقل اليوم لمصطلح "نحو" صارت له دلالة متميزة كما أوضح البحث في مدخله ، والتعليمية تقتضي إبراز هذا التمييز حتى لا يختلط الأمر لدى المتعلمين.

علاقة التراث العربي القديم بالدراسات النصية الحديثة وأثره فيها، وسيظهر الوجه الآخر الأكثر وضوحًا عند التطرق - في تفاصيل البحث - إلى آليات الاتساق والانسجام وقواعدهما كما سبقت الإشارة.

خلاصة المبحث:

للنص تعريفات عديدة لم تستقر آراء الباحثين على أيها أدق و أصلح لمفهومه بسبب أن كل باحث تصدى لتعريفه ينظر من زاوية تخصصه ولذلك حاول البحث من زاويته الترجيح معتمدا على ما فعله بعض الباحثين مركزا على ما كان أشمل من التعريفات؛ وهو التعريف الذي يعتمد على المعايير السبعة المشهورة المكونة للنص ويحده على اعتبار أنه لا يكون النص نصا إلا بها وهي: السبك (الاتساق)، الحبك (الانسجام)، القصد، القبول، الإخبارية، المقامية، والتتاص. (و في المبحث اللاحق عودة لهذا التعريف وتعريفات أخرى يبرز فيها دور التماسك الرائد ومكانته في النصية).

أما علم النص ولسانياته فهو فرع من فروع علم اللغة يدرس النصية المفهومة في المطلب السابق و على رأسها التماسك النصي (الاتساق والانسجام)، فهو انتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، وهو علم حديث النشأة لم يظهر بوضوح إلا في سبعينيات القرن العشرين، وقد انحدر من مجموعة من العلوم أبرزها علم البلاغة، ومازالت علاقته وطيدة مع هذه العلوم وغيرها في إطار علم النص العام الذي يرتبط بشتى التخصصات التي تتخذ النص ميدانا للدراسة، إذ هو علم "عبر تخصصي" كما ينعته بعضهم، ومن ثم كانت لعلم النص وظائف معتبرة وفوائد بالغة الأهمية.

ومع حداثة هذا العلم إلا أن له منطلقات هامة في التراث العربي القديم، وإن كانت لا ترقى إلى مستوى النظرية النصية المتكاملة ولكنها يمكن اعتبارها جذورا لها، ذلك أن علماء العربية كانوا ينظرون إلى الدراسات النحوية نظرة لغوية شاملة.

المبحث الثاني

الاتساق والانسجام: مفهومهما ومكانتهما في النصية.

إن الاتساق والانسجام هما محور البحث ، وعليه فلا بد من التركيز على معرفة حقيقتهما لأن البحث عن الشيء لا يتم دون معرفة حقيقته ، وذلك من خلال تحديد مفهومهما وتجليه دورهما في النص ومكانتهما في علمه.

1- المفهومان: وينقسم كل منهما إلى جانبين متكاملين، هما الجانب اللغوي والجانب الاصطلاحي لكل من لفظي الاتساق والانسجام:

1.1- المعنى اللغوي:

1.1.1- الاتساق لغة: "اتساق" على وزن "افتعال" من فعل "وسق" مع إبدال فاء الفعل (وهي الواو) تاءً في الصيغة الأصلية الحاصلة أي "اوتساق" ثم إدغام حرف التاء الأول في الثاني.

والبحث في مادة "وسق" ومشتقاتها في كبريات المعاجم يبيّن أن معناها اللغوي الأصلي يدور حول معاني "الحمل والجمع والضمّ والانتظام" التي يجمع بينهما . كما هو ظاهر. معنى الترابط والتماسك مع مسحة جمالية يضيفها عليها معنى الانتظام، ويتضح ذلك على الخصوص في معجمين كبيرين هما "لسان العرب" و "القاموس المحيط" ونظرا لأن ما جاء في أحدهما يطابق - تقريبا - ما جاء في الآخر فإن الاكتفاء بنقل أحد المحتويين يجزي تفاديا للإطناب.

جاء في القاموس المحيط: « وَسَقَهُ يَسْقُهُ: جمعه وحمله، ومنه "والليل وما وسق" .. وسقت

العين الماء: حملته .. وأوسق البعير: حمّله حمّله. وأوسقت النخلة: كثر حملها. واستوسقت

الإبل: اجتمعت. واتسق: انتظم. وواسقه عارضه فكان مثله ولم يكن دونه، وناهده.¹*

2.1.1- الانسجام لغة: "انسجام" على وزن "انفعال" من "سجم". وفي هذا الوزن "انفعال" وفي

سابقه "افتعال" معنى المطاوعة الوارد في الصرف العربي.

والبحث في مادة "سجم" ومشتقاتها في المعاجم القديمة يبين أن معناها يدور حول القطران والصبّ والسيلان للماء وغيره من السوائل.. وهي معان توحى بالتالي والتتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار أو الجريان. وفي المعجمين المذكورين أنفا ما يدل على ذلك.

يقول صاحب "لسان العرب": «سجم: سجمت العين الدمع والسحابة الماء تَسْجِمُهُ تَسْجِمُهُ سَجْمًا وسَجُومًا وسَجَمَانًا وهو قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرًا وكذلك الساجم من المطر. والعرب تقول دَمَعُ ساجم ودمع مسجوم سَجَمْتُهُ العين سَجْمًا وقد أَسْجَمَهُ وسَجَّمَهُ والسَّجْمُ الدمع وأعْيُنُ سُجُومٍ سَوَاجِمٍ. قال القطامي يصف الإبل بكثرة ألبانها:

نوارفُ عَيْنَيْهَا من الحَقْلِ بالضْحَى :: سُجُومٌ كَتَنُضَاحِ الشَّانِ الْمُشْرَبِ.

وكذلك عين سَجُومٍ وسحاب سَجُومٍ. وانسجم الماء والدمع فهو مُنْسَجِمٌ أي انصبّ

وسَجَمَتِ السحابة مطرها تَسْجِيمًا وتَسْجَامًا إذا صَبَّتْهُ.²»

2.1- التعريف الاصطلاحي:

• **تمهيد:** من خلال الدلالات المعجمية السابقة الذكر يتضح أن الاتساق يحقق صفة الترابط والانتظام للوحدات التي يقع بينها.

1- أبادي، الفيروز ، بن يعقوب ، مجد الدين محمد، القاموس المحيط ، ت: نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ-2007، مادة (و س ق)، ص942.

*- إن البحث في مادة "نسق" القريبة من "وسق" بتقارب في الحرف الأول بين "الواو" و"النون" يعطي نتيجة أدق وأقرب إلى المعنى المتداول لمصطلح "اتساق" بحيث يُخَصَّصُ "الكلام" بالذات - الذي هو ميدان البحث - في أمثلة المعاجم للوصف بهذا المعنى الذي يدور حول العطف والتتابع والانتظام، مما جعل النحويين يسمّون "العطف" وهو أبرز أدوات الاتساق "نسقا" ويفرقون بين عطف النسق وعطف البيان، كما تبين نتائج البحث في المعجمين المذكورين أعلاه.

ولكن السؤال الذي يُطرح هنا. لماذا اختير المصطلح المستعمل من مادة (وسق) مع أن معاني (نسق) أقرب لوصف الكلام بالترابط والتتابع والانتظام، كما جاء في المعاجم أنفا؟ علما بأن صيغة "افتعال" من مادة "نسق" هي "انتساق" مثل "نقل انتقال" أي دون إبدال أو إدغام مثلما هو الحال في "وسق" التي جاءت منها "اتساق". فلماذا فُضِّلَ مصطلح "اتساق" عن "انتساق" أو أي مشتق آخر مناسب من مادته؟

ومع أنه إشكال بسيط لكون المعاني متقاربة سواء في "وسق" أم في "نسق" إلا أن البحث يفضل إثارته طلبًا للدقة أكثر ، لعله يجد حلا، دون الخوض فيه تفاديا للإطنابات والاستطرادات.

2- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت، مادة (س ج م)، ج15، ص172.

أما الانسجام ففيه صفة التتابع والتتالي وذلك يقتضي منطقيا التناصب والتجانس بين الوحدات المتتابعة. والمصطلحات العربية المذكوران اختيرا كمقابل للمصطلحين الأجبيين؛ والظاهر أنهما مناسبان لذلك.

إن المعاجم قد أسقطت- بتأثير البيئة التي أُلّت فيها وكذا طبيعة اللفظين - معاني المادة الأولى على بعض الكائنات الحية وخاصة الإبل فكانت هي الوحدات المتسقة في الأمثلة المضروبة فيها، وأسقطت المعاني الثانية على السوائل وبالذات الدمع والماء، فكانت قطراتها هي الوحدات المنسجمة.

ولكن ميدان إسقاطات البحث واحد وهو "الكلام"؛ فما هو من الجانب الاصطلاحي "الاتساق" وما هو "الانسجام" في ميدان الكلام؟

وقبل الإجابة على السؤال لابد من الإشارة إلى مسألتين:

المسألة الأولى: إن لكل من مصطلح "الاتساق" و"الانسجام" ما يقابله بالتحديد في اللغات الأجنبية كما يلي:

- الاتساق: هو الترجمة المعتمدة في هذا البحث لمصطلح *cohésion* بالفرنسية و *cohesion* بالانجليزية.

- الانسجام: هو الترجمة المعتمدة هنا لمصطلح *cohérence* بالفرنسية و *coherence* بالانجليزية؛ وقد تستعمل في البحث أحيانا ترجمات أخرى في حالات خاصة.

المسألة الثانية: في مختلف المراجع العربية عموما، وكغيرهما من المصطلحات، فإن "الاتساق و الانسجام" يعانين من مشكلة عدم التوحيد، إذ إن مفهوم كلا المصطلحين يعبر عنه بمترادفات عديدة، وأحيانا يقصد باللفظ الواحد المصطلحان معًا. وعليه فسيتم فيما يأتي ذكر ما أمكن من هذه الألفاظ والمترادفات، حتى إذا ما ذكرت في تعريف من التعريفات أو أي قول من الأقوال المنقولة اللاحقة يعرف المصطلح المقصود. و "لامشاحة في المصطلح" كما يقول الأصوليون، فالعبرة بالمضمون والمفهوم:

* السبك والحبك: يستعمل بعض الباحثين "السبك" بدل "الاتساق" كترجمة لـ cohesion و"الحبك" بدل "الانسجام" كترجمة لـ coherence ومن هؤلاء الباحثين سعد مصلوح¹ ومحمد العبد حيث يعلق الأخير على اختياره قائلاً: «... فقد أثرت "الحبك" على غيره مما دار مداره في التراث، كما أثرته مقابلاً عربياً مناسباً لـ coherence في الانجليزية أو kohaerenz في الألمانية وما ماثلهما في لغات أجنبية أخرى، بدلاً من هذا الحشد المتخالف من المقابلات العربية التي تكاد تختلف باختلاف الباحثين في ترجمة هذين الاصطلاحين»²

* التماسك: يفضل بعض الباحثين أن يسمى المفهومين كليهما باسم واحد مثل لفظ: "التماسك" الذي قد يضاف له وصف ليصير "التماسك النصي" في حالة الشمول وإذا كان لابد من التفريق فيقال "التماسك الشكلي" للاتساق، و"التماسك الدلالي" للانسجام، ومن أصحاب هذا الاختيار صبحي إبراهيم الفقي الذي بعد أن يخوض في مسألة "تفريق علماء اللغة بين مصطلحي cohesion و coherence" يقول: «ونرى - بدلاً من هذا الاختلاف - أن المصطلحين يعنيان معاً التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن cohesion، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح "cohesion" بمعنى التماسك في فصول الكتاب كلها.»³

إن الفقي بفكرة التوحيد بين المصطلحين ينحو منحى "هاليداي ورقية حسن" في مؤلفهما المشهور Cohesion in English حيث يقول عنه هو نفسه: «ويجعل هاليداي ورقية حسن Cohesion تضمنا علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، والتي تميز النصي من اللانصي... فهما لم يستخدموا مصطلح coherence للتماسك الدلالي ومع ذلك جعل غيرهما

1- مثلاً في "نحو أجرومية للنص الشعري" دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد 10، عدد 1، يوليو 1991، أغسطس 1991.

2- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، (م . س) ص 100.

3- الفقي، صبحي إبراهيم علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، (م.س)، ج 1، ص 96.

معنى Coherence مرتبطاً بالروابط الدلالية...»¹ ، على أن هاليداي وحسن لهما في ذلك رأي يبرران به موقفهما هذا يشرحه محمد خطابي إذ يقول: «يذهب الباحثان إلى أن السامع أو القارئ حين يحدّد، بوعي أو دون وعي، وضعية عيّنة لغوية يستدعي بنيتين: "خارجية وداخلية" تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام، أي أن المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط. يشير الباحثان إلى أن إمكانية الفصل بين البنيتين غير وارد بالنسبة للمتلقي، ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني باعتبار "ما يرغب في دراسته، وما يدرجه ضمن اهتمامه" وبناء عليه يهتم الباحثان بدراسة مظاهر الاتساق اللغوية (الداخلية) التي تميز النصوص في اللغة الانجليزية.»²

* الرابط النصي والتماسك النصي: وبعض الباحثين يعبر عن "الاتساق" "بالرابط" و"عن الانسجام" "بالتماسك" وكلاهما يوصف بالنصي، فهذا سعيد حسن بحيري يترجم المصطلحين عن الألمانية قائلا: « وحاول درسler أن يؤائم في تفرقة بين الرابط النصي kohäsion وهو أوجه ترابط (نحوية) توجد على سطح النص، وبين التماسك النصي kohärence في البنية الدلالية المحورية...»³.

فيترجم cohesion بالرباط النصي، و coherence بالتماسك النصي.

* في التراث البلاغي: إن البحث في مصادر البلاغة العربية القديمة يفتح الباب على مصراعيه في التعبير عن مفهومي "الاتساق والانسجام" أو "السبك والحبك" حيث يقول أحد الباحثين: «... فضلا عن مفهوم الحبك نرى في مصادر التراث البلاغي مفاهيم أخرى ارتبطت بسياقاتها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه الحبك أو على شيء مما يدل عليه، كالاتصال، والامتزاج، والالتئام والالتحام، والتلاحم، والاتساق، والائتلاف، والاقتران، والارتباط، والملاءمة، والمناسبة، والتناسب وغيرها...»⁴.

1- الفقي، صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 95.

2- خطابي، محمد لسانيات النص، (م.س)، ص 14.

3- بحيري، سعيد حسن علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، (م.س)، ص 132.

4 - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص 100.

فكل هذه التسميات وغيرها، مثل التعلّق والتضام والتلاؤم¹ والمشاكلة² والمؤاخذة بين المعاني³ إن لم تدل في مصادرها على المفهوم الشامل للاتساق والانسجام فهي تدلّ على جزء منهما أو على آلية من آلياتهما، كما قد يأتي في مبحث الأدوات..

وقد تبني بعض المحدثين شيئاً منها، مثل "تمام حسان" الذي ترجم coherence بالالتحام⁴ و"محمد مفتاح" الذي اختار مصطلح "التشاكل" حيث «حل في ضوئه قصيدة كاملة توقف فيها عند التشاكل الصوتي والتركيبى والدلالي وربط ذلك كله بالقواعد التداولية»⁵.

ليس المقصود من عرض هذه التسميات البديلة عن الاتساق والانسجام هو الإلمام بكل شاردة وواردة، لأن ظاهرة التشّتت هذه أوسع من أن يلمّها مثل هذا البحث، وإنما يكفي التنبيه إلى أشهرها خاصة تلك التي ذكرت في المراجع التي سيُوظفها البحث، ولا سيما في التعريفات، للغرض المذكور في بداية هذه المسألة.

ولا شك أنّه من خلال هذا التمهيد، وبالذات عند نقل أقوال بعض الباحثين، تبيّن أمر مهمّ وهو المفهوم المشترك لمصطلحي "الاتساق والانسجام" بشكل عام كما قال د. صبحي الفقي ويلخص في أنه «يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية ثانية»⁶.

إلاّ أن البحث لا يكتفي بالتعريف العام والمشارك للمصطلحين معاً، فلا بد له من التفصيل في تعريف كل مصطلح على حدة، وتلك ضرورة تقتضيها الطبيعة التعليمية للموضوع لا سيما أن المناهج الدراسية تفصل بين المصطلحين في مختلف وثائقها⁷ وتؤكدّها بعض

1 - ينظر مثلاً: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، ج1. ص ص: 78-79، 84-249.

2 - ينظر مثلاً: أ - علم اللغة النصي، ج1، ص 249.

ب- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص ص 104+107.

3 - ينظر مثلاً: العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص 109.

4 - ينظر مثلاً: أ - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص 93.

ب- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 33.

5 - نقلاً عن: العموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ - 2008م، ص 20.

6 - الفقي، علم اللغة النصي، ص 96.

7 - إضافة إلى أن أسئلة البكالوريا يطرح فيها سؤالان عن الاتساق والانسجام كل على حدة.

الدراسات مثلما جاء على لسان "محمد خطابي" (أعلاه) وهو يشرح موقف "هاليداي" و"رقية حسن" حين قَصَرَا بحثهما على "الاتساق" حيث قالَا: «...ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني...»¹.

وبدعم ذلك كون فكرة الفصل بين البنية السطحية (وهي مجال عناصر الاتساق) والبنية العميقة (عناصر الانسجام) وجدت قبولاً غير محدود من علماء علم النص². ولكن هذا الفصل في الدراسة لا يمنع، عند الحاجة، من استخدام لفظ واحد للتعبير عن المفهومين معاً، كما جاء في المدخل وبناء على فعل بعض الباحثين المشار إليهم سابقاً.

1.2.1 - الاتساق اصطلاحاً:

بناء على الدلالة اللغوية السالفة، توجد عدة تعريفات توضح مفهوم الاتساق في ميدان الكلام على أساس أن الوحدات التي يحدث بينها هي الوحدات الكلامية التي تساوي أو تفوق الكلمة، سواء كانت مفردات أم جملاً أم أكثر، حيث تسهم أدوات الاتساق في نسج نصية النص تاركة لصنوه "الانسجام" جانبه الخاص به.

يقول محمد خطابي: « يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص (أو خطاب) ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته...»³ ثم يتعمق أكثر في التعريف معتمداً على رأي "هاليداي" و"رقية حسن" في كتابهما "الاتساق في الانجليزية" فيقول: « إن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص"، ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية، خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه: "يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول. وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق" إن الاتساق لا يتم في

1 - ينظر هذا المبحث، ص 30 .

2 - ينظر: علم لغة النص، ص 132.

3 - خطابي، محمد لسانيات النص، ص 05.

المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم...ومن ثم يمكن الحديث عن الاتساق المعجمي وعن الاتساق النحوي.¹ ويبدو أن شيئا من التناقض بين هذا التعريف وبين ما ذكر سابقا من كون الاتساق شكليا والانسجام دلاليا، وذلك من خلال اعتبار الاتساق مفهوما دلاليا هو الآخر، ولإبطال هذا التناقض وإزالة الغموض المتسبب في توهمه يقول صبحي الفقي، في سياق كلامه عن العطف الذي هو أداة من أدوات الاتساق: «...فالتماسك إذن شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى»²

وبهذه التسوية يكون التعريف السابق مثالا لمجموع التعريفات المتوافقة أو عينة من الإجماع الحاصل حول مفهوم "الاتساق"، على الأقل فيما صادف هذا البحث من مراجع تشتمل كلها على تعريفات متشابهة، منها على سبيل المثال:

- ما نقله صبحي الفقي عن كريستال الذي يجعل الاتساق Cohésion متصلا بالبنية السطحية الشكلية للنص³.

- وما جاء في تعريف سعد مصلوح الذي يترجم المفهوم بلفظ "السبك" ويعتبره «الوسائل التي بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص...أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض للمباني النحوية...ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي Grammatical dependency ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

- 1- في الجملة. 2- فيما بين الجمل. 3- في الفقرة أو المقطوعة. 4- فيما بين الفقرات أو المقطوعات. 5- في النص.⁴

1- خطابي، لسانيات النص، ص15.

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص249.

*- في هذا المعنى صورة من صور التداخل بين الاتساق والانسجام وسيوضح لاحقا في مبررات العطف.

3- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص96.

4- نحو أجرومية للنص الشعري، (م.س)، ص154.

وبتلخيص هذه التعريفات يصير واضحاً أن إسقاط المعنى اللغوي للفظ "اتساق" على الكلام يجعل منه مصطلحاً لسانياً مفاده هو ربط الكلام بأدوات سطحية ظاهرة تنظمه ليكون نصاً أو خطاباً مفهوماً.

ومن أجل تشخيص هذا المفهوم لابد من ذكر بعض أدوات الربط المشار إليها والتي سيفصل فيها البحث لاحقاً، ومنها: الضمائر، والإشارة والوصل والعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والتكرير وغيرها... ومن الأمثلة التوضيحية لاستعمالها المثالان المواليان (اللذان يردد المدرس معناهما عادة في بداية الدرس):

- 1 - أخرج من المحفظة كتاب النصوص. ضعه أمامك مفتوحاً في صفحة درس اليوم.
 - 2 - أخرج من المحفظة كتاب النصوص. ضع الكتاب أمامك مفتوحاً في صفحة درس اليوم.
- ففي المثال الأول تم الاتساق بالضمير (الهاء) العائد على (كتاب النصوص) وهو رابط نحوي. وفي المثال الثاني تمّ بتكرير عنصر "الكتاب" وذلك رابط معجمي. وواضح أن بدون هذين الرابطين يصير الكلام مفككا لا معنى له*.

ويجدر التنبيه إلى قضية مهمة، لعلها تكون سبباً في إضافة جديد ولو في بحث آخر، وهي أن مصطلح "الاتساق" ورد مراراً وتكراراً في مصادر التراث العربي سواء في البلاغة أم علوم القرآن وتفسيره، ولاشك أن عرض نماذج من ذلك هنا يؤكد هذه القضية بالإضافة إلى أنه يدعم مفهوم الاتساق.

يقول عبد القاهر الجرجاني مجيباً على سؤال؛ ما الذي أعجز العرب من النص القرآني؟: «... تأملوه سورة سورة وعُشراً عشراً وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينبو بها

*- ذكر "هاليداي" و"رقية حسن" مثالين شبيهين للمسألة استخدمتهما العديد من المراجع (منها: خطابي، لسانيات النص، ص14) تفادى البحث تكرارهما حتى لا يصيرا قاعدة في ذاتهما وهما:

1-wash and core six cooking apples. put them into a fireproof dish.

اغسل وانزع نوى ست تفاحات. ضعها في صحن يقاوم النار.

2-wash and core six cooking apples. Put the apples into a fireproof dish.

اغسل وانزع نوى ست تفاحات. ضع التفاحات في صحن يقاوم النار.

مكانها، و لفظة يُنكرُ شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك وأشبهه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقاناً وإحكاماً...»¹

ويقول في موضع آخر: « وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44]، فتجلى لك منها الإعجاز... أنك لم تجد ما وجدت إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة؟... وأنَّ الفضل تتأتج ما بينها، وحصل من مجموعها... ثم *مقابلة " قيل" في الخاتمة بـ " قيل" في الفاتحة... بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب...»²

أما السيوطي، الذي أفرد فصلاً كاملاً عن "التماسك"، فيقول وهو بصدد الكلام عن الإعجاز القرآني: «فالوجه الثالث من وجوه إعجازه: حُسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته... والوجه الرابع مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متَّسقة المعاني، منتظمة المباني.»³

ويقول الزركشي في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَالْغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر 27)، حيث إن "الغرابيب" متضمنة لمعنى "السود" ومع ذلك ذكر "السود"، وذلك لأنه «بذكر السود وقع الالتئام واتسق نسق النظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام...»⁴

إن الذي يتبادر للذهن، من جرّاء تكرار لفظ "الاتساق" ومشتقاته في مصادر التراث، أن ذلك هو السبب في غلبة استعمال هذا اللفظ مصطلحاً عربياً معاصراً للمفهوم السالف.

1- الجرجاني، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ت: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1426، ص1-48.

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 51 - 52

3- السيوطي، عبد الرحمن، جلال الدين، معتزك الأقران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997 م، ج1، ص23.

4 - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1400 هـ - 1980 م، ج2، ص445.

2.2.1- الانسجام اصطلاحاً:

من المناسب أن تكون بداية هذا العنصر بما انتهى به سابقه، ذلك أن ما قيل عن الاتساق وعلاقته بالتراث قد ينطبق عن الانسجام. فقد أسقط السيوطي المعنى اللغوي للانسجام على الكلام بما يشبه مفهوم *cohérence* الحديث، حيث قال: «الانسجام هو أن يكون الكلام، لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّة، والقرآن كله كذلك.. وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ، ومن ذلك ما جاء في القرآن موزونا ..»¹.

ومهما تكن درجة ملائمة هذا القول مع المفهوم المعاصر للانسجام ، فإنه يعد كافياً للتأصيل اللغوي لاستخدام لفظ "انسجام" كمصطلح يقابل "*cohérence*" وهو ما يؤكد أحد المعاصرين حين يقول عن الانسجام: هو أن «يأتي الكلام منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم»². أما المفهوم الحديث " للانسجام" فهي محمد العبد يحاول تجليته معتمداً على تعريفات بعض علماء اللغة الغربيين و معلقا عليها مستعملا لفظ "الحبك" بدل "الانسجام" فيقول: «عرف هذا المفهوم في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب حدوداً عدّة. يحدّه سوفنسكي Sowiński بقوله: "يُقضى للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف اتصالي، اتصالاً لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات". ويحدّه ليفاندوفسكي Lewandowski بقوله: "ليس الحبك محض خاصّة من خواص النص، ولكنه أيضاً حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء. الحبك حصيلة تفعيل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنها شبكة دلالية مختزنة، يتناولها النص غالباً على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمّم الحبك الضروري أو ينشئه". تدل الحدود

1- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر ، د.ط ، د.ت، ج2، ص ص 908-909.

2- مفتاح، محمد، المفاهيم معالم (نحو تأويل واقعي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999، ص26.

السابقة مع غيرها على أن الحبك في جوهره تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا. تسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أس حبك النص. والنص الذي يوصف بأنه لا معنى له، هو النص الذي لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا على مثل هذا التسلسل.¹

ويأتي تعريف سعد مصلوح للانسجام (الحبك) في الاتجاه نفسه ولكن بشكل ملخص فيقول: «الحبك يعني الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم.»² وبشكل أكثر تركيزًا يعرفه كريستال بأنه «الاتصالات المنطقية، المقدره للاستعمال اللغوي.»³

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن الانسجام يحقق الترابط هو الآخر ولكن روابطه ليست شكلية سطحية ظاهرة، كما في الاتساق، وإنما هي دلالية ومعرفية ومنطقية في عمومها. وهي تحقق في الكلام ذلك المعنى اللغوي الذي يدل عليه لفظ "انسجام" من انحدار و سلاسة وانتظام.

ولتوضيح هذه الروابط غير الشكلية لابد من ذكر مثال على نوع منها يتعلق بمعرفة المتحدثين للسياق المحيط، وهو المثال نفسه المذكور في العديد من المراجع:

« - هل يمكنك توصيلي للمنزل؟ A:- could you give me a lift home?

معذرة! سأزور أختي B:- sorry, I'm visit in, my sister.

فلا توجد روابط نحوية أو معجمية [أي شكلية] بين السؤال والإجابة، لكن حدث التماسك، لأن كلا من (A) و (B) يعرف أن أخت (B) تعيش في الاتجاه المقابل لمنزل (A). وبصفة عامة يصبح النص متماسكًا إذا وجدت سلسلة من الجمل تطور الفكرة الرئيسية...»⁴

1 - العبد، النص والخطاب والاتصال ، ص ص 91- 92.

2- نحو أجرومية للنص الشعري ، ص 154.

3- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 94.

نقلا عن المرجع السابق ، ص.ن - J-Richads et. al , Longman Dictionary of applied Linguistics ,PP.54-464

ولاشك أن مفهومي "الاتساق والانسجام" سيتجليان أكثر تجليا ماديا ملموسا في المباحث والعناصر اللاحقة، لاسيما عند المزيد من ضرب الأمثلة.

2- الدور والمكانة والعلاقة:

يأتي هذا المطلب ليستكمل صورتي "الاتساق والانسجام"، وقد دعت الضرورة المنهجية للفصل بينه وبين سابقه، و ربطت فيه العلاقة بينهما بدور كلا الظاهرتين ومكانتهما في علم النص ولسانياته لأن العلاقة- كما سيأتي - أهم ما فيها هو التكامل في الدور و تتضح المكانة ضمنا بتجلي الدور كاملا .

تبينت من خلال التعريفات السابقة خلاصة يفصلها هذا المبحث، ومفادها أن دور كلٍ من "الاتساق والانسجام" هو تحقيق التماسك الذي يصير به النص نصًا، والذي يحققه "الاتساق" بالروابط الشكلية ويحققه "الانسجام" بالروابط الدلالية ، ويتضح تفصيل ذلك فيما يأتي:

1.2- الدور و المكانة:

تظهر أهمية دور كل من "الاتساق والانسجام" في تعريفات النص، فما من عالم يعرفه إلا ويجعل التماسك (cohésion + cohérence) أو ما يقابلها في العربية) هو حجر الأساس في تكوينه ، حيث لا بناء بدون أساس؛ كما تظهر أيضا في ما تناقلته العديد من مراجع "علم النص"¹ وهو ما عرف "بمعايير النصية" السبعة "NORMS OF TEXTUALITY" أي المكونات التي تجعل النص كلاً موحداً متماسكا دالاً، لا مجرد سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة، وهي تتكامل في تحقيق الطبيعة النصية إلا أن التماسك أهم شيء فيها.

1 - ينظر هذا البحث في تعريفاته ، وينظر أيضا مثلا:

أ - العبد ، النص والخطاب والاتصال، ص89.

ب - الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص33، (مع الشرح).

ت - الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، ص150.

ث - بحيري، علم لغة النص، ص128.

ج - نحو أجرومية للنص الشعري، ص154.

وهذه المعايير هي الفكرة المركزية في عمل رائد قام به الباحثان " دويوجراند Debeaugrande ودرسلر Dressler المسمى " مدخل إلى علم لغة النص". ومحل الشاهد هنا أن هذه المكونات السبعة يوجد على رأسها "الاتساق والانسجام" (أو السبك والحبك) وهي:

- 1-السبك(الاتساق) cohesion أو الربط النحوي والشكلي.
- 2-الحبك(الانسجام) coherence أو التماسك الدلالي.
- 3-القصد intentionality أي هدف النص.
- 4-القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
- 5-الإخبارية أو الإعلام Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمها.
- 6-المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
- 7-التناص Intertextuality .

وقد وردت هذه المعايير ضمن تعريف شامل للنص للمؤلفين الأصليين(دي بوجراند ودرسلر) وفي مقدمته ما يدعم ما ذكر سابقا عن دور هذه المكونات ومنها"الاتساق والانسجام" إذ يقولان عن النص أنه:«حدث تواصل يُلزم كونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير...»¹. وتتوالى تعريفات وأقوال الباحثين مدعمة لأهمية دور "الاتساق والانسجام"(أي التماسك) في بناء النص بالإجماع إذ «يتفق علماء النص على أنه [أي التماسك] عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره»²

يقول الفقي: « ولأهمية التماسك النصي cohesion فقد نال اهتمامًا كبيرًا من علماء النص، بداية بتوضيح مفهومه، ومرورا ببيان أدواته أو وسائله وعوامله... وإدراكًا لأهميته أيضا رأينا بعضًا من علماء اللغة قد جعلوا عناوين كتبهم تحمل هذا المصطلح، مثل كتاب

1 - ينظر: أ - نحو أجرومية للنص الشعري، ص154.

ب- بحيري ، علم لغة النص، ص128.

2- بحيري ، علم لغة النص، ص127.

هاليداي ورقية حسن "Cohesion in English". وقد أكدّا في هذا المؤلف التماسك لدرجة تجعلنا نقول أو نعتقد أن النص ما هو إلاّ تماسك¹. وعليه فإنهما قد عرفا النص بأنه «وحدة من التنظيم الدلالي الموقفي، أي أنه استمرارية معنوية أو انتظام للمعاني في السياق، تشيّد علاقة الحبك»². وهما يبينان هذا التعريف ومكانة الحبك (التماسك) فيه على أن «كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة مباشرة، من جهة أخرى، كل جملة تحتوي-على الأقل- على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدّمًا، وبعض آخر من الجمل يمكن أن يحتوي على رابطة تربطها بما سوف يأتي...»³.

وتأكيدًا على أهمية التماسك النصي هذه واتفاق العلماء عليها «نرى أحد الباحثين قد جمع في ثنايا أحد كتبه أكثر من أربعة عشر مفهومًا للنص... منها نقله لتعريف هارفيج بأن النص "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجيمية التي تظهر الترابط النحوي في النص" وهو بذلك يحدد خاصية الامتداد الأفقي للنص من خلال ترابط تقدمه وسائل لغوية معينة... أما سميث فيشترط وحدة الموضوع الذي يدور حوله النص... وفايفريش (...) يذكر أنه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضًا.. فالنص كل تتربط أجزاءه... وحدّه برينكر Brinker بأنه تتابع متماسك من علامات لغوية... ويحاول برينكر في تعريف آخر أن يدخل عنصر التماسك التداولي للنص....»⁴.

إن أهمية التماسك في النصوص تأتي من طبيعته العامة التي بها يؤدي الدور الرئيسي في كل شيء يحل به لكونه يعني- كما حده العلماء- «الصلابة والوحدة والاستمرار، ويمثل أحد المظاهر الضرورية لضمان الطابع العلمي لأية نظرية أو جسم للبحث، فالتماسك هو الذي يبرز خواص أي نظام للتفكير، سواء كان نظرية أم نصًا...»⁵.

1- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص93.

2- ينظر: العبد، النص والخطاب والاتصال، ص90.

3- ينظر: الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص93.

4- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص33.

5- ينظر: فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص263.

فلا غرو إذن أن تكون دراسة التماسك بجانبيه (الاتساق والانسجام) أحد أركان علم اللغة النصي (بمختلف تسمياته أو فروع) حيث صار ذكر هذا العلم مقترنا "بالتماسك" ويظهر ذلك في بعض تعريفاته، ومنها ما يذكره Nils من «أن علم لغة النص يعني - في العادة - الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي، الشكلي والدلالي....»¹.

ومنها أيضا ما ورد في كتاب "تحليل الخطاب" لبراون ويول الذي يعرف "اللسانيات النصية" بأنها « فرع من فروع اللسانيات، يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حدّه وتماسكه ومحتواه الإبلأغي»² ويجمع ما سبق ذكره عن أهمية التماسك (الحبك) في النص وعلمه محمد العبد في قوله « يجعل علماء لغة النص للحبك أهمية خاصة. الحبك عند" كلاوس برنكر" هو المفهوم النواة في تعريف النص، وهو يقع عنده في مركز علم لغة النص الموجه إلى النظام اللغوي.»³

وخلاصة دور "الاتساق والانسجام هي أنه" لا نص بدون وجودهما" أو بدون وجود ما يحقق التماسك كاملا منهما، فالكلام بغير تماسك لا معنى له و« روابط التماسك بين الجمل هي المصدر الوحيد للنصية»⁴ والمقصود بالنصية هو ما يميز النص مما ليس نصًا. ومن الباحثين من حلّل هذه الفكرة المخصّصة في عناصر محدّدة، فيقول أحدهم⁵:

نخلص من هذا إلى أن أهمية التماسك النصي تكمن في:

أولاً: التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.

ثانياً: إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية.

ثالثاً: التعرف على ما هو نص وما هو غير ذلك.

رابعاً: الربط بين الجمل المتباعدة زمنياً.

1- نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص93، ص35.

2- براون، جيليان و يول، جورج، تحليل الخطاب، ت: محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، 1418هـ- 1998م، هامش ص30.

3- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص90.

4- براون، تحليل الخطاب، ص194.

5- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص100.

وكان الباحث نفسه قد ذكر كلامًا مشابها قبل ذلك حيث قال¹: "إن أهمية التماسك تكمن في

1 - جعل الكلام مفيدًا.

2 - وضوح العلاقة في الجملة.

3 - عدم اللبس في أداء المقصود.

4 - عدم الخلط بين عناصر الجملة.

ولا يرى البحث ضرورة للمقارنة بين هذه العناصر أو الخوض في معرفة سبب ورودها في مجموعتين بالعنوان نفسه وبشكلين مختلفين في مرجع واحد مرتين، ويكفي اعتبارها عناصر متكاملة في تلخيص دور التماسك ومكانته في النصية.

• الدور الجمالي:

إن الملفت للانتباه في كل ما سبق هو عدم التطرق بشكل واضح و متميز إلى الدور الجمالي للتماسك (أي للاتساق والانسجام) في المراجع التي اعتمدها البحث و لاسيما الحديثة منها؛ إلا ما ورد في بعض المراجع من شذرات متفرقة توحى بمعنى دور التماسك الجمالي دونما تخصيصه بكلام مستقل أو إفراده كعنصر من عناصر دور التماسك الشامل. ومثال ذلك ما نقله صاحب العناصر السابقة الملخصة لأهمية التماسك عن إبراهيم أنيس قوله: «كما أن انسجام الشعر من جوانب جماله»² ولكنه لم يذكر هذا المعنى في العناصر التي ذكرها لأهمية التماسك، والانسجام جزء منه. صحيح إن جمالية الكلام ليست من اختصاص علم النص ولكن ذكر هذا العنصر ولو دون تفصيل في إطار توضيح الدور الشامل للتماسك أمر مطلوب منطقيًا من باب تقتضيه علمية التعريف بالأشياء وطبيعة استكمال صورتها خاصة حين يعالج الموضوع الظاهرتين في مجال التعليمية الأدبية لهما، كما هي الحال. وعليه فإن البحث يدعو إلى الاهتمام بهذا الجانب المتعلق بتوضيح الدور الجمالي " للاتساق والانسجام" ويحاول في الوقت ذاته إبراز بعض معالمه في ما يلي:

1- الفقي، علم اللغة النصي ، ص74.

2- ينظر: الفقي، علم اللغة النصي ، ص125.

* المعنى اللغوي لكل من الاتساق والانسجام يشمل - كما تبين في التعريف اللغوي - معنى الانتظام والتلاؤم بين الوحدات المتسقة أو المنسجمة، يتضمن مسحة جمالية؛ وذلك يوجد في معنى الانسجام أكثر، حيث إنه من المتعارف عليه أن الجمال بصفة عامة يأتي نتيجة الانسجام والتناسب بين العناصر المكونة للشيء الجميل؛ أي الانسجام عنصر أساسي في وجود الجمال أصلاً، فكيف يغيب دوره في جمال الكلام؟!*

* يفهم مما سبق ذكره عن دور التماسك أنه يعطي النص طبيعته النصية ويجعله كلاماً كاملاً، ولا شك أن وجود الشيء على صورته الطبيعية الكاملة هو درجة أولية من درجات جماله، فما كان على غير طبيعته أو كان غير كامل لا يمكن أن يصنّف في الأشياء القابلة للتقويم والقياس الجمالي، أما ما كان طبيعياً كاملاً فإنه يقبل ذلك ولو كان جماله مقارباً لدرجة الصفر.

وربما تتضح هذه الفكرة بمثال عن الصورة الآدمية، فمجرد وجود كل أعضاء الجسم وأجزائه في مكانها كاملة يبدأ الجمال الذي وصفه الله عز وجل بـ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾¹ وقال عنه أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾². ثم بعد ذلك يتفاوت الجمال من شخص إلى آخر بمدى وفرة القد مثلاً أو حَوَر العين أو انتظام الثغر وغيرها من مظاهر الحسن. ثم بمدى درجة الانسجام بين هذه العناصر كلها فكلما كان الانسجام أكثر كان الجمال أكثر. أما فقدان أي عضو في الوجه مثلاً أو وجوده في غير مكانه فإن ذلك يعني انعدام أي أساس للجمال، ويشبهه تماماً غياب أية أداة للتماسك لا تعوّض بتأويل فتغيب معها الصورة الطبيعية الكاملة للكلام، ومن ثمّ تتعدى أدنى درجات الجمال فيه.

1- من الآية - 4 - من سورة "التين" حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾

2 - من الآية - 14 - من سورة "المؤمنون" حيث قال جل شأنه بدءاً من الآيتين السابقتين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعلناه نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

وفي هذا المعنى يقول الحاتمي: « إن القصيد مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أجزائه ببعض. فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله»¹.

ولعل هذا أيضا هو الذي يقصده الفيلسوف الإيطالي كروتشي Croce حين قال: «فليس هناك فرق بين التعبير الناجح الجميل وجوهر التعبير ذاته، لأنه لا يوجد إلا بقدر ما يحقق من قيمة جمالية.»²

* العلاقة الوطيدة بين التماسك بشقيه (الاتساق والانسجام) والبلاغة، بدليل أن الكثير من أدواته -كما سيأتي- تدخل ضمن مواضيع البلاغة مثل بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية، وبدليل أن العديد من المراجع المعتمدة في دراسة التماسك بلاغية بحتة خاصة ما كان منها من التراث. وللعلماء كلام في هذه العلاقة مثل قول فاندايك: « إن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص»³ على اعتبار أن "التماسك" من علم النص.

ولعله من البدهي أن علاقة "التماسك" بالبلاغة تعني علاقته بجمال الكلام، لأن الجمال أساس البلاغة، وهذا من المسلمات التي تدرس منذ المراحل الإعدادية والثانوية " فالبلاغة فن الخطاب الجيد، وينبغي أن يناسب الخطاب المواقف.. وأن يحقق التأثير المطلوب وأن يكون جميلا"⁴

وقد قيل إن «المشروع الأول لعلم الجمال.. كان مستسخا من علم البلاغة»⁵

و لهذا كان جل ما ورد في كتب التراث - البلاغية خصوصا - عن التماسك قد جاء بصيغ الإعجاب وبعبارات وصف الكلام المتماسك بالحسن والجمال، وخاصة إذا كان الحديث عن القرآن الكريم ، إذ يقصد منه في عمومهِ إظهار دلائل إعجازه والإعجاز أعم من الجمال..

1- الحاتمي، نقلا عن: لسانيات النص، ص 148.

2- نقلا عن: فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 45.

3- ينظر: أ - فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 252.

ب - بحيري، علم لغة النص، ص 20.

ج- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 83.

4- بحيري، علم لغة النص، ص 22.

5- فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 44.

وتجنبنا للحشو وكثرة حشد النصوص تكفي الإشارة هنا إلى ما ذكر سابقا في عنصر "التعريف الاصطلاحي للاتساق"¹ من أقوال علماء التراث حول الاتساق، التي لا تكاد تجد كلمة فيها من الكلمات الواصفة للقرآن الكريم تخلو من معنى الحسن والجمال والفضل وما شابهها.. بسبب تماسكه، مما يكاد يدعو إلى الحكم بأن التنقيب في مثل هذا التراث وحده كافٍ لاستيفاء هذه المسألة، التي يثيرها البحث، حقها.

لكل الاعتبارات الآتية يكون للتماسك دور جمالي أيضا، يمكن أن يُستجلى أكثر بالبحث والتقصي.

وقبل مغادرة الكلام عن دور التماسك لابد من الإشارة إلى أن "الانسجام" بالذات كما يكون بين الكلمات في النص يكون أيضا بين الحروف في الكلمة الواحدة التي تظهر كالمفككة دون تناسب وانسجام بين حروفها وإذا حصل ذلك فإنه يحدث فيها مميزات معينة منها الإيقاع الموسيقي الخاص الذي تحدث عنه سيد قطب كثيرا في كلامه عن القرآن الكريم.

ومن شواهد ذلك قوله: «إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان... ولما كانت هذه الموسيقى القرآنية إشعاعاً للنظم الخاص في كل موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة..»²

وقوله: «وقد يستقل لفظ واحد . لا عبارة كاملة . برسم صورة شاخصة.. وهذه خطوة.. يزيد من قيمتها أن لفظا مفرداً هو الذي يرسم الصورة.. بجرسه الذي يلقيه في الأذن.»³

هذه إشارة فقط إلى أن الانسجام له دور أيضا بين حروف الكلمة الواحدة وفي شواهد ما يدعم فكرة الدور الجمالي للانسجام.. ولا يمكن الاسترسال أكثر في هذه الإشارة لأن

1- ينظر البحث. ص 28 وما بعدها.

2- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط8، 1403هـ - 1983م، ص ص 101-102.

3- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص 91.

"الانسجام" بين الحروف ليس من اهتمامات هذا البحث، وهناك عودة لهذه اللفظة في "وسائل الانسجام"¹.

وفي الأخير يمكن تلخيص دور التماسك بما تواتر عند العلماء² بأنه بمتانتته وحسنه يجعل النص " كالكلمة الواحدة " في ترابط الأجزاء والتناسب بينها ووحدة الدلالة، وذلك يتضمن جمالية تزداد اطرادا باعتناء المتكلم البلاغي بها، مع أن حدّها الأدنى يتحقق بمجرد تحقق صحة الكلام، ولذلك شبه التماسك بالألوان التي تعطي للشيء مظهره الطبيعي كحد أدنى وتزيده جمالا كلما كانت أزهى وأبهى.

2.2- العلاقة و المقارنة بين الاتساق والانسجام:

إن الدور العام الذي يؤديه كل من "الاتساق والانسجام" واحد وهو تحقيق "التماسك النصي" كما تبين، ولكن ذلك يتم بشكل تكاملي، بمعنى أن هناك فروقا بين الظاهرتين وإلاّ فما الداعي لوجودهما معاً، لو أن التطابق بينهما تام لأغنى أحدهما عن الآخر؟ فما هي هذه الفروق وما هو الدور الخاص لكل من الاتساق والانسجام على حدة؟.

1.2.2- أهمية التكامل:

إن التكامل بين "الاتساق والانسجام" أمر ضروري لبناء النص حتى يكون مفهوما وحسناً ولذلك قال أسامة بن المنقذ قديماً: « خير الكلام المحبوك المسبوك³ الذي يأخذ بعضه برقاب بعض⁴». والمقصود بالتكامل هو أن لكل منهما دوراً يكمل دور الآخر، أو أن أحدهما يسدّ مسدّ الآخر أحيانا ولذلك كانت أدوات كل منهما تختلف عن أدوات الآخر كما سيفصل في

1- ينظر البحث، ص 252.

2- ينظر مثلاً: أ. الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص64.

ب . خطابي، لسانيات النص، ص387.

3- المحبوك المسبوك = المنسجم المتسق.

4- ينظر: العبد، النص والخطاب والاتصال، ص107.

البحث لاحقاً. ويوضح أهمية التكامل أكثر أحد علماء العرب القدامى ابن طباطبا إذ يقول: «إذا كان السبك جسم الكلام فالحبك روحه، الجسم اللفظ والروح المعنى...»¹

2.2.2- الاتساق سطحي والانسجام عميق:

لقد ربطت المقولة السابقة الاتساق (السبك) باللفظ وربطت الانسجام (الحبك) بالمعنى وهي بهذا تتفق مع أهم الفروق التي تميز بين الاتساق والانسجام، التي ذكرت في التعريفات السابقة، ولابد من تأكيدها هنا في إطار المقارنة وتبيين العلاقة، وهي كون الاتساق يظهر على سطح النص من خلال أدوات الربط اللغوية، أما الانسجام فهو تجريدي عميق تتعلق آلياته بالدلالة والسياق وعالم النص الخارجي..

ولذلك سمّي الاتساق بالتماسك الشكلي لأنه مرتبط بالروابط الشكلية وسمي الانسجام بالتماسك الدلالي لأنه يهتم بالروابط الدلالية ويوضح سعيد بحيري هذا الفارق إذ يقول: «ويتأكد دور الربط في النص من خلال المعايير السبعة الأساسية... الربط النحوي المعيار الأول، ويُعنى بكيفية ربط مكونات النص السطحي، أي الكلمات، والتماسك الدلالي، المعيار الثاني، ويعنى.. الوظائف التي تتشكل من خلالها مكونات عالم النص. وهكذا فالأول ربط بين علامات لغوية، والثاني ربط بين تصورات عالم النص.

وبناء على ما سبق، فالأول يتحقق في مستوى، والثاني يتحقق في مستوى آخر.² المستوى الأول من المستويين المذكورين في نهاية القول السابق يطلق عليه بعض الباحثين مصطلح "بنية النص الصغرى"، أو "السطحية" والمستوى الثاني يطلقون عليه "بنية النص الكبرى" أو "العميقة".

يقول سعيد بحيري أيضاً: «فقد استخدم فنديك في تحليله للنص مفهوم الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على سطح النص، والأبنية النحوية الدلالية- المحورية

1- ينظر: العبد، النص والخطاب والاتصال ، ص109.

2- بحيري ، علم لغة النص، ص127.

الكبرى، وهي أبنية عميقة تجريدية»¹. ويسميهما بعض الدارسين، مثل هاليداي ورقية حسن، البنية الداخلية (المستوى الأول) والبنية الخارجية (المستوى الثاني)².

3.2.2 - متى يحين دور كل منهما؟:

الأصل في الكلام العادي التام أن يكون في آن واحد مسبوكا بالاتساق ومحبوكا بالانسجام كلٌّ في مستواه. ولكن قد يحدث غياب الاتساق على المستوى السطحي فيتفعل حينها دور الانسجام ليسدَّ مسدَّه ويؤدي الدورين معًا حتى يكون الكلام واضحًا مفهومًا، يقول محمد خطابي في هذه المسألة بعد الحديث عن الاتساق (السطحي): «يبدو أن الإنجاز اللغوي المكتوب خاصة (وكذا المتكلم) لا يسلك دومًا هذه السبيل، إذ كثيرًا ما يجد المتلقي نفسه أمام نص/خطاب لا توظف فيه الوسائل التي أسلفنا الإشارة إليها [السطحية] وإنما توضع الجمل بعضها إلى جوار بعض دونما أدنى اهتمام من الكاتب بالروابط التي تجسد الاتساق، على أن هذا النوع من الكتابة تمليه حينًا ضرورات تواصلية (التلغراف، الإعلانات الحائطية) أو تجارية (إعلانات البيع والكراء، والخدمات... في الجرائد)، وقد تكون خلفه، أحيانًا أخرى، مقصدية إبداعية ابتكارية (الشعر الحديث مثلًا، خاصة التوجه التجريبي فيه). حين يحدث هذا فإن الاهتمام يتغيّر من اتساق النص/الخطاب إلى انسجامه، أي أن على المتلقي، في هذه الحالة، أن يعيد بناء انسجام النص "الممزقة أوصاله"»³ ولكن العكس غير صحيح أي أن الاتساق السطحي الظاهري قد يكون موجودًا ولكنه لا يكفي وحده لفهم النص بل لابد له من أدوات عميقة وهي آليات الانسجام وفي هذا يرى فاندايك: «... أن تسلسل العبارات يمكن أن يترابط بدون أن تحصل فائدة الاتساق وفحواه، أعني أن الربط يجوز أن يكون شرطًا ضروريًا ولكنه ليس كافيًا لقبول الخطاب.»⁴

1- بحيري، علم لغة النص، ص 132.

2- بنظر: خطابي، لسانيات النص، ص 14.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 05.

4- فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، ترجمة، عبد القار قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، الدار البيضاء (المغرب)، د. ط 2000م، ص 73.

ومما يؤكد الفكرتين السابقتين معاً ما قاله آن روبول وجاك موشلار من «أن الخطابات التي يتعيّن اعتبارها وفق هذه المقاربة منسجمة -لأنها تتضمنّ علامات الاتساق المزعومة- هي خطابات غير منسجمة وإذا كانت أحكام الانسجام موجودة على غرار الحكم بالنحوية فإنه لا يمكن إدراكها بعلامات الاتساق، فنحن نجد خطابات غير منسجمة تتضمنّ علامات اتساق... كما نجد خطابات منسجمة وليس فيها علامات اتساق»¹.

4.2.2- الانسجام أهم:

لقد بدأ يتبيّن مما سبق ذكره أن الانسجام أهم من الاتساق لأنه أعم وأعمق وهو يكفي وحده لتحقيق التماسك، بخلاف الاتساق. ويوضح محمد خطابي هذه الفكرة أكثر حين يواصل كلامه المذكور آنفاً، بقوله: «يترتب على السالف ذكره أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده. بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)»².

وتتأكد أهمية الانسجام والحاجة إليه أثناء التعاطي مع الخطاب الشعري المعاصر، وهذا ما استخلصه الباحث السابق أيضاً في خاتمة كتابه الذي درس فيه "الاتساق والانسجام، في قصيدة معاصرة (فارس الكلمات الغريبة، لأدونيس) فقال: «..الأهم هو "الانسجام" وليس "الاتساق" ذلك أن الاتساق شيء معطى لا يصعب تتبعه في النص ومن ثم يسهل على القارئ إرجاع الضمير إلى صاحبه والإشارة إلى ما تشير إليه وهلم جرا.. ولكن المشكلة التي تصادف القارئ أثناء مواجهة الخطاب الشعري المعاصر هي أساساً مشكلة العلاقات القائمة بين العناصر المشكلة لجملة شعرية ومتوالية من الجمل الشعرية، وعموماً مجموع المقاطع

1- روبول، آن و موشلار، جاك، تداولية اليوم، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس ود. محمد شيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار طليعة للنشر والتوزيع، لبنان، ط2003، م1، ص211.

2- خطابي، لسانيات النص، ص06.

التي تشكل القصيدة الشعرية أي أن الإشكال مطروح في المحور العمودي للنص أساساً، وليس الإشكال الأفقي إلاّ خلفية له.¹

ونظراً لتداخل الحالات والمسائل التي تبرز فيها أهمية الانسجام في العنصرين الأخيرين كان الأولى أن تعرض أمثلتها - في ما يلي - منفردة ملحقة للكلام النظري السابق في مجموعتين (أ + ب) من الأمثلة تمثل كل منهما حالة معينة لأهمية الانسجام ووسائله، وهما:

أ - الحالة الأولى: أهمية الانسجام مع وجود الاتساق:

أ-1- « " كان النقاد العرب القدامى يعتبرون الملك الضليل أشعر شعراء الجاهلية، ولكن مقامات بديع الزمان الهمذاني تتمحور في غالبيتها حول المُكِدِّين، أما السياب فهو رائد القصيدة الجديدة في الشعر العربي، وفي مدينة مراكش توجد ساحة "جامع الفنا" الشهيرة". هذا نص مفهوم (أي أن معلوماته واضحة لا غموض فيها) ولكن من المستحيل أن ينشئ القارئ تصوراً لهذا النص..ولما كان من الصعب على المتلقي أن يفعل شيئاً ما [به] فقد عدّه غير منسجم.»² وذلك رغم استعمال أدوات الاتساق فيه بالشكل الكافي والصحيح.

أ-2- «"زيد منطلق، ودرجات الحمل ثلاثون، وكُم الخليفة في غاية الطول، وما أحوطني إلى الاستقراغ ، وأهل الروم نصارى، وفي عين الذباب جحوظ، وكان جالينوس ماهراً في الطب، وختم القرآن في التراويح سنة، وإن القرد لشبيه بالآدمي."...النص السالف سليم من حيث النحو والمعجم والدلالة، إذا نظرنا إلى الجمل بمعزل عن سياقها، ولكن إذا نُظر إليها كجزء من كل فإنها لا تتسجم معه، هذا إذا أمكن الحديث عن كلّ ما بالنسبة لهذا النص.»³

أ-3- « "أكثر من زيتونة ونهر

ونسمة تروح أو تجيء

أكثر من جزيرة وغابة..

1- المرجع نفسه، ص 386

2- المرجع نفسه ، ص ص 80-81

3- المرجع السابق ، ص ص 117-118

(...) القارئ الذي يواجه مثل السطور السابقة يتجاوز مشكل اتساقها إلى كيفية انسجامها، لأن الاتساق معبر عنه سطحيا (يوجد مؤشر من مؤشرات في الخطاب). بتعبير أوضح إن السؤال الذي يطرحه القارئ هو: ما هي علاقة هذه العناصر المربوطة بالواو فيما بينها؟ والسؤال كما هو واضح لا يتعلق بالاتساق بقدر ما يتعلق بالانسجام، باعتبار أن الفهم والتأويل هنا معطلان، وما لم تدرك العلاقة بين هذه العناصر فإن القارئ سيصاب بخيبة أمل.¹

ب - الحالة الثانية: أهمية الانسجام عند فقدان الاتساق الكامل:

ب-1- « خرجت الكواكب ترعى أعشابا خضراء

بسط البحر يديه

مدت الغابة أعناقها

لا الأعشاب ذبلت

لا السمكة استجابت

لا العصفور خاف."

تبدو هذه السطور مستقلة عن بعضها بحيث ليس هناك رابط شكلي يصل بينها*.² ومع ذلك فهي منسجمة فهي جزء من قصيدة معتمدة يفخر بها الشعر الحديث.

ب-2- «مناظرة ابستيمية: الثلاثاء 3 يونيو 2. ز. ستيف هارلو (شعبة اللسانيات، جامعة يورك)."

هذا النص عبارة عن إعلان في لائحة إعلانات جامعة إدينبورغ، وهو إعلان مقتصد أشد ما يكون الاقتصاد في طريقة الإخبار، ولكن القارئ لا يقف عاجزا أمامه..³

1- المرجع نفسه، ص ص 228-229.

*- المقصود: ليس هناك روابط شكلية كافية تجعل الاتساق كاملا، لأن - منطقيا - غياب ولو بعض الروابط يحدث خلا في الاتساق وكأنه يبطل مفعول أدواته الموجودة.

2- خطابي، لسانيات النص، ص ص 232-233.

3- المرجع نفسه، ص 51.

خلاصة المبحث:

إن كلاً من الاتساق والانسجام وسيلة لترابط النص وتماسكه، إذ لا يعد النص نصاً إلا وهو متماسك؛ كما يضيفان عليه مسحة جمالية تكون السلامة النصية مستواها الأدنى وتتزايد اطرادا بإتقان استعمال الوسيلتين وإحكام التماسك.

وإذا كانت المعايير النصية سبعة فإن الاتساق والانسجام يأتیان على رأسها، ولذلك فإن مكانتهما تأتي في صدارة الدراسات النصية، حتى لتكاد تقتصر وظيفة لسانيات النص عليهما كما ورد في بعض الأقوال على اعتبار أن المعايير الأخرى مرتبطة بهما ولا يتحقق بعضها إلا بالتماسك.

والاتساق يحقق التماسك الشكلي الظاهر على سطح النص والانسجام يحقق التماسك الدلالي والتجريدي. وعلاقة كل منهما بالآخر هي علاقة تكامل في الدور المذكور إلا أن الانسجام أهم من الاتساق حيث إن وجوده لابد منه، فقد يغيب الاتساق ولا يضر غيابه إذا عوضه الانسجام في حين قد يكون الاتساق ظاهراً ولا يفيد وحده.

المبحث الثالث

التقعيد: مفهومه وكيفية ودواعيه.

بعد النص وعلمه يأتي "التقعيد"، الذي لابد من تحديد مفهومه واستجلاء آليته وكيفية تحقيقه ومعرفة دواعيه وأهميته.

1- المفهوم: (التقعيد والقواعد)

التقعيد مصدر من الرباعي "قَعَدَ" وهو في معناه اللغوي المتعلق بالموضوع: عملية تأسيس القاعدة التي جمعها "قواعد" أي اللفظ المذكور في صيغة العنوان وهو محور البحث. و"القاعدة" في المعاجم اللغوية لها معان عديدة ولكن الذي يعني البحث منها بالتفسير المجازي هو مثل ما جاء في "تاج العروس": «..القاعدة أصلُ الأسس . والقواعدُ الأساس وقواعدُ البيت أساسه وقال الزَّجَّاج : القَوَاعِدُ : أساطِينُ البِنَاءِ التي تَعْمَدُه..»¹. وجاء في "المصباح المنير" في مادة "قعد": « القاعدة في الاصطلاح بمعنى: الضابط ، وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته».

وعلى ضوء هذين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي يتضح مفهوم القواعد "اللغوية" (المراد بحثها) فهي تعني في مجملها الأسس التي تبنى عليها اللغة والقانون الذي إذا خالف الكلام مادةً منه كان فاسداً.

وقبل مواصلة الكلام بناء على هذا المفهوم تجدر الإشارة إلى أمرين:

1- ينظر "تاج العروس" مادة (قَعَدَ).

الأول: ما يقابل تسمية "قواعد اللغة" في المصطلح الأجنبي هو " تسمية Grammaire التي وصلتنا من اليونانيين الذين كانوا يسمّون القواعد Grammatiké أي فن استعمال الحرف Grammata"¹*

الآخر: على الرغم من أن "قواعد اللغة" تشمل كل مستويات اللغة وفروعها ولا تقتصر على الجانب التركيبي منها فقط الذي يعبر عنه "بالنحو" (***) فإن التسميتان (القواعد والنحو) قد تتماهيان وتتطابقان في الاستعمال والدلالة أحيانا كثيرة، ومن دلائل ذلك:

- اشتراكهما في مقابلة المصطلح الأجنبي Grammaire (المشار إليه أعلاه).

- وكذا الاكتفاء بتسمية مادة النحو دون غيرها في المدارس بـ "القواعد".

والسبب في ذلك يعود إلى أهمية المكانة التي تحتلها قواعد "النحو" بالذات (أي الجانب التركيبي) في تكوين اللغة وصحتها، بل لأهمية صناعة النحو في تأسيس أهم القواعد التي تقوم عليها اللغة وتضمن سلامتها.

والمهم هنا هو أن تعريف "النحو" يطابق تعريف "القواعد" أو على الأقل يساعد على الوصول إليه، ومن هذا التداخل يستخلص مفهوم "القواعد".

يقول صاحب البديع (علي أبو الحسن الربيعي): «النحو صناعة علمية يُعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح ويفسد في التأليف ليعرف الصحيح من الفاسد»² والحقيقة أن الذي يعرف به "الصحيح من الفاسد" هو "القواعد" التي تنتجها هذه الصناعة (النحو).

وهذا القلقشندي يصف النحو وكأنه هو "القواعد" ذاتها فيقول هو: «ميزان العربية ، والقانون الذي تحكم به في كل صورة من صورها»³.

1- بيرو، جان، موضوع الأسنوية، مقال ضمن مؤلف: الأسنوية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، لميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط2 ، 1405 هـ ، 1985م ، ص 202.

*- مع أن الترجمة الحرفية لكلمة "قاعدة" هي Règle أو Base.

(**) ومن ذلك القواعد الصوتية والقواعد الصرفية والقواعد البلاغية والقواعد العروضية والنحو في ذاته أنحاء متعددة والقواعد اللسانية التي لها فروع....الخ. كلها تسمى قواعد اللغة.

2- نقلا عن السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاقتراح، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ط ، د.ت ، ص38.

3-القلقشندي،نقلا عن:عباس ،حسن،النحو الوافي، دار المعارف ، مصر ، ط 15 ، د. ت ، ج 1 ، ص2.

فالميزان والقانون هما القواعد التي هي روح النحو وقلبه، ومن ثم يتضح المعنى المشترك بين الحقيقة والمجاز للفظ "قواعد" وهو السلامة والاستقامة، فكما أن البناء المادي لا يقوم سليماً مستقيماً على غير قاعدة وأساس فإن البناء الكلامي لا يستوي صحيحاً مفهوماً أو سليماً مستقيماً أيضاً إلا بميزان اللغة وقانونها أي قواعدها.

بهذا يكون قد تحدد المقصود من "القواعد" في اللغة، مع أنه لابد من تأكيد أن اللغة مستويات عدة وأن القواعد تشملها جميعاً، فكل مستوى قواعد خاصة به؛ ذلك لأن اللغة.. لعبة الشطرنج: أما قطع اللعب فيها فهي الأصوات والصيغ والأبواب والكلمات*، وأما القوانين فهي القواعد التي تصف الاستعمال اللغوي.¹

أما القواعد التي يستهدفها البحث فهي الأسس والقوانين التي تمكن الباحث (المتكلم/الكاتب) من إنتاج نص متماسك ومفهوم لدى المتلقي (السامع/القارئ) والتي تشمل ضوابط النظام اللغوي في إطار الاتساق والانسجام وقد تخرج عن النظام لتتعلق أيضاً بظروف الإنتاج ومحيطه، ولكن الطبيعة "التعليمية" للموضوع قد تفرض بعض "المحددات" التي تستثني ما يُنَافِي التعليمية ومستوى المتعلمين والتي ستبين في موضعها عند مباشرة إنجاز التقعيد وفي مقدمة صياغة القواعد.

2- أنماط القواعد وقوالبها:

ومما يتم مفهوم القواعد هو تحديد أنماطها وأشكالها التي يمكن أن تعرض بها وتصاغ، وهي تنقسم إلى نوعين من الأنماط: تقليدي (قديم) وحديث (جديد) ، ولكل نمط شكل و مضمون ، والمضمون قسمان: مضمون موضوعي ومضمون نمطي**.

*- الأصوات تمثل المستوى الصوتي، والصيغ المستوى الصرفي، والأبواب المستوى النحوي والكلمات المستوى المعجمي.

1- حسان ، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1412 هـ ، 1992م ، ص155.

** - هذه المصطلحات خاصة بالبحث و ستتضح بتوظيفها فيه ، ويمكن الإشارة هنا إلى أن "المضمون الموضوعي" يتعلق بالموضوع العام الذي يمثل هدف وضع القاعدة. ويتعلق "المضمون النمطي بالنمط ذاته" ، ولذلك قد يسمى هو ذاته نمطا، وهو كالعالم المعنوي الذي تصاغ به القاعدة. ف"القاعدة التعريف" التقليدية الآتية- مثلا - مضمونها الموضوعي التقعيد للغة بعينها ومضمونها النمطي التعريف (الوصف) وشكلها النثر العادي...

1.2- أنماط القواعد التقليدية (القديمة):

وهي القواعد اللغوية السائدة منذ العصور القديمة ، والتي تتخذ كل فن وحده من فنون كل لغة على حدة موضوعا لها تفصل فيه وتضبطه بقوالب تعبيرية وأخرى معنوية معينة وتعرضها في أشكال مختلفة أشهرها النثر العادي.

1.1.2- مضامين أنماط القواعد التقليدية: إذا كانت مضامين القواعد التقليدية من حيث

الموضوع تتناول كل فن وحده - كما سبق الذكر- ولم تتطلب تفسيراً ، فإن مضامينها النمطية متنوعة ، يمكن تفصيلها وتفسيرها على النحو الآتي:

1.1.1.2- القاعدة التعريف: وهي التي تتضمن وصفا يحد ظاهرة من الظواهر اللغوية

وبيين خصائصها ومميزاتها، ومثال ذلك:

- في الأصوات: "الإطباق: هو زيادة درجة ارتفاع اللسان حتى يكاد ينطبق مع الحنك الأعلى فينحصر الهواء بينهما فيخرج الصوت قويا".¹

- في النحو: "المبتدأ: اسم أو بمنزلة مجرد من العوامل اللفظية أو بمنزلة، مخبر عنه، أو وصف رافع لمكتفى به".²

- في البلاغة: "الاستعارة: وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له".³

ومن متمات نمط "التعريف" أنماط فرعية أخرى ليست وصفا ولكنها تساعد على عرض المعرف في صورته الكاملة أو على التحقق منه وهي:

أ- الإحصاء: وذلك بأن تذكر مفردات المعرف واحدة واحدة إثر تعريفه بالوصف أو قبله أو أثناءه، مثل ما جاء في تعريف "الأسماء الموصولة: وهي المفتقرة إلى صلة، وهي على ضربين: خاصة ومشتركة.

1- فخري، محمد الصالح، اللغة العربية أداء ونطقا وإملاء وكتابة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط2 ، 1414 هـ 1994م، ص38.

2- ابن هاشم، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، لبنان، د.ط ، د.ت، ج1، ص 184.

3- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1428 هـ - 2017م ، ص240.

فالخاصة: الذي (للمذكر) والتي (للمؤنث) واللذان (لتنثية المذكر) واللتان (لتنثية المؤنث) ويستعملان بالألف رفعًا وبالياء جرًّا ونصبًا، والأولى (لجمع المذكر)، وكذلك الذين وهو بالياء في أحواله كلها... واللّائي و اللّاتّي ولك فيهما إثبات الياء وتركها. والمشاركة: مَنْ ، وما ، وأيّ ، و أَلْ ، و دُوْ ، فهذه الستة تطلق على المفرد والمثنى والمجموع...¹

والذي يهّم هنا هو التمثيل "للإحصاء" الذي قد يدخل ضمن نمط "القاعدة التعريف" وذلك بتعداد الأسماء الموصولة.

ب - المعيار: وهو الفكرة التي تضاف للوصف لتستعمل كآلة لاكتشاف مدى تطابقه مع المعطى من الكلام، فعلى سبيل المثال²: على إثر تعريف الحال وصفا يقال "ويصلح أن يكون جوابا لسؤال كيف؟" وفي تعريف المفعول فيه يقال "على تقدير معنى في" (أي يتضمن معناها).

بمعنى أن الكلام (في المعيار الأول) إذا لم يوجد فيه ما يجاب به على سؤال "كيف" فليس فيه ما يطابق تعريف الحال. و(في المعيار الثاني) إذا لم يتضمن معنى "في" بحيث تصلح إضافتها له دون تغيير المعنى فليس فيه مفعول فيه، وإن دلّ على زمان أو مكان. فالمعيار بهذا المعنى من متممات نمط القاعدة التعريف.

ج - الاختصار: وهو يشبه الإحصاء ولكنه بشكل رمزي مختصر يساعد على الحفظ، وذلك بأن تؤخذ الحروف الأولى من الألفاظ المعنية بالتعريف وتشكل منها كلمة واحدة وإذا كانت الملفوظات المعنية في ذاتها حروفا فتشكل منها كلمة أو عبارة لهما معنى أو شبههما دون معنى، ويكثر هذا في علم الأصوات والتجويد، وأمثله كثيرة ومشهورة في مراجعه ومنه ما جمعت به حروف الإدغام بعد تعريفه (يرملون) وحروف القلقلة (قطب جد) وحروف

1- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ت: محمد محيي الدين بن عبد الحميد، دار الفكر، د.ب، د.ط، د.ت ، ص ص 140 - 142.

2- ينظر مثلا: جرجيس العطية، أيوب ، اللغة العربية تنقيها ومهارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص134، ص129 (على التوالي).

الإظهار(أخي هاك علم حازه غير خاسر)...الخ، ومن نافلة القول التذكير هنا بالصيغة الواردة في النحو التي جمعت بها حروف المضارعة "أنيت" أو حروف الزيادة "سألتمونيها".

د - الميزان الصوتي: (في الصرف والعروض خاصة) ويتمثل في "التفعيلات" التي هي من أبداع ابتكار علماء العربية وعلى منوالها تتم الاشتقاقات الصرفية وتضبط الموسيقى العروضية، حتى أنه لا يمكن تعريف بحر من الشعر أو ما يطرأ عليه من تغييرات إلا بهذه "التفعيلات" ولا يمكن معرفة الصيغ الصرفية إلا بها، ولذا فهي تتم تعريفاتها فيقال مثلاً: اسم الفاعل هو اسم يشتق من الفعل للدلالة على من قام بالفعل.. ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن "فاعل".

وكذلك في صيغ المبالغة، فبعد تعريفها وصفا يقال ولها أوزان أشهرها: فعّال.. مفعّال.. فعُول.. فعِيل.. فعِل..الخ¹

إذن فنمط "القاعدة التعريف" قد يكتفي بالوصف وقد يتممه الإحصاء أو المعيار أو الاختصار أو الميزان.

2.1.1.2 . القاعدة القانون: وهي التي تمثل مادة تقرّر الصورة التي يجب أن يكون عليها الكلام حتى يكون صحيحاً، وذلك إثر تأمل واستقراء طبيعة اللغة وتأثير الكلام بعضه في بعض (كتأثير العامل في المعمول) ويصاغ هذا النمط بصيغة الإعلام بأمر ثابت لا تجوز مخالفته، وذلك مثل قولهم في الأصول: "كل فاعل مرفوع وكل مفعول منصوب" وقولهم "إن الفاعل أولى برتبة التقديم من المفعول"(*)

والحقيقة أن كل القواعد تعد قوانين كما سبق ذكره في التعريفات، وذلك من حيث الوظيفة التي تؤديها القاعدة، لكن المقصود هنا هو تصنيفها من حيث نمطها الصياغي.

والملاحظ أن هذا النمط القاعدي الذي يلتصق بالقانون شكلاً ومضموناً أو صياغة ووظيفة يعطي صفة الثبوت أكثر من غيره، كما أنه يتعلق بصلب اللغة إذ هو مُستَوْحَى من عمق

1- ينظر مثلاً في: المرجع السابق، ص ص 171، 172.

(*) وردت هاتان القاعدتان في الاقتراح للسيوطي (م.س) ، ص 101 ، ولكنه ليس المرجع الوحيد لهما ولمثيلتهما.

استعمالهما الصحيح؛ بحيث إذا كانت قاعدته في النحو . مثلا . فإن علتة تكون . في الغالب .
علة الوجوب.

ولذا فحين يتعلّق الأمر بقواعد كهذه كثيرا ما نجد استعمال تسمية "قانون" مأثورا على استعمال "قاعدة" سواء عند القدماء أم عند المحدثين.

قال أبو عبد الله الحسين بن موسى الدينوري الجليسي في كتابه "ثمار الصناعة":
«اعتلالات النحويين صنفان: علة تطرّد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تُظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم.»¹

ويقول أحد المحدثين: «لاشك أن النحاة وصلوا إلى القواعد العامة من ملاحظاتهم اليسيرة لتراكيب اللغة ، فقد اهتموا إلى قوانين المرفوعات ، كالفاعل ، والمبتدأ والخبر وقوانين المنصوبات كالمفعولات ، والحال، والتمييز، وقوانين الاسم المجرور بالحرف أو بالإضافة اهتموا إليها من الملاحظات في مرحلة النشأة.»² فاستئناسا بتسمية القاعدة " قانونا " في مثل هذه المواضع في القولين السابقين يتأكد نمط " القاعدة القانون " بهذه التسمية.

3.1.1.2- القاعدة الحكم: وهي التي تتضمن حكما استنتاجيا بناء على القوانين الثابتة في اللغة، يتوصل إليه بالاستدلال واستعمال العقل عند الربط بين معطيات لغوية معينة أو قياس أو تعليل ظاهرة .. ومثال ذلك في قول الأشموني: «اعلم أنه إذا قصد بـ "لا" نفي الجنس على سبيل الاستغراق اختصت بالاسم ؛ لأن قصد الاستغراق على سبيل التنقيص يستلزم وجود "من" لفظا أو معنى، ولا يليق ذلك إلا بالأسماء النكرات ، فوجب لـ "لا" عند ذلك القصد عمل فيما يليها.»³ وبعقل تمام حسان على هذا بأنه اقتباس " يستخدم مقدمات منطقية ، يتكلم فيها عن استلزام أمر لأمر آخر؛ ثم يصل من وراء ذلك إلى وجوب أمر ثالث ، هو الحكم النحوي الذي ارتضاه.»⁴ ففي هذا التعليق نفس المواصفات التي تنطبق على "القاعدة الحكم" بل حتى تسميتها. ومن أمثلتها أيضا قاعدة كون اسم "لا" مبنيا "فالنحاة استنتجوا حكم بناء اسم " لا "

1- نقلا عن: السيوطي ، الاقتراح (م.س)، ص 98.

2- الحلواني ، محمد خير ، أصول النحو العربي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2011، ط2، ص 20

3- نقلا عن : حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية (م.س)، ص23.

4- المرجع نفسه ، ص24.

من قياسه على المركب المزجي : خمسة عشر، وأضرابه¹ وفي أصول النحو ما لا حصر له من الأمثلة ، إلا أن الأمر غير مقصور على النحو وحده ، ولذا قال صاحب " المستوفى " : «كل علم فبعضه مأخوذ بالسماع والنصوص وبعضه بالاستتباط والقياس وبعضه بالانتزاع من علم آخر»² ومن أمثلة ذلك القاعدة التي يلخص بها الجرجاني قوله في "الفصل والوصل" (في البلاغة) والتي اعتمد في تفصيلها على ثوابت النحو، وهي قوله: «ترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين»³ (*)

2.1.2- أشكال أنماط القواعد التقليدية:

كانت هذه الأنماط الأساسية للقواعد من حيث المضمون أما من حيث الشكل فلها صور مختلفة تعرض بها مهما كان مضمونها، والأصل أن يكون ذلك بالنثر العلمي المعتاد الذي عرضت به المضامين السابقة ، ولكنه للغرض التعليمي ومن أجل تسهيل الحفظ، حيث كانت العلوم تعتمد على الذاكرة الحافظة في العصور القديمة ، فقد اتخذت القواعد اللغوية كغيرها من العلوم العربية والإسلامية شكلين اثنين متميزين، وهما:

أ. **المتن النثري:** وتجمع فيه قواعد الفن بالنثر المختصر الدقيق والمحدد بتوخي الألفاظ والعبارات الجامعة والأمثلة المقتضبة (عند الضرورة). ومن أشهر المتون النثرية في النحو متن الآجرومية لابن آجروم.

يقول - مثلاً - في باب الأفعال: «الأفعال ثلاثة ماضٍ ومضارع وأمر نحو: ضربَ ويضربُ واضربُ فالماضي مفتوح الآخر أبداً والأمر مجزوم أبداً والمضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع يجمعها قولك "أنيت" وهو مرفوع أبداً حتى يدخل عليه ناصب أو جازم فالنواصب عشرة وهي أن لن وإن وكى ولام كي ولام الجحد وحتى والجواب بالفاء والواو و

1- المرجع نفسه ، ص90.

2- نقلاً عن السيوطي، الاقتراح ، ص 85.

3- الجرجاني، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، دلائل الإعجاز ، تح: علي محمد زينو ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، سوريا ط 1 ، 1426 هـ - 2005 م ، ص 185.

(*)- للبحث عودة لتفصيل هذه القاعدة لأنها من صلب موضوعه .

أَوِ الْجَوَازِمِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ وَهِيَ لَمْ وَلِمَّا وَلَمْ وَلَمَّا وَلَامَ الْأَمْرِ وَالِدَعَاءِ وَلَا فِي النَّهْيِ وَالِدَعَاءِ وَإِنْ
وَمَا وَمَنْ وَمَهْمَا وَإِذْمَا وَأَيَّ وَمَتَى وَأَيَّانَ وَأَيْنَ وَأَنْتَى وَحَيْثُمَا وَكَيْفُمَا وَإِذَا فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً.¹

ب . **النظم الشعري:** ويتمثل في متون القواعد المنظومة شعريا في مختلف العلوم بنفس
الأسلوب النثري المقتضب وأشهرها في النحو ألفية ابن مالك (من بحر الرجز) هذا نموذج
من أبياتها:

كلامنا لفظ "مفيد كاستقم :: اسم وفعل ثم حرف الكلم

واحدة كلمة والقول عَم :: وكلمة بها كلامٌ قد يؤم

بالجر والتنوين والندا وأل :: ومُسْنَدٌ للاسم تمييز حصل²

وتجدر الإشارة إلى أن الأمثلة المعروضة هنا لتوضيح هذه الأشكال لصياغة القواعد
التعليمية خاصة بقواعد النحو ولكن ذلك لا يعني أن هذه الأشكال قاصرة على النحو فقط بل
تناولت فنونا وعلومًا شتى. (*)

ج - **أشكال أخرى:** بالإضافة إلى المختصرات الواردة في نمط " القاعدة التعريف"
(كتمم لها) هناك أشكال فرعية أخرى غير المتن النثري والنظم الشعري ولكن الاهتمام
البالغ بل "الولوع" بالنحو على الخصوص ، لكونه عمدة اللغة، بلغ درجة الترف العلمي حتى
وصل إلى التفكّه وصياغة قواعد في شكل الأحاجي والألغاز نثرًا ونظمًا، وقد ذكر السيوطي
في "الأشباه والنظائر" شيئًا منها في باب بعنوان: "الطراز في الألغاز " ومن أمثلة ما جاء
فيه:³

- من الغاز الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «وما الحرف الذي إن أعمل أشبه الفعل الكامل،
أو أهمل أبطل العوامل؟»

وهو "ما" على لغة الحجاز يقولون "ما زيد قائما" فيشبهه باب "كان" وإذا أهمل دخل على إن
وغيرها فيبطل عملها وقد يبطل الفعل نحو " قلما" والاسم نحو بينما.

1- ابن أجروم، أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، متن الأجرومية، مطبعة المنار، تونس، د.ط.، د.ت.، ص ص 7-8.

2- ابن مالك، محمد بن عبد الله الأندلسي، متن الألفية، الأبيات: 8،9،10.

(*) من الطريف أنه حتى تعليم الفرنسية (بالترجمة) استعمل فيه هذا المنوال، ومن أمثلة ما نظم فيه:

صباح الخير عندهم "بُون جُور" (BONJOUR) :: وسائر الأيام عندهم "تُوجُور" (TOUJOURS)

3- ينظر: السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين، كتاب الأشباه والنظائر في النحو، تح: فايز ترحيني، دار الكتاب
العربي، ط1، 1404 هـ. 1984، ج3، ص ص 67-07.

- وقال بعض أدباء المغرب:

« يا عالم النحو أي فعل :: إن حله الهمزة لم يعده

ثم هو بالعكس إن تعرى :: منه أين يا نسيج وحده. »

أراد أنك إذا قلت "ضرة" تعدى بنفسه وإذا قلت "أضر" لم يتعد إلا بحرف الجر فتقول "أضر به" ولهم من هذا النمط أفعال كثير.

وواضح أن الألغاز في حد ذاتها ليست قواعد ولكن القواعد تقولبت فيها، فاللغز كالصندوق إن فتحته وجدت قاعدة، ألا ترى أن مضمون كل جواب (سابق) يمكن أن يصاغ قاعدة، بمعنى أن اللغز شكل من أشكال عرض القواعد بالطريقة التي تشغل الفكر وتريضه وتساعد على التذكر والمذاكرة أيضا، وذلك مظهر من مظاهر قوة النشاط العقلي والتمكّن العلمي في هذا الفن في ذلك الزمن (رحمة الله عليه!!).

2.2- أنماط القواعد الحديثة:

القواعد الحديثة جاءت مع اللسانيات المعاصرة وهي تختلف من حيث المضمون وأحيانا من حيث الشكل عن القواعد القديمة (التقليدية) وإن كانت لم تلغها ولم تستغن عنها في الجانبين(*)). ولذلك "تتخذ كلمة "قواعد" في مجال الألسنية، مفهوما مختلفا عما تتخذه في إطار الدراسات اللغوية التقليدية. فكلمة "قواعد" تعني في التقليد اللغوي، القواعد التي تشرع الاستعمال اللغوي وتحافظ على سلامته وفق مقاييس معيارية ثابتة. في حين أن كلمة "قواعد"، من الوجهة الألسنية، تعني وصف اللغة من حيث هي واقع قائم بذاته وصفا موضوعيا. فمع نشوء الألسنية وتطورها لم تعد كلمة "قواعد" تعني القوانين التي يجب

(*)- يقول ميشال زكريا في كتابه "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م، هامش ص 20: «بقدر ما تقدمنا في دراستنا التي تتناول اللغة العربية، وفق المنهجية الألسنية، بقدر ما ازدادت قناعاتنا بضرورة اللجوء، بصورة متواصلة، إلى مؤلفات القدامى اللغوية، في مجال دراسة اللغة وإلى ضرورة إعادة قراءتها قراءة حديثة. وذلك لأن دراسة اللغة العربية لا يمكن إتمامها بمعزل عن القضايا اللغوية التي أجاد القدامى في وصفها وفي تحليلها، وفي إدلاء الآراء المفيدة حولها. فهذه المؤلفات بالذات، تكوّن التراكم اللغوي الوحيد الذي بمقدوره مد الدراسات الألسنية بالمعلومات اللازمة نظرا إلى واقع اللغة العربية الحالي. »

اتباعها للتعبير والكتابة بحسب الأصول المراعاة بل اتخذت معنى دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية.¹

وتتعدد المدارس والاتجاهات الألسنية التي تتناول اللغة بهذه الكيفية وتتنوع في بعض منطلقاتها وفهومها ولكن الذي يهمّ هنا هو ماهية وأنماط القواعد التي تنتجها شكلا ومضمونا.

1.2.2- مضامين أنماط القواعد الحديثة: بناء على طبيعة الاختلاف بين القواعد التقليدية والقواعد الحديثة المبيّن في التعريف أعلاه ، فإن مضامين هذه الأخيرة تتطلب شيئا من الشرح والتوضيح ولاسيما المتعلقة بالموضوع منها.

1.1.2.2- المضمون الموضوعي للقواعد الحديثة: من حيث الموضوع العام الذي تعالجه تهدف الاتجاهات النحوية الحديثة إلى تفسير اللغة ووصف بنيتها في جميع مستوياتها، ومن ثمّ توصلوا إلى بناء نظريات كلية تنطبق على كل اللغات تقريبا.²

ولذا فإن القواعد الحديثة تختلف في موضوعها عن القديمة بكونها تصف قوانين اللغة الانسانية عامة وتضبط كفيات حدوثها وتحدد مبادئها الفطرية لدى الإنسان بناء على مرجعيات معينة تختلف باختلاف الاتجاهات، وهي لذلك تسمى "القواعد الكونية" أو "الكلية" للغة.

وبالإمكان تعريف القواعد الكلية بأنها دراسة الشروط التي يجب أن تتوافر في قواعد كل اللغات الإنسانية... وفي ظل هذا التعريف، ليست القواعد الكلية سوى نظرية بنية اللغة مما يتوافق مع الاستعمال التقليدي لهذه الكلمة.³

1- زكريا، ميشال، المرجع نفسه ، هامش ص07.

2- النجار، نادية رمضان ، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، م: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر ، د.ط، د.ت ، ص179.

3- تشومسكي، نوام، مقال: الطبيعة الشكلية للغة، ضمن مؤلف: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1405 هـ . 1985 م ص179.

وللتمثيل والتوضيح لابد هنا من تحديد اتجاه بعينه تكون قواعده أنموذجا لغيرها من القواعد الحديثة، وليكن الاتجاه "التوليدي التحويلي" الذي يتزعمه تشومسكي(*) على اعتبار أنه من أحدث الاتجاهات وأبرزها.

يضع تشومسكي هدف النظرية الألسنية، بصورة واضحة وجلية، في كتابه المنشور الأول "البنى التركيبية". فالنظرية الألسنية يجب أن تحلل مقدرة المتكلم على أن ينتج الجمل التي لم يسمعها من قبل وعلى أن يتفهمها.

فيقوم عمل الألسني على صياغة القواعد التي بمقدورها إنتاج اللغة مادة البحث.¹ فهذه القواعد تتخذ وسيلة لتوليد جمل متناهية على المستوى العمقي في لغة ما وتحول على منوالها من صيغة إلى صيغة أخرى على المستوى السطحي بشكل غير متناه، وعليه سميت (أيضا) قواعد توليدية (G.G) تحويلية (G.T) يقول تشومسكي: «فالأبحاث الحديثة، في إطار القواعد التوليدية، تحاول أن تعرض، بوضوح، كيف أن هذه الأساليب المتناهية تستعمل استعمالا لا متناهيا في اللغات الخاصة وأن تكشف الميزات الأكثر عمقا والتي تحدد اللغة الإنسانية بصورة عامة (أي الميزات التي تكون القواعد الكلية)».²

ويقول عن بنيتها «تكون قواعد اللغة تنظيم قواعد تحدد نوعا من المزاجية بين الصوت والمعنى وتتألف من مكون تركيبى ومكون دلالي ومكون صوتي».³ ويطول شرح عمل هذه المكونات ولكن يمكن اختصاره في أنها تتكامل فيما بينها "فبعد أن يثبت المكون التركيبى

(*) تشومسكي (تلميذ هاريس) هو مؤسس مدرسة النحو التوليدي بنشر كتابه "الأبنية النحوية" (1957) في علم اللغة البنيوي فاللغة بالنسبة إليه تقوم على نظام قاعدي تمكن منه المتكلمون، يُشكّل فيه من وسائل نهائية (محددة) استعمال لا نهائي (غير محدود) ذلك الجانب الخلاق للغة يمكن أن يوصف وصفا مناسباً في نحو يتصور على أنه نظام قاعدي (للقواعد). ففي الأساس يعد كل نحو يقدم قواعد إنتاج (توليد) منطوقات لغوية هو نحو توليدي générative... وقد حددت آليات التوليد التي تعد أساس اللغة بأنها قدرة متكلم طبيعي على إنتاج اللغة (أي الكفاية اللغوية). (ينظر: كارل ديتريوننتج، المدخل إلى علم اللغة، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1431 هـ. 2010م، ص ص 240 - 242).

1- نقلا عن: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1406 هـ. 1986م، ص12.

2- نقلا عن: زكريا، ميشال، الألسنية (علم اللغة الحديث)، مرجع سابق، ص272.

3- المرجع نفسه، ص270.

بنى الجمل، يفسر المكون الدلالي معاني هذه البنى ويفسر المكون الفونولوجي (الصوتي) أصواتها".¹

والسؤال الذي يطرح هنا هو: ما هو التوليد وما هو التحويل؟

"ينحصر مفهوم التوليد بعملية ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة وتثبيتها. تتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة كتابة أي أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، برمز آخر أو بعدة رموز أخرى، ومن السهل فهم هذا النوع من القواعد. فجواز اشتغال الجملة، مثلاً، على ركن فعلي مؤلف من فعل وفاعل ومفعول به يتمثل بالقاعدة التالية:

ركن فعلي ----> فعل + ركن اسمي + ركن سمي

(فاعل) (مفعول به)

نقرأ السهم بوصفه تعليمة تقضي بإعادة كتابة الرمز الواقع إلى اليمين بواسطة الرموز المتتابعة الواقعة إلى اليسار (...). ويتم، عادة، استبدال كل رمز بالعناصر الواقعة إلى اليسار، بالتدرج إلى أن يتم اشتقاق الجملة".²

أما "التحويل" فيُمثل في أساسه النهج أو العملية التي تسمح وفق قواعد معينة بتغيير تركيب أصل إلى تركيب آخر مشتق بتطبيق قاعدة تحويلية أو أكثر. قد نُوضح ذلك على سبيل المثال لا الحصر من خلال قانون التحويل في الجملة العربية المبنية للمجهول، فهي ترجع إلى بنية عميقة مقدّرة تفسّر وتحل ما حدث في البنية السطحية المشتقة (...). فوظيفة التحويل هي تغيير البنية العميقة ذات الطابع التجريدي إلى بنية سطحية ملموسة تمثل الجانب التجسدي من البنية اللغوية، يتجلّى هذا التحويل من خلال مجموعة من القواعد التي

1- زكريا ، ميشال، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، سابق ، ص15.

2- المرجع نفسه، ص13.

قد تكون بالزيادة في البنية اللغوية الأصلية، وقد تتم بالحذف أو إعادة الترتيب أو الاتساع أو غير ذلك.¹

إذاً ، يعتمد مفهوم التحويل عندما تفيد أكثر من جملة واحدة المعنى ذاته، بالرغم من تباين تراكيبها، فنقول(مثلاً) إن الجمل (الآتية) هذه متحولة من جملة واحدة موجودة في مستوى البنية العميقة (تمثل المعنى المشترك بين كل الجمل):

. أكل الرجل التفاحة.

. الرجل أكل التفاحة.

. التفاحة أكلها الرجل.

. أكلت التفاحة.

. التفاحة أكلت...²

2.1.2.2- المضامين النمطية للقواعد الحديثة: إن تميز القواعد الحديثة بهذا المنحى الجديد في المضمون " الموضوعي " لا يعني بالضرورة استغناءه عن الأنماط الأساسية للقواعد التقليدية المذكورة سابقاً، حيث تصاغ القواعد الحديثة هي الأخرى في نمط القاعدة التعريف أو القاعدة القانون أو القاعدة الحكم، وكمثال على ذلك وردت منذ أسطر قليلة "القاعدة التعريف" في تعريف القواعد الكلية، وكذا تعريف التوليد والتحويل.

ومن أمثلة القاعدة القانون قولهم في التحولات الجوازية والوجوبية: « التحولات الجوازية يجوز تطبيقها وعدم تطبيقها عند صياغة تشقيق ما، ويظل الناتج في الحالتين جملة، أما التحولات الوجوبية فإنها إن لم تطبق لا يكون الناتج جملة أبداً.»³..

2.2.2- أشكال أنماط القواعد الحديثة: مع أن القواعد الحديثة تحتاج إلى أن يعبر عنها بشكل نثري عادي (كما سبق في المضامين النمطية) كغيرها من القواعد التقليدية إلا أنها تتميز - بالموازاة لذلك - بما هو جديد غير معهود قديماً في الجانب الشكلي وهو أن كل

1- ابن عيسى، عبد الحليم، القواعد التحويلية في الجملة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص ص 16-17.

2- زكريا ، ميشال، (المرجع السابق) ص14.(بتصرف)

3-ميلكا إفتش، اتجاهات البحث اللساني، نقلاً عن: ابن عيسى عبد الحليم، القواعد التحويلية في الجملة العربية (سابق) ص17.

قاعدة يمكن أن تختصر وتصاغ صياغة صارمة في رموز محددة، حتى قيل "من يواجه دون استعداد نحواً تحويلياً، يمكن أن يظن أن بين يديه مؤلفاً في الرياضيات وليس في النحو"¹ ، كما أنها يمكن أن توضح في شكل مشجر أيضاً..

وقبل عرض نموذج للشكل المذكور للتوضيح "النسبي" لابد من الإقرار بأنه من الصعب الوصول إلى التشخيص الكامل لهذه القواعد بالإيجاز الذي يفرضه المقام، لكون موضوع البحث يقتضي عدم التوسع في تفاصيلها حتى لا يتضخم عنصرها في المبحث على حساب غيره، وعليه فإن ما سيعرض للتمثيل يمثل فقط صورة مظهرية لا تؤدي دور الشرح الكامل وإن كانت تحقق الغرض المظهري المحدود المطلوب هنا، وهذا النموذج هو: (*)

«... وفي القاعدة الأولى لأي نحو يحل محل رمز البداية "ج" رموز الفصائل² (يقال أحياناً أيضاً، إن الرموز قد مدت وقد أنتجت (ولدت) جملة "نادل كسر كأساً" من خلال القواعد التالية "A").

1. ج ← م س + م ف.

2. م س ← أ س .

3. أ ← = ، = ، =

4. س ← نادل ، كأس.

5. م ف ← ف + م س.

6. ف ← كسر .

وتظهر القواعد في تتابع غير مرتب، أي يمكن أن تستخدم في كل تتابع، ومع قواعد (A) يمكن أن تولد جمل مثل:

1- كارل .ديتر بوننتج ، المدخل إلى علم اللغة (سابق)، ص241.

(*)-ينظر: المرجع السابق، ص ص 252-255. (تحت عنوان: الأساس "جزء الصياغة").

2- رموز الفصائل: ج: جملة . م س: مركب اسمي . م ف : مركب فعلي . س: اسم . ف: فعل . ص: صفة . أ: أداة للتعريف والتكثير (أداة التكثير هي التنوين).

كأس كسر نادلاً

نادلاً كسر كأساً. (*)

(...) ويمكن أن يثبت التوليد في مدونة، يسجل فيها ذلك التطبيق للقاعدة، ومرحلة التوليد

الناجمة عنها (ترقم الخطوات):

(A) 1- (*) ج

2- (أ) م س + م ف.

3- (ب) أداة + س + م ف .

4- (ج) س + م ف.

5- (د) نادل + م + ف.

6- (هـ) نادل + م + ف + س.

7- (و) نادل + م + كسر + س.

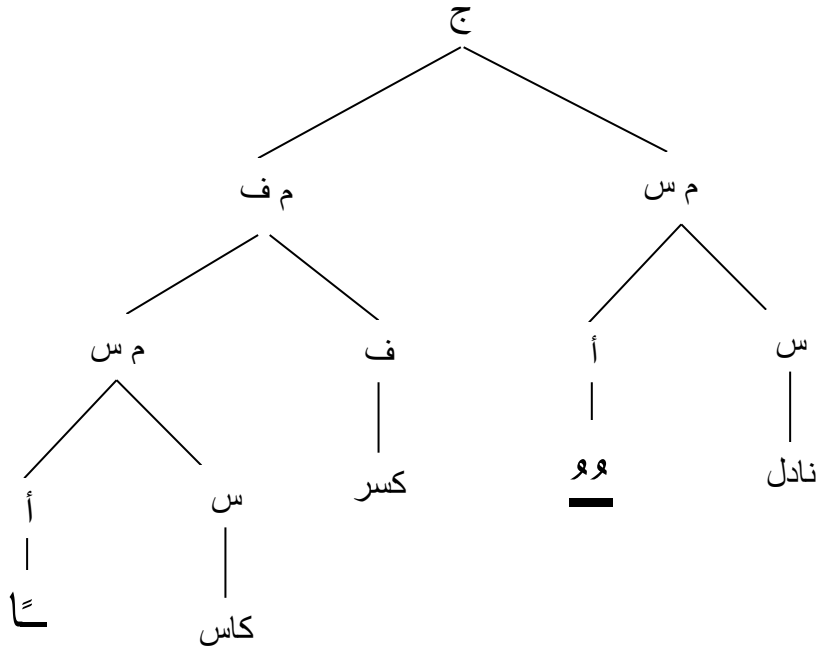
8- (ب) نادل + م + كسر + أداة س.

9- (ج) نادل + م + كسر + س + م.

10. (د) نادل + م + كسر + كأس + م.

(*)- ربما تؤدي الجملة غير الصحيحة معنى مجازياً.

ويمكن أن يسجل إنتاج (توليد) الجملة أيضا من خلال رسم شجري ومن خلال وضع أقواس معلمة:



(نادل) س (٣) أ م س (كسر) ف (كأس) س () م س () م ف ج.

3.2.2- أشكال توضيحية عامة (مشتركة): وفي نهاية الحديث عن أنماط القواعد وأشكالها

تجدر الإشارة إلى أن مختلف القواعد تلجأ في الغالب إلى وسائل التوضيح وهي على شكلين:

- **الشكل الأول:** هو المثال التعبيري (بكلمة أو عبارة): فكل قاعدة يضرب لها مثال لتكون أكثر وضوحا وهذا يستعمل قديما وحديثا على السواء وفي كل أنماط القواعد. كما جاء في كل الحالات السابقة ، حيث استعمل لكل حالة مثال للتوضيح.

- **الشكل الثاني:** هو الرسوم والجداول البيانية بمختلف أنواعها وهي تستعمل أكثر في القواعد الحديثة للتوضيح وتشخيص المجردات وللتلخيص، ومنها "المشجر" (المرسوم أعلاه) والذي صار يستعمل بشكل ملفت حتى في مؤلفات العلوم القديمة وقواعدها في هذا العصر

لدرجة أن بعض المؤلفات المعاصرة قصرت عرض كل محتويات هذه العلوم القديمة، لغرض تعليمي، في "مشجرات" أو جداول كما يسميها بعضهم.*

وكما تتشارك القواعد القديمة والحديثة في وسيلتي الإيضاح هاتين (بتفاوت) فهما تتشاركان أيضا في استعمال شكل آخر ذكر سابقا وهو "الاختصار" المذكور في القاعدة التعريف (التقليدية-1.1.1.2/أ في هذا المبحث) والذي يعني "جمع الحروف الأولى من الكلمات المعنية بالتعريف تسهيلا للحفظ"، فهو يستعمل أيضا في القواعد الحديثة سواء بالطريقة المعروضة في الأنموذج المذكور أم بطريقة أخرى كما في قاعدة ترتيب أركان الجملة. حيث بين اللسانيون حديثا أن اللغات الإنسانية تخضع من حيث التركيب لثلاث طرق أساسية في ترتيب أركانها.¹

الطريقة الأولى: الفاعل (المبتدأ) + الفعل + المفعول به. SVO

الطريقة الثانية: الفاعل (المبتدأ) + المفعول به + الفعل. SOV

الطريقة الثالثة: الفعل + الفاعل + المفعول به. VSO

ومحل الشاهد هو اختصار الترتيب بالحروف (VSO – SOV – SVO) الذي يتشارك فيه التقعيان الحديث و القديم.

هذه أهم الأنماط والقوالب التي تصاغ على منوالها القواعد قديما وحديثا، والتي لا يستغني الحديث منها عن أساسيات القديم ولكنه يتميز عنه بما هو جديد شكلا ومضمونا، وإن كان التداخل بينهما واردا في بعض الأشكال. وسيستعمل البحث منها ما تدعو إليه الحاجة وفق طبيعة القاعدة المصاغة.

(*) - ينظر مثلا: الياسين، جاسم بن محمد بن مهلهل ونخبة من طلبة العلم، الجداول الجامعة في العلوم النافعة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1415 هـ. 1995م، ط2، 1419 هـ. 1999م، ج2.

1- ينظر: ابن عيسى، عبد الحليم، القواعد التحويلية في الجملة العربية، (سابق)، ص44.

وقد سبق أن استعملت بعض البحوث النصية الحديثة وفي موضوع التماسك بالذات أشكالاً وأنواعاً من المختصرات والرموز والمعادلات.¹

جدول ملخص لأنماط وقوالب القواعد اللغوية القديمة والحديثة (المفصلة سابقاً)

ملاحظة	الشكل	المضمون	جوانب النمط	
			نوع القواعد	
. تتميز القواعد القديمة بشكلي المتن النثري والنظم الشعري وبمتممات "القاعدة التعريف" ما عدا "المختصر الحرفي" فهو مشترك.	. النثر العادي .. . المتن النثري. . النظم الشعري . . الألغاز/الأحاجي. . الرسوم والجداول البيانية (نادرا)	المضمون النمطي	المضمون الموضوعي	القواعد القديمة
		الأنماط الأساسية النثرية: . القاعدة التعريف . القاعدة القانون . القاعدة الحكم (مع المثل في كل نمط)	ضوابط كل لغة على حدة	القواعد الحديثة
. تتميز القواعد الحديثة بالمضمون الموضوعي (المشترك لكل اللغات) وشكليا بالرموز الرياضية والمعادلات.	النثر العادي . الرموز الرياضية والمعادلات. . الرسوم والجداول البيانية.		القواعد الكلية الفطرية لكل اللغات الإنسانية	

1- ينظر مثلا: الزناد، نسيج النص (سابق) ص28. في مثل قاعدة الربط البياني: "كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطا مباشرا بغير أداة.

نص: [ج1 ، ج2<] ج1φ ج2. شرط: ج2 بيان ج1.

3- كيف يتم التقعيد؟

على غرار بعض جوانب أنماطها السالفة الذكر فإن القواعد اللغوية تختلف في طرق استنباطها بين القديم والحديث ولكنه اختلاف ليس جوهريا، فمع أن لكل منهما خصائص تميزه فإن بينهما قواسم مشتركة سيبنى عليها البحث استخلاص طريقة يستعملها للتقعيد في العربية تناسب طبيعته التعليمية ، وذلك بعد عرض كيفية التقعيد " القديمة " ممثلة في " النحو العربي " كإنموذج ، و"الحديثة " ممثلة في اللسانيات المعاصرة وبالذات في " النحو التوليدي التحويلي " كإنموذج أيضا ، ثم المقارنة بينهما .

ولابد في البداية من عرض نتيجة توصل إليها البحث أثناء تنقيبه في المسألة لعلها تكون إضافة جديدة يضيفها وهي اكتشاف ما يمكن تسميته " أركان التقعيد " وهي أمور خمسة لابد للمقعد أن يتناولها كآلية أو كخطوة عملية أو ما شابه ذلك ، بدليل أن ذكرها لا يخلو منه بحث في كيفية التقعيد، وعليه فقد فرضت نفسها لتسمى " أركانا " و تتخذ هنا كعناصر مهيكلية للكلام عن كيف يتم التقعيد قديما و حديثا و هي كالآتي :

أ- **المرجعية** : وهي ميدان الدراسة الذي تستمد منه القاعدة ، سواء أكان المادة اللغوية مدونة أم شفاهية أم كان غيرها مما يعوضها حسب اجتهادات المحدثين.

ب- **المعيار**: وهو المؤشر الذي به تقاس مقبولية القاعدة وصحتها ويتمثل عموما في مطابقة القاعدة للمرجعية.

د- **المبادئ** : وهي الأصول التي تبنى على أساسها القاعدة ويستخرج بها دليلها .

ج- **الإجراءات**: وهي الأساليب الذهنية والخطوات العملية والتقنية التي يتم بها تطبيق المبادئ لاستنباط القاعدة .

هـ- **الصيغة**: وهي النمط (بما فيه الصورة الشكلية) الذي تظهر به القاعدة ويعبر به عن محتواها (كما فصل سابقا).

1.3- التقعيد القديم: (النحو العربي أنموذجا)

بناء على الهيكلية المتكونة من الأركان الخمسة المذكورة يمكن تتبع كيفية التقعيد بنوعيه، ولتكن البداية بالقديم.

1.1.3- المرجعية: نشأت قواعد النحو العربي أول ما نشأت من مرجعية محددة هي " كلام

العرب"(*) ولذلك لا تكاد تجد تعريفا للنحو العربي لا يذكر فيه هذا المعنى . فالسيوطي في الاقتراح - مثلا - ينقل ستة تعريفات للنحو فلا يخلو أحدها من لفظ "كلام العرب" في نفس السياق، ومن مقتطفاتها:¹

- في تعريف ابن جنى " النحو هو " انتحاء سمت كلام العرب .."
 - صاحب المستوفى : " النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب .."
 - الخضراوي : " النحو علم بأقيسة تغير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب".
 - ابن عصفور: " النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب .."
 - صاحب "البدیع": النحو صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب .."
 - ابن السراج: " النحو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب ."
- فملازمة لفظ "كلام العرب" أو ما في معناه لكل التعريفات السابقة دليل قاطع على أنه هو مرجعية التقعيد للنحو العربي .

2.1.3- المعيار: يستنتج مما سبق أن المعيار المعتمد سواء لسلامة القواعد المستنبطة أم

لصحة الكلام الذي يبنى عليها هو "مطابقة" هذه المرجعية، فالقاعدة السليمة والكلام المنتج الفصيح الصحيح هو الذي يطابق كلام العرب في عصر الاحتجاج الذي حددوا له ضوابطه الزمانية والمكانية.

3.1.3- المبادئ: أما المبادئ والأصول التي اعتمد عليها المقعدون (العرب) فهي كما

حددها مصادر "أصول النحو" أربعة: السماع والقياس والإجماع والاستصحاب.²

(*)- يقصد بكلام العرب هو الشعر والنثر في عصر الاحتجاج والقرآن الكريم وكذا الحديث الشريف (على اختلاف بين العلماء في الحديث لكون بعضه يروى بالمعنى).

1- ينظر: السيوطي، الاقتراح، (مرجع سابق) ص 37- 38.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

وتعريفاتها كالاتي :

- السماع: يقول عنه السيوطي: « أعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمّل كلام الله تعالى وهو القرآن، وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده، إلى زمن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين، نظما ونثرا عن مسلم أو كافر ؛ فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت.»¹

- وعن القياس يقول ابن الأنباري في جدله: « هو حمل غير منقول على المنقول إذا كان في معناه .. وهو معظم أدلة النحو والمعول في غالب مسائله عليه كما قيل : إنما النحو قياس يتبع .»

وللقياس أربعة أركان: أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم ، وعلة جامعة. قال ابن الأنباري: «وذلك مثل أن تتركب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسمّ فاعله، والحكم هو الرفع، والعلة الجامعة هي الإسناد، والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يسم فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد.»²

- وعن الإجماع يقول السيوطي: « والمراد به إجماع نحاة البلدين: البصرة والكوفة. قال في الخصائص : وإنما يكون حجة (الإجماع) إذا لم يخالف المنصوص، ولا المقيس على المنصوص، وإلا فلا ..»³

- وفي معنى الاستصحاب قال ابن الأنباري: «هو إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل، قال : وهو من الأدلة المعتبرة كاستصحاب حال الأصل في الأسماء وهو الإعراب حتى يوجد دليل البناء ، وحال الأصل في الأفعال وهو البناء حتى يوجد دليل الإعراب.»⁴

كان هذا تصنيف القدماء لمبادئ وأصول التقعيد، ويضيفون له مبادئ فرعية أخرى كالعلة والاستحسان وأنواع عديدة من الاستدلال..

1- السيوطي، الاقتراح ، المرجع السابق، ص 50.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص84، ص86.

3- المرجع نفسه: ص 80.

4- نقلا عن المرجع نفسه، ص 134.

ولكن من الباحثين المحدثين من يصنف تصنيفا آخر أكثر منطقية فيختصر كل ذلك في أصلين "اثنين" هنا " السماع والاستدلال الذهني" ويجعل تحت الاستدلال الذهني طرائق عديدة كفروع له ويحده بأنه «المحاكمات العقلية التي تستهدف استنباط الحكم أو تصحيحه عن طريق القياس أو العلة أو ما يشابههما من طرائق الاستدلال».¹

مما يعني أنه يدخل تحت " الاستدلال الذهني" القياس كفرع وهو من المبادئ الأساسية عند غيره، ومثله العلة التي هي فرع من القياس عندهم، ويضيف إلى ذلك فروعاً أخرى وهي: الإجماع والاستصحاب (وهو أساسي أيضاً عند غيره) وكذا السبر والتقسيم، والاستدلال بالأولى، ومراعاة النظر، والاستحسان، والقول بالموجب (وهذه الأخيرة فروع عند الجميع) ويجمع بينها جميعاً - كما جاء في تعريف الاستدلال الذهني- استعمال الذهن في استخراج الدليل ولكن في كل منها بوجه خاص.

وتكمن منطقية هذا التصنيف المختصر في أن الدارس يعتمد أولاً إلى السماع يستقرئه فإذا لم يجد فيه الدليل يلجأ إلى الاستدلال الذهني بشتى طرقه. ويبقى السماع هو الأساس الأول الذي لا يستغنى عليه في كل ذلك.² ويؤكد قول الرازي عن العربية: « الطريق إلى معرفتها إما النقل المحض كأكثر اللغة ، أو العقل مع النقل..»³

4.1.3- الإجراءات: تظهر حقيقة الإجراءات أثناء تطبيق المبادئ المذكورة آنفاً ممثلة في عمليات ذهنية وفعالية لا بد من القيام بها لإخراج القاعدة إلى الوجود، إذ إن كل مبدأ يقتضي إجراءات تنفيذ معينة.

بالنسبة للسماع " لا بد للغوي في البدء من جمع المادة اللغوية، وليس ذلك باليسير، فهو مضطر - ليكون عمله دقيقاً- إلى تصنيفها، وتقسيم الرقعة المكانية التي يدرسها إلى مناطق ذات لغة فصيحة، وأخرى دونها وثالثة لا تعتمد لغتها البتة، ويقوده هذا إلى وضع معيار للفصاحة يرجع إليه في تصنيفه وتقسيمه.

1- ينظر: الحلواني، محمد خير، أصول النحو العربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2011، ص 87 وما بعدها.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 20. حيث يضرب أمثلة توضيحية.

3 - نقلاً عن: السيوطي، الاقتراح (مرجع سابق)، ص 73.

ولا شك أن اللغة المحكية أو المنظومة، ذات قوانين يراعيها المتكلم بدقة، ويصدر عنها في كلامه، ولكنه لا يشعر بالعناء، بل إنه لا يكاد يفكر فيها، لأنها عنده لا تزيد على عادات اعتادها منذ أن تعلّم اللغة من المحيط الذي حوله، وعمل اللغوي أن يكشف عن تلك القوانين المرعية، وأن يوضح القواعد التي يتقيد بها المتكلم الأصيل.

ولابد إزاء هذه المهمة من أن يكون اللغوي دقيق الملاحظة ثاقب النظرة متصفا بالصبر والأناة، حتى ينفذ إلى ما وراء الظواهر الصوتية ويقف على الحقيقة المستترة فيها¹.

وبالدقة والوضوح فإن الإجراءات التي يقتضيها مبدأ "السماع" حتى يحقق كشف القواعد هي:

- جمع المادة اللغوية ثم تأملها وملاحظة خصائصها لإدراك ما يستحق المعالجة منها.
- تصنيفها إلى مدونة أو محكية وإلى شعر ونثر وقرآن وهل هي شائعة أو نادرة.
- تقسيمها حسب المناطق الواردة منها لتحديد مدى فصاحتها .
- استقراؤها، وذلك بالإلمام والإحاطة بها من كل جانب لاستكشاف الحقائق المستترة فيها.
- ويتبع ذلك صفات أخلاقية لا بدّ أن تتوفر في الباحث، منها وعلى رأسها دقة الملاحظة والنظر الثاقب والصبر والأناة وطول النفس ..

وبهذا يتضح أن مستلزمات السماع هي تقليب المادة اللغوية لاكتشاف الحقائق بعد الجمع والفحص، ولكن المعطيات المتوفرة قد لا تكون كافية لاستخراج القواعد اللازمة ، فعندها يطبق المبدأ الآخر وهو "الاستدلال الذهني"، أي العمل العقلي الذي تندرج تحته عدة فروع - كما سبق الذكر - وذلك عملاً بما كان شائعاً ومتبعاً في عصور التقعيد الأولى للعربية حيث كان أسلوب العلوم العربية الإسلامية يقوم على التحليل والبرهان، ويرجع إلى العقل جميع الظواهر، ويخضعها للأسباب والمسببات، وهذا واضح جداً في العلوم الرياضية والطبية والفلكية. *... ولم يمر هذا الأسلوب غافلاً في ساحات الدراسة النحوية بل مسها مساً شديداً،

1- الحلواني، أصول النحو العربي، مرجع سابق، ص 19.

*- ربما كان هذا راجعاً إلى الدعوة القرآنية الملحة إلى تقديم البراهين، وإخضاع الظواهر لحكم العقل.

فنقل إليها جلّ ما كان يدور في دراسات الفقه وعلم الكلام، حتى جارتها في العلة والقياس، والسبر والتقسيم، وما شابهها من ألوان الاستدلال الذهني.¹

والمفيد من هذا أنه مهما تنوعت الأساليب والآليات وتعددت تسمياتها تحت مبدأ "الاستدلال الذهني" فإن الإجراء المستعمل فيه لاكتشاف القواعد يعد واحداً وهو "استعمال العقل" الذي قال فيه أحد المستشرقين: "علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي، بما له من دقة في الملاحظة؛ ومن نشاط في جمع ما تفرّق، وهو أثر عظيم يرغب الناظر فيه على تقديره، ويحق للعرب أن يفخروا به."² والخلاصة فإن آليات استعمال العقل بطرقه المتنوعة ومستلزمات السماع المذكورة آنفاً هي الإجراءات المتبعة في اكتشاف القواعد.

5.1.3-الصيغة: آخر أركان التقعيد هو صياغة القاعدة التي تعرض بأحد الأنماط المذكورة في المطلب السابق (1.2)*

وبهذه الأركان الخمسة تتضح كيفية التقعيد في النحو القديم وخلصتها اتخاذ اللغة كما تكلم بها أصحابها الأولون مدونة وميداناً للدراسة واستنباط القواعد واعتبار مطابقة القواعد لها معياراً لا يصح من القواعد إلا ما كان مأخوذاً منها وذلك بناء على مبدأي السماع والاستدلال الذهني اللذين يطبقان وفق إجراءات معينة لاكتشاف القواعد وأهمها: جمع المادة وتصنيفها وتقسيمها.. ثم استعمال العقل بدقة وعمق لحل العويص واستخراج ما هو غير ظاهر على السطح وبعد اكتشاف القواعد كأفكار ومعلومات تتم صياغتها بالعبارة والصورة التقليدية المناسبة.

2.3- التقعيد الحديث: (النحو التوليدي التحويلي أنموذجاً)

يختلف التقعيد النحوي الحديث عن القديم في المضمون الموضوعي (كما سبقت الإشارة في عنصر "أنماط القواعد") لأن الحديث يتناول الخصائص الكلية المشتركة بين جميع اللغات، في حين يتناول القديم كل لغة على حدة، ومع ذلك فإن كلا منهما، في الكيفية وطريقة

1- الحلواني، أصول النحو (مرجع سابق)، ص 87.

2- دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقلاً عن. عباس، حسن، النحو الوافي، هامش ص 3.

*- تقدم ترتيب هذا المطلب لاعتباره متمماً للتعريف المتقدم، لذلك كان إلصاقه عقبه مباشرة أنسب بعنوان "أنماط القواعد التقليدية" ص 56.

استنباط القواعد، له من الناحية الهيكلية نفس الأركان المذكورة سابقا ولكنها تختلف في بعض المضامين. بل إن المدارس الحديثة ذاتها قد تختلف فيما بينها في بعض منها ولكنه اختلاف ليس جوهريا. ولا تهم هنا التفاصيل ولكن الذي يهم هو كيفية التقعيد في خطوطها العريضة التي سيمثل فيها النحو التوليدي التحويلي* المدارس الحديثة بصورة عامة بغض النظر عن الاختلافات بينها، وستعرض هذه الكيفية بالطريقة التي عرضت بها كيفية التقعيد القديم وفق أركانه الخمسة.

1.2.3- المرجعية: ما دامت القواعد الحديثة تمتاز بالكلية و لا تخص لغة بعينها فإن مرجعيتها ليست بالضرورة مدونة لغة خاصة** كالعربية أو الانجليزية لأن مفهوم اللغة يتغير حينها، وذلك لأن اللسانيين التوليديين حين يتحدثون عن اللغة يقصدون عموما القدرة الإنسانية على الكلام بأي لغة (خاصة) وقد أطلق عليها بعضهم، خاصة تشو مسكي اسم القدرة اللغوية الإنسانية.¹ أو الكفاية اللغوية (حسب ترجمة أخرى). وهذه القدرة أو الكفاية يمتلكها الإنسان المتكلم أو السامع المثالي، ولذا تحدد النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية، في الواقع موضوع دراستها بالإنسان المتكلم/السامع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة ، الذي يعرف لغته جيدا؛ فذلك هو مرجعية التقعيد الحديث، يقول تشو مسكي: « إن موضوع النظرية اللغوية الأولى هو إنسان متكلم - مستمع، Locteur – auditeur مثالي ينتمي إلى بيئة لغوية متجانسة تماما، ويعرف جيدا لغته، وحين يستعمل هذا الإنسان معرفته اللغة في أداء كلامي فعلي، لا يكون مصابا بحالات غير ملائمة من الناحية اللغوية، كالحذ من الذاكرة والشروء أو السهو وانتقال الاهتمام أو الانتباه والأغلاط (العرضية أو المميزة)».²

*- سبق التعريف بهذه المدرسة في هامش ص 64 من البحث.

** - اختلفت المدارس الحديثة في هذه المسألة.

1- العلوي، كمال، رشيدة، النحو التوليدي (بعض الأسس النظرية والمنهجية)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 1435 هـ - 2014م، ص34.

2- تشومسكي، (1965)، ص3، نقلا عن: زكرياء، ميشال، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. (النظرية الألسنية)، سابق، ص101.

2.2.3-المعيار: في اللسانيات الحديثة هناك ثلاثة توجهات إزاء المعيار حسب هلقرسكي¹ F.Helgorsky:

- الأول يهتم **المعيار الموضوعي** باعتباره يصف قواعد مستخرجة من الموضوع ذاته ويعني المعيار هنا ما هو مطّرد "Règuliè" مطابق لأغلب الحالات.

وهذا المعيار يحيل على صفة "عادي" "norme... normal" وهو تصور يرتبط بمفهوم النظام والبنية والاستعمال ويكوّن عبارة وسيطة بين "تجريد النظام" من ناحية والإنجازات المتنوعة للخطاب من ناحية ثانية.

وهذه العبارة الوسيطة تفرض نفسها إذا أخذنا بعين الاعتبار المستويات الاجتماعية المختلفة. يقتضي المكون الاجتماعي في اللغة أن نلاحظ مستويات مختلفة في استعمال اللغة وإنتاج الكلام. فالمعيار الموضوعي يكون إذن إنجاز النظام في سياق معين.

- يهتم التوجه الثاني **المعيار التقعيدي** (التقني) prescriptive الذي يقيم اللغة حسب معيار تصحيحي. فالكلام الصحيح هو الكلام كما تفرضه المجموعة اللغوية، فهو معيار من طبيعة اجتماعية ويمكن أن نقرنه بصفة "معيار Normatif" وهذا التوجه يسير نحو تصحيح الاستعمال ويعبر عن مجموعة ضغط اجتماعية كما يقول "هلقرسكي" ويجسم موقفا اجتماعيا من اللغة ولعلّ مجاله الأساسي هو بيداغوجيا اللغات.

- التوجه الثالث يمثل **المعيار المرجع** Norme-Etalon وهو المعيار الذي يركز في اختياراته على معطيات علمية ويصلح لدراسة الانزياح والتنوع والخروج ووصفها بالمقارنة مع أصناف أخرى من المعايير.

وليس خفيا أن مهمة اللساني تتصل بهذا التوجه الثالث لأنه يحتاج إلى وصف كل ما أنتج من كلام بغض النظر عن مستويات الاستعمال المختلفة ودون إهمال ما يعتبر خاطئا من وجهة نظر المعيار التقعيدي.

نقلا عن الشارني، 1-HELGORSKY.F "1982,"La notion de norme en Linguistique" Le Français moderne, p50/1.

مجيد وفارس، فتحي (م.س)، ص166.

وبالنسبة للمعيار القواعدي عند التوليدية بالذات "يعود الفضل إلى تشو مسكي في وضع معايير عامة ودقيقة بالإمكان ، وفقها، اعتماد القواعد الملائمة التي بإمكانها وصف المعطيات اللغوية... يقول تشو مسكي: « نتناول مسألة إثبات صحة القواعد التوليدية من زاويتين، ففي مستوى أول (مستوى الملاءمة الوصفية) تبرر القواعد من حيث هي تصف بصورة صحيحة مادتها أي الحدس اللغوي - الكفاية الضمنية - العائد لمتكلم اللغة، فبهذا المعنى تبرر القواعد من زاوية خارجية أي من زاوية تطابقها من المعطيات اللغوية. وفي مستوى أعمق نادرا ما نتوصل إليه (مستوى الملاءمة التفسيرية) تبرر القواعد من حيث هي تنظيم وصفي منتظم وملائم تختار النظرية الألسنية المقترنة بهذا التنظيم، هذه القواعد من بين قواعد أخرى من خلال مادة لغوية متوافرة تتلاءم معها كل هذه القواعد. فبهذا المعنى تبرر القواعد من زاوية ذاتية أو داخلية، من زاوية علاقتها بنظرية ألسنية تكوّن فرضية تفسيرية تتناول شكل اللغات بالذات.»¹

ومهما تباينت هذه التوجهات والنظرات في الفرعيات الملحوظة والتفصيلات العميقة حول المعيار ، وبالنظر إلى طبيعة "المرجعية" المعتمدة في التقعيد الحديث - الأنفة الذكر - ، فإن هذه النظرات لا تكاد تخرج عن قاسم مشترك بينها هو " التواصل الناجح " . و من ثم يمكن اعتبار "التواصل الناجح بمتطلباته" هو المعيار الذي تبنى عليه القاعدة اللسانية الصحيحة بحيث يكفي أن تتوفر في المرجعية (كلاما كانت أم متكلما) الخصائص التي تحققه لكي تبنى منها القاعدة حديثا بغض النظر عن خصائص أخرى في المرجعية تهم توجهها دون آخر، بدليل أن الكلام الذي لا يحقق تواسلا ناجحا (أو الجمل غير الأصولية بالتعبير التوليدي) لا يصلح لتستنبط منه القواعد وبعبارة أخرى فإن القاعدة التي تطابق الكلام الذي يحقق " التواصل الناجح" هي القاعدة الصحيحة(*) .

1- تشومسكي (1965) ص27، نقلا عن زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، 1406 هـ 1986 م، ط2 ، ص ص 105 - 108 (فيه شرح وتفصيل هذا القول).

(*) وفي مفهوم "الصوابية" أو "المستوى الصوابي" (في الكلام) ما يشبه هذا المعيار، وهو ما تناوله تمام حسان في "اللغة بين المعيارية والوصفية"، ص ص 56-69.

3.2.3-المبادئ: تجمع مختلف المراجع على أن المدارس النحوية الحديثة تستعين في مبادئ عملها بمنهاج العلوم الإنسانية كـ(المنهج الاجتماعي، المنهج السلوكي، المنهج الفلسفي العقلي) مما أكسب الدراسة اللغوية سمة العلمية بما فيها من الدقة والضبط ؛ لدرجة أنها تقوم بتحليل الجمل النحوية في شكل معادلات رياضية تجريدية، لا تفرق بين لغة ولغة.¹ هذا و إن كانت هذه المدارس تتباين في بعض تفاصيل مناهجها كما هو الحال عند تشو مسكي الذي حاول أن يتجنب الاعتراضات التي وجهت إلى المنهج السلوكي لبومفيلد ؛ وذلك من خلال المبادئ والأصول التي اعتمد عليها في منهجه التحويلي التوليدي، والذي اهتم فيه بالقدرة الإبداعية لدى المتكلم(*)... وهو يرجع هذه المقدرة إلى ما يعرف بالملكة الفطرية، وهو متأثر في ذلك بمنهج الفلاسفة العقلانيين كديكارت²، كما تأثر أيضا واستفاد في تحليلاته من مناهج العلوم الرياضية.

ومما يدل على تأثر تشو مسكي واستفادته من هذه المناهج التي استمد منها مبادئه في اكتشاف القواعد، ما يلي:

* - ما جاء في كتابه "الألسنية الديكارتية" (1966) الذي يُظهر فيه تقارب نظريته مع الآراء الفلسفية العقلانية: آراء المدرسة الديكارتية وآراء الألمانى همبولد... ويشير من خلال تحليله لآراء الفلاسفة العقلانيين إلى الأبعاد التي تقوم عليها الألسنية التوليدية.³

* - ويبين أحد عناصر المدرسة الديكارتية "ألمبر Alembert" بوضوح أن مبادئ وضع القواعد اللغوية الكلية " فلسفية عقلية " بالأساس حيث يقول :« إن القواعد من عمل الفلاسفة، فالفكر الفلسفي وحده يفلح في أن يرتقي إلى المبادئ التي توضع القواعد على أساسها...

1- ينظر: النجار، نادية رمضان، (مرجع سابق) ص180.

(*)- في حين اعتمد لبومفيلد على الأداء الكلامي (المدونة) وانتقد بأن اعتماده عليه في تحليل اللغة يجعل الإنسان آلة...

2- النجار، نادية رمضان، (مرجع سابق) ص ص 176-177.

3- زكريا، ميشال، النظرية الألسنية (مرجع سابق) ص21.

فهذا الفكر يلاحظ في بداءة الأمر، في قواعد كل لغة، المبادئ العامة التي تشترك بها مع كل اللغات الأخرى والتي تكوّن القواعد العامة.¹

* - وفي كتابه "البنية المنطقية للنظرية الألسنية" (1955) يعود تشو مسكي إلى قضايا التداخل بين الألسنية وعلم المنطق الرياضي.²

ويمكن للقارئ أن يكتشف بسهولة هذه العلاقة بين الألسنية والعلم الرياضي من خلال ملاحظته لاستعمال المسائل الرياضية وضرب الأمثلة بها أثناء شرح القضايا الألسنية وقواعدها ، فالإبداعية اللغوية - مثلا - يضرب لها في أكثر من موضع مثلا رياضيا يشبهها بما يلاحظ "عند كل إنسان قد اكتسب قواعد الحساب فيمكنه استنادا إلى هذه القواعد المحدودة أن يؤدي عمليات حسابية متنوعة جداً".³

وكمثال آخر تُشرح كلمة "توليد" بالمعنى نفسه الذي تتخذه هذه الكلمة في مجال الرياضيات لتدل على التحديد الرياضي والدقيق لبنية الجمل التي تولدها القواعد وتوضح بالمعادلة التالية:

$$ع \leftarrow س2 + س1$$

فإن كانت س تأخذ قيمة لها أيا من عناصر الأعداد الطبيعية [1،2،3،4،....] بالإمكان أن تتصور الدالة هذه كقاعدة أو عملية، فهي تولد المجموعة [3،7،13،21،31،...].⁴

* وبناء على كل ما سبق يقول ميشال زكريا: "نلاحظ أن دراسات تشومسكي حافظت.. على منهجية متماسكة وموضوعية بل ركزت... على اعتماد التجريد العلمي في صياغة الفرضيات الفعالة التي بإمكانها تحليل المعطيات اللغوية تحليلا موضوعيا واضحا".⁵

1- نقلا عن: زكريا ميشال، المرجع السابق، ص75.

2- المرجع نفسه، ص ص 10-11.

3- المرجع نفسه، ص31.

4- المرجع نفسه ، ص124.

5- المرجع نفسه، ص12.

كما يقول أيضا: " تقوم القواعد التوليدية على الأساليب العلمية في البحث فتعتمد إلى حد كبير، التجريد في الصياغة وتتبنى لغة صورية قائمة على رموز متعاقبة تفسر المعطيات اللغوية وتسهم بصورة مباشرة، بتعميم التحاليل اللغوية واختبارها".¹

وهكذا، ومع الإقرار باختلاف المدارس الحديثة في كثير من تفاصيلها - كما سبق الذكر -، تتضح بالشواهد السالفة من أنموذج " التوليدية " وبشكل عام ، ملامح المبادئ العامة التي تبنى على أساسها القواعد اللغوية الحديثة والتي تتلخص في كونها تُستمد من المناهج الفلسفية العقلية والمنطقية والرياضية المعاصرة.

4.2.3- الإجراءات: يستعمل مفهوم إجراءات الاكتشاف في اللسانيات للكناية عن مجموع التقنيات التي تعمل بشكل فوري أو آلي في عينة من اللغة، فتمكّن من إنتاج تحليلات نحوية صحيحة² وتسعى هذه الإجراءات إلى إنتاج مجموعة من القواعد النحوية*.

وبالنظر إلى طبيعة المبادئ المعتمدة المذكورة آنفا العقلية والعلمية فإن إجراءات تنفيذها لا يمكن أن تخرج عن إطار آليات الاستعمال العقلي بشكل معاصر "فبعد إعداد المادة المدروسة وتصنيفها، فقد اعتمد التحويليون على الحدس والتخمين وإجراءات التجارب لتقويم الفروض المتضاربة³ ولذلك جاء في أحد البحوث جوابا على سؤال: من أين تأتي القواعد؟: « يرتبط هذا السؤال... بمعرفة كيفية اكتساب الأطفال لقواعدهم فعند معرفة ذلك، يمكن للساني صياغتها صياغة مناسبة. وقد وضع النحو التوليدي مجموعة من الافتراضات الخاصة بهذا الموضوع، إذ يرى أن الطفل الذي يعرف لغته هو شخص أتقن معرفته بنسق القواعد، الذي يسند الصوت والمعنى إلى طبقة لا نهائية من الجمل، مع عدم وعيه بإتقانه لهذه القواعد أو استعمالها. واللساني لا يمكنه أن يلاحظ هذه المعرفة مباشرة، ولكن يمكنه أن يستخلصها بطريقة غير مباشرة من خلال تجميع عدد من المعطيات المرتبطة بالظاهرة التي

1- زكريا ميشال، المرجع السابق ، ص101.

- نقلا عن: العلوي كمال، رشيدة النحو التوليدي (سابق) ص66..143 - Crystal DAVID , 2003 ,

*- قد تختلف فهم ومواقف اللسانيين في "الإجراءات" ولكنها هنا تستعمل بالمفهوم البسيط بعيدا عن تلك الاختلافات لتتفق مع المفهوم السابق.

3- النجار، نادية رمضان، (السابق)، ص178.

يريد دراستها ثم يفترض عددا من المبادئ التي تفسر هذه المعطيات، كما يختبر هذه القواعد في معطيات أخرى مخالفة لها.¹»

وكمثال على ذلك: "يعمل اللسانيون في البحث عن صنفين من المعطيات تمكن من صياغة الأنحاء:

أولا: تسجيل عينة من الكلام أو النصوص وافترض أنها توجد لدى أناس يتكلمون ويكتبون جملا نحوية.

ثانيا: اعتماد الحدس اللغوي في الدراسة العلمية مثل سؤال اللساني لمتكلم اللغة العربية هل يمكن القول في لغتكم كذا وكذا؟ وإذا كانت كذا، فما الذي تقصدونه من وراء هذا الاستعمال؟ وما الذي يقابله في جملة النفي؟ وما الذي يحدث إذا غيرنا مواقع المكونات داخل الجملة؟ الخ..

والهدف من وراء ما تقدم توضيح أحكام للصياغة الجيدة للمتكم الفطري، وهو ما يدعى تقنية الاكتشاف التي تساعد اللساني على فحص المعطيات والإتيان بمقابلاتها.^{2(*)}

ومن ناحية أخرى وكانعكاس للتأثر بالمنهج الرياضي يذهب سورن Seuren، وجون كولد سميث (2004) إلى أن النحو التوليدي يتميز بالخاصية الحسابية، وأن النظرية النحوية التوليدية للغة يمكن أن تقوم على التفسير الحسابي.

فقد تناول نيفان (2009) Nivin التعدد في التقصي، واستعمال الحدوس والمقاييس، والتصنيف، وهي مناهج^(**) يستعملها اللساني لمعالجة معطياته والتحقق من النتائج حتى يكون وصفه عمليا ونافعا... وتتم المعالجة المنطقية الرياضية للغة في مستويين: المستوى السطحي... والمستوى الوراثي.⁽³⁾

1- العلوي كمال، رشيدة، (سابق)، ص36.

2- نقلا عن : السابق ص ص 71-72. Radford Andrew, 1988, p24.

(*)- وينظر كذلك: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) (سابق) ص ص 94-96، (حيث مراحل الاستنباط الأكثر تفصيلا).

(**)- يعتبر "التعدد في التقصي، واستعمال الحدوس والمقاييس، والتصنيف" في مصطلح البحث إجراءات والآليات لتنفيذ منهج أوسع منها وهو المنهج الرياضي المذكور في الركن السابق (المبادئ).

3- ينظر للتفصيل أكثر: العلوي كمال، رشيدة (سابق)، ص37.

وهكذا تظهر ملامح إجراءات اكتشاف القواعد الحديثة من خلال بعض المصطلحات المذكورة آنفا مثل: "المعطيات، الافتراضات، الاستخلاص، الحدس، فحص، مقاييس، تصنيف..." وهي تمثل في عمومها إجراءات ومراحل عملية "الاستنباط العقلي" وكل ذلك يلخص في " أن النظرية التوليدية والتحويلية تعتمد النهج الاستنباطي في التحليل أي تحليل اللغة عن طريق وضع الفرضيات التي تفسر القضايا اللغوية الممكنة ملاحظتها والتي تدرس العلاقات القائمة في ما بينها.

يكون النهج الاستنباطي وسيلة برهنة لذلك ينطلق من المقدمات المنطقية الأولية والمباشرة والمفترضة صحتها والمفترض صوابها، للتوصل إلى التحقق من النتائج الحاصلة، ويتبين الباحث في نطاق النهج الاستنباطي، البنية اللغوية ومختلف العلاقات القائمة ضمنها بين عناصر اللغة فيضع أنموذجا نظريا أو تفسيريا يراعي هذه العلاقات ويتأكد، عن طريق الاستنتاج، من القضايا التي يستطيع هذا الأنموذج تفسيرها.¹

5.2.3- الصيغة: تقدم تفصيلها في مطلب "أنماط القواعد وقوالبها" لاعتبارات ذكرت سابقا.²

وبهذه الأركان الخمسة كذلك تتضح الخطوط العريضة لكيفية وضع القواعد الحديثة، من خلال أنموذجها "النحو التوليدي والتحويلي"، التي تتميز بكونها كلية وعامة لكل اللغات الإنسانية.

وخلاصة هذه الكيفية أنها تتخذ مرجعتها سليقة المتكلم المثالي وتستنبط منها القواعد التي تعتمد معيار صحتها عموما الاتصال الناجح ، مستعينة في عملها بمناهج العلوم الحديثة الإنسانية والرياضية مستعملة في تطبيقها إجراءات الاستنباط العقلي.. ثم تصاغ القواعد بأشكال تتفق أحيانا مع أشكال وقوالب القواعد القديمة وتتميز أحيانا بصيغ حديثة تشبه المعادلات الرياضية تماما.

1- زكريا، ميشال، (المرجع السابق)، ص 96.

2 - ينظر : هامش الصفحة 77 من البحث.

3.3- المقارنة بين التقعدين (القديم والحديث): يبدو مما سبق أن تقعيدي النحوين القديم والحديث يتفقان هيكليا في الخطوط العريضة والأركان خارجيا، ولكنهما يختلفان أحيانا في التفاصيل المضمونية اختلافات موضوعية، ويمكن اختصار تفاصيل ذلك في الجدول الآتي:

جدول للمقارنة بين التقعدين القديم والحديث ملخص لما سبق تفصيله.

ملاحظة	الشكل	المضمون	جوانب النمط	
			نوع القواعد	
. تتميز القواعد القديمة بشكلي المتن النثري والنظم الشعري وبمتممات "القاعدة التعريف" ما عدا "المختصر الحرفي" فهو مشترك.	. النثر العادي .. المتن النثري. . النظم الشعري . الألغاز/الأحاجي. . الرسوم والجداول البيانية (نادرا)	المضمون النمطي	المضمون الموضوعي	القواعد القديمة
		الأنماط الأساسية النثرية: . القاعدة التعريف	ضوابط كل لغة على حدة	
. تتميز القواعد الحديثة بالمضمون الموضوعي (المشترك لكل اللغات) وشكلها بالرموز الرياضية والمعادلات.	. النثر العادي . الرموز الرياضية والمعادلات. . الرسوم والجداول البيانية.	. القاعدة القانون . القاعدة الحكم (مع المثل في كل نمط)	القواعد الكلية الفطرية لكل اللغات الإنسانية	القواعد الحديثة

إن أهم فرق بين التقعيدين القديم والحديث هو ما يلخصه ميشال زكريا في قوله " فالقاعدة بالنسبة إلى اللغويين التقليديين تنص عامة على السلوك اللغوي الواجب اتباعه لاستعمال الكلام الاستعمال الصحيح بحسب الأصول الموضوعية بالمقابل، تعطي القاعدة، في نظريتنا[الأسنوية التوليدية والتحويلية]، المعلومات اللازمة لتوليد كل الجمل الصحيحة المحتملة الصياغة دون سواها في اللغة..¹ بمعنى أن القواعد التوليدية والتحويلية قواعد علمية تتناول كفاية المتكلم اللغوية وتصف قضايا اللغة وتفسرها وتفيدنا بما يجب أن ندركه عن اللغة من حيث هي تنظيم قواعد قائم بذاته، وليست قواعد تربوية (تعليمية) تهدف إلى تقديم التعريفات والتمارين والقواعد الكلامية التي تساعد المتعلم على اكتساب المعرفة باللغة وبطرق استعمالها.²

إلا أن هذا الفارق لا يعني البتة القطيعة التامة بين المجالين، وإنما بالإمكان أن يلجأ التربوي (المتمثل في القواعد التقليدية) للعلمي (المتمثل في القواعد الحديثة) ويستعين به - مثلا - في عملية تحضير المواد التربوية لتعليم اللغة، بحيث " تقوم القواعد التربوية التعليمية باختيار مادة تعليمية بالاستناد إلى القواعد الأسنوية العلمية و [لكن] لا ترتبط مباشرة بالمسلمات الأسنوية. فعلى سبيل المثال لا تشير القواعد التربوية إلى المراحل المذكورة في عملية استنباط وإقرار القواعد ولا تتطلب إيراد الأدلة التي تدعم القواعد التي تتبناها."³ وسيسعى البحث لتحقيق هذه الاستعانة وتظهر هذه العلاقة في قواعده المستنبطة لاحقا.

أما المسألة الأكثر بروزا في الفرق بين القواعد العلمية (الحديثة) والقواعد التربوية (التقليدية) فهي كون الأولى "وصفية" والثانية "معيارية"، " فالقاعدة في الدراسة الوصفية ليست معيارا، وإنما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية "⁴ والنحو في نظرها "علم يصف طرق

1- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الأسنوية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1405 هـ - 1985 م، ص32.

2- ينظر: زكريا، ميشال، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) (مرجع سابق)، ص21.

3- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الأسنوية وتعليم اللغة (مرجع سابق) ص11.

4- حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1412 هـ . 1992م، ص18.

الاستعمال اللغوي في مرحلة خاصة من مراحل تاريخ اللغة المدروسة¹ وليس مجموعة قواعد كالقانون فأول هم هذه الدراسة " ككل علم آخر أن يلاحظ الحقائق والظواهر التي عليها أن تعالجها، فتقسمها، وتعتبر عنها منهجيا، وكل دراسة تقتصر على هذا تسمى دراسة وصفية"² أما المعيارية فهي "تبين القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة."³ والذي يهم البحث هنا هو الحكم بأن الطبيعة التربوية التعليمية للدراسة تقتضي منا الميل إلى "المعيارية" كما حدث في دراسات العربية قديما التي بدأت تتسم بالوصفية إلا أنها ما انفكت أن غلبت عليها المعيارية⁴ بحكم أهدافها ودواعيها التعليمية.

ولا يفوت في نهاية التنظير للتقعيد التنبيه إلى أن هناك خصائص عامة لابد أن تراعى في القاعدة ، كالتى وجه إليها تمام حسان حين قال: « يجب على الباحث إذاً أن يراعى الأمور الآتية في التقعيد :

أ- أن القاعدة وصف لسلوك عملي معين في تركيب اللغة، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطردا حتى يعبر عنه بالقاعدة .

ب- أن القاعدة لهذا السبب جزء من المنهج لا جزء من اللغة .

ج - أنها لابد أن تتصف بالعموم ولكنها ليس من الضروري أن تتصف بالشمول، أي أن تكون عامة لا كلية* . ومعنى ذلك أن القاعدة لابد أن تنطبق على جمهرة مفرداتها، وليس من المحتم مع هذا أن تشملها جميعا فلا يشذ عنها شيء، وقد عبر بعض أصحاب المناهج في الماضي عن ذلك بقولهم " إن الشذوذ يبرر القاعدة ".

د - أن تكون القاعدة مختصرة قدر الطاقة، فإذا طالت فقدت عنصرا هاما من عناصر كفايتها وفائدتها العملية .

1- Maronzean , Lexique de la terminologie Linguistique, p102. . 28 نقلا عن المرجع السابق ص

2- Sweet , A new English Grammar, p 1 . . ن.ص . نقلا عن المرجع السابق، ن.ص .

3- De Saussure Ferdinand, cours de Linguistique Générale, Edition Talantikit , Béjaia, Algerie, 2002, p13.

4- ينظر مثلا: أ. حسان، تمام(المرجع السابق)، ص37.

ب- النجار، نادية رمضان، اللغة وأنظمتها (سابق) ص 164.

*- هذا التدقيق في معنى وصف "كلية" يجعله يختلف عن معناه حين وصفت به القواعد التوليدية التحويلية ؛ فهي تشمل كل اللغات ولكن اللغات هي التي قد تشذ فيكون لكل منها ما هو خاص بها.

هـ - وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء فمن الضروري إيراد بعض الشواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سنداً للقواعد وإيضاحاً لها، ويحسن أن تكون هذه الشواهد والأمثلة كثيرة إلى حد ما.¹

ويذكر باحث آخر صفات أخرى لابد منها للقاعدة أيضاً وعلى رأسها اليسر فيقول: «.. فإذا وجدنا أكثر من طريقة أو أسلوب يمكننا من معرفة اللغة التي أمامنا، اخترنا ما هو أيسر أو أشمل أو أدق. مثال ذلك، يقرر النحاة أن صيغة منتهى الجموع ممنوعة من الصرف. فلو سألنا: ما صيغة منتهى الجموع؟ لتحصل عندنا أسلوبان؛

الأول: تعداد الأوزان الكثيرة لصيغة منتهى الجموع، مثل: أفاعيل، ومفاعيل.. الخ،
الثاني: أن يقال: هو كل جمع تكسير بعد ألفه حرفان، مثل: مساجد، أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن، مثل: مصابيح .

فالقاعدتان تؤديان إلى النتيجة نفسها في تشخيصنا لصيغة منتهى الجموع، ولكن القاعدة الثانية أيسر. وبطبيعة الحال، الباب مفتوح أمام الدارسين للمجيء بقواعد أو ضوابط أيسر من القواعد الموجودة بين أيدينا ولكن بما يضمن احتواءها وشمولها للغة العربية، وعدم مسّها باللغة نفسها.²

فأهم الخصائص العامة للقاعدة هي: الاطراد والشمول والاختصار والدقة واليسر.
والخلاصة مما سبق أن للتقعيد قديمه وحديثه خطوات عملية لابد من الاستفادة منها والعمل على ضوئها في ما يناسب التقعيد المستهدف. ومنها على الخصوص جمع المادة واستعمال العقل بملاحظتها واستقراء ما هو مطرد منها وتقسيمه وتحديد مصطلح لكل قسم ثم صياغة القاعدة وفق النمط المناسب ، مع مراعاة خصائصها العامة.

1- تمام ، حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص ص 165 -166.

2- طالب ، عبد الرحمن ، العربية تواجه التحديات ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، 1427 هـ - 2006 م ، ط1 ، ص 99.

4- دواعي التقعيد اللغوي و أهميته:

بعد تعريف التقعيد وتبيين أنماطه و كلفيته يطرح السؤال حوله: ما هي دواعيه وما هي أهميته؟

والإجابة على هذا السؤال حلقة هامة من حلقات البحث حيث تربط ما قبلها بما بعدها، فهي تتم تجلية حقيقة "التقعيد" في هذا الفصل وتحفز على تطبيقه في فصل لاحق، خصوصاً وهي تخصص، في كل مرحلة من مراحل عرضها، كلاماً في التقعيد "للاتساق و الانسجام" بالذات، بعد تعميمه. وسيتضح الجواب على الشرط الثاني من السؤال (المتعلق بالأهمية) بسهولة لأنه يستنتج من شطره الأول (المتعلق بالدواعي).

أما الدواعي فهي تصنف تصنيفات ثلاثة تفرضها الزوايا المختلفة التي ينظر منها إلى اللغة فهي:

- دواع عامة: حين ينظر إلى اللغة على أنها حقل من حقول العلم ككل مجال من مجالات الحياة.

- دواع حضارية: من زاوية أن اللغة مقوم من المقومات الحضارية و الاجتماعية للجماعة الناطقة بها.

- دواع تعليمية: بالنظر إلى أن اللغة مادة تعلّم فهناك حاجة ملحة لاكتشاف قواعدها وتوظيفها.

1.4- الدواعي العامة: و المقصود بها الدواعي التي تدعو الإنسان إلى تطوير حياته ومحاولة التحكم في القوانين التي تسيّر في ما تيسّر له من مجالاتها ، و باعتبار اللغة واحداً من هذه المجالات فلا بد أن تخضع للبحث و الدراسة كحقل من حول العلم والمعرفة، و من أهم أولويات البحث العلمي عموماً استكشاف القواعد التي يقوم عليها الموضوع محل الدراسة، هذه الدواعي هي التي أنشأت لكل مجال تخصصه العلمي الذي يبحث فيه ، ومن ثمّ كان لموضوع هذا البحث بالذات تخصص " لسانيات النص" الذي تعد أهم مهمة له هي

صياغة القواعد اللغوية¹ وذلك من أجل التحكم في تحقيق غرضين طبيعيين في الحياة وهما: إنتاج اللغة و تفسيرها؛ ذلك " أن مستخدم اللغة ..إذا كان عليه أن ينتج نصًا بوصفه بناءً متماسكا فإن كفاءته اللغوية يجب أن تتضمن قواعد نصية"² و"التقعيد" هو اكتشاف هذه القواعد وصوغها. ثم "إن التفسير عملية معقدة.. بخاصة إن كان [المفسر] متصديا للغة غير عادية... و اللسانيات النصية مطالبة بإمداد المفسر بجملة من المقولات اللسانية و غير اللسانية حتى يتمكن من حل المشكلة المعرفية للفهم..³ و هذه "المقولات" هي القواعد و "الإمداد بالمقولات" هنا هو في غالب الأحوال "التقعيد" الذي يدعو إليه تفسير اللغة كما دعا إليه إنتاجها .

وللتوضيح أكثر يمكن الانطلاق من مفهوم واحد لإنتاج اللغة و تفسيرها وهو "التواصل" الذي يعد ضرورة من ضرورات حياة الإنسان ، وهو يقتضي حتما أن تكون " قواعد" اللغة المستعملة فيه جاهزة في أذهان المتواصلين "قبما أن متكلمي اللغة يتقنون استعمال اللغة لأنهم يعرفون قواعدها، وبما أن التواصل اللغوي مسار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون في ما بينهم في لغتهم لأن كلاً منهم يمتلك ، بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ويتمّ التواصل لأن المتكلم يرسل رسالة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع إليه لكي يلتقطها"⁴ فلكي يتم التواصل الناجح بأي لغة لابد من معرفة قواعدها و لمعرفة القواعد لابد من البحث فيها و صياغتها.

1- ينظر البحث ،ص 19 حيث توسع في الفكرة ،وهي هنا لفان دايك نقلا عن: بحيري، سعيد، علم لغة النص(مرجع سابق)، ص120.

2- فان دايك، نقلا عن: بحيري ، مرجع سابق ص.ن

3- بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية(مرجع سابق)، ص54.

4- جبرولد، كاتز ، التواصل اللغوي ، مقال ضمن مؤلف زكريا، ميشال ، الألسنية(علم اللغة الحديث) مرجع سابق ،ص82.

إذن فالدواعي العامة للتقعيد اللغوي تتلخص في متطلبات المعالجة العلمية للوظيفة الطبيعية للغة وهي التواصل، و تدخل هذه المعالجة ضمن المهمة الأساسية لسانيات النص ، وعليه فإن التقعيد بالضرورة أحد مواضيع بحث كل باحث تصدى لهذا العلم.

و تتأكد هذه المهمة بعاملين اثنين:

- أولهما أن "التقعيد" من أولويات كل علم بالضبط كما أنه من أولويات كل بناء.
- وثانيهما أن هذا العلم "مازال ناشئاً" كما سبقت الإشارة¹ وأن قواعده لم تقم بعد على الوجه الكامل².

2.4- الدواعي الحضارية: عند البحث عن الدواعي الحضارية للتقعيد اللغوي من زاوية أن اللغة مقوم من المقومات الحضارية للأمة ، لا مفرّ من الرجوع إلى تاريخ نشأة "النحو العربي" و أسبابها (و النحو هو القواعد و نشأته هي التقعيد)، وملخصه: "لما اختلط العرب بأبناء الأمم الأخرى كان أثر الاختلاط على اللهجة الفصحى في استعمالهم...ولما كانت اللغة الفصحى هي الأداة التي تحرص عليها الدولة العربية[الإسلامية] باعتبارها لغة الدين و الدنيا فقد فزع رجال الدولة لما رأوا من احتمال فسادها..³ عندها بدأ النحو و بدأ التقعيد.

هذه هي الفكرة العامة لقصة نشأة النحو العربي بغض النظر عن تفاصيلها التي كثر فيها النقاش و الاختلاف ، وقد عالجها أحد الباحثين بالدراسة و التمهيد و استخلص منها ما يمكن أن يعتمد و يستفاد منه هنا فقال « وعلى هذا نحسب أن السبب الرئيس لوضع النحو كان سببا سياسيا قوميا بالمعنى العام للسياسة ، و قد ارتبط بالدين لكونه عماد تجمع الأمة بعد أن كانت مفرقة.

إن التفكير بدرء الخطر عن اللغة اقتضى وضع ضوابط تميز الكلام الصحيح على ما ألفته العرب في كلامها ، وكان لهذه الضوابط - فيما يبدو - أهداف ثلاثة:

1 - ينظر البحث ، ص 14.

2 - ينظر: زنتسيسلاف و واورزنيك، مدخل إلى علم النص(مرجع سابق)، ص 69 - ص 79

3 - تمام، حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية(سابق)، ص 171.

الأول- ديني: يتمثل في الحرص على فهم التشريع الذي جاءت به رسالة السماء بلسان عربي على وجه سليم.

الثاني - قومي: يهدف إلى حماية لغة الأمة و الحفاظ على وحدة أبنائها بوحدة لغتهم.

الثالث - اجتماعي : يرمي إلى دفع ما قد يشعر به الداخل إلى الإسلام من غير العرب من النقص و التقصير إذا هو لم يعرف لغة الدين الذي اعتنقه على وجهها الصحيح¹ و تجدر الإشارة إلى أن ما قام به العرب المسلمون قديما اتجاه لغتهم كانت له ميزتان الأولى ضابطة و الثانية دافعة.

- فالميزة الضابطة : تتمثل في "التطوير" الذي تميزت به عملية "حماية اللغة" فلم يفهموا الحماية " تجميدا "و إنما كانت بفهم صحيح مناسب لطبيعة اللغة التي لا تقبل "الجمود" وإنما عليها أن تتأقلم مع معطيات عصرها وتستفيد منها، و لذلك استفادوا في تقعيد لغتهم بالعلوم المكتسبة من الأمم المجاورة و الحضارات الوافدة ، وذلك في "مرحلة ما بعد منتصف القرن الرابع، وهي المرحلة التي وضحت فيها تأثيرات الروح الفلسفية ومناهج المنطق في الكثير من مباحث النحو بتأثير من معطيات العصر و ما شاع فيه من العلوم الوافدة في الترجمة إضافة إلى نمو الحياة العقلية في مختلف أنماط العلوم تبعا للتطور الحضاري ماديا و اجتماعيا "2 .

- أما الميزة الدافعة : فهي الحكم الشرعي (الديني) الذي كان يحركهم لحماية "العربية" بخدمتها والتقعيد لها، لا اعتقادهم الجازم أن في تنفيذه ثوابا جزيلا من الله (جل وعلا) و في تعطيله عقابا أليما للارتباط الوثيق بين العربية و الإسلام فهي وعاء له فإذا انكسر الوعاء ضاع المحتوى، وهو حكم ثابت لدى علماء الشريعة و فيه يقول فخر الدين الرازي: « اعلم أن معرفة اللغة و النحو و التصريف فرض كفاية لأن معرفة الأحكام الشرعية أدلتها بالإجماع ، و معرفة الأحكام بدون معرفة أدلتها مستحيل، فلا بد من معرفة أدلتها و الأدلة

1- الياسري، علي مظهر، الفكر النحوي عند العرب(أصوله ومناهجه)مجمع البتراء للطباعة و النشر و التوزيع ،تونس، ط1، 2011، م ، ص97.

2- المرجع نفسه، ص ص 372-373.

راجعة إلى الكتاب و السنة وهما واردان بلغة العرب و نحوهم و تصريفهم ، فإذا توقف العلم بالأحكام على الأدلة ، و معرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة و النحو و التصريف ، وما يتوقف على الواجب المطلب و هو مقدور للمكلف فهو واجب فإذا معرفة اللغة و النحو والتصريف واجبة¹. و لا يمكن أن تتحقق معرفة اللغة إلا بالتقعيد لها.

واضح أن هذه الدواعي و ملحقاتها خاصة باللغة العربية في ظروف معينة و لكن يمكن تعميمها بالقول: إن الدواعي الحضارية لتقعيد كل لغة تتلخص في "حمايتها" من الاندثار من أجل الأهداف الآتية (التي يقابل كل عنصر فيها عنصرا مما ذكر سابقا على التوالي):

- الحفاظ على الدين الذي أنزل بها و فهم شريعته (إن كان لها دين).
- توحيد المجتمع الذي ينطق بها و تثبيت كيانه.
- تسهيل اندماج الوافدين في مجتمعها بسرعة تعلمها و سهولته بالقواعد.
- و لا بد أن يلزم "الحماية" ضابط الفهم الصحيح بحيث تتضمن معنى "التطوير" و الاستفادة من معطيات العصر مع البقاء.
- و أن يكون لها دافع أيديولوجي يحرك نحو العمل لها (ديني - قومي - وطني - عرقي..).

أما اللغة العربية في العصر الحديث فإن الدواعي القديمة المتعلقة بالتقعيد لها ما زالت حية بالنسبة إليها بالنظر إلى الأوضاع التي تعيشها^(*)؛ فهذه الدواعي الحية إذا أضيفت إلى عامل المستجدات العلمية في اللسانيات و مختلف علوم اللغة في العصر الحديث التي استفادت منها مختلف اللغات العالمية فإنها تجعل أهل العربية في هذا العصر - اقتداء بأسلافهم من قبل - مدعويين للاستنفار خفافا و ثقالا لينقذوا لغتهم من التخلف عن مواكبة

1 - نقلا عن السيوطي ، الاقتراح (مرجع سابق) ص72.

(*) - الحفاظ على الصبغة العلمية اللغوية الصرفة للبحث يقتضي الاكتفاء بالإشارة الهامشية لعوامل بقاء هذه الدواعي حية، وهي:

- "احتمال الفساد" الذي أفزع الأوائل للتقعيد ووضع النحو مازال قائما بل صار حقيقة بعد احتمال.

- و وحدة الأمة صارت تتطلب حماية لغتها أكثر من ذي قبل كرد فعل للجهود الاحتلالية الرامية لتفتيتها.

- و الدين بما فيه القرآن مازالت واجبات الصيانة و الفهم بلغة العصر مطلوبة له.

- وتسهيل العربية للمقبلين عليها في كل عصر باب لا يقبل الغلق.

- و الوجوب الشرعي لمعرفة العربية حكم سيبقي قائما إلى يوم الدين.

التطورات المعاصرة خصوصا في موضوع جديد "بكر" كموضوع البحث هذا الذي مازال الباب مفتوحا للتقعيد فيه على مصراعيه.

3.4- الدواعي التعليمية: وهي أهم دواعي التقعيد ، لأن التعليم لا يمكن أن يتحقق دون "قواعد" و لذا فحاجته للتقعيد ضرورية ، وعليه يقول بوركييه Porquier : «على قدر فهم النحو يكون تعليم اللغة»¹ و النحو هو القواعد. و ها هي واحدة من أهم الوثائق التعليمية في تعليمنا الثانوي² عند تناولها تدريس أحد أنواع القواعد اللغوية (النحو و الصرف) تبين أنه يمكن المتعلم من الملكة اللسانية الصحيحة" و أن الهدف من تدريس هذا النشاط يتحقق بإكساب المتعلم ملكة تبليغية مشافهة و كتابة... وهكذا تتلخص وظيفة القواعد في ثلاث قدرات هي: القدرة اللسانية و القدرة التواصلية والقدرة التعبيرية.

فإذا كان تدريس القواعد هذا هدفه وهذه مكانته في تعليم اللغة فإن التقعيد إذن حاجة تعليمية ملحة بل عمل ضروري لتحضير المادة التي ستدرس ، ولا شك أن الحكم الصادر في هذا النوع من أنواع القواعد وهو "النحو و الصرف" ينسحب على كل أنواع قواعد اللغة و لكن لكل نوع دوره الخاص من زاوية لغوية معينة.

هذه إشارات نظرية عن الحاجة للتقعيد اللغوي بصفة عامة، أما الحاجة العملية للتقعيد في مجال موضوع البحث فهي أكثر إلحاحا و أشد ضرورة و ذلك نتيجة انعدام وجود قواعد تعليمية له في الميدان بسبب حداثة الاختصاص المشار إليها سابقا، الأمر الذي تؤكد الوثائق التعليمية الرسمية و البحوث المقدمة في الموضوع ذاته و لقد حاولت الوثيقة المذكورة أنفا سدّ هذا الفراغ بكتابة وصف للاتساق والانسجام(في ست صفحات من الحجم الصغير) بشكل يؤكد أكثر الحاجة للتقعيد لما في هذا الوصف من نقائص و مؤاخذات، بالإضافة إلى أنه وصف عام و ليس تقعيدا دقيقا، وعلى العموم فإن المحاولة المقنضبة في موضع ضيق

1-Porquier R,et H,Besse,1984, Grammaires et didactiques des langues.

- نقلا عن: الشارني، مجيد ، فارس فتحي ،مداخل إلى تعليمية اللغة العربية (مرجع سابق)، ص175.

2- هي مطبوعة "المنهاج و الوثائق المرافقة" ، السنة الثانية من التعليم الثانوي(كل الشعب)، اللغة العربية و آدابها ، وزارة التربية الوطنية ، مطبعة الديوان الوطني للتعليم و التكوين عن بعد، مارس 2006 ، ص ص36- 37.

كهذا لسد الفراغ هي في ذاتها دليل على حجم الفراغ المذكور و على الحاجة الملحة لسدّه خاصة عندما تذكر الوثيقة نفسها ما يوحي بذلك ، حيث تقول: « ولما وجد السادة الأساتذة بعض الصعوبة في تناول النص من حيث الاتساق و الانسجام في بناء فقرات النص فإننا نتناول هذين المقومين بشيء من الشرح و التفصيل رفعا للبس و أيضا تبياننا للقصد»¹، فما الصعوبة المذكورة التي يواجهها الأساتذة إلا نتيجة لغياب توفر المادة عن الميدان التعليمي تقعيًا و تفصيليًا.

وقد تناولت بعض البحوث هذه القضية بالدراسة التفصيلية و بينت الحاجة الملحة لإثراء وتصويب الوثائق التعليمية وتزويد الميدان التعليمي عموما بالمادة المطلوبة في الموضوع وبخاصة التقعيد للاتساق و الانسجام.

ومن هذه البحوث أطروحة الدكتوراه للطاهر لوصيف التي جاء فيها من بين ما جاء: «.. وأظهر المنهاج في هذا الجانب بعدا كبيرا عن التعاطي مع نحو النص الذي يتصل صلة وثيقة بالمقاربة النصية، فلم يقرر محتوى يتضمن ، مثلا ، قرائن الاتساق و أدواته و لا قرائن الانسجام و طريقه، ولا كفايات معالجة النصوص سواء الأدبية أو غير الأدبية (التواصلية) من المنطلق الذي يقتضيه نحو النص»².

وكذا رسالة الماجستير لصاحب البحث³ فقد جاء في نتائجها وتوصياتها:

في النتيجة 8: « يوجد في هذه الوثائق اهتمام نظري كبير بالاتساق والانسجام ولكن لا يوجد فيها ما يخصص لهما دروسا نظرية ووقتا محددا وكل ما في الكتاب هو أسئلة تطبيقية لا يعرف من أين للمتعلم أن يوظف فيها مكتسباته القبلية، كما تطلب بعض الوثائق؟!..»

1 - المرجع السابق ، ص 68.

2- لوصيف، الطاهر، تعليمية النصوص و الأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري(برنامج السنة الأولى -جذع مشترك آداب- نموذج) دراسة وصفية تعليمية نقدية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة ، بجامعة الجزائر ، سنة 2007-2008 ، ص 336.

3- حلواجي، علي، واقع تدريس الاتساق و الانسجام من خلال برنامج الأدب و النصوص - السنة الثانية من التعليم الثانوي نموذج- دراسة تحليلية نقدية ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللغة ، تخصص تعليمية ، بجامعة الجزائر ، سنة 2009/2010، ص ص 263-271.

و في التوصية3: « ضرورة وضع قواعد لهذه المادة على غرار النحو والبلاغة وطبعها في شكل تعليمي ميسر وتزويد المعلمين والمتعلمين بها، لتكون مرجعا للتدريس السليم.»

و في التوصية6: « يقترح على الجهات الوصية تخصيص وقت كاف لتدريس الاتساق والانسجام ليكون رافدا من روافد النصوص إما مع البلاغة أو باعتباره نشاطا مستقلا تحت أي اسم آخر، وذلك لأهميتهما التعليمية ولمكانتهما في اللغة وفي علم النص، وذلك حتى يترجم في الواقع التعليمي الاهتمام النظري الذي حظي به الموضوع في الوثائق المنظرة والمخططة له دون أن يبرمج فيها تدريسه..»

و لا شك أن في متابعة مثل هذه البحوث التفاصيل الوافية لهذه القضايا و المبررات الكافية لمثل هذه النداءات و التوصيات التي تثبت الحاجة النظرية والعملية للتقعيد و التي يسعى البحث للاستجابة لشيء منها.

4.4- الأهمية التعليمية للتقعيد: (اللغوي والنصي)

من خلال دواحيه المذكورة آنفا تتضح لكل ذي لب أهمية "التقعيد اللغوي" عموما و التقعيد النصي "خصوصا" وهي أهمية مثبتة في العديد من المراجع التربوية.

فبالنسبة للغة بصفة عامة فإن العمل بالتقعيد السليم في التعليم يحقق أهدافا تتلخص في أن "اكتساب الدارس اللغة (العربية)(*) على قواعدها السليمة يجعله قادرا على استيعاب المعارف أو على التعامل مع أفراد مجتمعه و بخاصة المجتمع الإنساني تعاملًا حضاريا سليما، ليس هذا فحسب و إنما يجعله قادرا على فهم تراثه و الاستفادة منه في حاضره و مستقبله.¹

أما التقعيد النصي وبالذات في موضوع البحث وهو "الاتساق و الانسجام" فإن أهميته الدافعة للخوض فيه تكمن في أن تعليمه يفترض فيه تحقيق الأهداف الآتية:

(*)- الكلام هنا حول اللغة العربية و لكنه منطقيا يمكن تعميمه على كل لغة.

1- الكخن ، أمين، (1990)، نقلا عن الشارني ، مجيد و فارس، فتحي، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية(مرجع سابق)، ص53.

1.4.4- الإسهام في تأهيل المتعلم: (إنشاء وفهما وذوقا)

يتفق علماء النص على أن التماسك (الاتساق والانسجام) عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره.¹ والتشكيل هو الإنشاء والتفسير يعني الفهم. ثم يأتي دوره الجمالي المذكور أيضا في ثنايا البحث وأقوال العلماء فيه (*). وعليه فإن التقعيد التعليمي للاتساق والانسجام يعني تزويد المتعلم بنوع من القواعد التي تمكنه من تكوين النص الصحيح الجميل وفهمه الفهم السليم وتذوقه بشكل ممتع، أي تزويده منتجا أو متلقيا.

في هذا يقول الفقي عن أدوات التماسك (الاتساق والانسجام): «أنها شرط ضروري في أي نص، حتى يتحقق وجوده كنص، وإلا أصبح جملا مترصّة لا روح فيها.

ونرى أنها ينبغي أن تكون من بين ما يمتلكه المنتج والمتلقي على حدّ سواء ؛ فإذا نقصت عند المنتج، عجز عن إبراز إنتاجه في صورة متماسكة، وكذا إذا جهلها المتلقي، فإنه سوف يعجز عن الحكم على النص وتحليله، بل قد يعجز في الغالب، عن فهم معنى النص.»² ثمّ يصوّب كلامه اتجاه التعليم بالذات في نهاية دراسته وهو يدعو إلى تأسيس قواعد للتحليل النصي تتناسب مع طبيعة النص العربي، فيعلن عن الرغبة في « وضع هذه القواعد نصب عين المحلل النصي بصفة خاصة، والطالب بصفة عامة، لأن تحليل الجملة المعزولة عن النص، أو البيت المنفصل عن القصيدة يعد قصورا في فهم المحلل.»³ وقد أثبت البحث سابقا أن الاتساق والانسجام يأتي على رأس قضايا علم النص وتحليله.

وقبل الفقي وفي ذات الموضوع يجيب هاليداي وحسن عن سؤال فحواه: ما هي الفائدة من عمل يتمثل في وصف الكيفية التي اتسق بها النص؟ فيقولان: «..من المحتمل أن يعني ذلك شيئا في سياق تدريس الإنشاء، وشيئا آخر في سياق التحليل الآلي للنص بالحاسوب، وشيئا

1- ينظر البحث، ص 38 وما بعدها.

(*)- وإن كانت البلاغة هي المعين الأول للجمالية في التعليم ولكن للتماسك دور كذلك بدليل أن ما كان متماسكا فقد اكتسب الدرجة الأساسية للجمال كما أن بعض أدوات التماسك بلاغية، ولكن إذا كانت كل مسائل البلاغة جمالية فليست كل وسائل التماسك كذلك.

2- الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج 1، ص 120.

3- المرجع نفسه، ج 2، ص 252.

مختلفا أيضا في سياق الدراسات الأسلوبية ..¹ وهما بذلك يوسعان نطاق الأهداف المتوخاة من التقعيد للاتساق والانسجام وتعليمهما، أكثر مما ذكر آنفا.

ومن خلال ما سبق يتضح أن تعليم قواعد الاتساق والانسجام يسهم في تأهيل المتعلم لغويا ويكسبه كفاءة الإنتاج وحسن التلقي فهما وتذوقا وهذا ما يجب أن يكون أساسيا في الأهداف التعليمية للظاهرتين.

2.4.4 - : مواكبة العصر:

إذا كان يؤخذ على تعليم العربية استعمال أمثلة تحمل معاني أو تسميات بدائية من عصور غابرة ، فمن باب أولى أن يؤخذ إذا انحس في تدريس مضامين قديمة وأغفل ما هو حديث من القواعد والنظريات والاكتشافات المناسبة. من هذا المنظور تأتي الأهمية الأخرى لتعليمية "الاتساق والانسجام" وتقعيدهما وذلك من وجهين اثنين أولهما منطقي لا يحتاج إلى دليل والآخر واقعي تشهد له أقوال الباحثين، وهما :

أ- الاطلاع على الجديد: الاتساق والانسجام ينتميان إلى علم حديث النشأة يحمل في طياته مادة علمية جديدة، ومتابعة الجديد والتزوّد به في كل مجال يعدّ من متطلبات الحياة التي تجعل الإنسان يعيش عصره ، فتلك ضرورة حياتية في ذاتها. فمن المفيد إذن أن تتاح الفرصة في هذا المجال للأجيال المتعلمة ليعرفوا قواعده ويطلعوا على النظريات الحديثة فيه، فلعلهم يصيرون من رواده ويسبقون غيرهم بالجديد فيه.

ب- الحاجة الملحة: لاشك أن للعصر الحديث منتجاته الأدبية الخاصة به، وهذه المنتجات ذات الطابع المعاصر لا يمكن أبدا التعامل السليم معها إلاّ بأدوات العصر ذاته. وبقدر ما في الاتساق والانسجام من أدوات قديمة فإن فيها أيضا ما هو جديد تقتضيه منتجات العصر اللغوية والأدبية، ومن هنا تأتي الحاجة الملحة للتقعيد لهذه الأدوات وتعليمها حتى يوظفها المتعلم ويواكب بها عصره.

1- نقلا عن: خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص225.

وتتمثل المنتجات الخاصة بالعصر بشكل بارز وواضح في "الشعر الحديث" الذي تميّز بالاعتماد المكثف على التركيب الاستعاري الذي يؤدي إلى الغموض والتعقيد، مما يجعل النص يبدو لأول وهلة مفككا لا قيمة له ولكن اللجوء إلى طرق التحليل الحديثة، التي تكتشف له وسائل انسجامه، تعيد فيه الروح وتجمع شتاته في ذهن المتلقي الذي يعيش عندها المتعة الشعرية الناتجة عن "لذة القراءة الكاشفة المكتشفة" (كما عبر عنها خطابي)، هذا إذا كان المتلقي يمتلك تلك الطرق والوسائل الحديثة وإلا فإن النتيجة تكون غير ذلك. وعن هذه النتيجة وسابقتها يتحدث صلاح فضل عن موقف المتلقي فيها أمام القصيدة الحديثة التي يعمد الشاعر فيها إلى إلغاء إشارات "التحديد الموضوعي" الذي هو من وسائل الانسجام، فيقول: «أما المتلقي الذي يستقبل هذه الشفرات المشتتة فإنه يجد نفسه مدفوعا لاتخاذ أحد موقفين طبقا لدرجة وعيه بالحركة الشعرية المحدثّة. فإما أن يصدمه هذا الغياب لموضوع القصيدة ويجعله في حيرة من أمره عندما يبحث في النص عن محددات معيّنة فلا يعثر عليها، دون أن ينشط لاتخاذ خطوة أخرى في التعرف على البدائل الفنية الماثلة في النص والمكونة لتماسكه، خضوعا لما عليه أفق توقعه التقليدي المحكوم بشفرة وحيدة واضحة لموضوع التجربة، وإما أن يتعرف في هذا الغياب ذاته على السمة الرئيسية لشعرية الحداثة، مما يجعله يأنس له وينصرف إلى استكناه بقية الشفرات التخيلية والإيقاعية بحساسية منفتحة، حتى أنه إذا ما وجد نصا يقع في "التحديد الموضوعي" السافر شعر بشيء من الحرج واعتبره مقصرا عن شروط الحداثة الشعرية.»¹ ومحل الشاهد هنا هو أن المتعامل مع القصيدة الحديثة عليه أن يكون قادرا على "التعرف على البدائل الفنية الماثلة في النص والمكونة لتماسكه"، ذلك «أن التماسك النصي يمثل حجر الأساس في التحليل النصي المعاصر.»² وعليه فإن التعقيد التعليمي للتماسك (الاتساق والانسجام) وأدواته هو الكفيل بإيجاد قراء مؤهلين للتجاوب مع منتجات العصر وإلا بقي كل في وادٍ. وتؤكد هذه الحقيقة الأقوال العديدة التي تركز على دور المتلقي في إعادة إنتاج النص في إطار ما يسمى

1- فضل، صلاح، شفرات النص (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)، دار الأدب، بيروت، ط1، 1999، ص ص 165-166.

2- الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص 252.

"نظرية التلقي". فهذا د. محمد خطابي يبيّن سبب شعور المتلقي بالغربة أمام الشعر العربي الحديث وإحساسه باستحالة فهم وإدراك مقصد النص ودلالته فيقول: «يبد أن المشكلة في اعتقادنا لا تكمن في الشعر الحديث وحده، بل هي كامنة في المتلقي نفسه بهذه الدرجة أو تلك. نعني أن أطره لا تتوافق مع الخطاب الذي يواجهه لأنه يبتعد عن التقاليد الأدبية المتعارف عليها بغية تأسيس تقاليد جديدة إنتاجاً وتلقياً».¹ وهذا د. صلاح فضل يتحدث عن احتياجات القارئ العربي لمواجهة خطاب الشعر الحديث فيقول: «فهذا الخطاب يستدعي "كفاءة خاصة" لا تتوافر غالباً لدى عدد كبير ممن يطمحون لمعايشة التجارب الشعرية في مختلف أشكالها وتجلياتها الأسلوبية في القديم والحديث. ومن ثم فإن "إعادة تأهيل المتلقي" تصبح ضرورة لا غنى عنها في هذا الصدد. وإذا كانت هذه الصيغة ذات مذاق تعليمي فإنها تميل إلى نموذج خاص في التعليم الذاتي».²

فإذا كانت الفائدة الأولى من التقعيد التعليمي للاتساق والانسجام تتمثل في مجرد التأهيل الابتدائي السليم (إنشاء وفهما وتذوقاً) فحاجة العصر هنا التي تعد ضرورة لا غنى عنها هي "إعادة" التأهيل التي تؤدي إلى "كفاءة خاصة" سواء عن طريق التعليم النظامي أو الذاتي وهو ما يعتبره نفس الباحث مهراً للشعر المعاصر حيث يقول: «ومهر الشعر المعاصر هو القراءة الخلاقة، وهي درجة من الإبداع تقتضي كفاءة التلقي بإعادة تأهيل القارئ وتدريب ذائقته على معطيات الإيقاع الخفي والكثافة العالية والتشنت الدلالي الباهظ، مما لم يتعود عليه في أنماط الشعرية التقليدية، باستثناء الحالات الفائقة في مدرسة المحدثين البديعية في العصر العباسي».³

وخلاصة القول هي أن لتعليم الاتساق والانسجام وما فيهما من أدوات لمواجهة الشعر الحديث أهمية قصوى تقتضيها حاجة العصر، وإذا لم تستجب المدرسة لهذه الحاجة صحّ فيها حكم الدكتور إحسان عباس حين اعتبرها «العدو الأول للشعر العربي المعاصر»⁴ لأنها لا

1- خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص 327

2- فضل ، شفرات النص، ص 176.

3- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4- نقلاً عن: المرجع نفسه، ص 173.

تعمل على نشر آليات فهمه وتدوقه، وقضايا الاتساق والانسجام بعض هذه الآليات، بل ربما كانت بتخليها عن تعليم هذه الآليات مغررة بالمتعلمين أنفسهم حين لا تزودهم بمستلزمات مواجهة حالات هم مجبورون على مجابعتها، فيكونون حينها كالذين يخوضون البحر دون قدرة على السباحة .

3.4.4- : تطوير العربية:

من منطلق الأهمية السابقة نفسها تأتي هذه الأهمية، إلا أن السابقة تتعلق بالأشخاص كمتلقين لمنتجات العصر، وهذه تتعلق باللغة ذاتها حتى تتلاءم تلاؤماً تاماً مع عصرها فلا تبقى كالجسم الغريب في كيانه. فتطوير اللغة العربية مطلب قومي وحاجة واقعية، وما فتئت الأصوات الغيورة على هذه اللغة تنادي بذلك سواء جماعياً من خلال نشاطات المنظمات والندوات والمؤتمرات العربية أم فردياً في مؤلفات العلماء.

ومن العلماء - مثلاً - المنادين بتطوير العربية الباحث الكبير د. إبراهيم السامرائي في مؤلفه "العربية تواجه العصر" فبعد أن عرض فصلاً في العلوم اللسانية الحديثة وما أنتجته من دي سوسير إلى تشو مسكي، وبعد أن ذكر أنّ العرب القدامى قد استفادوا من منطق الإغريق ومصطلحهم العلمي في فقه اللغة ونحوها وصرفها، يقول تحت عنوان "أين العربية من هذا العلم الجديد؟": «..لقد عرضت لهذه التجربة القديمة التي مرت بالعربية لأشير إلى ما ينبغي أن يُعمل ونحن نواجه العصر الحديث وما وجد فيه من العلم اللغوي والنظر الجديد (...) أقول، كما أفاد المتقدمون شيئاً مما واجههم به العلم اليوناني لا بد أن نأخذ شيئاً يصلح في درس لغتنا وفهمها من العلم الجديد... [إلى أن يقول] ولا بد من القول أننا في هذا العصر لا بد أن نأخذ من مذاهب علماء اللغة في عصرنا ما نحن في حاجة إليه وبالقدر الذي نستطيع به أن نجعل العربية لغة سهلة التعلم سهلة المأخذ بإتباع الأساليب التربوية الحديثة والأخذ من مواد النحو بما تفرضه مادة العربية وطبيعتها ويتحتم هذا المنهج إذا عرفنا أن العربية في عصرنا هذا ما زالت في مادتها النحوية مادة قديمة.»¹

1- السامرائي، إبراهيم، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، بغداد، د. ط. ، 1982، ص 19-24.

مهما كان الجانب اللغوي الذي يدعو الكاتب إلى تطويره وأيا كانت تفاصيله، فإن المفيد من هذا القول هو الحجة على مشروعية تطوير اللغة العربية وحاجتها إلى ذلك في هذا العصر. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف يتم تطوير اللغة العربية بتعليم الاتساق والانسجام؟ والجواب العام على هذا السؤال يمكن أن يستشف من قول أحد الباحثين، وهو أن «علم اللغة النصي استقل بوصفه نظرية على يد علماء الغرب، مع التأكيد أن جذوره واضحة في ذخائر العربية، ومع كون هذه النظرية استقلت بصورة غريبة، ونماذجها غريبة، وذكرت أدوات تتفق مع اللغات الغربية فإن هناك أدوات كثيرة تتفق مع الأدوات المستعملة في اللغة العربية بل تكاد كلها أن تكون مندرجة، أو قابلة للتطبيق على اللغة العربية»¹. فإدماج هذه النظرية الغربية الجديدة وأدواتها وتطبيقها على العربية عن طريق التقعيد و التعليم جانب هام من جوانب تطوير هذه اللغة وفق مستجدات العصر.

هذا بشكل عام أما التفصيل فنظرا لحجم هذه المسألة في البحث، تكفي فيه الإشارة إلى أن من أهداف التقعيد للاتساق و الانسجام وفوائده تطوير العربية، ولكنه موضوع متشعب وحساس لا يمكن تفصيله هنا؛ حيث إن هناك دعوة صادقة للتطوير الإيجابي وأخرى مغرضة من ورائها الهدم والأهداف الاحتلالية، وهناك جانب في اللغة يتطور ذاتيا تطورا طبيعيا وجانب لا يقبل التطوير ولا التطور وجانب قابل للتطوير. وفي هذا الجانب الأخير هناك تطوير بالإضافة وتطوير بالتعديل والحذف وتطوير بالإحياء أي إعادة استعمال ما لم يكن مستعملا. وأنواع التطوير الأخيرة (الإضافة والتعديل والإحياء) هي المناسبة لتعليم الاتساق والانسجام من أوجه متعددة. ونوع "الإحياء" سيفرد كأهمية مستقلة لخصوصية فيه تذكر في العنصر الموالي.

4.4.4- : إحياء التراث:

الحقيقة المنطقية - كما سبقت الإشارة- أن هذا الهدف مرتبط بالسابق (التطوير) لأن بعث الحياة في الجزء هو نوع من تطوير الكل (مع تجاوز اختلاف وجهات النظر عند التدقيق)

1- الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص115.

ولكن فصل هذه الأهمية عن سابقتها مقصود وذلك لدفع تهمة شائعة في الأوساط التعليمية، وهي أن تدريس ظاهرتي الاتساق والانسجام وما يتعلق بهما من مفاهيم ونظريات يدخل في تغريب المنهاج التعليمي وإخضاع العربية لما ليس منها وليس مناسباً لطبيعتها بدافع التبعية للغرب والانبهار به؛ ولذا فهو انحراف عن الأصالة وليس تطويراً إيجابياً..! نعم هكذا يظن البعض في الميدان* ولكن حقيقة الأمر تختلف تماماً بدليل أن تراث علوم اللغة العربية وقرآنها زاخران بمحتويات هذه المادة وأن جهابذة هذه العلوم كانوا سباقين في طرح كثير من قضاياها ولكن ذلك لم يكن في شكل نظريات ولم يكن في إطار علم واحد يدعى "علم النص". وقد ثبتت هذه الحقيقة في ثنايا البحث، ويمكن، للتأكيد، إضافة الأقوال الآتية:

يقول د.خطابي في خاتمة عمله (لسانيات النص): «حاولنا بموازاة عرض الاقتراحات الغربية فيما يخص انسجام النص الاهتمام بالمعلومات والمعطيات المتوافرة في بعض المباحث العربية القديمة مثلاً البلاغة والنقد الأدبي والتفسير وعلوم القرآن..فقد وجدنا..مادة غنية خصبة ينبغي أن يعاد ترتيبها وتصنيفها من أجل إلحاقها(ربطها) بالمفاهيم التي اقترحها الغربيون في هذا المجال. بل كثيراً ما وجدنا أن بعض المعطيات يمكن أن تضيف أشياء كثيرة إلى المقترحات الغربية ..[ثم يذهب الباحث في ذكر أمثلة على ذلك، إلى أن يقول] ولو أننا كان أماناً متسع من الوقت لتتبع مبحث أصول الفقه لأبرزنا الغنى والخصب الذي يتميز به مفهوم العلاقات في هذا المبحث(...) ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في مبحث علوم القرآن اجتهاد السيوطي الذي يرى أن القرآن الكريم كله تنظمه علاقة الإجمال والتفصيل..الخ»¹ فهل يعقل إذن أن يعد من الانحراف عن الأصالة في العربية أمر ارتبط بالقرآن على الخصوص. وفي نداء صريح إلى إحياء التراث في هذا المجال يقول د.الفقي: «يعد الربط بين القديم والحديث منهجاً قوياً لدراسة الفكر الإنساني عامة، والفكر اللغوي خاصة، ولذا فقد قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث، على إنتاج القدماء. وفي دراسة

*- وكانت هذه الظنون تراود صاحب البحث أحياناً.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 386-387.

النص وتحليله، أكدت القراءة لتراثنا العربي، خاصة البلاغة والتفسير بل النحو كذلك، أكدت أن هناك تحليلات تقترب من التحليلات المعاصرة للنص.

وقد حث العديد من علماء اللغة المعاصرين على السعي نحو الربط بين القديم والحديث؛ وذلك بالنظر في أصول المنهج العربي، ثم دراسة هذه الأصول على ضوء المناهج الحديثة. بمعنى الاستفادة من هذه الجهود مع الجهود المعاصرة، وذلك لوضع تحليل نصي معاصر (...). "فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام - مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقهاء العربية، وأسرار تركيبها وذخائر تراثها..."¹ فلن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية...دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث، والاستفادة من الدراسات الحديثة..والإخلاص للبحوث التطبيقية..."¹ لقد تبين بلا شك، أن العمل بما في هذه الأقوال من دعوة للاستفادة من القديم وتوظيفه في التقعيد لهذا العلم وإدراجه في التعليم، فيه فائدة عظيمة للغة العربية من خلال إحياء تراثها والعمل به. وهي فائدة علمية وحضارية في الوقت ذاته، فلكل واحد أن يتصور الاعتزاز الذي يغمر المتعلم أو حتى المعلم (العربيين) وهو يقرأ ويسمع مثلاً اسم الجرجاني والسكاكي إلى جانب هاليداي وفان دايك في قواعد هذه المادة، ولا يخفى ما في ذلك من أثر إيجابي على تكوين الشخصية والثقة بالنفس في أوساط الأمة وبالذات عند الأجيال الصاعدة.*

5.4.4- التجاوب مع القرآن الكريم:

لقد تبين في أقوال عنصر الأهمية السابقة، وكما سيتبين فيما سيراد في البحث أن جلّ وسائل الانسجام (على الخصوص) المكتشفة في التراث العربي كانت من القرآن الكريم لا سيما في ما انفردت به علومه مما يسمى بعلم المناسبة وما فيها من العلاقات بين الآيات والسور. فبعد أن كانت لا تظهر أية علاقة في ذهن القارئ العادي بين بعض الآيات المتجاورة أو

1- الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص 83.

(*) - هذا التنزيل خارج عن اختصاص البحث، وإنما فرضه الدافع الحجاجي.

السور صار، بفضل وسائل الانسجام المكتشفة بينها، « القرآن كالكلمة الواحدة يفسر بعضه بعضا»¹. وعليه فإن تقعيد و تعليم هذه الوسائل سيؤدي حتما إلى التجاوب الفعال للمتعلمين مع القرآن الكريم فهما وتدبرا واقتباسا وإنتاجا لغويا وفكريا وشرعيا. وبقدر إدراك قيمة القرآن الكريم، ليست الدينية فحسب، بل اللغوية والحضارية أيضا، يمكن إدراك أهمية تعليم الاتساق والانسجام وفائدته من هذا المنظور، وهو أمر لا يحتاج إلى حشد الأقوال والأدلة لشبه بديهيته.

بهذا تجتمع أهمية التقعيد التعليمي للاتساق والانسجام في خمس فوائد تصنف صنفين: الصنف الأول: من الفوائد ما هو مبني على الدور الذي تؤديه الظاهرتان في النصية. ويحقق تعلمه فائدة تأهيل المتعلم لإنشاء وفهم وتدقيق النصوص. ويدخل في ذلك فهم القرآن وتدبره والتجاوب الفعال معه.

والصنف الثاني: يتعلق بارتباط الظاهرتين وعلمهما بالزمن حاضرا وماضيا. فبالنظر إلى الزمن الحاضر فإن علم النص حديث ومعاصر يؤدي تعليمه إلى أن يواكب المتعلم عصره كما يؤدي إلى تطوير اللغة التي يدمج فيها ويعلم بها تطويرا موافقا لمستجدات العصر العلمية. أما بالنظر إلى الزمن الماضي فإن جزءا من هذا العلم مدّخر في تراث العربية القديم الأمر الذي يجعل تعليمه إحياء لتراث هذه اللغة وبعثا للحياة في جزء منها كاد أن يندثر.

1- خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص387.

خلاصة المبحث:

القواعد هي الأسس والقوانين التي تمكن من إنتاج نص لغوي متماسك ومفهوم، والتقعيد هو عملية استخراجها وصياغتها.

والقواعد نوعان تقليدية (قديمة) و حديثة (جديدة) ، أما التقليدية فهي خاصة بكل لغة وحدها وأما الحديثة فهي كلية مشتركة بين كل اللغات الإنسانية؛ ولقواعد كلا النوعين أنماط تعرض بها تشترك في بعضها شكلا ومضمونا وتختلف في بعضها في الشكل أو في المضمون.

وعند استقصاء كيفية التقعيد اكتشف البحث أن له خمسة "أركان" لا مناص للمقعد من تناولها وهي: المرجعية والمعيار والمبادئ والإجراءات والصيغة. ويتفق التقعيد القديم مع الحديث في خطوته العريضة من خلال هذه الأركان ويختلفان في بعض الجوانب اختلافا غير جوهري، ومهما يكن فإن للتقعيد قديمه وحديثه خطوات عملية لا بد منها ، ومنها: جمع المادة وملاحظتها واستقراء ما هو مطرد منها وتقسيمه وتحديد مصطلح لكل قسم ثم صياغة القاعدة وفق النمط المناسب.

إن أهم فرق بين التقعدين القديم والحديث هو أن الأول تربوي (تعليمي) والثاني علمي (تنظيري)، ويمكن أن يستعين التربوي بالعلمي في اختيار المادة التعليمية بالاستناد إلى القواعد الألسنية، كما أن العلمي منهجه وصفي والتربوي معياري، فهم الدراسة الوصفية ملاحظة الحقائق والظواهر التي تعالجها فتقسمها وتعبّر عنها منهجيا ، أما المعيارية فهي تسن القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة.

وللتقعيد اللغوي دواع تدعو إليه، منها العامة ومنها الحضارية ومنها التعليمية. وله أهمية تعليمية ذات تأثير في الحياة ، سواء أكان تقعيذا لغويا عاما أم نصيا خاصا بموضوع البحث؛ فإذا كان عاما فإنه يمكن المتعلم من عدة قدرات منها: اكتساب المعارف وحسن التواصل والتعامل الحضاري مع بني جنسه. أما التقعيد الخاص بموضوع "الاتساق والانسجام" المنتمي إلى علم من العلوم الحديثة فإن البحث فوائده الجمة ، تتلخص في كونه يفترض فيه أنه يحقق الأهداف الخمسة الآتية:

الإسهام في تأهيل المتعلم (إنشاء وفهما وذوقا) - مواكبة العصر - تطوير العريضة -
إحياء التراث - التجاوب مع القرآن الكريم.

الفصل الثاني

المادة النظرية لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام.

المبحث الأول: أدوات الاتساق.

المطلب 1: الإحالة وأدواتها.

المطلب 2: الوصل وأدواته.

المبحث الثاني: وسائل الانسجام.

المطلب 1: في لسانيات الخطاب.

المطلب 2: في تحليل الخطاب.

المطلب 3: في الجهود العربية.

• توطئة.

يبدو أنه من الصعب التمييز العملي الدقيق بين أدوات ووسائل كل من الاتساق والانسجام ، وذلك للتداخل الموجود بينهما - كما سيتضح لاحقاً- وتظهر آثار هذه الصعوبة في أعمال الباحثين النصيين أنفسهم وتصريحاتهم بالاختلاف في ذلك أحياناً¹؛ فرغم تعريفاتهم النظرية الممايزة لكل من الاتساق والانسجام ولكن أثناء التطبيق لا يوجد فرز واضح بين أدوات كل منهما في أعمالهم - في المراجع التي اعتمدها البحث على الأقل - لدرجة أن هناك من تحاشى ذلك، وأطلق عليهما اسماً واحداً ، كما ذكر سابقاً.²

فهذا على سبيل المثال محمد خطابي الذي يفرق طيلة تحليلاته بين الاتساق والانسجام ولكنه في جرده لأدواتهما ووسائلهما لم يميّز بينها بل صنفها على أساس المستويات التالية: النحوي، المعجمي، الدلالي، التداولي..³

ومع الصعوبة المذكورة فسيعمل البحث في ما يأتي على محاولة التمييز والفرز بين أدوات الاتساق ووسائل الانسجام كلّ على حدة، وذلك للسببين التعليمي والعلمي كليهما المذكورين سابقاً حيث برّر بهما الفصل بين الظاهرتين.

وسيُبنى التفريق بين هذه الأدوات والوسائل على أساس ما جاء في التعريفات السابقة الذي مفاده أن الاتساق شكلي ينتمي إلى البنية السطحية للنص وأن الانسجام معنوي دلالي ينتمي إلى البنية العميقة للنص.

ولعله من المفيد، عرض بعض الأقوال الأخرى التي تصب في الاتجاه نفسه، للتذكير بخصائص كل من الاتساق والانسجام وتأكيد أهمية الفصل بينهما ومن ثمّ بين أدواتهما. جاء في مقدمة أحد المراجع تعريف للاتساق وآخر للانسجام تبرز فيهما الخصائص المذكورة. يقول التعريف الأول عن الاتساق :

1- ينظر: بحيري، علم لغة النص، ص 132 .

2- ينظر البحث، ص 28 وما بعدها.

3- ينظر: خطابي، لسانيات النص ، ص ص 209-211 .

«.. وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة»¹.

ويقول التعريف الثاني عن الانسجام : « وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية ومنها معرفة ككيفية تنظيم الحوادث...»².

ووردت في مرجع آخر مجموعة من الأقوال المميزة بين الاتساق والانسجام على النحو الآتي :

« ذكر Beaugrande (1979 ، 490) أنه من المفيد أن نميّز بين الاتساق *cohésion* باعتباره نصية قائمة على الصياغة، والانسجام *coherence* باعتباره نصية قائمة على نقل المعلومات *information* فإذا استقام هذا الفصل بين المجالين أمكن حسب رأيه أن يعتبر الاتساق من مظاهر النحوية والانسجام من مظاهر المقبولية.

ودراسة الاتساق هي بالأساس دراسة علامات تحقق الانسجام وقرائنه المتحققة باللفظ. ويمكن ألا يعتمد الانسجام إلا على عدد قليل من القرائن اللفظية بل إنه قد يتحقق دون توقّر أي قرينة من القرائن التي تعتبر منها كالضمائر والتسمية الإشارية والمطابقة بين الأفعال في الزمان والجهة . وقد صرّح Hendricks (1973 ، 60) بأن عددًا كبيرًا من مظاهر البنية النصية ليس لها ما يقابلها في الصيغ اللغوية ، فتعتبر تلك الظواهر بناء تأويليا لا بنية لغوية (Genot 1984 ، 89) وإلى نفس الخاصية أشار virrer (1979 ، 126-127) فظهور أدوات الربط حسبه ليس ضروريا لانسجام النص (Genot 1984 ، 89)»³.

وبناء على ما سبق ذكره من خصائص تكون أدوات الاتساق ووسائل الانسجام كالاتي :

1- أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1999 م، ص 11 .

2- المرجع نفسه، ص.ن

3- الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 108-109 .

المبحث الأول: أدوات الاتساق .

• **تمهيد:** تسمى المظاهر التي تحقق الاتساق " أدوات " على أساس أنها شكلية ظاهرة في صورة حرف أو أي لفظ آخر، وهذا ما سينبني عليه انتقاؤها، وقد وردت هذه الأدوات في مراجع مختلفة بتصنيفات متشابهة أشهرها التصنيف الوارد عن هاليداي ورقية حسن واعتمده العديد من الباحثين وهي كون أدوات الاتساق تنتمي إلى الأصناف الموالية¹ ويدخل تحت كل صنف عدة أدوات :

- الإحالة Reference - الاستبدال Substitution - الحذف Ellipsis - الوصل Conjunction - الاتساق المعجمي Lexical cohesion .

ولكن البحث تماشياً مع هدفه التعليمي، الذي يقتضي التبسيط والبعد عن كثرة التفريعات، سوف لن يعتمد التصنيف السابق بل سيعتمد تقسيم كل أدوات الاتساق على قسمين اثنين فقط هما :

أ - أدوات الإحالة

ب - أدوات الوصل

ذلك أن أدوات الاتساق كلّها - مهما كان تصنيفها السابق - لا تخرج عن أن تكون إمّا ذات طابع إحالي وكل عنصر منها «لا تفرض عليه الخطية في الكلام اتجاهاً واحداً»² بل يعود بالمتلقي إلى كلام غير الذي هو فيه يبحث عنه في موضع آخر، أو تكون أدوات وصل تربط بين طرفي الكلام، في اتجاه واحد السابق لها واللاحق .

ولقد تمّ هذا التقسيم استئناساً بما قام به د. الأزهر الزناد في عمله " نسيج النص "، ولكن دون اعتماد تفاصيل منهجية الكتاب ذاتها، حيث جمع كل أدوات التماسك بنوعيه في ثلاثة أنواع لا غير وهي " تركيبية (روابط) و زمانية و إحالية"³ .

1- ينظر: خطابي ، لسانيات النص، ص 16 وما بعدها .

ب: النص والخطاب والاتصال، ص 92 .

2- الزناد، الأزهر، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت+الدار البيضاء(المغرب)، د.ط، 1991، ص171.

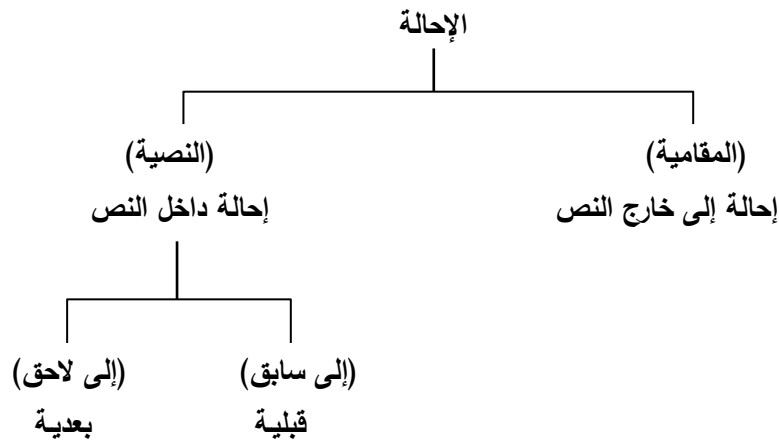
3- المرجع نفسه، ويظهر ذلك في تفاصيله ويلخص في خاتمته العامة .

وفيما يتعلق " بأدوات الإحالة " خاصة التي يصنفها بعض الباحثين مستقلة عن الإحالة ، فسيكون تبرير طابعها الإحالي حاضراً في كل حالة حتى لا يكون التصنيف بعيداً عن الدقة العلمية .

1- الإحالة وأدواتها:

1.1- تعريف الإحالة : تتكون الإحالة من طرفين يسمى أحدهما المُحيل Référent أو العنصر الإحالي والآخر المحال عليه Référé أو المرجع أو العنصر الإشاري، والذي يهّم البحث هنا هو العناصر الإحالية، فهي التي تتبثق منها أدوات الاتساق الإحالية وبتعريفها يتّضح مفهوم الإحالة .

« تطلق تسمية العناصر الإحالية Anaphores على قسم من الألفاظ لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب »¹ والإحالة عدة أنواع² أهمها ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن وتناقلته عنهما مراجع عديدة حيث جاء في أحدها : « تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين : الإحالة المقامية والإحالة النصية. وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية، وقد وضع الباحثان رسماً يوضح هذا التقسيم نسوقه أسفله :



«³.

1- الزناد ، نسيج النص، ص 118 .

2- البحث غير متخصص في الإحالة ، فلا يمكن له أن يتطرق إلى كل هذه الأنواع التفصيلية في معظمها، ولكنه يكتفي بما هو بارز وواقع عليه شبه إجماع. ينظر مثلاً : مدخل علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسيسلاف واورز نياك، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 1424 هـ 2003م، ص 123 وما بعدها.

3- ينظر: خطابي ، لسانيات النص، ص 17.

2.1- أنواع الإحالة:

ولقد تعرضت مختلف المراجع إلى تعريف أنواع الإحالة هذه وتوضيحها وضربت لها أمثلة وهو ما يمكن تلخيصه كما يلي:¹

1.2.1- الإحالة النصية²: أو الداخلية (Endophora) وهي إحالة العناصر اللغوية

الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة وتنقسم إلى القسمين المواليين:

أ- الإحالة القبلية أو الإحالة إلى السابق أو بالعودة (Anaphora) وتمثل أكثر أنواع الإحالة دَوْرانا في الكلام، وهي استعمال كلمة أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة، على سبيل المثال « محمد ركب الدراجة لكن عليًا لم يركبها » فالضمير "ها" يشير رجوعًا إلى " الدراجة " وبهذا أُبدل الاسم بالضمير ومن الممكن أن يكون هذا النوع من الإحالة بتكرار كلمة أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين وتسمى عندئذ الإحالة التكرارية (Epanaphora)³

ب- الإحالة البعيدة أو الإحالة إلى اللاحق (Cataphora) وهي على عكس المصطلح السابق، استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقًا في النص أو المحادثة، ومن ذلك ضمير الشأن ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص1) أو غيره من قبيل:

- « من الجزائر نقدّم إليكم نشرة الظهيرة للأنباء ، وهذا موجزها...»

- « صرّح ناطق باسم مجلس الوزراء فقال، ما يلي...»

1- ينظر : أ - الزناد ، نسيج النص، ص ص 118 - 119 .

ب - الفقي ، علم اللغة النصي، ج1 ، ص ص 38 - 41

(تعددت المراجع الشارحة لهذه المصطلحات ولكن هذا التلخيص مأخوذ حصريا من المرجعين المذكورين أعلاه مع شيء من الدمج والتصرف التعبيري).

2- هذه التسمية لمحمد خطابي، وقد جعلها الأزهر الزناد خاصة بنوع آخر من الإحالة غير الإحالة " داخل النص"، يراه كذلك نوعاً رئيسياً، ولكنه نوع غير متداول في عامة المراجع وعليه فإن التطرق إليه ليس من اهتمام البحث كما سبقت الإشارة.

3- التكرار أو التكرير نوع من الأدوات الإحالية سيشرح لاحقاً.

حيث يحيل الضمير " هو " في الآية الكريمة إلى لفظ الجلالة " الله " بعد ، ويحيل المركبان المسطران في المثالين الآخرين على نص لاحق عليهما .

2.2.1- الإحالة المقامية¹: أو الإحالة إلى ما هو خارج النص أو خارج اللغة (Exophora) وهو يقابل مصطلح (Endophora)، وهي إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم أو يشير إلى أي كائن أو مرجع موجود في المقام خارج النص مستقل بذاته. ومهما تعددت الإحالة فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع أي: « وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المُحيل والعنصر المحال إليه »²، ومن أبرز هذه الخصائص الجنس والعدد كما هو معروف في النحو العربي.

«وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين [هاليداي ورقية حسن]: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة»³ إلا أن طبيعة العناصر الإحالية في مفهومها العام توحى بأن الأمر أوسع من ذلك إذ أن « العنصر الإحالي هو كل مكوّن يحتاج فهمه إلى مكوّن آخر يفسره »⁴.

وهذا ما يظهر تطبيقاً في فصل "البنية الإحالية في النصوص" عند الأزهر الزناد⁵، حيث يتطرق إلى أسماء الإشارة وإلى التوابع والحذف وكذلك الشأن بالنسبة لباحثين آخرين منهم : صبحي إبراهيم الفقي الذي يذكر من وسائل الإحالة « التكرار والتوابع والحذف »⁶، وهو ما

1- يرى هاليداي وحسن أن الإحالة المقامية لا دور لها في بناء اتساق النص (ينظر: أصول تحليل الخطاب ، محمد الشاوش ، ص 125) ويشكك بروان في التمييز بين الإحالة خارج النص والإحالة داخله، ينظر مرجعهما تحليل الخطاب، لا سيما ص ص 238 وما بعدها .

2- خطابي ، لسانيات النص، ص 17 .

3- المرجع نفسه، ص.ن

4- الزناد، نسيج النص، ص 131 .

5- المرجع نفسه، ص 115. وما بعدها.

6- ينظر: الفقي ، علم اللغة النصي، ج1، ص 39 .

يعمل به في دراسته نظريا وتطبيقيا ويثبت في الخاتمة أنه أضاف جديداً في هذا المجال بالذات حيث يقول : « .. أضافت الدراسة النعت والتوكيد إلى وسائل التماسك .. »¹.
ويمكن دور الإحالة في الاتساق في كون العنصر المحيل يفرض الرجوع إلى الكلام الذي يوجد فيه العنصر المحال إليه وبفقدان هذا العنصر أو ذاك يفقد الكلام تماسكه وبالتالي معناه، وهذا ما سيحاول البحث فيما يلي توضيحه من خلال العناصر الإحالية المختلفة وعرضها بالمختصر المفيد من حيث هي أدوات لاتساق النصوص .

3.1- الأدوات الإحالية:

1.3.1- الضمائر: المقصود بالضمائر هنا - كما هو عند النحاة العرب - " الوحدات الدالة على الشخص " * لا غير، بخلاف ما يقصده بعض الباحثين من أن "الضمير" يدل إضافة إلى ما سبق على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، التي سيتطرق البحث إلى كل منها منفردة. « وتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب (أي حسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ أو عدم مشاركتهم فيها) إلى فرعين كبيرين متقابلين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب؛ ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل ؛ وكل مجموعة منها تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة، أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد.² ومن جهة أخرى « تنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، هو، هم، هن، الخ³ وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك كتابهم، كتابة، كتابنا... الخ⁴ » ولقد « أكد علماء النص أن للضمير أهمية في كونه " يحيل

1- المرجع نفسه. ج2، ص 250 .

*- اللفظ للزناد في نسيج النص ، ص 117.

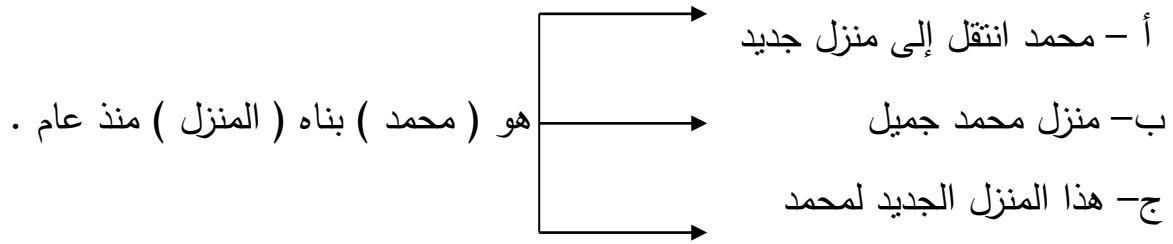
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- الضمائر الوجودية المذكورة في المثال هي المنفصلة ومثلها ما يدل عليها من الضمائر المتصلة مثل : "تاء " الفاعل و "تا" المتكلمين و " واو " الجماعة و "نون" النسوة... الخ ، وقد يكون الضمير مستترا كما هو معلوم .

* - ضمائر الملكية في العربية متصلة بالملوك ، كما في الأمثلة المذكورة (كتابي ..) أما في غيرها فيمكن أن تستغني عنه مثل ما في الإنجليزية mine – yours وفي الفرنسية mien-tien... الخ، فلفظها وحده يدل على المالك والملوك معا .

4 - خطابي، لسانيات النص، ص 18 .

إلى عناصر سبق ذكرها في النص" ¹ « فالضمائر مع غيرها من الوسائل تكون نسيجاً نصياً عالياً .. » ². وعليه « تعدّ الضمائر (...) أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة (...) ونظراً لفراغها من " محتوى " فقد أصبحت الضمائر الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسيرها » ³. ولتأكيد أهمية الضمير في الإحالة ، ومن ثم دوره في تحقيق التماسك « نلاحظ المثال :



فالضمير (هو) في الجملة الرابعة يعود إلى " محمد" المذكور في الجمل الثلاث الأولى، و "الهاء" المتصلة بالفعل " بناه" في الجملة الرابعة تعود على المنزل المذكور في هذه الجمل الثلاث (...) فمرجعية هذين الضميرين حققت التماسك بين هذه الجمل الأربع... ⁴. وهذا يعني أن الجملة الرابعة بدون الضميرين لا صلة لها بما سبقها وبالتالي فلا معنى لها . ومن الأمثلة المؤكدة لذلك ما يقول به النحو العربي من ضرورة وجود رابط يربط بين الجملة الواقعة تابعاً ومتبوعها، ومنها بين المبتدأ والخبر، فمن أهم هذه الروابط وهو أصلها . كما يقول النحاة . الضمير، في مثل « زيد يذهب غلامه، وزيد أبوه كريم.. ولو قلت : زيد قام عمر، لم يجز » ⁵ وإذا كان المثالان السابقان عن الإحالة القبلية داخل النص فإن من أمثلة الإحالة البعيدة في النحو العربي ما يُوجد عند ابن هشام - مثلاً - حيث يتحدث عن "المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظاً ورتبة " ومنها أن يكون الضمير متصلاً

1- نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 161 .

2- نقلا عن المرجع نفسه، ج1، ص 162 .

3- براون، جيليان و بول، جورج، تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 256 .

4- نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، ج1 ص 163 .

5- المبرد، المقتضب، 128/4، نقلا عن المرجع السابق ، ص 142 .

بفاعل مقدم ومفسره مفعول مؤخر " كضرب غُلامُهُ زيدًا "، أو أن يكون مبدلاً منه يفسره اسم ظاهر " كضربته زيدًا " أو يكون ضمير شأن كما سبق ذكره¹.

ومن الملاحظ أن الإحالة البعدية صارت تستعمل بكثرة في عناوين الجرائد لأنها تمكن من الربط بين عنوانين طويلين ، وكون الاسم المضمّر يذكر في الأول منهما يدفع القارئ لمواصلة قراءة العنوان الثاني وأمثلة ذلك كثيرة ومعتادة في الجرائد اليومية وهي ترد على الصيغة الافتراضية الآتية: " في خطاب له ألقاه بمناسبة عيد العلم

رئيس الجمهورية يعلن عن إجراءات عملية لتطبيق قانون استعمال اللغة العربية."

أما الإحالة إلى خارج النص فهي مرتبطة بالسياق² فكل ضمير يأتي في النص يدل على مَنْ/ما لم يذكر فيه، فهو من هذا القبيل .

وإذا كانت الإحالة الداخلية تربط بين كلمات النص ومختلف أجزائه فإن الإحالة الخارجية تربط بين النص والبيئة المحيطة به، ومن خلال معرفته لهذه البيئة (معرفة العالم) يستطيع الملتقي إزالة إبهام الضمير، وبالتالي يفهم النص، ولذا ففي تفسير القرآن الكريم «أسهمت مناسبات النزول في حل شفرة غموض الضمائر في مرجعيتها»³.

وجدير بالذكر أن كل المراجع تشير إلى أن ضمائر المتكلم والمخاطب، في أغلب الأحوال، ذات إحالة خارجية لكونها تحيل على الشخص المتكلم والشخص الملتقي في الغالب وكل منها ذات موجودة في العالم الخارجي للنص، إلا أن تكون هذه الضمائر في خطاب منقول مباشر مثلاً⁴.

وعليه فعلى سبيل المثال: كل الآيات القرآنية التي يخاطب الله تعالى بها نبيه تكون إحالة ضميري المتكلم والمخاطب فيها خارجية، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا

1- ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، القاهرة د.ط. ، د.ت، ج 2 ، ص 148 .

2- الحديث عن السياق يأتي لاحقاً ضمن أدوات الانسجام.

3- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 195 .

4- ومن أمثلة الخطاب المنقول المباشر : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لِمَ نَجِّنِي وَإِذَا نَحْنُ مُجْرِمُونَ ﴾ (الكهف : 34) فمن الواضح أن إحالة " أنا " و "الكاف" داخلية هنا حيث "أنا" يعود على صاحب القول " صاحبه " و " الكاف " على المخاطب المذكور في الآيات السابقة. ويمكن أن يبسط هذا في المثال الآتي : قال محمد لسعيد: أنا أكبر منك سناً. فـ " أنا " يعود على "محمد" و "الكاف" يعود على " سعيد " ، وقد أشار محمد خطابي في مرجعه المذكور سابقاً إلى هذا المعنى دون تمثيل في ص 18.

وَنَذِيرًا﴿ (الفرقان 56) ولكن هذا لا يعني أن ضمائر الغائب لا تكون إحالتها خارجية، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص 51) بالرجوع إلى أسباب النزول للسيوطي أو الواحدي يتضح أن ضمير الغائب يعود على أسماء غير مذكورة في النص¹. وكذلك الشأن في الآيات التي هي من قبيل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ (الكهف 83) فالذين يسألون غير مذكورين في النص .

وخلاصة ما في الأمثلة السابقة كلها مفادها أن بغياب الضمائر فيها يتفكك الكلام ويغيب المعنى المقصود ، مما يدل على أن الضمير أداة اتساق هامة في النصوص و« يصدق كل ما قيل عن الضمائر المحيلة إلى الشخص على ضمائر الملكية ، ما خلا كون هذه الأخيرة مزدوجة الإحالة أي أنها تتطلب محالين اثنين: مالكا ومملوكا »²

2.3.1- أسماء الإشارة:

وهي في النحو العربي " هذا وصواحبها " كما يسميها سيبويه³، وتصنف - كما هو معلوم - حسب النوع والعدد والقرب والبعد، والزمان والمكان لا سيما أن منها أيضا : هنا وهناك وثم...⁴

ولكن المراجع الأجنبية تضيف إليها الظروف الزمانية مثل: الآن وغداً والظروف الدالة على الاتجاه.. و"ال" التعريف أو ما يقابلها في لغات أخرى مثل the في الانجليزية و la و le في الفرنسية.⁵

وتختلف أسماء الإشارة عن الضمائر في جوانب وتتفق معها في جوانب أخرى « فإذا كانت الضمائر تحدّد مشاركة الشخص في التواصل أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة (أسماء

1- ينظر: الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 211 .

2- خطابي، لسانيات النص، ص 18 .

*- مع اختلاف ضمائر الملكية بين العربية ولغات أخرى كالانجليزية والفرنسية ، وقد أشار البحث إلى هذا في هامش ص35، ونبه إليه خطابي في المرجع أعلاه، ص 18.

3- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1416، 3هـ-1996م، ج2، ص 80 .

4- تفاصيلها في كتب النحو كالتي تشرح ألفية ابن مالك .

5- ينظر: خطابي، لسانيات النص، ص 19 .

الإشارة المكانية و الزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه) تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تمامًا مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه ¹ وعن دورها في الإحالة ومن ثم في الاتساق يشير محمد خطابي إلى: « أن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدى، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءًا لا حقا بجزء سابق ومن ثم تساهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان [هاليداي ورقية حسن] " الإحالة الموسعة " أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل»².

ويؤكد صبحي الفقي هذا الدور لأسماء الإشارة إلا أنه يفرق في سعة المدى بين " هذا " و " ذلك " في اللغة العربية فيقول وهو يطبق على القرآن الكريم: « أما بالنسبة للإشارة فإنها تقوم غالبا بالدور نفسه الذي تقوم به الضمائر الشخصية غير أن " هذا " لا يتعدى إشارته الآية الواحدة في الغالب، أما " ذلك " فإن " ذا " يتعدى الجملة الواحدة إلى الربط بين أكثر من جملة، مثل: ﴿ ذَلِكْ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام 88) (...)³ فإشارة " ذا " إلى " الهدى " المذكورة في الآيات السابقة، فمرجعيتها سابقة، وربطت بين الآيات : 80-82-84-87-88، وهذه من وظائف الضمير ؛ ف " ذا " أشار إلى ما سبق كله..⁴

ومن أمثلة الدور الذي يؤديه اسم الإشارة ما جاء في قواعد النحو العربي عن الجمل التي تحتاج إلى روابط ومنها روابط الجملة الخبرية بالمبتدأ، فبعد الضمير (المذكور سابقا) يذكر ابن هشام الإشارة، ويضرب لها أمثلة منها قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف 26) وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (الأعراف 36)⁵.

1- الزناد، نسيج النص، ص ص 117 و 118 .

2- خطابي، لسانيات النص، ص 19 .

3- في هذا الحذف، ذكر الآيات 80-82-84-87 - الواردة قبل الآية المذكورة .

4- الفقي، علم اللغة النصي، ص 196 .

5- ينظر: ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعريب، ج 2، ص 159 .

ومن الواضح أن اسم الإشارة في كلا الآيتين (ذلك و أولئك) يعود على المبتدأ وأن حذفه يفكك الكلام ويذهب بمعناه وأن تعويضه بضمير شخصي (في غير القرآن) يحفظ للكلام تماسكه ومعناه، مما يدل على الدور نفسه الذي يقوم به كل من اسم الإشارة والضمير الشخصي، الأمر الذي يسمح للبحث أن يستغني عن تنويع الأمثلة وكثرتها بما جاء منها عن الضمير سابقا، ويكتفي فقط بالنماذج الآتية المأخوذة من أحد المراجع¹ التي تدمج بين الإشارات والضمائر الشخصية في الإحالة وتسميها كلها ضمائر:

- أتعرف هانز؟ هذا أفضل صديق لي .
- يسكن هانز في برلين هناك يدرس الطب .
- كان هانز في سنة 1970 في هامبورج ، آنذاك عرفته .
- سافر هانز بنا بسيارة. لذلك (= لأن هانز سافر بنا بسيارة) كنا في البيت حوالي الساعة الثامنة.

- ألقى خطابا ، فيه (في ذلك الخطاب) ذكر أستاذه .

وهناك مسألة لا بد من توضيحها والتمثيل لها وهي القيمة الإحالية للأداة التعريفية " ال (the) التي عدّها النصيون من الإشارة المحايدة أي العامة في مقابل الأسماء الانتقائية أي الخاص كل منها بصنف معين مثل (this) " هذا " للقريب و (that) " ذلك " للبعيد.. مع أن " ال " في النحو العربي غير مصنفة ضمن الإشارات*، ولكن بعض البحوث النصية العربية تدرجها مع الاسم القرين لها ضمن ما تسميه " الإحالة المعجمية " . ومهما يكن التصنيف فإن المهم هنا هو إثبات القيمة الإحالية لهذه الأداة . ومن أجل ذلك يمكن اقتطاف أهم ما جاء في أحد البحوث الجامعية إذ يقول : « سنعتمد ... على مثالين ناتجين

1- برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ترجمة وتعليق، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 1425 هـ. 2005 م، ص45 .

* ولكنها قد تكون اسم موصول بشروط معينة، يقول ابن هشام في " شرح قطر الندى " ص 142 : « وإنما تكون " ال " موصولة بشرط أن تكون داخلية على وصف صريح ، لغير تفضيل ، وهو ثلاثة : اسم فاعل كالضارب ، واسم المفعول كالمضروب ، والصفة المشبهة كالحسن ؛ فإذا دخلت على اسم جامد كالرجل ، أو على وصف يشبه الأسماء الجامدة كالصاحب ، أو على وصف التفضيل كالأفضل والأعلى ؛ فهي حرف تعريف ».

عن انتقال من س+ن وتكون البنية العائدية [أي الإحالية] في الأول ال+س وفي الثاني (ش+ال) س+ (حيث س=اسم - ش = إشاري - ن=نكرة).

349 - .. وإذا بخادم لنا دخلت تحمل هذه الكراسة ، فسحبت بيدي الكراسة وأنا أقول للخادم: أين وجدت هذا .

350- وقعت في يدي رسالة من فتاة ... إن هذه الفتاة سارت إلى غايتها قدماً .
نحاول أن نجري تبديلاً في المثالين بإضافة إشاري إلى المثال الأول وحذف الإشاري من المثال الثاني . فوحدة الخادم (ال+س) تحيل على خادم (س+ن) (...) وهو ما يفسر القيمة الإحالية لـ"ال". ووحدة هذه الفتاة (ش+ال+س) تحيل على الفتاة (س+ن) وحذف الإشاري من هذه الفتاة لا يفقد البنية قيمتها العائدية. فلو أصبح المثال :

350- "وقعت في يديه رسالة من فتاة ... إن الفتاة سارت إلى غايتها قدماً" . لبقيت الفتاة تحيل على فتاة مما يدلّ على أن الإشاري لا يمثل قيمة عائديه في البنية (ش+ال+س) «¹.
ثم يواصل التحليل ليثبت الإشاري "هذه" هنا جاء فقط ليحمل الدلالة المسافية للإشارة .. ولكن المهم في هذا كله هو أن حذف الإشاري "لا يفقد البنية قيمتها العائدية" مما يدل على أن (ال) وحدها كافية لتحقيق هذه القيمة.

وكما اتضح في المثال الأول (349) فإن مجرد ذكر "الخادم" بالتعريف يجعل المتلقي يدرك أنه على عهد بهذا الاسم بذكر سابق فيبحث عنه ليعود إليه حتى يفهم الكلام. وبهذا المعنى تسمى "ال" في النحو العربي "ال" العهدية، ويضرب لها ابن هشام مثلاً بقوله: «اشتريت فرساً ثم بعت الفرس" أي: بعت الفرس المذكور، ولو قلت "ثم بعت فرساً" لكان غير الفرس الأول»². وذلك ما يوحي بإمكانية استنتاج قاعدة منطقية تبين دور "ال" في الإحالة ومن ثم في الاتساق وهي: "حيثما وجد اسم معرف بـ"ال" (العهدية) فلا بد أنه قد سبقت معرفته أو ذكره داخل النص أو خارجه، وإلا غاب الاتساق"، وهذا ما يقصده علماء النص في عموم

1- ابن عروس، مفتاح، الاتساق النصي: دراسة لظاهرة العائد في العربية ، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة، إشراف: الدكتور الحواس مسعودي، جامعة الجزائر سنة 97/96 ، رقم 1997/70013، ص ص 202-203 .

2- ابن هشام، أبي محمد عبد الله جمال الدين، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط13، د.ت، ص156.

اللغات حين يتحدثون عن ضرورة تعريف العنصر الإحالي عند الإعادة (أي: التكرير وهو ما سيعرض لا حقا) ولا بأس هنا بتأكيد هذا بالقول الموالي لكلاوس بر ينكر « وعند إعادة صاحب الإحالة من خلال الاسم نفسه (مثلا الرجل..) أو من خلال اسم آخر [مرادف].. تحمل الإعادة السمة "معرفة".. وهو ما يرتبط بالاختيار الملزم لأداة المعرفة ... الأسماء لا تتحد إذن بوجه عام إلا بأنها أوجه إعادة لغوية ،حين تحمل السمة "معرفة" أي إما أن تكون أعلاما أو يكون معها أداة التعريف أو الصيغ المطابقة لها... ويمكن أن يتضح ذلك بالاختيار المضاد، حين نحل.. محل الأداة المعرفة الأداة النكرة، فنلاحظ أن ورود(رجل) لم يعد يرجع إلى الشخص ذاته، وهكذا لم تعد توجد مطابقة إحالية ،فحينما يكون الكلام من شخصين مختلفين على نحو عشوائي فإن النص حينئذ يبدو غير متماسك»¹.

3.3.1- الأسماء الموصولة: الأسماء الموصولة من المبهمات بمعنى أنها تحمل خاصية العناصر الإحالية بحيث " لا تملك دلالة مستقلة" وهي في العربية - كما يوجد في كتب النحو- نوعان: نوع عام أو مشترك وأشهر ما فيه: "مَنْ" و "ما"، ونوع خاص، يصنف حسب النوع والعدد، مفردة المذكر "الذي" والمؤنث "التي" ثم يثنى ويجمع كل منهما بما هو معروف² أما دور هذه الأسماء الاتساق فيمكن في أنها تحيل إلى الاسم الذي يوضحها ويزيل إبهامها، شأنها في ذلك شأن الضمائر وأسماء الإشارة السابقة الذكر لدرجة أنه قلّ ما يوجد في المراجع النصية مباحث مستقلة خاصة بالموصولات، بل هي مدرجة ضمن الضمائر وتسمى الضمائر الموصولة. ويصرح أحد الباحثين بهذا ثم يبين وظيفة اسم الموصول بالذات فيقول: «الضمائر التي نعنيها في بحثنا ليست ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب، بل تشمل كذلك ضمائر الإشارة وضمائر الموصول، إذ تقوم الإشارة و الموصولات بنفس وظيفة الضمائر من حيث الإشارة المرجعية والربط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النص وكذا الموصول في مثل: رأيت الرجل الذي تحدث عنه الناس. فـ "الذي" يشير أو

1- برينكر، التحليل اللغوي للنص ، ص ص 40،41 .

2- ينظر مثلاً : أ- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، دت ، ج1، ص 137 وما بعدها .

ب- شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص139 وما بعدها.

يرجع إلى الرجل مرجعية قبلية، ومع ذلك يرتبط بما بعده عن طريق الضمير الواجب وجوده في جملة الصلة»¹ وبالإضافة إلى هذه الخاصية لاسم الموصول والمتمثلة في المرجعية المزدوجة المدعمة بضمير صلة الموصول، تتميز الموصولات أيضا «بأن دورها في التماسك النصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة»² أي بقصر المدى الإحالي، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون لها مرجعية خارجية في مثل قوله تعالى :

﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ.. ﴾ (الأنعام 16)

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا.. ﴾ (الأنعام 31)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك 01).

فاسم الموصول "من" في الآية الأولى يعود على المؤمن الذي يصرف عنه العذاب وهو غير مذكور. و"ما" في الآية الثانية تعود على الأعمال التي فرط فيها المتحسرون وهي خارج النص. وكذلك "الذي" في الآية الثالثة تعود على اسم الجلالة ولم يرد في السورة لا قبل ولا بعد، فكلها أمثلة عن إحالة اسم الموصولة إلى خارج النص.

4.3.1- المقارنة:

وهي تعني التشبيه والتفضيل وكلاهما – كما هو معلوم في البلاغة والنحو- يحتاج إلى طرفين وهما المشبه والمشبه به أو المفضل و المفضول. « فالشيء الواحد لا يمكن أن يكون "مثل" فقط بل يجب أن يكون مثل شيء آخر³ وبالتالي فإن المقارنة ضرب من الإحالة إلى جانب الإشارة والإضمار»⁴.

وقد ذكر هاليداي ورقية حسن «أن نفس المبادئ التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل في المقارنة أيضا، فتكون ذات إحالة مقالیه قبلية وتكون ذات إحالة مقالیه بعدية وبالتالي تسهم في الاتساق كما تكون ذات إحالة مقامیه.. وترجع المقارنة حسبهما إلى اتحاد الهوية⁵

1- الفقي ، علم اللغة النصي، ج1، ص 198 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

3- ومنطقيا لا يمكن كذلك أن يكون (أفضل) فقط بل يجب أن يكون أفضل من شيء آخر سواء ذكر أم لم يذكر .

4- الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، ص129.

5- يسميها محمد خطابي " التتابع " ينظر لسانيات النص، ص 88.

(نفسه) أو المشابهة(مثله) أو الاختلاف (مخالف له)¹ و الجدير بالذكر «أن بنية المقارنة الصريحة تشبيها أو تفضيلا لا تتجاوز بنية الجملة الواحدة كما في المثالين [المواليين] (1) (2). فإذا غاب منها أحد الطرفين بحثنا عنه في المقام كما في المثال (3) أو في سابق المقال كما في المثال (4) حيث يطلب المفضل عليه في الجملة الثانية (هو أطول) من الجملة السابقة بتقدير (مني):

(1) أنا أطول من فلان.

(2) زيد كالبدري.

(3) هو أطول.

(4) أنا طويل وهو أطول.

والطريف أننا نلاحظ أن ظاهرة المقارنة تشبه في هذه الخاصية ظاهرة التشبيه فهو لا يجري إلا في حدود الجملة الواحدة ، فإذا انتشر وتجاوز حدود الجملة كان من باب التشبيه الضمني*² إن الأمثلة المذكورة سابقا صالحة أيضا لتوضح الدور الإحالي للمقارنة، وهي إحالات داخلية قبلية حيث إن صيغة "أفعل" التفضيل (أطول) تربط ما بعدها بما قبلها من خلال توضيح المبهم بما يفسره ليكتمل المعنى. وكذلك تفعل أداة التشبيه (ك) وغيرها من أدوات التشبيه، سواء أكانت: حرفا نحو "كأن" أم اسما نحو "مثل" أم فعلا نحو. يشبه... الخ وينقل الباحث ذاته³ أمثلة أخرى نقلا عن هاليداي ورقيه حسن لتوضيح الإحالة البعدية ثم الإحالة المقامية الخارجية للمقارنة . حيث يمثلان للإحالة الداخلية البعدية بـ:

5- He's a better man than I am .

6- The little dog barked as nosely as the big one.

[وترجمتها :

5 - هو رجل أفضل مني .

1- نقلا عن أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الصفحة نفسها.

* - التشبيه الضمني الرابط فيه معنوي وليس شكليا ولذلك يصنفه البحث في الانسجام كما سيأتي.

2- الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص 131 .

3 المرجع نفسه، ص 129 .

6 - الكلب الصغير نبح مثل الكلب الكبير.]

أما الإحالة المقامية فيمثلان عنها بمثال الصياد يحدث عن حجم السمكة التي اصطداها فيقول: "هي أكبر من..." ويشير إلى ذراعه مثلا"، أو الحلاق يقول للزبون: "هل تريد أن يكون ماء أبرد..." أي أبرد من هذا الذي أستعمله في حين أنه لم يذكر "هذا الماء" في كلامه كما أن الصياد لم يذكر "الذارع" فتكون بذلك المقارنة قد تمت بما هو خارج النص .

5.3.1- التتابع الواصفة والمؤكد:

التتابع الواصفة والمؤكد ذات طبيعة إحالية، لأنها تعتمد على المرجعية في إنشاء التماسك النصي ، وهي على الخصوص : النعت والتوكيد و البديل... وهذا عكس علاقة العطف التي تكتفي بكونها جامعة فقط بين المعطوف و المعطوف عليه ، والعطف أداة اتساق من التتابع ولكنه على هذا الأساس خارج أدوات الإحالة.

إن المراجع التي تناولت عنصر التتابع كأدوات اتساق إحالية قليلة ورغم ذلك يمكن جمع ما يثبت صفة الإحالية وبالتالي الاتساقية لهذه التتابع من مرجعين اثنين .

أما المرجع الأول فهو للدكتور الأزهر الزناد¹ الذي لم يفصل في دراسته العناصر الإحالية (ولا غيرها من أدوات الاتساق والانسجام) حتى يركز على هذه الأدوات، ولكنه عندما يتناول موضوع البنية الإحالية ككل ، على اعتبار أنها محور كبير من محاور ترابط النص، يذكر من حين إلى آخر التتابع المذكورة في مواضع متفرقة ويمثل لها من مدوناته على أساس أنها عناصر إحالية كأمر مسلم .

فهو على سبيل المثال عندما يريد أن يفرق بين "البنية والدلالة في الإحالة" يضرب المثال «تصب الجداول الصغيرة في الأنهار العظيمة» ثم يعلق على النعتين الموجودين في الجملة (الصغيرة -العظيمة) بما يريد أن يعلق به حول الإحالة²

1- الزناد، نسيج النص ، ص 121 وما بعدها .

*- لا يهم هنا مراده في التعليق ولا أي تفصيل آخر في ذكر هذه الأمثلة، فما هي إلا لإثبات أن الزناد يعد هذه التتابع من العناصر الإحالية.

2- ينظر: الزناد، نسيج النص، ص 122 .

وفي كلامه عن "الإحالات ذات المدى القريب" يذكر " (نفس - عين - كل) + ضمير عائذ على المؤكد " مشيراً بهذا إلى "التوكيد " كعنصر إحالي¹. وعند حديثه عن قضايا "التطابق بين العنصر الإحالي ومفسره"، يضرب مثالا بالنعته « ثم ردت عليه علينا قوافل الغرب كثير الغبار، فاني العصا» ويعلق « فالصفتان "كثير" و "فان" طابقتا موصوفهما... في العدد والجنس تماماً مثلما طابقه الضمير المتصل بفعل (ردّ)² وفي الموضوع ذاته يذكر الباحث الحال والتمييز* فيقول عن الحال مواصلاً حديثه السابق « ومثل هذه الصفات تظهر فيه علامات المقولات التي تكون قد خفيت من الموصوف: " مررت بنوفل جالساً"³ ويقول عن التمييز مع البديل: « في المركب البدلي (البديل والبديل منه) والمركب التمييزي (المميز والمتميز) يتوفر مبدأ التطابق المحكوم بالقاعدة (17)»⁴ *المهم هنا هو إثبات القيمة الإحالية للعناصر المذكورة من خلال أمثلة المرجع الأول للدكتور الزناد.

أما المرجع الثاني فهو للدكتور صبحي إبراهيم الفقي⁵ وفيه توضيحات أكثر يمكن نقلها في المقتطفات الموالية :

« أما النعت: بوصفه واحداً من التوابع؛ فقد أجمع علماءنا على قوة التماسك بين النعت والمنعوت، وملخص ما قالوه أن النعت مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد على حد تعبير سيبويه. فهو - أي التابع - دال على معنى في المتبوع، أو في متعلق به، بل متم له، ومكمل له. والنعت - كما ذكر ابن النظم - إنما يجيء لتكميل المنعوت. وعندما يكون النعت جملة

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 124 .

2- الزناد، نسيج النص، ص 134 .

*- لم يرد في المرجع ما يفسر كون الحال والتمييز عنصرين إحاليين إلا أن في طبيعة وتعريف كل منهما في كتب النحو العربي ما يدل على ذلك، فالأول يبين حالة صاحبه فهو يحيل إليه ، والثاني يزيل الإبهام فيما قبله فهو يحيل إليه أيضاً . أما مجرد وظيفة التماسك (دون الإحالة) فهي مؤكدة في مراجع أخرى مثل: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة د.ط، 2003، ص 154 (الحال)، ص166 (التمييز) .

3- الزناد، نسيج النص، ص 134.

4- المرجع نفسه ، ص 137.

** القاعدة (17) في ص 111 من المرجع نفسه هي : يتمثل مجال عقدة (س) في (س) مع جميع العقد - التي م - تحكمها (س) دون غيرها. وهي مترجمة عما يلي :

.)The domain of a node x consists of x with all and only the nodes c- commanded by x (lo cascio 186, 221

5- الفقي، علم اللغة النصي، ج1 ص 265 وما بعدها .

فإن الربط لا يتوقف على وجود النعت والمنعوت فقط : بل لابد من أداة أو وسيلة أخرى من وسائل التماسك ، وهي ما أكدها النحويون بوجوب وجود ضمير في جملة النعت»¹ ويضرب مثالا على ذلك من خلال سورة الفاتحة في القرآن الكريم فيقول: « وكمال الاتصال يتحقق كذلك في جمل النعت ، كما هو وارد في السورة كما يلي:

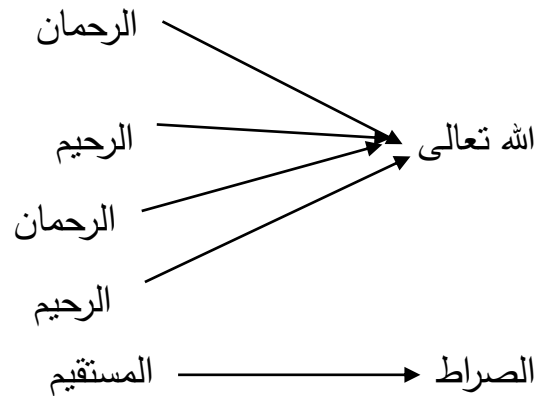
﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة/1

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة /3

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الفاتحة /4

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة /7

فنلاحظ عدم وجود أداة عطف رابطة بين الصفة والموصوف، لأنهما واحد في المعنى، فالصفات الخمس ﴿ الرحمن – الرحيم – الرحمان – الرحيم – ملك يوم الدين ﴾ صفات لله تعالى. و"المستقيم" صفة للصراط. وكلها تمثل كذلك مرجعية سابقة يمكن تمثيلها كالتالي :



فهذه النعوت أسهمت في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة عن طريق الرجوع إلى لفظ الجلالة المذكور في الآية الأولى، مفتاح السورة الذي يرتبط به ما جاء بعده وهذه – كما يلاحظ – مرجعية داخلية»²

1- المرجع السابق، ص ص 265 ، 266 .

*- ويواصل كلامه بما يدل على أنه أضاف جديداً لما اعتبر النعت أداة للتماسك – كما أشار هذا البحث سابقاً – فيقول: « والنعت لم يذكره النصيون من بين وسائل التماسك النصي : لكنه – كما اشرنا – يقوم بالربط بين المفردات ، وكذلك بين الجمل ، وبين الآيات . » وكذلك قال عن التوكيد في نفس الصفحة . ولكن يبدو أن الأزهر الزناد – الذي استدل به هو نفسه قبل صفتين من كلامه هذا – قد سبقه إلى ذلك ، كما جاء أعلاه.

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص ص 174 - 275 .

« ويبرز دور التوكيد في تحقيق التماسك النصي بملاحظة تأكيد علمائنا أن التوكيد تكرير باللفظ أو بالمعنى. والأول هو التوكيد اللفظي والثاني هو التوكيد المعنوي ومن المعلوم أن التكرير نوع من أنواع التماسك¹ وهذا طبيعي ، فالتوكيد تعبير عن الرغبة في إقرار السابق ذكره وتثبيتته، وهنا تبرز حقيقة التماسك بين المؤكّد والمؤكّد .هذا إضافة إلى أن التوكيد المعنوي يحتوي على وسيلة أخرى من وسائل التماسك وهي مرجعية الضمير إلى السابق ذكره...»².

« أما كمال الاتصال فإنه يتحقق في البدل كما في هذه السورة الكريمة ، في قوله تعالى :

﴿لَحْمُدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 2/

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ 7/6

فمن المعروف أن البدل هو المبدل منه في المعنى غالبا ... والبدل يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة كما في 2-7. وكذا يحققه على مستوى أكثر من آية كما في الآيتين 6-7. والبدل كذلك يمثل المرجعية السابقة في ضوء التماسك، فهو يرجع في دلالاته إلى المبدل منه السابق عليه ولهذا نمثل تلك العلاقة كالتالي:

البدل

المبدل منه

الله → رب العالمين

الصراط المستقيم → صراط الذين

الضمير في (عليهم) → غير المغضوب عليهم

فالتماسك إذن ناشئ من وجود التماسك المعنوي بين عنصري البدل ووجود المرجعية السابقة.³

ولابد في موضوع "البدل" بالذات من التطرق إلى مسألة الاختلاف بين البدل في النحو العربي والإبدال أو الاستبدال "substitutions" في علم اللغة النصي .

1- سيتناول البحث " التكرير " كأداة اتساق لاحقا .

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 266 .

3- المرجع نفسه، ص ص 273 - 274.

فقد عنى النحويون العرب بالبديل و « تتاولوه بوصفه تابعا من التوابع »¹ وقسموه «إلى عدة أنواع منها: بدل الكل من الكل "البديل المطابق"، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال، والبديل المباین ويقسم إلى: بدل الغلط وبدل النسيان وبدل الإضراب»².

ومن جهتهم « أفاض علماء النص في الحديث عن أقسام البديل، على وجه الخصوص ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسين »³. حيث أن الاستبدال عندهم «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر... وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع :

«أ- استبدال ل اسمي، ويتم باستعمال العناصر : one . ones . same

ب- استبدال فعلي، ويمثله استعمال العنصر do

ج- استبدال قولي، ويستعمل فيه العنصران : not . so

[وأمثلة هذه الأنواع هي على التوالي كما يلي]:

1)- my axe is too blunt .I must get a shaper one .

(فأسى جد مثلومة. يجب أن أقتني [فأسا] أخرى حادة) .

2)- you think Joan already knows ?- I think every body does

(هل تعتقد أن جون يعرف مسبقا ؟ - أعتقد أن كل شخص يعرف.)

غني عن البيان أن (one) في الجملة الثانية من المثال (1) حل محل (axe).

وفي الجواب عن السؤال الوارد في المثال (2) حل الفعل (does) محل الفعل (knows)

3)- Of course you agree to have a battle, Tweedledum said in a calmer tone.

" I Suppose so". The other sulkily replied ,as he crawled out of the umbrella.

(- " لاشك أنك توافق على وقوع معركة "؟ قال تويدلدوم بصوت هادئ .

.أفترض ذلك ". أجاب الآخر مستاء ، زاحفا خارج المظلة.)

1- المرجع السابق ، ص ص 273 - 274.

2- المرجع نفسه، ص 267.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 267 (في الهامش تفصيل أكثر) .

ففي هذا المثال حل العنصر (so) محل قول برمته: (you) agree to have a battle?¹

ولاشك أن الاختلاف بين البديل في النحو العربي والاستبدال في علم اللغة النصي واضح من خلال ما عرض سابقا ولكنه اختلاف قائم على مستوى الإعراب أما على مستوى الدور النصي فهو واحد وهو تحقيق التماسك عن الطريق الإحالة، حيث أن ما قيل عن دور البديل هو نفسه ما يقال عن الاستبدال الذي يمكن إسهامه في اتساق النص «في العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه»²

ورغم القيمة الإحالية المذكورة للاستبدال فإن هاليداي ورقية حسين لم يصنفاه ضمن وسائل الإحالة بسبب ما يلخصه محمد خطابي في قوله بعد تعريف الاستبدال: «ويعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتساق إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي – المعجمي بين كلمات أو عبارات بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي»³

ولكن هذا المبرر في فصل التصنيف غير مقبول من قبل باحث آخر يتضح رأيه من خلال المقطعات الآتية: «لقد بدا لنا التخطيط الذي جعله المؤلفان لكتابهما تخطيطا مضللاً. فأبوابه وفصوله لا تراعي التقسيم المنطقي للظواهر التي عولجت فيه... ونلاحظ بشأن البناء التصنيفي الذي قدم فيه "هاليداي وحسن" الإحالة والاستبدال أنه متكلف مفتعل، فقد فصلاً حيث لا موجب للفصل... فقد اختار المؤلفان فصل الحديث عن الاستبدال باعتباره أمراً قائماً على الصيغ اللغوية عن حديثهما عن الإحالة باعتبارها أمراً قائماً على المعنى والدلالة، فأوقعهما ذلك الفصل حتماً في فساد التصنيف... إن الإضمار يبدو أقرب إلى الاستبدال منه إلى الحذف إذ يعتمد فيه المتكلم إلى تعويض عنصر لغوي بآخر...»⁴ إن منطقية هذا الرد

1- ينظر: خطابي، لسانيات النص، ص 20 .

2- المرجع نفسه، ص 20.

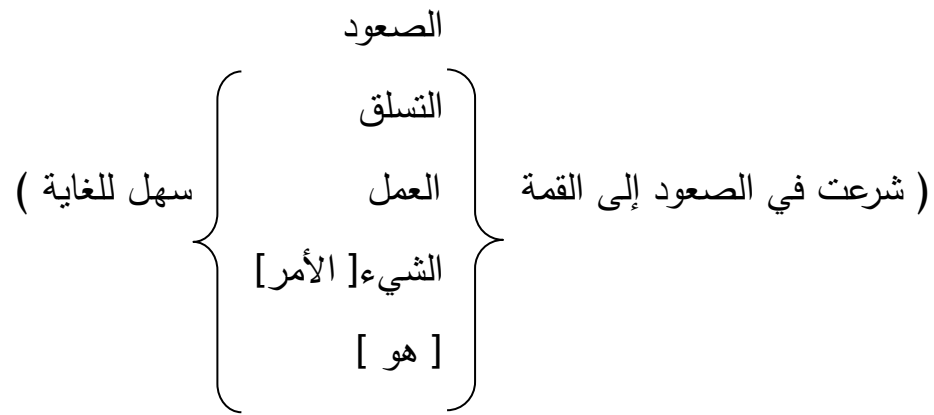
3- المرجع نفسه، ص 19 .

4- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ص 131 - 133 .

القوي – الذي لم تذكر تفاصيله هنا – هي التي سوغت للبحث إدراج البديل والاستبدال من بين بعض التوابع ضمن وسائل الإحالة .

6.3.1- التكرير:¹

«هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة»² وهو حسب هاليداي ورقية وحسن « شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما .والمثال التالي يوضح كل حالة على حدة :



فالكلمة "الصعود" تعتبر إعادة لنفس الكلمة الواردة في الجملة الأولى، و "التسلق" مرادف "للصعود" و "العمل" اسم مطلق (super ordinate) أو اسم عام يمكن أن يدرج فيه الصعود أو مسألة الصعود، و "الشيء" كلمة عامة تتدرج ضمنها أيضا الكلمة "الصعود" الخ. ويقصد المؤلفان بالأسماء العامة مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل : " اسم إنسان " ، " اسم المكان " ، " اسم الواقع " وما شابهها من (الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)»³

1- يقول الزركشي في البرهان ج3، ص 8-9 : « التكرار هو مصدر كَرَّرَ إذا رَدَّدَ وأعاد ؛ هو " تَفَعَّلَ " بفتح التاء ؛ وليس بقياس ، بخلاف التفعيل [أي التكرير] وقال الكوفيون: هو مصدر " فَعَّلَ " والألف عوض من الياء في التفعيل والأول مذهب سيبويه.» وهذا يعني أن الصيغتين صحيحتان ولكن البحث يفضل " التكرير " (تفعيل) لأنها قياس صريح.

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج2 ، ص 20 .

3- خطابي ، لسانيات النص، ص 24 ، 25 .

ومع اعترافهما بالطبيعة الإحالية للتكرير فإن الباحثين (هاليداي وحسن) لا يصنفانه ضمن وسائل الإحالة وإنما يدرجانه تحت عنوان "الاتساق المعجمي"، ولكن باحثين آخرين يصنفون التكرير في وسائل الإحالة ومنهم :

- زتسيسلاف واورزنيك الذي يسمى "التكرير" إحالة اسمية ويقول : «تتضمن الإحالة الاسمية على تكرير الاسم المحتمل، ويحدث التكرير إما في صياغة متساوية في الشكل أو متنوعة صرفيا في مقابل الاسم المنطلق النصي.»¹ ويذكر بعد ذلك أنواعا عديدة للتكرير ويسمى كلا منها إحالة أو إعادة ومنها "إحالة الضمير" التي يعتبرها "إحالة بديلة عن الاسم" أي أن " التكرير" هو الإحالة الأصلية فيقول عنها : « إن التعيين الاسمي البديل هو إعادة نصيه لاسم ما من خلال الضمير.»²

- ومنهم كلوس برينكر الذي يسمى "التكرير" إعادة صريحة ويقول عنها: « فالإعادة الصريحة تكمن في تطابق الإحالة (تساوي الإشارة) لتعبيرات لغوية معينة في الجمل المتعاقبة لنص ما، إذ يكرر تعبير معين (كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال تعبير أو عدة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنص في صورة مطابقة إحالية. ويعني مفهوم "المطابقة الإحالية" أشخاصا وأحوالا، ووقائع، وأفعالا، وتصورات... الخ ونريد الآن أن نوضح المبدأ ببعض الأمثلة التي يدور الأمر فيها حول الإعادة من خلال أسماء أو ضمائم اسمية، وضمائر :

أمثلة (1) كان رجل في الطريق على عجلة، وأراد[هو] أن يصعد[هو] جبلا، فرأى [هو] شيئا ملقى على الأرض فتوقف [هو] عنده، الرجل يدعى أوبرستالن ولم يكن [هو] يرى[هو] في نفسه شيئا ذا قيمة، ولم يكن (هو) ليألف [هو] نظر أحد، فقد ضاق [هو] ذرعا بالأضابير الرسمية...»³

1- زتسيسلاف مدخل علم النص (مشكلات بناء النص)، ص 124 .

2- المرجع نفسه، ص 125 .

3- برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص ص 38 ، 39 .

ويواصل " كلاوس " عرض الأمثلة الموضحة لكلامه ولكن المثال السابق وحده والكلام الذي قبله كافيان لإثبات أن "التكرير" وسيلة إحالية لدرجة أنه لا فرق بينه وبين الضمير في هذا الشأن، والأمر نفسه يثبتته القولان السابقان " لزتيسلاف واورزنيك " . وهذا صبحي الفقي يلاحظ أثناء بحثه « أن علاقة التكرار تشمل الإحالة القبلية أو السابقة بالرجوع لما سبق ذكره في النص بتكراره مرة أخرى »¹ ويتطرق بعد ذلك إلى أن التكرير له أنواع²، وأن له كذلك دواعي وأغراضا ووظائف، وتفصيل كل ذلك متعذر هنا ولكن لابد من تبين أن من أهم وظائفه في ضوء التحليل النصي المعاصر كما يقول علماء النص " أن التكرار يهدف إلى تدعيم التماسك النصي " ³ " وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره... " ⁴

ولقد اهتم العلماء في مجالات مختلفة⁵ بالتفصيل في موضوع التكرير ووسموا أنواعا منه بتسميات خاصة منها ما يعد صورة من صور الحقيقة التي تتم بطريقة متميزة ومنها ما يعتبر فرعا عنه فقط أي أنه ليس تكريرا كاملا ولكنه يشبه التكرير في جانب من جوانبه بناء على علاقة معنية بينهما، وفيما يلي بعض الأمثلة مما تناقلته عدة مراجع من تلك الأنواع من صور التكرير التي أخذت اسما خاصا:

أ- رد العجز على الصدر: « هو ورود كلمة في الشطر الأول والثاني معا »⁶ في الكلام، ومثاله من الشعر⁷:

. سريع إلى ابن العم يشتم عرضه :: وليس إلي داعي الندى بسريع

. يودّ الفتى طول السلامة والغنى :: فكيف ترى طول السلامة تفعل

1- الفقي، علم اللغة النصي، ج2- ص 18 .

2- من أنواعه ما جاء في بداية هذا العنصر : « هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة » وهو « يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما .. »

3- ينظر: الفقي، علم اللغة النصي، ص 21 .

4- المرجع نفسه، ص 22 .

5 - كعلوم القرآن وتفسيره والبلاغة.

6- خطابي، لسانيات النص، ص 133 .

7- نقلا عن المرجع نفسه، ص.ن .

وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم ، مما يتضح في "علوم القرآن " حين الكلام عن مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها أو ما شابه ذلك في العلاقة بين السور¹.

ب- **البناء:** « هو الذي يعاد فيه نفس اللفظ بنفس المعنى أي أن بينهما اتحادا لفظاً ومعنى وذلك "خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول" [ومثاله] قوله تعالى: ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ (المؤمنون 35) فقوله "أنكم" الثاني بناء على الأول و إذكرار به [حتى لا ينسى] لطول العهد به»².

ج- **التضام:** ويسمي أيضا " الإعادة الضمنية"³ وفيه تكرير غير صريح كما يظهر من خلال التسمية الثانية، « وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، مثال ذلك : (ما لهذا الولد يتلو في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى.)

فـ " الولد والبنات " ليسا مترادفين ، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإن ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية «⁴ والعلاقات الدلالية بين أزواج المفردات المشكلة للتضام (أو الإعادة الضمنية) يمكن أن تجمل « تحت مصطلح " التجاور الدلالي " الذي يعني " قرباً مفهوماً وتماساً مضمونياً" .. ويمكن أن تعطل .. انطولوجيا أو منطقيا أو ثقافيا. نقدم حول ذلك بعض الأمثلة :

- علاقة تجاور معللة منطقيا (مفهوميا) : هزيمة / نصر ؛ صعود شاق / هبوط ؛ مشكلة / حل ؛ سؤال / إجابة.

- علاقة تجاور معللة انطولوجيا (وفق قانون طبيعي) : برق / رعد ؛ إنسان / الوجه ؛ قيل / الزلومة ؛ طفل / الأم.

1- ينظر مثلا : خطابي، لسانيات النص، ص 194 وكذا ص 204 .

2- المرجع السابق، ص 134 .

3- مصطلح " التضام " لهاليداي ورقية حسن بترجمة محمد خطابي في مرجعه المذكور ص 25 . ومصطلح " الإعادة الضمنية " لكلاوس برينكر ترجمة سعيد حسن بحيري في مرجعه المذكور سابقا ص 49 .. والمفهوم واحد .

4- خطابي، لسانيات النص، ص 25 .

- علاقة تجاور معللة ثقافياً: ترام / الكمساري ؛ مدينة / محطة ؛ [مسجد / صومعة] ؛ بيت / الأبواب ؛ مستشفى / كبير الأطباء .

يجب أن تُتصور هذه الثنائيات المقدمة واردة في تتابعات جمالية ، مثل : قمنا بصعود شاق، ولكن كان الهبوط أسهل بكثير - غداً يجب أن أجتاز امتحاناً، لم يرفق الممتحن بي... الخ . وإذا لم توجد علاقات التجاور تلك بين المفردات في النظام اللغوي فإن ربطاً في صورة إعادة ضمنية يكون غير ممكن.

فالتتابع الجملي : دخل هانز منزلاً . صاحت الفتاة بصوت مرتفع . يصير مستغرباً (خلافاً للتابع : دخل هانز منزلاً. أحدث الباب صريراً مرتفعاً). ولا يصير ذلك الربط مقبولا إلا حين تقام في أي مكان في النص علاقة خاصة بالسمة بين منزل (منزل معين) ، وفتاة (فتاة معينة)، حين يورد في مكان ما أنه يتوقع (وجود) فتاة في هذا المنزل¹ وهكذا فعلى النقيض من مدينة . محطة... الخ ليست العلاقة بين منزل - فتاة ظاهرة من ظواهر النظام اللغوي ، بل ظاهرة للاستعمال اللغوي الفعلي².

د المناسبة³: وهي أيضاً تكرير غير مباشر، أو تكرير معنوي كما يعتبرها السجلماسي الذي حدّدها بأنها «إيراد المعنى وما يليق به»⁴ بعد أن قال: «ليس ينبغي أن يظن بنا أننا نريد باسم المناسبة الذي نرادف به التكرير المعنوي، أن يكرر المتكلم المعنى الواحد بالعدد في القول مرتين فصاعداً»⁵ «وبما أن إيراد ما يليق بالمعنى تحديد عام، فقد عاد السجلماسي إلى توضيحه مصنفاً جهات المناسبة إلى أربع :

- إيراد الملائم : أن يأتي بالشيء وشبيهه، مثل: الشمس والقمر، والسرّج واللجام ، والسيف والفرند..

1- ورد في هامش ص 52 من المرجع نفسه مثالا يوضح ذلك وهو : « دخل هانز منزلاً . في هذا المنزل توجد فتاة . الفتاة صرخت بصوت عالٍ ».

2- برينكر ، التحليل اللغوي للنص، ص ص 51- 52 .

3- ورد مفهوم هذا المصطلح بألفاظ أخرى في بعض المراجع مثل: المشاكلة، المؤاخاة، التجانس، المواعمة، التناسق، التلاحم، الارتباط، الاعتلاق، الالتئام، التأخي، التلازم، الاتحاد، والاتصال. ينظر مثلاً: النص والخطاب و الاتصال، محمد العبد، ص 109، ص 114، ص 159.

4- نقلا عن: خطابي، لسانيات النص، ص 135 .

5- المرجع نفسه، ص.ن.

- إيراد النقيض: أن يأتي بالأضداد ، مثل: الليل والنهار، الصبح والمساء، الحياة والموت...
- الانجرار: أن يأتي بالشيء وما يستعمل فيه ، مثل : القوس والسهم ، الفرس والجمال ،
القلم والدواة...»¹

بهذا التصنيف لجهاتها عند السجلماسي تبدو المناسبة غير مختلفة عن النوع السابق من التكرير وهو التضام أو الإعادة الضمنية عند كلاوس برينكر، وبالذات في تعليل علاقات التجاور بين المفردات. ولكن ما جعلها تفصل عنه هنا هو أن بعض الباحثين تناولوا المناسبة مستقلة حتى عن التكرير ذاته فضلا عن التضام ، وقد أكد أحدهم هذا الاستقلال عند تناوله التكرير عند النصيين وغيرهم بقوله: « ونظرًا لعدم ذكر النصيين لأهمية المناسبة فسوف نعتمد في ذكر أنواع المناسبة على آراء علمائنا»² مما يوحي بأن المناسبة شيء آخر جديد لم يذكره النصيون قبله رغم أن المراجع التي تناولت التكرير وأنواعه السابقة أقدم من مؤلف هذا الباحث³، ومهما يكن فإن المهم ليس هو تصنيف المناسبة أو علاقتها بغيرها ، ولكن المهم هو توضيح حقيقتها ودورها في التماسك .

والمنتبع لما قاله القدماء في المناسبة يجد أنها أوسع من التكرير وأنواعه المذكورة ، وهي في حد ذاتها أنواع منها الشكلي ومنها الدلالي. والدلالي منه ما يتعلق بلفظ واحد ومنه ما يتعلق بجمل ونصوص ومواضيع (كالمناسبة بين الآيات والسور في القرآن الكريم). والإشكال الذي يطرح هنا هو : هل تعتبر المناسبة بهذا الحجم من الاتساق أم الانسجام ؟
وللجواب عليه يمكن اقتراح تقسيم أنواع المناسبة إلى قسمين :

- قسم يدرج هنا في " الاتساق " ، وهو ما كان شكليا أو يتعلق بلفظ واحد فقط ، لأن ذلك يكون . كما يفهم من كلام السجلماسي سابقاً - أقرب إلى التكرير، الذي هو أداة اتساق سطحية ذات طابع إحالي .

1- المرجع السابق، ص. ن .

2- الفقي، علم اللغة النصي، ص 93 .

3 - المرجعان اللذان اعتمدهما البحث في الحديث عن التضام والإعادة الضمنية هما: هاليداي وحسن (سنة1976) وكلاوس برينكر ط1(1985) ط4، (1997) الترجمة(2005)، أما مؤلف الباحث صاحب القول فهو سنة 2000، وقد أشار في الهامش إلى أن خطابي(1991) قد تناول المناسبة.

- وقسم يدرج في الانسجام، وهو ما يتعلق بأكثر من لفظ واحد، ويتمثل بالذات في العلاقات الدلالية والمنطقية بين أجزاء الكلام، لأن تلك العلاقات ليست شكلية ولا تعتمد على لفظ واحد، ولكنها تكتشف عن طريق الاستدلال واستعمال الفكر، كما سيأتي بيانها في " وسائل الانسجام " لاحقاً¹.

وأيًا كان مدى صوابية هذا التقسيم المقترح فإن المفيد هو أن المناسبة « تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي: شكلياً ودلالياً ».² وأن الحديث عنها في بحث واحد سواء في هذا المطلب أو في المطلب اللاحق يكمل بعضه البعض لتوضيح دورها المذكور.

ويبدو أن الأمثلة التي يستعملها الفقي لتوضيح المناسبة تصلح لدعم التقسيم المقترح وتحديداً في شرح القسم الأول من المناسبة أي حين تكون أداة اتساق ، حيث يوجد في كل مثال منها لفظان يعود أحدهما على الآخر في المضمون أو في الشكل ، على خلاف الأمثلة ذات العلاقات الواسعة التي يستعملها السيوطي وغيره (ستذكر في مطلب الانسجام) .

يقول ابن أبي الأصبع (ت 654 هـ) منطلقاً من قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (القصص 71) « لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمدًا إلى يوم القيامة ، صار الليل كأنه سرمدًا بهذا التقدير ، وظرف الليل مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لاسيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار النهار كأنه معدوم ... والليل كأنه لا موجود سواء... فاقتضت البلاغة أن يقول " أفلا تسمعون " لمناسبة ما بين السماع ، والظرف الليل الذي يصلح للإسماع ولا يصلح للإبصار . ولذلك قال في الآية التي تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تُسْكِنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص 72)»³

1- ينظر البحث، ص 266 وما بعدها.

2- الفقي ، علم اللغة النصي، ج2 ، ص 93 .

3- نقلا عن : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كان هذا المثال متعلقاً بلفظين من حيث المضمون أما في المثال الموالي فإن المناسبة صوتية و « هي توحى بالإتيان بكلمات متزنات ، وهي على ضربين : تامة وغير تامة ؛ فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة وأخرى ليست مقفاة ... ومن شواهد التامة قول الرسول (ﷺ) " أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ " فقال " لامة " ولم يقل ملمة ، وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية [الصوتية الموسيقية] التامة...

ومن أمثلة المناسبة الناقصة قوله (ﷺ): " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطِنُونَ أَكْنَافًا " تناسب بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفية¹. وبعض أنواع هذه المناسبة المضمونية أو الصوتية له علاقة ببعض المحسنات البديعية التي سيتناولها العنصر الموالي .

أما عن دور المناسبة في التماسك كأداة ذات مرجعية إحالية يعود فيها لفظان كل منهما على الآخر، فيكون بالاستشهاد بالقول الآتي للدكتور الفقي: «.. فالمناسبة توصل إلى العلاقة. وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المنتاسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما. وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي . وإسهامها في التحليل النصي.

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك.»²

7.3.1- المحسنات البديعية : (المطابقة أنموذجاً)

« إن فنون البديع اللفظي (المحسنات اللفظية) تعد أدوات سبك مجسدة للاستمرارية المتحققة في ظاهر النص³ وقياساً "بالتكرير" (العنصر السابق) ذي الطابع المعنوي يمكن أن يؤدي البديع المعنوي (المحسنات المعنوية) أيضاً نفس الدور الاتساقى.⁴

1- المرجع السابق ، ص 94 .

2- المرجع نفسه، ص 99 .

3- جميل، عبد المجيد، بلاغة النص، ص 18 نقلاً عن: نصبه أبوبكر، الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي، قصيدة " ساعة التذكار " أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف الدكتور بلقاسم دقة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005/2006، ص142.

4- رغم أن صاحب القول السابق في تنمته قوله يعتبر البديع المعنوي حاكماً وليس سابكاً، ولعل الحديث اللاحق عن المطابقة يبرز هذا الرأي المخالف له.

والمقصود بالبديع اللفظي: الجناس والاقتباس والسجع، وبالبديع المعنوي: التورية وحسن التعليل والمطابقة (أو الطباق والمقابلة). ونظرا لتعدد هذه المحسنات يمكن الاكتفاء بتناول مظهر المطابقة فحسب، كأنموذج يقاس عليه .

المطابقة: هي مظهر بلاغي، يقول أبو هلال العسكري في تعريفها: «قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة، أو الخطبة، أو البيت... مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار..»¹ ومن أمثلة ذلك :

(1)- قال تعالى: «وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» (الكهف 18).

(2)- قال المنصور: «لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية».

واضح في النص القرآني مثال (1): أيقاظا ≠ رقود ، وفي المثال (2): عز - الطاعة ≠ ذل - المعصية . والسؤال المطروح هو: كيف تحقق المطابقة التماسك النصي؟.

وفي بداية الجواب لابد من الإشارة إلى أن طبيعة المطابقة تقتضي أن يكون مجال تأثيرها التماسكي محدودا لأن من شروطها - مثل بقية المحسنات - التقارب المكاني بين العناصر المشكلة لها أما التباعد فإنه ينفي كينونتها أي إذا كان اللفظ الأول في أول النص والآخر في آخره أو حتى بعد عدة كلمات بقدر ما ينسي المتلقي الرنة الصوتية للكلمة الأولى فعندها لا تسمى مطابقة حتى وإن وجد التقابل بين المعاني.

أما لبّ الجواب فيمكن أن يدرك بشيء من التأمل، وذلك من خلال حقيقة المطابقة ودورها المعنوي والجمالي أيضًا. ويكمن الأمر في علاقة المنافرة بين المعاني المشكلة للمطابقة، فحين يتلقي المتلقي المعنى الثاني وهو قريب عهد بالمعنى الأول ينتبه إلى وجود قيمة فنية ودلالية ومن أجل تأكيدها والتمتع بها بدافع حاسة الذوق يعود ذهنه بتلقائية إلى السبب المتمثل في المعنى الأول فيحصل الربط عن طريق الإحالة إلى المعنى الأول بسبب المعنى الثاني.

1- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م، ص339.

ويمكن أن يُستشف فحوى هذا الجواب من كلام خطابي بعد أن ذكر أمثلة للمطابقة ، حيث يقول :

« وقال بشار :

حتام قلبي مشغول بذكركم :: يهذي، وقلبك مربوط بنسياني

لهفي عليها ولهفي من تذكرها :: يدنو تذكرها مني و تتآني

إنني لمنتظر أقصى الزمان بها :: إن كان أدناه لا يصفو لحران

قال الثعالبي: "ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاء بيتين قبله" وهي:

عذيري من الأيام مدت صروفها :: إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو

وأبدت بوجهي طالعَات أرى بها :: سهام أبي يحيى مسددة نحوي

فذاك سواد الحظ ينهى عن الهوى :: وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

من خلال النصوص السابقة نلاحظ أن المطابقة قائمة بين بعض العناصر الواردة في (...) البيت الشعري، بمعنى أنها - كعلاقة - لا تتعدى ذلك إلى الخطاب برمته، أو معظمة على الأقل. إلا أن هذا الواقع لا ينبغي أن ينسينا أن علاقة المنافرة يمكن أن تسهم كآلة في نسج الخطاب، كما هو الشأن في أبيات بشار مثلاً .

وقد اجتهد البلاغيون في رصد الأبيات المنظومة المعتمدة على علاقة المطابقة، ولكنهم لم يتتبعوا المطابقة كآلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب / القصيدة...»¹

وما قيل هنا عن المطابقة يعد مثالا وأنموذجاً لبقية المحسنات البديعية ووظيفتها في التماسك كالجناس وغيره، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن السجع - الذي لا يختلف عن المناسبة الصوتية، في العنصر السابق - يتميز عن بقية المحسنات بكون دوره التماسكي يتم من خلال الجانب الصوتي للكلام وليس الجانب المعنوي، وذلك في علاقة التماثل بين الفواصل

1- خطابي، لسانيات النص، ص 132 .

كما هو معروف. وشأنه في ذلك شأن القوافي في الشعر العمودي على الخصوص التي سرعان ما يُكشف تفككها وتتافرها إذا ما حصل أي خلل في حروفها وحركاتها .

8.3.1- الحذف: Ellipsis

وهو « ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية؛ حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام ، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة»¹.

« وقد ذكر كريستال معناه الاصطلاحي في موسوعته ومعجمه، تحت مصطلح Ellipsis وهو حذف جزء من الجملة الأولى. مثال ذلك :

أين رأيت السيارة ؟ في الشارع .

فالمحذوف من الجملة الثانية : " رأيتها "»²

إلا أن الحذف لا يخص الجزء من الجملة فقط بل قد يكون أقل أو أكثر وفي هذا يقول الدكتور الفقي: « أما عن أنماط الحذف، فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة أو الصوت ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من جملة . والكلمة قد تكون أسماء وقد تكون فعلا مفردًا. وهذه الأنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي وأيضًا علماء اللغة المحدثين»³.

ومن المحدثين الذين اهتموا بالحذف لكونه أداة من أدوات الاتساق هناك هاليداي ورقية حسن « وكما قسم الباحثان الاستبدال إلى اسمي وفعلي وقولي، فإنهما فعلا نفس الشيء بالنسبة للحذف .

ويعني الحذف الاسمي حذف اسم داخل المركب الاسمي، مثلا :

- Which hat will you wear ? – this the best

(أي قبعة ستلبس؟ - هذه هي أحسن.)

1- حمودة ، طاهر سليمان ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، د.ط، د.ت، ص6.

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 191 .

3- المرجع نفسه، ص 193 .

واضح أن " القبة " قد حذفت في الجواب، وكما يقرر الباحثان ذلك فإن الحذف الاسمي لا يقع إلا في الأسماء المشتركة (common nouns) .

ويقصد بالحذف الفعلي الحذف داخل المركب الفعلي - مثال ذلك :

(هل كنت تسبح؟ نعم، فعلت.) - Have you been swimming ? – yes , I have

والقسم الثالث هو الحذف داخل شبه الجملة، مثلاً :

(كم ثمنه ؟ - خمسة جنيهات.) - How much does it cost ? – Five pounds¹

وتجدر الإشارة إلى أن هاليداي ورقية حسن يعتبران « الحذف كعلاقة اتساق لا تختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول " استبدال بالصفير " أي علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً.²

« فالمثال الذي ذكره هاليداي: "[محمد] اشترى بعض الكتب، و [علي] (...) بعض قطع الحلوى..." فالمكان الخالي الذي بين قوسين في الجملة الثانية، يُعد - من جهة نظرهما - صفراً، لأنه خال من الكلام ومن ثم فهناك إبدال بين " اشترى" التي من الجملة الأولى، والصفير، أو المقدّر في الجملة الثانية..³

ولكن باحثين آخرين يرون غير ذلك ويستغربون اعتبار الحذف ضرباً من ضروب الاستبدال. يقول محمد الشاوش « ونحن نستغرب هذا الضرب من الجمع، لا لكونه ليس في محله ، بل لأنه ذكرنا إلى حد كبير بإدخال سيبويه باب الحذف في باب الإضمار ، معتبراً إياه من قبيل الإضمار دون علامة (دون أن يختلط هذا بظاهرة استتار الضمير).⁴

وبرى صبحي الفقي في أكثر من موضع⁵، استناداً إلى النحو العربي خصوصاً، أن الحذف يمثل التكرار لا البديل فعند إعادة المحذوف في المثال السابق مثلاً، إنما يستقيم المعنى أكثر

1- خطابي، لسانيات النص، ص 22 .

2- المرجع نفسه، ص 21 .

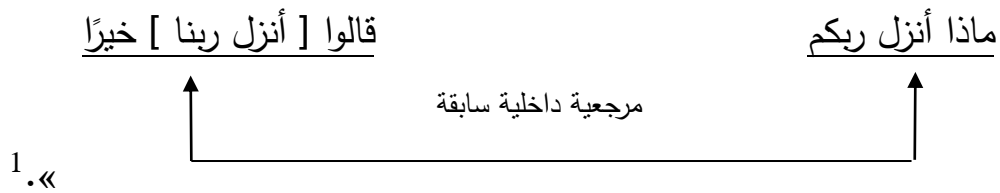
3- الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 199 .

4- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، ص 134 .

5- ينظر: الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 191 وما بعدها .

بتكرار اللفظ " اشترى" أو ما في معناه لملا الفراغ الذي تركه الحذف و سيتدعم هذا الرأي أكثر بما يضرب من أمثلة لاحقة.

ومهما يكن الرأي الأسلم فإن تصنيف البحث للحذف يبقى صائبا لأن البديل والتكرير أو الإضمار كلها من وسائل الإحالة والحذف يشبه واحداً منها أيّا كان، وكما كانت المرجعية في هذه الأدوات تكون في الحذف أيضاً ، حيث « تتحقق المرجعية من خلال المذكور والمحذوف معاً في مثل قوله تعالى: ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ (النحل16) فالمرجعية واضحة بين مكان المحذوف متأخراً، والمذكور سابقاً.



ومن الواضح أيضاً كيفية تحقيق هذه المرجعية للاتساق بين الجملتين حيث إن الفراغ الذي يتركه الحذف في الجملة الثانية « يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق »² مما يعني عدم اكتمال كلا المعنيين إلا بالآخر ومن ثم فإن ترابطهما ضروري .

وإذا كانت إحالة الحذف في المثال السابق قبلية سابقة Anaphoric فإنها قد تكون أيضاً بعيدة لاحقة Cataphoric أو خارجية Exophoric و يظهر ذلك من خلال المثالين المواليين³ على التوالي :

1- يقول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا (...) وأنت بما :: عندك راضٍ والرأي مختلف .

أراد: نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راضٍ؛ فكلمة (راضون) محذوفة ومكانها ما بين القوسين ويُحيل إلى (راضٍ) التي تأتي بعدها .

1- الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص ص 199- 200 .

2- خطابي، لسانيات النص، ص 21 .

3- نقلا عن: الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص ص 199-200.

2- ما ذكره سيبويه: " وذلك قوله، إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحج ، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت : مكةَ ورب الكعبة.. كأنك قلت: يريد مكة.. " فحذف "يريد" دل عليه السياق الخارجي¹ كما دل عليه السياق اللغوي المتمثل في وجود اسم منصوب في بداية التركيب وهو " مكة " مما يدل على حذف عامله الناصب .

وبناء على المثالين السابقين يتضح أنه من أجل ملء الفراغ في الحذف لا يهتدي القارئ فقط اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى " كما قال خطابي (أعلاه) بل يمكن أيضاً الاعتماد على ما يأتي فيما بعد في الجملة أو الجمل الموالية أو على ما هو خارج النص .

وفي كل الأحوال فإن هذا الذي يعتمد عليه القارئ لملء الفراغ في الحذف أمر مهم لكونه شرطاً ضرورياً لضبط ظاهرة الحذف والتحكم فيها ويسمى "الدليل" و« قد التقى رأي علماء العربية مع غيرهم من علماء اللغة حول وضع شرط للحذف، على درجة كبيرة من الأهمية، وهو ضرورة وجود دليل على المحذوف»². وهذا الدليل سماه القدماء " القرينة " وتحدث عنه الكثيرون³.. قال الزركشي من شروط الحذف: « أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف؛ إما من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتَمَكَّن من معرفته، فيصير اللفظ مُخْلاً بالفهم... وهو معنى قولهم: " لابد أن يكون فيما أُبقي دليل على ما أُلقي"⁴. وتلك الدلالة مقالیه وحالية...»⁵.

« لا شك إذن في أهمية وجود دليل على المحذوف، مقالِي أو مقالِي.. فإذا كان المحذوف في جملة والِدال عليه مذكور في جملة أخرى... فإن هذا يسهم، في الحقيقة، في تحقيق تماسك هاتين الجملتين أو هذه الجمل... وأهمية وجود الدليل تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة.»⁶

1- لم يذكر الفقي هنا صراحة أن الإحالة خارجية ولكنه قال : " وكذلك نرى وظيفة السياق هنا واضحة ، وهو توجه الحاج وجهة البيت الحرام."

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 207 .

3- المرجع نفسه، ص ص 207-208 .

4 - ومن ذلك في العربية الحركة الدالة على حرف العلة المحذوف في الكلمة الواحدة ، في مثل الفرق بين حركتي العين في كل من: دعوا(دعا) ويدعُونَ(يدعو).

5- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 11 وما بعدها.

6- الفقي، علم اللغة النصي ، ج2، ص 208 .

9.3.1- عناصر البنية الزمنية:

من الباحثين العرب الذين اهتموا بالبنية الزمنية في الكلام وعلاقتها بالاتساق ، الدكتور الأزهر الزناد الذي اعتمد في تحليلاته أعمال فنسينزو لو كاشيو¹ (Vincenzo lo cascio) في هذا الموضوع، ومنه يمكن استقاء المعلومات الآتية:

«..من المبادئ الهامة في مثال لوكاشيو أن الملفوظ يصبح نصًا عندما تترابط عناصره باعتماد عامل (opérateur) الزمن، أي عندما يتوفر فيه عنصر زمني ما يرتبط بزمن آخر معروف أو " معطى " (Donné) عند السامع والمتكلم (...).

والعناصر اللغوية المعبرة عن الزمن هي حصيلة اللقاء بين ثلاث نقط زمنية هي :

1- نقطة زمن الحدث أو الواقعة نفسها .

2- نقطة زمن الكلام أو التلفظ (Enonciation) .

3- نقطة الزمن المرجعي : وهي نقطة زمنية تُضبط في ضوء علاقتها بنقطة زمنية أخرى مثل نقطة (1) أو (2) أو غيرهما .

وهذه العناصر متنوعة، فهي الأفعال تتصرف حسب الأزمنة المختلفة، وهي الحروف الدالة على الزمن مثل السين وسوف الداخليتين على الفعل المضارع، وهي الأفعال المساعدة أو الناقصة (Auxiliaires) وكذلك حروف النفي التي تحوّر زمن صيغة الفعل الذي تدخل عليه مثل " لم " و " لن " الخ. وهي أسماء الزمان تُدقّق زمن الفعل وتؤدي ما لا تقي به صيغته. بل إن بعضها تحديد من درجة ثانية كما يظهر ذلك من الجملة التالية :

(1) - خرج محمد أمس صباحًا .

فصيغة الفعل في (1) أفادت وقوع الحدث في الماضي، وأقل ما يفهم منها أن حدوثه كان قبل لحظة التلفظ، ثم يحدد لفظ " أمس " زمن الخروج تحديدًا أول، يعقّبه تحديد أدق في لفظ " صباحًا "، وتعطي لفظة " أمس " الزمن المرجعي، وهو النقطة الزمنية التي تم عندها حَدَث الخروج. والزمان كلاهما (الزمن المرجعي وزمن الحدث) سابقات لزمن التلفظ .

1- أستاذ اللسانيات بجامعة أمستردام ، يشتغل على اللغة الإيطالية .

ويمكن للنقاط الثلاث أن تتطابق في بعض الأحوال بالتزامن الحاصل بين لحظة الحدث ولحظة التلفظ والزمن المرجعي. ومثال ذلك :

(2) - أخرج الآن .

وهذا الأمر يقبل التقاليد الممكنة والمختلفة من التطابق والاقتران، وهو ما يسعى لوكاشيو إلى ضبطه في بناء نظري، يمكن أن يفسر به استقامة كلام أو عدم استقامته، دائماً من منظور مقولة الزمن؛ فهو يبحث المقومات المنطقية المتصلة بالزمن في الكلام ، والتي بانسجامها تضمن وضوح الرسالة؛ ذلك أن اللغة إذا قبلت ج(1) و ج(2) فإنها لا تقبل ج(3).

(3) - (سد)يسافر محمد أمس.

فخرج هذه الجملة عن النمط المنطقي مرده إلى غياب الانسجام بين النقط الزمانية الثلاث ؛ فزمن الحدث مستقبل، والزمن المرجعي ماضٍ " أمس "، وهما مواطن التناقض الأساسي؛ أما زمن التلفظ فراهن، وهو عامل ثانوي في انعدام ذلك الانسجام. والحاصل من ذلك أن بنية الزمن في الكلام من أهم البنى التي تكون بنيته المنطقية.¹

وعن علاقة الزمن بالإحالة، بعد أن عرف الزناد تفصيلاً كلاً من " الزمن الإشاري " و"الزمن الإحالي"² يلخص ذلك بقوله: «والحاصل إذن أن الزمن الإشاري مستقل في حدوثه، فهو مثل الاسم الصريح الذي يدل على مدلوله أو مرجعه مباشرة؛ أما الزمن الإحالي فتصور موقعه رهين تصور الزمن الإشاري، فهو مثل الضمير الذي لا يستقيم فهمه، أو إدراك ما يحيل عليه، ما لم يسبق ذكر الاسم الصريح.»³ ثم يذكر في هامش الصفحة نفسها أمثلة تبين كيف لا يفهم زمن إلا بالتقطن إلى الزمن الذي يحيل عليه، وهذه الأمثلة هي :

. وصلت لمّا خرج . وصلت ولمّا يخرج . وصلت وقد خرج .

1- الزناد، نسيج النص، ص ص 72 - 74 .

2- وهي كالعنصر الإشاري والعنصر الإحالي المذكورين في تعريف الإحالة ، في علاقة كل منهما بالآخر حيث لا يفهم الثاني إلا بالرجوع إلى الأول .

3- الزناد، نسيج النص، ص 76 .

حيث يقوم فهم الزمن الواحد في كل جملة على إدراك موقع الزمن الآخر ، وبهذا يتضح أكثر أن عناصر البنية الزمنية من وسائل الاتساق الإحالية .
وخلاصة أدوات الاتساق ذات الطابع الإحالي هي:

- 1- الضمائر .
- 2- أسماء الإشارة.
- 3- الأسماء الموصولة .
- 4- المقارنة (التشبيه والتفضيل).
- 5- بعض التوابع (النعت والتوكيد والبدل أو الاستبدال).
- 6- التكرير(ومنه: رد العجز على الصدر- البناء - التضام أو الإعادة الضمنية - المناسبة (الشكلية)).
- 7- المحسنات البديعية. (بأنواعها والمطابقة واحدة منها).
- 8- الحذف .
- 9- عناصر البنية الزمنية .

وكل هذه الأدوات تشترك في خاصيتين رئيسيتين اثنتين:

الأولى: الإبهام وعدم الوضوح الكامل إلا بالعودة إلى المرجع الذي تحيل إليه سواء أكان هذا الإبهام أصليا من طبيعة العنصر الإحالي نفسه مثل الضمائر التي لا تفيد بذاتها، أم طارئاً عليه بسبب محله التركيبي مثل التوابع التي لا يكتمل معناها دون متبوعها.

الثانية: بهذه العودة إلى المرجع، تؤدي الأدوات الإحالية دورها في تماسك النص.
وعندما تتضافر الإحالات في نص ما فهي لا تقوم بدور التماسك بين عناصره فحسب ولكنها تسهم أيضاً في تحديد موضوعه و توحيده ، وفي هذا يقول كلاوس برينكر: « يمكن القول بأن أهمية مبدأ الإعادة [أي الإحالة] بالنسبة لتماسك النص تكمن أساساً في أنه في أوجه الإعادة المختلفة للنص يعبر لغويا عن توحيد موضوع النص..»¹

1- برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 62 .

2- الوصل و أدواته:

1.2- الوصل وأنواعه:

المقصود بالوصل هنا كل وسائل الربط الكلامي المتتابعي الخطي وهو كما نقل . خطابي عن الباحثين هاليداي وحسن : « مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق السابقة وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو سيلحق، كما هو شأن الإحالة...» إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم " . معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا ، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص . ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة فقد فرّع الباحثان هذا المظهر إلى :

إضافي [additive] وعكسي [adversative] وسببي [causal] وزمني [temporal]
وقد ضرب المثل التالي لتوضيح هذه الأنواع :

□ for the whole day he climbed up the steep mountainside , almost without stopping.

a) And in all this time he met no one . (additive)

b) yet he was hardly aware of being tired . (adversative)

c) so by night time the valley was far below him . (causal)

d) then, as dusk fell , he sat down to rest (temporal)

□ قضى اليوم كله في تسلّق الجبل الشديد الانحدار ، وذلك دون أن يتوقف تقريبا .

أ . و طول هذا الوقت لم يلتق أحداً . (إضافي)

ب . مع ذلك لم يشعر بالتعب . (عكسي)

ج . وهكذا في المساء كانت الواحة [تبدو له] بعيدة في الأسفل (سببي)

د . ثم ، في الغسق ، جلس ليستريح . (زمني) .

يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين " و " أو " * وتتدرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي في علاقات أخرى ؛ مثل : التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل

* - يمكن في العربية إضافة بقية حروف العطف.

بواسطة تعبير من نوع : بالمثل ...؛ وعلاقة الشرح ، ويتم بتعابير مثل : أعني ، بتعبير آخر...وعلاقة التمثيل ، المتجسدة في تعابير مثل : مثلاً ، نحو.¹

أما الوصل العكسي الذي يعني "عكس ما هو متوقع" فإنه يتم بواسطة أدوات مثل: (yet ، but) وغيرها ، وتعابير مثل (however و nevertheless) ... إلا أن الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي ، في نظر الباحثين ، هي yet .

أما الوصل السببي فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ، ويعبر عنه بعناصر مثل (so ، thus ، hence ، therefore) ... وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط ... وهي كما نرى علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة وهي السبب والنتيجة .

ويجسد الوصل الزمني " علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً ، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو : then (أنظر المثال "d" أعلاه) .

فإذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة (نقصد بالوظيفة هنا الربط بين المتواليات المشكلة للنص) فإن معانيها داخل النص مختلفة ، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب) ، إلى غير ذلك من المعاني.²

ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص .³

هذا عن الوصل بصفة عامة دون تصنيف أو تحديد ولكن عند إرادة التفصيل يجد المتأمل أن وسائل الربط الموصوفة سابقاً بشكل عام يمكن تصنيفها بطريقتين : إما من حيث كونها معجمية و نحوية وهو تصنيف واضح ومعهود وإما من حيث كونها : مرتجلة : أي موضوعة أصلاً لتكون رابطة. ومنقولة: أي أنها في الأصل موضوعة لتدل على معنى آخر

1- هنا يظهر التداخل والازدواجية بين بعض أدوات التماسك النصي، وذلك من الملاحظات المسجلة لاحقاً.

2- يظهر تنوع هذه المعاني في الأدوات الخاصة بالعربية كما سيأتي لاحقاً في مثل معاني حروف العطف.

3- خطابي، لسانيات النص، ص ص 22 - 24.

و يأتي دورها الرابطي ثانويا، وغالبا ما يكون ناتجا عن تكييف معين أو تركيب محدث*. وسينبني التفصيل الموالي على التصنيف الأول، وقد يظهر التصنيف الثاني ضمنا أثناء الشرح.

2.2- أدوات الوصل المعجمية:

وهي من النوع المنقول غير المرتجل - حسب الشرح السابق - ومن ثم فهي عبارة عن: ألفاظ من المعجم أو عبارات ، مفتوحة وغير محددة العدد، قد تستعمل لغير الربط لأنها من عموم اللغة، ولكنها توظف أيضا للتعبير على أن المتكلم يريد ربط الكلام بعضه ببعض وعندها تكون أداة وصل مثل : أعني ، وتعبير آخر ، " وعليه فإن " و " بما أن " ، و بالتالي " ، و "بناء على ما سبق " ،... وغيرها من هذه الأنماط.**

والحقيقة أن الدراسات العربية وخصوصا القديمة منها ، نحوًا وبلاغة ، ركزت على "العطف" (الذي سيأتي لاحقا) وجعلته هو محور كلامها عن " الوصل " وعليه فإن « هذه الأنماط يمكن وضعها تحت عنوان ثانٍ هو أنماط أخرى للربط النصي " خاصة وأنها لا تشتمل كلها على حروف عطف وكذلك بعضها يحتمل العطف والآخر لا يحتمله. وقد ذكر علماء النص أمثلة كثيرة للعطف [بالمعنى السابق] . لا تتدرج تحت أدوات العطف الأساسية¹ . لأن الذي يقوم بالعطف فيها ليس حروفا للعطف؛ بل عبارات تحقق هذه الوظيفة»².

« والنص العربي لا يختلف في استخدام هذه الأنماط عن النص الإنجليزي؛ فترجمة هذه الأنماط إلى العربية يؤكد هذا، ويؤكد دورها في تحقيق تماسك النص»³.

*- المصطلحان : " مرتجلة ومنقولة " نحويان ، يوجدان مثلا في تصنيفات " اسم الفعل".

** - ستعرض لاحقا أمثلة من هذه الأنماط.

1- ينظر ما أشار إليه صاحب القول :

a) cohesion in English Halliday, M.A.K. and Ruqiyah Hasan (1976). Longman, London, pp 267 – 271

b) Introduction to text linguistics, Robert, de Beau Grande and Wolfgang Dressler. (1981), Longman, London, P71

2- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص262

3- المرجع نفسه، ص.ن

وفيما يلي بعض الصيغ المعجمية فقط من جملة هذه الأنماط الرابطة التي ذكرها هاليداي وحسن من الانجليزية¹ مرفقة بمحاولة لترجمتها إلى العربية²، مع التأكيد مرة أخرى على أن أدوات الوصل من هذا النوع غير محددة وغير مقتصرة على ما سيذكر فقط ، ثم أن المتأمل في استعمال اللغة العربية أيضا سيجد العديد من الصيغ الشبيهة التي قد لا تكون مستعملة في الانجليزية :

- _ at the same time. في الوقت نفسه.
- _ on the other hand. أو في ناحية أخرى.
- _ in any case. على أي حال / في بعض الحالات.
- _ be fore that. قبل ذلك.
- _ to this end. تحقيقا لهذه الغاية / في النهاية.
- _ with reference to this. وبالنظر إلى هذا.
- _ in conclusion. في الختام / في النتيجة.
- _ also. أيضا.
- _ at. في.
- _ this moment. هذه اللحظة.
- _ an hour later. بعد ساعة.
- _ to return to العودة إلى....
- _ up to now. حتى الآن.
- _ yet . مع ذلك.
- _ so . لذلك.

وبتقديم هذه النماذج من أدوات الوصل يصير من الواضح ما يلي :

1- نقلا عن: المرجع السابق. ص.ن

2- مع ملاحظة أن ترجمة هذه الأنماط من الانجليزية إلى العربية قد تفرض أحيانا وجود أدوات اتساق من صنف آخر لا سيما الاشارات التي هي من الإحالة . كما أن المؤلفين لم يميزا بين الأدوات المعجمية وغيرها ، لكن البحث توخى الفرز تماشيا مع التصنيف المتبع.

- تأكيد ما ذكر سابقا من أن أدوات الوصل من هذا النوع (المعجمية) غير محددة وغير مقتصرة على ما ذكر فقط.

- أن المتأمل في استعمال اللغة العربية يجد العديد من الصيغ الشبيهة في أدائها لوظيفة الربط بالتي ذكرت ولكنها قد لا تكون مستعملة في الانجليزية أو في غيرها استعمالا حرفيا . وبالإضافة إلى الألفاظ والمعاني الرابطة، تجدر الإشارة هنا ولو بدون شرح إلى وسيلة أخرى يتحدث عنها هاليداي وحسن، تستعمل للربط في النص المنطوق خاصة، وهي " التنغيم intonation¹ الذي يُعتمد فيه على الجانب الصوتي ولا يظهر له أثر في المكتوب إلا أن يفهم من السياق.

3.2- أدوات الوصل النحوية :

1.3.2- العلامة الإعرابية:

إن عددا غير قليل من اللغات فيها حالات الإعراب، والحالات الإعرابية تتراوح ما بين ثلاث إلى ست، وقسم منها يصل إلى اثنتي عشرة حالة، مثل ما في اللغة الفنلندية، في حين نجد أربع حالات في الألمانية وخمس حالات في اللاتينية وست حالات في الروسية.²

أما اللغة العربية ففيها أربع حالات إعرابية وهي : الرفع والنصب والجر (ويسمى أيضا الخفض وهو خاص بالاسم) والجزم (ويسمى كذلك الوقف وهو حذف الحركة وهو خاص بالفعل) وعلاماتها الأصلية والفرعية من المعلومات الشائعة والمبثوثة في كتب النحو³ وهي كالآتي:

أ- العلامات الأصلية:

1- العلامات الظاهرة : وهي الحركات الآتية:

الضمة للرفع، مثل: نجح الطالبُ (الطالبُ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة)

1- ينظر: cohesion in english، هاليداي وحسن، ص ص 271-273.

2- طالب، عبد الرحمن، العربية تواجه التحديات (سابق)، ص 83.

3 - وهي مجموعة في الكتب المبسطة للتعليم، ينظر مثلا:

أ- مختار عمر أحمد وآخرون، النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1404 هـ - 1984م، ص 51 وما بعدها.

ب- قلاتي، إبراهيم، قصة الإعراب، دار الهدى، عين أميلة، الجزائر، ط2009، ص158 وما بعدها.

الفتحة للنصب، مثل : أطيعوا الله (لفظ الجلالة : مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة)

الكسرة للجرّ، مثل: توكلت على الله (لفظ الجلالة: مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة).

السكون للجزم، مثل: لم أكتب (فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون الظاهر)

أ2- العلامات المقدرة: قد تكون الضمة والفتحة والكسرة ظاهرة (كما في الأمثلة السابقة)

وقد تكون مقدرة على النحو التالي:

- مقدرة للتعذر ، كما في الاسم المقصور، مثل: الدنيا خدّاعة (الدنيا: مبتدأ مرفوع وعلامة

رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر).

- مقدرة للتثقل كما في الاسم المنقوص، مثل: جاء القاضي (القاضي: فاعل مرفوع وعلامة

رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل).

- مقدرة لاشتغال المحل بحركة مناسبة، كما في الاسم المتصل بياء المتكلم مثل: هذا كتابي

(كتاب: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الباء منع من ظهورها اشتغال المحل

بحركة مناسبة للياء).

ب- العلامات الفرعية: تنوب عن العلامات الأصلية (الحركات) علامات فرعية منها

الحروف ومنها حركات أخرى، وهي الآتية:

ب1- ينوب عن الضمة الواو في جمع المذكر السالم والملحق به، وفي الأسماء الخمسة،

والألف في المثني والملحق به، وثبوت النون في الأفعال الخمسة، وذلك مثل : - فرح

الناجحون وكرّم عشرون منهم .

- جاء أبوك وأخوك يبحثون عنك.

ب2- وينوب عن الفتحة الكسرة في جمع المؤنث السالم والملحق به والألف في الأسماء

الخمسة والياء في المثني والملحق به وفي جمع المذكر السالم والملحق به، وحذف النون في

الأفعال الخمسة (عند دخول ناصب عليها)، كقولك: رأيت أباك، يؤم المصلين والمصليات

فلن يتخلوا عنه.

ب3- و ينوب عن الكسرة (في الجر) الفتحة في الممنوع من الصرف والياء في الأسماء الخمسة وفي المثني والملحق به وفي جمع المذكر السالم والملحق به. مثل: مررت بإسماعيل وأخيه المعلمين وهما برفقة اثنين من الطلبة الناجحين من بين العشرين.

ب4- وينوب عن السكون (حذف الحركة) في الجزم الحذف بنوعيه وهما:

- حذف حرف العلة في آخر المضارع الناقص (معتل الآخر)، مثل: لم يقض لم ينج.

- حذف النون في الأفعال الخمسة (عند دخول جازم عليها)، مثل: لم يخرجوا .

وترتبط العلامة الإعرابية (في العربية الفصحى) سواء أكانت أصلية أم فرعية ارتباطاً وثيقاً بالمعنى فلا يفهم الكلام إلا بواسطتها، ولذلك فهي وبحكم شكليتها تعدّ أداة من أدوات الاتساق الواصلة.

وإن كان في المسألة نقاش وطرحت فيها آراء مخالفة ولكن البحث يرى أنها آراء مرجوحة ولا يصلح اعتمادها استناداً على المنطق وما يؤده من أقوال كبار علماء العربية الذين يؤكدون أن الإعراب مرتبط بالمعنى وأن علاماته أدوات لتماسك الكلام وفهمه.

فهذا عبد القاهر الجرجاني يطرح المسألة ويؤكددها في سبعة مواضع أساسية من كتابه "دلائل الإعجاز" بعبارة "النظم هو توخي معاني النحو" أو ما دلّ مدلولها*، فضلاً عن ذكر المسألة بشكل فرعي وغير مباشر في ثنايا الحديث عن غيرها لعلاقتها الوطيدة بصلب موضوع الكتاب الذي يهدف إلى إظهار دلائل الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، وما دامت قوة التماسك من الدلائل الأساسية الأولى للإعجاز حيث لا إعجاز دون تماسك، فإن الاهتمام

* - الموضوع الأول، ص58، بعنوان: النظم هو توخي معاني الإعراب.

الموضوع الثاني، ص266، بعنوان: إضافة الكلام إلى متكلمه لأنه توخى فيه معاني النحو.

الموضوع الثالث، ص271، بعنوان: مزيد بيان لكون النظم هو توخي معاني النحو.

الموضوع الرابع، ص293، بعنوان: مزيد بيان لكون النظم هو توخي معاني النحو.

الموضوع الخامس، ص298، بعنوان: لا يتعلق الفكر بمعاني الكلم المجردة من معاني النحو.

الموضوع السادس، ص303، بعنوان: توخي معاني النحو ليس هو معرفة علومه.

الموضوع السابع، ص383، بعنوان: النظم هو توخي معاني النحو.

** - ولذلك جاء في التعريف بالكتاب على الغلاف: "إن الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" يعدّ طليعة من دَوْن في علم المعاني (...)" لافتاً

النظر بدقة إلى حسن العلاقة بين رصف الكلام الخارج من فم الناطق، وبين علم النحو وصنعة الإعراب."

بالمسألة وتكرير طرحها في الكتاب هو حجة قوية على صحتها وهي كون الإعراب بالفعل مرتبطاً بالمعنى وعلاماته أدوات اتساق وتماسك.

ومما قاله الجرجاني في هذا الشأن: «... لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعَلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس.

وإذا كان كذلك فَبِنَا* أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها، ما معناه وما محصوله؟ وإذا نظرنا في ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن نَعْمِدَ إلى اسم فتجعلهُ فاعلاً لفعلٍ، أو مفعولاً، أو نَعْمِدَ إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيداً له، أو بدلاً منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفةً أو حالاً أو تمييزاً.. الخ»¹ ويواصل ذكر جل العلاقات النحوية التي يمكن أن تحدث في الكلام ليبرهن على أن الكلام المتماسك تربطه العلاقات النحوية الإعرابية.

وللتأكيد يقول في موضع آخر: «.. إن عمدت إلى ألفاظٍ فجعلت تُتَّبَعُ بعضها بعضاً من غير أن تتوَحَّى فيها معاني النحو، لم تكن صنعت شيئاً تُدعى به مؤلفاً..»²

وفي موضع آخر يقول أيضاً: «.. لا يُتَصَوَّرُ أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو، (...) وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيءٍ من معاني النحو فيها، فقل في: " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل "؛ " من نبك قفا حبيب ذكرى منزل "، ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها»³

ومن جهته يقول ابن فارس في الصحابي: «.. إن الإعراب هو الفارق بين المعاني؛ ألا ترى أن القائل "ما أحسن زيد" لم يفرّق بين التعجب والاستفهام والذم [أي النفي] إلا بالإعراب.

*- فبنا أي بجدير بنا.

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 58.

2- المرجع نفسه، ص 271.

3- المرجع نفسه، ص 298.

وكذلك إذا قال "ضرب أخوك أخانا" و"وجهك وجه حُرٍّ" و"وجهك وجه حُرٍّ"، وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه.¹

ويقول السيوطي في "الأشباه والنظائر" لبيان قيمة الإعراب كذلك: «وإنما وضع في الأسماء ليزيل اللبس الحاصل فيها باعتبار المعاني المختلفة عليها، ولذلك استُغني عنه في الأفعال والحروف والمضمرات والإشارات والموصولات؛ لأنها دالة على معانيها بصيغها المختلفة فلم تحتج إليه.

ولمّا كان الفعل المضارع قد تعتوره معان مختلفة كالاسم دخل فيه الإعراب ليزيل اللبس عند اعتوارها، ومنه رفع الفاعل ونصب المفعول فإن ذلك لخوف اللبس منهما لو استويا في الرفع أو في النصب»² ولا يخفي أن اللبس المحذور يُذهب التماسك ويُغيب الفهم.

وينبغي أن لا يغيب عن الذهن أيضاً أن للحركة بوجه عام قيمة في التمييز بين الوظائف المتنوعة لبعض الوحدات في الحدث الكلامي، ومنها -على سبيل المثال- التمييز بين "لام الملك" و"لا الابتداء"، وفي هذا يقول المبرد في المقتضب: «وموضع الالتباس أنك لو قلت "إنّ زيداً لهذا" و"إنّ عمراً لَذاك" وأنت تريد "لام الملك" لم يدر السامع أيهما أردت "إنّ زيداً في ملك ذاك" أو "إنّ زيداً ذاك" فإن كسرت فقلت "إنّ زيداً لَذاك" علم أنه في ملكه، وإذا قلت "إنّ زيداً لَذاك" علم أن "زيداً ذاك".»³ فالمميّز الأساسي بين الاحتمالين الوظيفيين ههنا الحركة التي تنوّعت بين الفتح والكسر بحسب الوظيفة المقصود والمعني المراد.

ونظراً لأهمية الإعراب وعلاماته في العربية ودورها في اتساق النص العربي فقد اعتبر المنافحون عن العربية فكرة فصل الإعراب عن المعنى خطراً على العربية ذاتها فهي تدعم الدعوة إلى إلغاء الإعراب التي تضرب العربية في الصميم، بمعنى أن اللغة العربية الفصحى دون الإعراب وعلاماته تكون غير مُفهمة لأن علامات الإعراب هي التي تحقق الاتساق بين عناصر الكلام. ويضرب أحدهم أمثلة حيّة ويقول: «إنّ جملاً مثل:

1- ابن فارس ، أحمد ، بن زكرياء القزويني الرازي ،الصاحبي في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ - 1997 م ، ص 35.

2- السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص 335.

3- نقلاً عن: ابن عيسى، القواعد التحويلية في الجملة العربية، ص 255.

- قرأ أخوك الكتاب.

- قرأ الكتاب أخوك

- ما قرأ الكتاب إلا أخوك

- الذي قرأ الكتاب أخوك... إلخ

هذه كلها تُعنى بالشكل، وهذا الاختلاف في الشكل يؤدي إلى الفرق في الدلالة، لأن وجود الفعل والواو في أخوك تجعلنا نعرف أن "أخوك" هو الفاعل، ولم يكن تعبيرنا لمكانه إلا لمراعاة الفروق الدقيقة في المعنى.

بعبارة أخرى، لا يخشى العربي في حالات كهذه أن يلتبس المعنى على المستمع، لأن علامة الرفع هي العلامة أو الإشارة على الموقع الإعرابي، ومن ثم الإشارة إلى المعنى. وإذا أسقطنا ذلك، وبدأنا ننظر إلى الجملة العربية (بعد انقطاع علاقتنا بالفصحى) فإننا لن نفهم ملايين الجمل التي تخالف ترتيب «ضرب موسى عيسى» فكيف يفهم، مَنْ لا يعرف الإعراب، آية قرآنية مثل قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر 28) لاشك أنه سيفهمها على طريقة فهمه هو لترتيب جملة "ضرب موسى عيسى" [فعل+فاعل+ مفعول به] ...

(إن الفروق في المعنى مبعثها الإعراب)، ولا يقتصر ذلك على رفع الفاعل أو نصب المفعول مما ذكرناه، فلننظر إلى الجمل الآتية:

- أ: لا تدخنون - ب: لا تدخنوا.

فالجملة (أ) تقريرية، منفية، تنفي أن يُدخن المخاطَبون بها، في حين أن الجملة (ب) إنشائية، تطلب عدم التدخين.

- أ: صلي على النبي / - ب: صلّ على النبي.

فالجملة (أ) تخاطب أنثى مفردة، في حين أن الجملة (ب) تخاطب ذكراً مفرداً.

- أ: "أنا قاتلُ أخيك" / - ب: "أنا قاتلُ أخاك".

ف (أ) اعتراف بالقتل، أما (ب) فهي تعبر عن نية.

والأمثلة على هذا كثيرة¹ وكلها تدل على أن علامات الإعراب في العربية أدوات اتساق تربط بين أجزاء الكلام وتحدد معانيه وتضبطها.

2.3.2- العطف: (عطف النسق)

نظرا لاهتمام علماء العربية بالعطف فلا بد للبحث من وقتين فيه، الأولى عند النحويين لتبيين حروفه ومعانيها والثانية عند البلاغيين لتبيين مبرراته.

أ- **حروف العطف ومعانيها:** يقول ابن هشام : « والعطف في اللغة؛ الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه »² وفي ذلك معنى لربط ووصل المرجوع إليه بما بعده، ويؤكد معنى الربط هذا وصف " النسق " للعطف المقصود هنا³ الذي هو « التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف »⁴.

وحروف العطف هي أدوات الاتساق التي بها يتحقق الوصل بين طرفي الكلام وهي موضوعة أصلا لهذا الغرض في اللغة (مرتجلة) وعلى رأسها حرف الواو والفاء وثم، وهي في النحو العربي عشرة، كما يبينها الجدول الآتي متبوعة بأشهر معانيها مع بعض الشروحات⁵ حيث إن لكل حرف معاني خاصة بالإضافة إلى معنى الربط الذي يقوم به :

1- طالب، عبد الرحمان، العربية تواجه التحديات، ص ص 84-86.

2- ابن هشام، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ص 421.

3- معلوم أن بالإضافة إلى " عطف النسق " هذا ، هناك " عطف البيان " إلا أن معناه يتصل بالتوابع المذكورة سابقا ، فهو مطابق إلى " بدل الكل من الكل " .

4- ابن هشام، شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، ص 487.

5- ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 426 - 438 .

الحرف	المعنى	شرح وتعليق
الواو	لمطلق الجمع	إذا قيل " جاء زيد وعمرو " فمعناه أنهما اشتركا في المجيء .
الفاء	للترتيب والتعقيب	إذا قيل " جاء زيد فعمرو " فمعناه أن مجيء عمرو وقع بعد مجيء زيد من غير مهلة .
ثُمَّ	للترتيب والتراخي	إذا قيل " جاء زيد ثُمَّ عمرو " فمعناه أن مجيء عمرو وقع بعد مجيء زيد بمهلة .
حتى	للاغاية والتدريج	معنى الغاية آخر الشيء، ومعنى التدريج أن ما قبلها ينقضي شيئا فشيئا ، إلى أن يبلغ الغاية ، وهو الاسم المعطوف ، ولذلك وجب أن يكون المعطوف بها جزءا من المعطوف عليه... كقولك " أكلت السمكة حتى رأسها "
أو	لأحد الشيئين أو الأشياء	مثالها لأحد الشيئين قوله تعالى : « لبثنا يوما أو بعض يوم » (المؤمنون 113) ، ولأحد الأشياء : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة . » (المائدة 89) .
أَمْ	لطلب التعيين بعد همزة [التسوية]	تقول «أزيد عندك أم عمرو » إذا كنت قاطعا بأحدهما عنده، ولكنك شككت في عينه ، ولهذا يكون الجواب بالتعيين ، لا بـ " نعم " ولا بـ " لا " .
لا	للرد على الخطأ في الحكم بعد الإيجاب [للنفي]	تقول : " جاءني زيد لا عمرو " ردًا على من اعتقد أن عمرو جاء دون زيد أو أنهما جاءك معًا .
لكن	للرد على الخطأ في الحكم بعد نفي [للاستدراك]	تقول : " ما جاءني زيد لكن عمرو " ردًا على من اعتقد العكس .
بل	للرد عن الخطأ في الحكم بعد نفي ، ولصرف الحكم إلى ما بعدها بعد إيجاب [للإضراب]	تقول : " ما جاءني زيد بل عمرو " ردًا على من اعتقد العكس (أيضا) أو " جاءني زيد بل عمرو " ومعناه حينئذٍ إثبات الحكم لما بعدها وصرفه عما قبلها ، وتصييره كالمسكوت عنه ، من قبيل أنه لا يحكم عليه بشيء .
إِمَّا	شبيهة بـ " أو " على اختلاف بين العلماء ¹	أول معانيها الشك ، نحو " جاءني إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرو " إذا لم تعلم الجائي منهما .

1- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب ، ص 82 .

ب: مبررات العطف: من أشهر البلاغيين المتكلمين عن العطف في موضوع " الوصل والفصل " القطبان : عبد القاهر الجرجاني ومحمد بن علي السكاكي وقد انصبَّ جهد الجرجاني كما أشار هو ذاته في أول الفصل على « ما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى »¹ ثم بعد الوصف والتحليل طيلة الفصل لخص للقارئ ما توصل إليه فقال : « وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها ، فأعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب :

1. جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكّد ، فلا يكون فيها العطف البتّة ، لشبه العطف فيها . لو عُطفت . بعطف الشيء على نفسه .

2- وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف .

3. وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم يكون منه في شيء، فلا يكون إياه، ولا مشاركاً له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواءً في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأساً . وحق هذا ترك العطف البتّة .

فتترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بين حالين، فأعرفه.²

« فالحالة الأولى يسميها السكاكي " كمال الاتصال " والثانية " بين بين " والثالثة " كمال الانفصال " ³ وهو نفسه لم يذهب بعيداً عن هذا التصنيف حين يصنف « العلاقة بين الجمل إلى ثلاثة أصناف :

1- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص 171 .

2- المرجع نفسه، ص 185.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 110 .

أ. إما أن يكون بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي، وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي .

ب. إما أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجانب ، لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب.

ج. إمّا أن يكونا بين بين لأصرة رحم ما هنالك ، فيتوسط حالها بين الأولى والثانية لذلك .

[و] تعتبر الأحوال الثلاثة المتقدمة مدار الفصل والوصل ، أي ذكر العاطف وتركه ¹

وقد تعرّض بعض الباحثين لعمل الجرجاني وكذا لعمل السكاكي بالدراسة وعملوا من خلالها على تحديد المبادئ التي تحكم الوصل والفصل أي التي توجب الوصل ويكون بها العطف صحيحا غير فاسد المعنى ، والتي توجب الفصل كذلك . ومن بين هؤلاء الباحثين الدكتور محمد خطابي الذي ذكر إشارة هامة في ختام دراسته تلك وهي : « أن الفصل لا يعني تفكك الخطاب بل يعني انسجامه ² بحيث إن الوصل حيث لا يجب أو الفصل حيث لا يجب هو الذي ينتج عنه عدم الانسجام وليس العكس. » ³

إلا أن الذي يهّم البحث هنا هو " الوصل " أي ما يتعلق بالحالة الثانية من الحالات التي ذكرها الجرجاني والتي تشبه العلاقة فيها بين الجمل الحالة الثالثة (ج) فيما ذكره السكاكي آنفا .

ومع الرجوع إلى المصدرين عنيهما ، يمكن الاستعانة بتلخيصات محمد خطابي منهما ، حيث عمل على استنباط المبادئ التي توجب الوصل أو الفصل ⁴ وذلك من أجل تبين الأسس والمبادئ التي يجب أن تلازم الجانب الشكلي المتمثل في استعمال "الحرف" وخاصة حرف "الواو" بين المتعاطفين، حتى يكون العطف صحيحا غير فاسد تجنّبا لما حذر منه العديد من البلاغيين والذواقين للكلام وقد جاءت بعض أقوالهم في كتاب "الصناعتين"، ومنهم

1 - السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم، ت:نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1407، 2هـ-1987م، ص248-249 (بتصرف بسيط في التعبير للتوضيح.)

2 - وعليه سيكون الكلام في البحث عن المعاني المتعلقة "بالفصل" في مطلب الانسجام اللاحق.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 140.

4- ينظر : أ. الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص 171-185 . ب. السكاكي، مفتاح العلوم ، ص248 وما بعدها . ج. خطابي، لسانيات

النص، ص ص 100-126 .

يزيد بن معاوية الذي كان يقول: «إياكم أن تجعلوا الفصل وصلاً، فإنه أشدّ وأعيب من اللحن»¹.

وأول ما استنبطه خطابي هو الأساس النحوي للعطف ثم ذكر بعد ذلك مبادئ أخرى حاول تصنيفها في ثنايا كلامه إلى دلالية وتداولية²:

ب1 الأساس النحوي: وينقسم إلى ثلاثة أصول لا يصلح العطف إلا بها ويحدد لها السكاكي التسميات الآتية: الموضع الصالح للعطف، فائدة العطف، مقبوليته، وتفصيلها كالآتي:

ب1.1- موضع العطف: التوابع الواصفة والمؤكدّة أي النعت والتأكيد والبدل والبيان، « لا تحتاج إلى ربط يربطها بموصوفها أو مؤكداها . مثال ذلك قولك " جاءني زيد الظريف " و " جاءني القوم كلهم " فإن " الظريف " و " كلهم " ليسا غير زيد وغير القوم فالأول صفة لزيد والثاني تأكيد للقوم.. إن ما يسرى على المفرد من هذا الجانب هو ما يسري على الجمل . . قال تعالى " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " (البقرة 01) قوله " لا ريب فيه " بيان وتوكيد وتحقيق لقوله " ذلك الكتاب "، وزيادة وتثبيت له، وبمنزلة أن تقول : " هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب " . والدّاعي إلى جعله خالياً من العاطف هو أنّه " لا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضامّ يضمّه إليه وعاطف يعطفه عليه " ³ وإلاّ يكون كمن عطف الشيء على نفسه .

ومن أجل إثبات فساد ما يشبه عطف الشيء على نفسه يضرب د . محمد الشاوش الأمثلة ويعلق عليها كما يلي :

« 1 أ _ زرت باريس وعاصمة فرنسا .

1 ب _ زرت باريس وزرت عاصمة فرنسا .

1- العسكري ، كتاب الصناعتين، ص399.

2- لا بد من التنبيه إلى أن خطابي لم يدمج ما قاله كل من الجرجاني و السكاكي وإنما يأتي دمجهما أحياناً هنا من اجتهاد البحث لأن تعاضد الآراء المتشابهة يجعلها أقرب إلى القواعد الثابتة ، و نظراً لتقارب هذه الأقوال فلا مانع من شرح بعضها ببعض مع تحديد الخصوصيات ، وينضاف إلى اجتهاد الدمج هذا اجتهاد الانتقاء ، حيث لا ينقل هنا من الكلامين إلا ما جاء فيهما عن الوصل فقط مما هو لازم لصحة العطف ويترك الفصل إلى حينه.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 101 .

2 أ _ أحب زوجتي وأم أولادي .

2 ب _ أحب زوجتي وأحب أم أولادي .

3 أ _ تعجبني باريس وتعجبني عاصمة فرنسا .

3 ب _ تعجبني زوجتي وأم أولادي .

فساد (أ) من كل زوج [من الجمل] سببه الإخلال بشرط العطف إذا عطفت الشيء على نفسه ، وأنت تلاحظ أن الإخلال بهذا الأصل ضمن الجملة الواحدة على سطح الجملتين فيجعل عطفهما فاسداً هو الآخر وذلك متى عمدت إلى جعل كل عنصر مفعولاً كما في (ب) من (1) و(2) أو فاعلاً كما في (ب) من (3)¹.

ب2.1- فائدة العطف: «..هي أن يشرك الثاني في إعراب الأول ، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب ، أي أن الواو العاطفة تنقل الحكم الإعرابي إلى الثاني ، فإذا كان الأول مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً كان الثاني كذلك : جاء زيد وعمرو ، أكرمت زيدا وعلياً ، مررت بزيد وعلي²».

ب3.1- مقبولية العطف: ما يفهم من الدراستين المذكورتين أن عطف المفرد إذا خرج عما سمّي سابقاً "عطف الشيء على نفسه" لا يطرح فيه إشكال عدم المقبولية، أي أن الشرط في قبول عطف المفرد أن يعرف موضعه ولا يكون من توابع الوصف والتأكيد والبيان . وتتعين هذه المقبولية وبصير العطف واجباً لا اختيارياً إذا كان الفعل يفيد المشاركة مثل : اختصم واشترك وتصالح.. لأنك إذا قلت مثلاً : "تصالح زيد" لا بد أن تعطف عليه من تصالح معه فتقول : "وعمر" وإلا بقي الكلام ناقصاً.³

ولكن في عطف الجمل لا بد من التمييز « بين حالتين : الحالة الأولى " أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب " ، وإذا كانت كذلك فإن عطف جملة أخرى عليها لا إشكال فيه ،

1- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 427 .

2- خطابي، لسانيات النص، ص 100 .

3- مسألة وجوب العطف وحتميته تفهم مما جاء في: أ- حماسة، محمد عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط ، 2003 ، ص193 وما بعدها .

ب- علم اللغة النصي ، صبحي إبراهيم الفقي ، ج1 ، ص 259.

لأن عطف الثانية على الأولى منزل منزلة عطف المفرد: " مررت برجل خُلقه حسن وخُلقه قبيح " فكلتا الجملتين صفة للنكرة وقد انتقل الحكم الإعرابي إلى الثانية بواسطة الواو .
الحالة الثانية هي عطف جملة على أخرى لا محل لها من الإعراب ، مثال ذلك : " زيد قائم وعلي قاعد " ، يعلّق الجرجاني على هذا المثال قائلاً : " لا سبيل لنا إلى ادعاء أن الواو أَشْرَكَ الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه "... وحين ينفلت عطف الجملتين من قاعدة المفرد يجتهد [الجرجاني] لتبريره بمبدأ غير نحوي ¹.

ويضع لتبريراته هذه مبدأ عاماً قائلاً : « لا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه » ² وهو المعنى ذاته الذي يضعه السكاكي شرطاً لمقبولية العطف إذ يقول: «كون العطف بالواو مقبولا لا مردودا هو أن يكون بين المعطوف و المعطوف عليه جهة جامعة» ³.

والكلام عن هذه "الجهة الجامعة" أو "المعنى الذي يقع ذلك الإشراك فيه" هو الذي يقود إلى الخروج من الأساس النحوي إلى الكلام عن المبادئ والمبررات الأخرى.

ب2 المبادئ غير النحوية:

. أولاً: عند الجرجاني

ب2.1- معنى الجمع : في حالة كون الجملة المعطوف عليها لا محل لها من الإعراب « اقترح الجرجاني البحث عن علّة تبرر العطف ، وقد وجدها فيما يسميه " معنى الجمع " .
والمثال الذي ضربه الجرجاني هو " زيد قائم وعمرو قاعد " ، على أن مبرر هذا العطف هو " إمّا أن زيداً كائن بسبب من عمرو، وإمّا أن زيداً وعمراً كالنظيرين والشريكين بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني. يدلّك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب، ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم، فلو قلت: "خرجت اليوم من داري وأحسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه" لا بد إذن من

1- خطابي، لسانيات النص، ص ص 101 - 102 .

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 172 .

3- السكاكي، مفتاح العلوم ، ص251.

داع يبرّر ذكر حال عمرو مع حال زيد عاطفاً ، والظاهر من كلام الجرجاني أن السامع - وهو أحد عناصر السياق - وحاجته إلى معرفة حال الثاني بعد معرفة حال الأول ، لاقتراניהما في ذهنه، مبرر من مبررات العطف ، وهذا ما يفهم من كلام الجرجاني عن كون زيد وعمرو كالشريكين والنظرين»¹.

ب2.2- النظير والشبيه والنقيض : « هذا مبدأ متصل في الحقيقة بالأول غير مستقل عنه، وهو مجوز العطف معنويًا حين امتناعه معيارياً. هذا المبدأ خاص بما يسميه الجرجاني "الإخبار عن الأول وعن الثاني" والقيد المجوز للعطف هنا هو أن يكون الخبران شبيهين، أو نقيضين أو نظيرين، يتضح هذا بالأمثلة التالية:

زيد طويل القامة وعمرو شاعر.

زيد طويل وعمرو قصير.

زيد طويل وعمرو كاتب .

فالعطف الأول شاذ، وفق المبدأ والقيد الموضوعين سابقا ،لأن الخبرين ينتميان إلى حقلين دلاليين مختلفين، ولا شيء يبرّر العطف بين كون زيد طويل القامة وكون عمرو شاعراً ، و الأصوب أن يُؤتى لكلّ خبرٍ بلفقه ومشاكل له، أي طول القامة وقصرها أو قول الشعر و كتابة القصة مثلاً، ففي الحالة الأولى انتزعت الصفتان من سمة واحدة، وفي الثانية انتزعتا من نشاط متشابه»².

ب3.2- التضام النفسي و التضام العقلي:

« . . . هذا المبدأ يبرّر العطف . . . من خلال علاقة المتلقّي بالخطاب ، بحيث تعود مقبولية العطف لا إلى أسباب معنوية ، وإنّما إلى أسباب تداولية . يضرب الجرجاني لتوضيح هذا المبدأ المثال التالي :

" عمرو قائم وزيد قاعد " فالشخصان في ذهن المتلقي لا يفترقان حتى أنّه إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني ، مثل أنّهما إذا كانا " أخوين أو نظيرين أو مشتبكي

1- خطابي، لسانيات النص، ص 102 .

2- المرجع نفسه 103.

الأحوال على الجملة كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود ، أو ما شاكل ذلك مضمونة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك " ولأن اقتران الأشخاص، في ذهن المتلقي، بعضها ببعض مختلف من متلقٍ إلى آخر ، فإن مبدأ التضام النفسي نسبي (خاص) ، وذلك لأنَّ شخصين أو مجموعة أشخاص تعتبر متضامّة بالنسبة لمن يعرفهما ويعنيه حالهما فحسب، ولا يمكن أن تعتبر كذلك بالنسبة لجميع الناس .

في حين أن مبدأ التضام العقلي عام ، لأنّه مرتبط بالوقائع (المعاني في اصطلاح الجرجاني). مثال ذلك قولنا :

. العلم حسن والجهل قبيح .

. العدل محمود والظلم مذموم .

. الاجتهاد حسن والكسل قبيح .

فالمبرر الدلالي للعطف [هنا] هو كون الخبر عن الثاني مضادًا للخبر عن الأول والتداولي هو كون الواقعتين متضامتين عقليا بالنسبة لجميع الأمم التي أسست (حضارة معقدة) نظامًا من القيم ناسبة إلى بعضها صفة الإيجاب وإلى الأخرى صفة السلب لحت الأفراد على التشبث بالقيم الإيجابية ونبذ السلبية»¹.

ب4.2- صيغة الخطاب الواحدة:

صيغة الخطاب قد تكون حكاية وقد تكون خبرًا، وفي الكلام المتعاقب قد تكون الصيغ مختلفة حكايةً وخبرًا وقد تكون متماثلة. فمن أمثلة حالة الاختلاف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة 14-15) .

« فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ حكاية عن المنافقين، وليس بخبر من الله تعالى، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبر من الله تعالى أنّه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم»².

1- خطابي، لسانيات النص ، ص 103-104 .

2- المرجع نفسه ، ص 108.

أما حالة التماثل ففي مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء 142) وقوله: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ (آل عمران 54).

والمبدأ هنا هو: إذا كانت صيغة الخطاب واحدة متماثلة وجب العطف كما جاء في أمثلة حالة التماثل السالفة¹. أما في حالة الاختلاف الأولى فلا عطف كما سيأتي بيانه في الانسجام (مبررات الفصل)².

. ثانياً: عند السكاكي

ب5.2- تماثل الأفعال الكلامية وتأويلها عند الاختلاف:

« يذهب السكاكي إلى أن الجملتين المختلفتين خبراً وطلباً ينبغي أن تفصلا عن بعضهما لامتناع عطف الطلب على الخبر أو العكس »³.

وبمفهوم المخالفة فإن العطف يكون مقبولاً ومطلوباً عند التماثل ، إلا أن ترك العطف عند الاختلاف ليس على إطلاقه، وبالذات عند إمكانية التأويل ، وهذا مبرر آخر للعطف بعد " التماثل " يسميه خطابي " تأويل اختلاف الأفعال الكلامية " ⁴ .

ويبدو أن مبدأ التماثل الذي يعني تعاقب جملتين كل منهما بأسلوب خبري أو بأسلوب إنشائي دون اختلاف بينهما، أمر واضح. ولكن مبدأ " التأويل " هو الذي يحتاج إلى شيء من الشرح حيث يقول د. خطابي: « يحكم هذا المبدأ الحالة المقتضية للوصل بين جملتين وهي... " أن يكون المقام مشتملاً على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الخبر " مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾ (البقرة 83) يلاحظ أن جملة " قُولُوا " وردت بصيغة الطلب معطوفة ولم يتقدم في الآية طلب تعطف

1- ينظر: خطابي، لسانيات النص ، ص 108 .

2- ينظر، البحث، ص 237.

3- خطابي، لسانيات النص ، ص 116 .

4- المرجع نفسه ، ص118.

عليه، ولكن المقام يجعلنا نؤول جملة " لَا تَعْبُدُونَ " [وهي نفي والنفي خبر] ب " لَا تَعْبُدُوا " [نهيا والنهي إنشائي] لأنها مضمنة معناه ¹.

ب6.2- جهة الجمع : (الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي)

« ينطلق السكاكي من مبدأ عام هو أن الجمل ينبغي أن يقطع بعضها عن بعض ما لم يكن بينها ما يجمعها من جهة العقل أو الوهم أو الخيال .

. **الجامع العقلي** : هو أن يكون بين عنصرين ، أو أكثر :

1 . اتحاد في تصور مثل :

أ . الإتحاد في المخبر عنه،

ب . الإتحاد في الخبر،

2 . تماثل هناك .

3 . تضاف كالذي بين العلة والمعلول ، السبب والمسبب ، السفلى والعلو ، والأقل والأكثر .

فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن .

. **والجامع الوهمي** : هو أن يكون بين تصوراتها :

1 . " شبه تماثل نحو : أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثاني لون

صفرة.مثال :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها .. شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر .

مثال آخر :

إذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع .. فذو التاج والسقاء والذر واحد .

2 . تضاد كالسواد والبياض ، والهمس و الجهارة والحلاوة والحموضة ...

3 . شبه تضاد كالذي بين : السماء والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني .

فإن الوهم ينزل المتضادين أو الشبيهين بهما منزلة المتضايين فيجتهد في الجمع بينهما في

الذهن، ولذلك نجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد".

1- خطابي، لسانيات النص ، ص.ن.

. والجامع الخيالي: هو أن يكون " بين تصوراتهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك . فإن جميع ما يثبت في الخيال ، مما يصل إليه من الخارج ، يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه ، وذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر ، اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبا ووضوحا. فكم من صور تتعاقب في خيال، وهي في آخر ليست تتراءى، وكم صور لا تكاد تلوح في خيال، وهي في آخر نار على علم ، وإن أحببت أن تستوضح ما يلوح به إليك ، فحدّق إليه من جانب اختبارك تلق : مثال أول : . كاتباً بتعديد : قرطاس ، ومحبرة ، وقلم .

. نجاراً بتعديد : منشار ، وقدم وعتلة "

فإن احترم المتكلم هذا العد، أي ذكر شيء مع لفته، لم يصادف من هؤلاء إنكاراً ، ولكن إن غير هذا وخلط هذه الأشياء مع بعضها وجمع هذه إلى تلك صادف منهم الإنكار ، وذلك كجمعه بين القرطاس والمنشار ، والمحبرة والعتلة ، والقلم والقدم..»¹ .

لا يخفى أن في بعض مبررات العطف عند كل من الجرجاني و السكاكي تشابه كبير* ولكن الدمج بينها يتعذر أحياناً حفاظاً على خصوصية جزئيات كل رأي ، ومع ذلك فقد سعى خطابي في نهاية دراستيه للرأيين أن يصوغ منهما مجتمعين ما يشبه المبادئ أو القواعد على سبيل التمثيل.² ومنها يمكن استخلاص موجبات العطف (الوصل) المأخوذة مما سبق ذكره ، وهي :

. إذا كان المتحدث عنهما في الجملتين نظيرين أو شريكين .

. إذا كانت العلاقة بين الجملتين تضاداً أو شبه تضاد أو تماثلاً أو شبهه .

. إذا كان الفعلان الكلاميان متماثلين [ولو بالتأويل] .

. إذا كانت الصيغة التي أخرج بها الخطاب متماثلة .

. إذا كان الجامع بين الجملتين (أو عناصر خطاب ما) عقلياً أو وهمياً .

1- خطابي ، لسانيات النص، ص ص 120 . 121 .

*- حيث إن مبررات الجرجاني الثلاثة الأولى (معنى الجمع . النظير والتشبيه والنقيض . التضام النفسي والتضام العقلي) شبيهة(بجهة الجمع: الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي) لدى السكاكي . والمبرر الرابع عند الجرجاني (صيغة الخطاب الواحدة) شبيهة (بتمائل الأفعال الكلامية وتأويلها) عند السكاكي . مع فروق فرضت التمايز طبعاً .

2- ينظر: خطابي ، لسانيات النص، ص ص 139-140.

. إذا كان الجامع بين جملتين (أو جمل) خيالاً .

ولتأكيد أهمية العطف في اللغة لا بد من الإشارة إلى أن وظيفته لا تقتصر على الربط وجعل النص متماسكاً فحسب وإنما له وظيفة الاختزال والاختصار أيضاً وفي هذا يقول خطابي: « إن الاتساق بالواو أو بغيره ، ينبغي أن ينظر إليه من الزاوية المقابلة ، أي الاختزال ، وهذه حقيقة يشير إليها " جوفري ليتش وميخائيل سورت " : " إن الاتساق يتضمن ، بشكل مستمر ، مبتدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا متقين بذلك التعبير المكرر عن الأفكار المعادة " . من هذا المنظور تقوم الواو الرابطة بين عناصر خطاب ما أو جملة ما بمهمتين ، أولهما ربط الأجزاء ، والثانية تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال ، أي تلافي تهلhel الخطاب ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مليء بالحشو .

لإدراك هذه الحقيقة نعيد إخراج المثال السابق كالتالي*:

. أكثر من زيتونة و(أكثر من) نهر .

و(أكثر من) نسمة تروح وتجيء

أكثر من جزيرة و(أكثر من) غابة...

إذن فالواو ليست فقط وسيلة ربط وإنما هي أيضاً وسيلة لجعل الخطاب أكثر " أناقة " وذلك بإلغاء التعابير المعبرة عن نفس الفكرة¹.

وبناء على ما سبق يمكن الحكم على النص الذي تكثر فيه أدوات العطف بأنه أكثر تماسكاً وأكثر إيجازاً.

وكنموذج لذلك نجد القرآن الكريم يتميز بهذه الصفة ، حيث يقول أحد الباحثين الذين اتخذوه مدونة لعملهم : « وإذا تأملنا عود أدوات العطف الواردة في القرآن الكريم أدركنا إلى أي حد اتسم هذا النص الكريم بالإيجاز والتماسك². فكل أداة من هذه الأدوات أدت ، حين استخدامها

*- هذا المثال مذكور سابقاً على أصله في نفس الصفحة من المرجع المذكور وهو من قصيدة " فارس الكلمات الغريبة " لأدونيس وهو كالتالي:

أكثر من زيتونة ونهر .

1- خطابي، لسانيات النص ، ص ص 228 . 229.

، إلى حذف كلمات وجمل كثيرة ، كانت بالطبع سوف تؤدي إلى الحشو الزائد الذي يتتزه عنه النص الكريم .

ومن ناحية التماسك النصي ، نرى أنه كلما ازداد عدد أدوات العطف ازدادت قوة التماسك بين مكونات النص القرآني؛ بين كلماته وعباراته وجمله وقصصه وسوره، لتخرج في النهاية نصاً محكماً متماسكاً.¹

3.3.2- الإسناد: (في الجملة العربية) إن المتأمل في حقيقة الإسناد " والمنتبع لتفاصيله اللاحقة الذكر يجد ، رغم أنه رابط معنوي في الظاهر ، إلا أنه يعتمد على ألفاظ ظاهرة وهي " المسند والمسند إليه " ثم أن بينهما أموراً شكلية مختلفة » تتعاون مع الإسناد ... كلها يعمل على وضوح الترابط بينهما »² ، مما يسوِّغ تصنيفه كأداة للاتساق ، وبما أنه ليست له طبيعة إحالية فذلك يبرر وضعه مع الروابط النحوية الواصلة.

إن موضوع الإسناد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجملة ، والجملة عنصر أساسي في الكلام وإذا حصل فيها تفكُّكٌ تفكَّكَ الكلام كُلهُ ، » . . فالجملة الأولى في أي نص تمثِّل معلماً عليه يقوم اللاحق منها ويعود . وداخل تلك الجملة نفسها يمثِّل اللفظ الأول معلماً تقوم عليه سائر مكوناتها . فالمسند يقتضي المسند إليه ، وهذا الأخير يقتضي الأول ، وهما معاً يقتضيان متمماً (أو متممات) ، فهذه حلقة أولى تنتهي دون أن تغلق على نفسها . . . وإذا النص من خلال هذا جسم كبير (Tissu cellulaire) والجملة خلية (Cellule).³

ومن الباحثين العرب المحدثين الذين اهتموا ببناء الجملة محمد حماسة عبد اللطيف في مؤلفه " بناء الجملة العربية " الذي خصص فيه فصلاً " لترابط أجزاء الجملة ووسائله " بحيث اجتهد في ذكر المبررات التي تربط أجزاء الجملة بناء على علاقاتها فيما بينها سواء أكانت علاقة إسناد أم غيره من منطلق أنه « لا يكون الكلام مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع

1- خطابي، علم اللغة النصي، ج1، ص258

2- حماسة، محمد عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص 87.

3- الزناد ، نسيج النص، ص67.

البعض الآخر دون ترابط ، ويدخل في صميم مفهوم مصطلح الجملة أن عناصرها مترابطة ترابطاً محكماً.¹

وأهم "الإسناد" يتم بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل أو ما ينوب عن كل اثنين منهما، الأمر الذي يفصل على النحو الآتي:² *

أ- بين المبتدأ والخبر:

يربط المبتدأ بالخبر عن طريق الإسناد الخبري، وتعاون الإسناد الخبري أمور مختلفة كلها تعمل على توضيح الترابط بينهما، بمعنى أنه إذا فقد أحد هذه الأمور يختل الإسناد وبالتالي يتفكك الترابط، ومنها :

1- الصيغة الاسمية للمبتدأ، فلا يكون المبتدأ إلا اسماً أو مركباً اسماً (مصدراً مؤولاً مثلاً)، ومن هنا كان ما ليس اسماً يجب تأويله ليكون كذلك .

2- التعيين في المبتدأ، بمعنى أن يكون أحد المعارف (معرفة بـ " ال " ، علم ، ضمير ..) أو نكرة مخصصة أو ما هو في حكمها، حتى تحصل الفائدة في الإخبار ، لأن الإخبار حكم، ولا يحكم على مجهول .

3- الحالة الإعرابية للمبتدأ الرفع ، وقد لا يظهر في الصيغة المنطوقة . . . والحالة الإعرابية للخبر كذلك الرفع...

4- لا بد من المطابقة بينهما في النوع والعدد ، إذا كان الخبر مفرداً، فلا يختلفان إلا بما تسمح به القواعد اللغوية المضبوطة ، لأن عدم التطابق يحل عقدة الترابط .

5- يتحمل الخبر المفرد ضميراً يعود على المبتدأ مطابقاً له إذا كان الخبر مشتقاً مثل : " محمد قائم " أي هو ، أو جامداً مؤولاً بالمشتق مثل « محمد أسد » فأسد بمعنى « شجاع » وهي مشتقة...

1- حماسة ، بناء الجملة العربية، ص 87 .

2- المرجع نفسه ، ص 88 وما بعدها .

*- فيما يلي نقل من المرجع السابق ص 106 وما بعدها ، مع شيء من التقليل والتصرف الطفيف أحياناً وخاصة في التعبير ، وغالباً ما تكون الزيادة بين قوسين .

6- لزوم تقديم المبتدأ و تأخير الخبر عند خوف اللبس وعدم معرفة المحكوم عليه من المحكوم به ، فيلزم أن يكون المتقدم منهما هو المبتدأ ، والمتأخر هو الخبر ، على أي نحو نطق به المتكلم ، وذلك في مواضع معينة (محددة في القواعد) ، منها (مثلاً) إذا تساوى كل من المبتدأ والخبر في التعريف والتأكيد مع عدم وجود قرينة من نوع ما تبين المخبر عنه من المخبر به بأن كانا معاً معرفتين مثل " زيد أخوك " . ووضح أن المعنى يختلف بين الترتيب في هذا المثال وبين مثال : " أخوك زيد " .

7. ومما يساعد الإسناد في تحقيقه على وجهه المفيد أن يلزم بعكس الوضع الأصلي فيتقدم الخبر على المبتدأ في مواضع معينة بحيث إذا التزم بالوضع الأصلي صار الكلام ملبساً وخرج عن الغرض المقصود.. ومن هذه المواضع (مثلاً) : إذا كان الخبر محصوراً والمبتدأ محصوراً فيه ، مثل: « ما قادرٌ إلا الله . » ..
ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الجملة تكون صحيحة نحويًا إذا تقدم المبتدأ . . ولكن المعنى يتغير ويخالف المقصود.

ومن هذه المواضع أيضاً: إذا كان المبتدأ نكرة ، والخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً مثل: «عندك مال » و « فيك شجاعة » بشرط أن يكون الظرف والجار والمجرور مختصين بمعنى أن يكون الظرف مضافاً لمعرفة و أن يكون المجرور بحرف الجر معرفة . وفي مثل هذه الحالة لو تأخر المبتدأ لاختل الإسناد بين المبتدأ والخبر اختلالاً يذهب بمعنى الجملة نفسها ، لأنَّ كلاً من " مال " و " شجاعة " نكرة ، ولو تقدمت لكانت حاجتها إلى أن توصف أقوى من حاجتها إلى الإخبار عنها ، لأن المتكلم لا يتحدث عن النكرة ما لم يخصصها للمخاطب ، وبذلك يلتبس الخبر بالصفة . .

وهناك روابط أخرى بين المبتدأ والخبر تدخل في الإسناد ، ولكنها مذكورة في البحث كأدوات للاتساق مستقلة عن الإسناد ، ومنها مثلاً : عندما يكون الخبر جملة فإن الربط بينه وبين المبتدأ يكون عن طريق الإحالة بالضمير أو اسم الإشارة أو التكرير.

ب- بين الفعل والفاعل:

" الإسناد الفعلي " هو القرينة الكبرى التي تربط الفعل بالفاعل وتجعل الفاعل هو الذي يقوم بالفعل أو يتصف به. وتعاون الإسناد، لكي يكون رابطاً بين الفعل والفاعل، عدّة أمور أخرى، هي:

- 1- الصيغة الصرفية، وهي في الفاعل أن يكون اسماً أو مركباً اسمياً (مصدر مؤول مثلاً).. وهي في الفعل أن يكون على هيئة المبني للمعلوم .
- 2- الرتبة ، وهي ملتزمة هنا بأن يتقدم الفعل ويتأخر الفاعل فإذا قلنا « ظهر الحق » فالإسناد هنا فعلى ، لكن إذا تقدّم " الحق " فالإسناد يصير خبرياً " الحق ظهر " وتصير الجملة اسمية مركبة حيث يخبر على المبتدأ بجملة فعلية (ظهر + الضمير المستتر).
- 3- صلاحية الفعل للإسناد ، بأن يكون دالاً على الحدث والزمن لا الزمن فقط ، ومن هنا لا تكون " كان " وأخواتها مع المرفوع بعدها فعلاً وفاعلاً في حالة نقصانها لأنها غير صالحة للإسناد لدلالاتها على الزمن فقط ، (وعليه فهي لا تكتفي بمرفوعها وحده لتدلّ على جملة مفيدة) .
- 4- الحالة الإعرابية الخاصة بالرفع ، فلا يوجد في الجملة الفعلية مرفوع إلاّ الفاعل فقط ، وإذا وجد اسم مرفوع آخر فإنما يكون بالتبعية للفاعل ، أو لكونه عنصراً في مركب اسمي يكون هو نفسه فاعلاً أو عنصراً آخر غير الفاعل .
- 5- المطابقة في النوع (التذكير والتأنيث) وتكون لازمة عندما يكون الفاعل مؤنثاً حقيقي التأنيث غير مفصول عن الفعل أو ضميراً يعود على مؤنث (و يكون التأنيث بعلامات ولواحق تضبطها القواعد بكيفيات مخصوصة) .
- 6- عدم المطابقة في العدد بين الفعل والفاعل ، فيظل الفعل مفرداً وإن كان الفاعل مثني أو جمعاً (مثل) قال قومك، وقال أبواك... فليست بالفعل حاجة إلى علامة تثنية أو جمع لأن الفاعل نفسه يغني عن ذلك.¹

1- إلاّ على لهجة قليلة لم يُدخلها النحاة في مجال التقعيد . ينظر: أ- سيبويه، الكتاب: ج2، ص40.

ب- حماسة، بناء الجملة العربية، ص 131 .

7- عدم جواز حذف الفاعل ، فإذا لم يكن ظاهراً فهو مقدّر ، وهذه الفكرة نابعة من اعتبار البنية الأساسية للجملة الفعلية ، وهذه البنية الأساسية الخاصة بالجملة الفعلية تقرّر أن الفعل لا بد له من فاعل ، ولا تحدث الأفعال من تلقاء نفسها . وقد اطردت هذه الفكرة في اللغة ، فلزم لذلك أن يكون لكل فعل فاعل ظاهر أو مقدر ، مستتر أو بارز ، لكنه لا يحذف ، وهناك فرق بين الحذف والاستتار ، فالمستتر معتبر في الفهم كأنه موجود . .

4.3.2- الترابط غير الإسنادي:

علاقات الترابط بين العناصر غير الإسنادية في الجملة العربية عديدة ، منها ما تمّ تناوله في موضع سابق كالتوابع والحال والتمييز ، ومنها ما يمكن تجاوزه رغبة في الاختصار ؛ كترابط الفعل بالمفعولات . . ولكن لا بد من التوقف عند الترابطات التي تتم بواسطة أداة ولو تأويلاً ، منها ما يلي :

أ- الاستثناء : يقول سيبويه « فحرف الاستثناء " إلا " . وما جاء من الأسماء فيه معنى " إلا " فـ "غير" ، و "سوى" . وما جاء من الأفعال فيه معنى " إلا " فـ " لا يكون " و " ليس " ، و " عدا " و " خلا " . وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فـ " حاشا " و " خلا " في بعض اللغات »¹.

هذه أدوات الاستثناء ، تقع الواحدة منها بين طرفي الجملة ، ذات أسلوب الاستثناء ، فيأتي قبلها - في الغالب - المستثنى منه وبعدها المستثنى ، فتؤدي الدور المعنوي فيها و « هو أن يكون الاسم الذي بعد الأداة " خارجاً مما دخل فيه ما قبله " بأن تثبت لما قبل " إلا " حكماً أو تنفيه عنه وتخرج بهذه الأداة الاسم الواقع بعدها مثل: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ (البقرة 249) فقد أثبت الشرب لجماعة الغائبين و أخرج منهم " قليلاً منهم " »².

1- سيبويه ، الكتاب ، ج2، ص 309 .

2- حماسة، بناء الجملة العربية ، ص 170 .

و« يتربط المستثنى مع أجزاء جملته حيث يكون ارتباطه بالحكم المستفاد من التركيب الأساسي إما بالخروج من الاتصاف مما ثبت في التركيب الأساسي أو بالدخول فيما نفي في التركيب الأساسي نفسه.»¹

ولتأكيد دور الربط لأدوات الاستثناء، وإن كان ربطاً محدوداً لا يتعدى الجملة الواحدة ومشروطاً بشروط²، تجدر الإشارة إلى إمكانية تعويضها بأداة ربط أخرى مع الحفاظ على المعنى، وهي أداة العطف " لا " (النافية) ولو بوجود فرق بين الأداتين في جوانب أخرى « فقولنا " قام القوم إلا زيداً " بمنزلة " قام القوم لا زيداً "، إلا أن الفرق بين الاستثناء والعطف أن الاستثناء لا يكون إلا بعضاً من كل، و المعطوف يكون غير الأول، و يجوز أن يعطف على واحد نحو قولك : قام زيد لا عمرو، ولا يجوز في الاستثناء أن تقول : قام زيد إلا عمراً³ ».

ب . الإضافة:

« التركيب الإضافي مركب اسمي يتم فيه ربط المضاف ، وهو الاسم المحوري في هذا التركيب، باسم مجرور بعده ، ويكون الربط بينهما من خلال فقدان التتوين في الأول أو النون إذا كان مثني أو جمعاً ، ومن خلال جرّ الثاني ، فضلاً عن المعنى الذي يتحقق من الإضافة⁴ ».

هذه شروط ترابط الكلام عن طريق الإضافة وفي حالة عدم توفرها يكون الكلام مفككا لا معنى له لدى العارف باللغة ، وسيلاحظ ذلك من خلال الأمثلة (أ) التي تتوفر فيها الشروط المذكورة والأمثلة(ب) التي يغيّب في كل واحد منها واحد من هذه الشروط ، في كل زوج من مجموعة الأمثلة الموالية.

1 . (أ) . كتاب الطالب . (ب) . كتاب الطالب .

1- المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

2- بفقدان هذه الشروط تصير لأداة الاستثناء وظيفة أخرى ، ويتغير الأسلوب ، كأن يصير مثلاً أسلوب " قصر " يحصر الحكم في الاسم الواقع بعد الأداة، مثل : " ما أثناني إلا زيد " و " إلا " هنا غير رابطة لأن حذفها مع أداة النفي لا يجعل الكلام مفككا. ينظر: بناء الجملة العربية، ص 171.

3- حماسة، بناء الجملة العربية ، ص 172.

4- المرجع نفسه، ص 203 .

2 . (أ) . كتاباً الطالب . (ب) . كتابان الطالب .

3 . (أ) . كتابُ الطالب . (ب) . كتابُ الطالبِ .

وهناك علامة أخرى يجب توفرها إذا كانت الإضافة حقيقية¹، وهي أن يكون المضاف « خالياً من أداة التعريف (ال) »².

فعلى سبيل المثال : إن الأمثلة (أ) السابقة كلها سليمة مترابطة فإذا أدخلت " ال " التعريف على كلمة " كتاب " أو " كتاباً " في أيّ منها فإن التعبير سيختل فيها ويصير غير مفهوم ، فلا يصح مثلاً " الكتابُ الطالب " .

وبالإضافة إلى هذه الخصائص الظاهرة التي تتحقق بها الإضافة ويحصل بها الربط ، هناك معنى آخر خفي موجود في الإضافة يحقق الربط أيضاً ولكنه إذا أظهر شكلياً يتغير التركيب مع أن المعنى العام لا يتغير . و يكمن ذلك في معاني بعض حروف الجر، حيث « أدرك النحاة نموذجين للبنية الأساسية للتركيب الإضافي : أحدهما ، ما عبروا عنه بأن الإضافة فيه على معنى اللام . ويرون أنها الأصل . نحو : ثوب زيد ، وحَصير المسجد ويوم الخميس ويد زيد إلى آخره ، والآخر ، ما عبروا عنه بأن الإضافة فيه على معنى (من) فيما إذا كان المضاف بعضاً من المضاف إليه مع صحة إطلاق اسمه عليه مثل: ثوب خزّ، وخاتم فضة. والتقدير: (أي البنية الأساسية التي ينتمي إليها التركيب) ثوب من خزّ وخاتم من فضة، ألا ترى أن الثوب بعض الخز والخاتم بعض الفضة وأنه يمكن إطلاق اسمه عليه فيقال هذا الثوب خز وهذا الخاتم فضة.

وذهب بعض النحاة إلى أن الإضافة قد تكون على معنى (في)³ أيضاً إذا كان المضاف إليه ظرفاً للمضاف نحو (مكر الليل)...»⁴.

1- تكون الإضافة غير حقيقية وتسمى " إضافة لفظية " إذا كان المضاف وصفاً (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة) ويسمى حينئذٍ " شبيه بالمضاف " ويكون المضاف إليه غير مجرور . . ويصح إدخال " ال " التعريف على الاسمين مثل : فاهمّ الدرس . الفاهم الدرس ، ينظر المرجع السابق ص ص 202 . 203

2- حماسة، بناء الجملة العربية ، ص 202.

3- على خلاف رأي سيبويه والجمهور ، ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4 - حماسة، بناء الجملة العربية، ص ص 203 . 204 .

والجدير بالذكر أن المضاف إليه قد يخرج عن كونه اسماً (مفرداً) ويأتي جملة لا سيما بعد الظروف في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ ﴾ (يوسف 99) ، ولكن عندها « نجد أن التركيب الإضافي بناءً المنطوق لا يوحى بشيء منه ، ولكن استبداله بموازيه يكشف عن هذه الإضافة فلو وضعت (حين) مكان (لَمَّا) . ولذلك يقال عنها لَمَّا الحينية . ووضعت المصدر الصريح مكان جملة "دخلوا على يوسف" لصارت "حين دخولهم" وهذا تركيب إضافي ، وإذن يكون البناء المنطوق الذي عبّر عنه تركيباً إضافياً كذلك.»¹ .

والخلاصة أن عناصر ترابط الكلام في التركيب الإضافي هي :

1 . معنى الإضافة الذي يفسّر ببعض معاني حروف الجر وهي :

اللام (التمليك) ومن (البعضية) وفي (الظرفية ، على اختلاف بين النحاة) .

2 . فقدان التتوين في المضاف أو النون إذا كان مثني أو جمعاً .

3 . خلو المضاف الحقيقي من " ال " التعريفية .

4 . الجر في المضاف إليه .

فكل هذه العناصر تشكل أداة اتساق واحدة وتسمى " الإضافة " فإذا لم يتوفر أحدها ولو بالتأويل والتقدير. كما في حالة المضاف إليه جملة . فقد الاتساق .

ج . حروف الجر: حروف الجر المشهورة هي التي جاءت في قول ابن هشام :

« يُخَفَضُ الاسم إمّا بحرف مشترك ، وهو : من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وفي ، واللام ، والباء للقسم وغيره ، أو مختصّ بالظاهر [دون الضمير] ، وهو : رُبَّ ، ومُذُّ ، ومنذُّ ، والكاف ، وحتىّ ، وواو القسم ، وتاءه . »² .

1- المرجع السابق ، ص 202 .

*- يقول ابن هشام في شرحه للحروف المذكورة « ..أسقطت منها سبعة . وهي : خلا ، وعدا ، وحاشا ، ولعلّ ، ومتى ، وكى ، ولولا . وإنما أسقطت [منها] الثلاثة الأولى لأنّي ذكرتها في الإستثناء ، فاستغنيت بذلك عن إعادتها، وإنما أسقطت الأربعة الباقية لشذوذها. » شرح قطر الندى، ص 351 .

2- ابن هشام، شرح قطر الندى، ص 350 .

ولعله اتضح (في العنصر السابق) من خلال تأويل دور الإضافة في الربط ببعض حروف الجر أن هذه الحروف تقوم بالدور نفسه ، وذلك ما يفهم من خلال معانيها وعلاقتها بالفعل ، حيث أن « الجار والمجرور من أكثر الوظائف النحوية ارتباطا بالفعل وتعلقا به . . . » وقد خصّها الدرس النحوي بمصطلح يدل لفظه على قوة هذا الارتباط وتماسكه وهو " التعلق " .¹ ومن علامات قوة هذا التعلق فقد « يُحدّد معنى الفعل في بعض الأحيان بنوع الحرف الذي يتعلق به مثل " رغب عن كذا " و " رغب في كذا " فنوع الحرف هنا هو الذي يوجّه الرغبة . وأمثلة ذلك في اللغة متعددة مثل " صبر على " و " صبر عن " و " خرج من " و " خرج على " .. الخ .²

ومما يدل أيضاً على الدور الرابطي لحروف الجر هو أن سيبويه سماها «حروف الإضافة» لأنها تضيف معنى الفعل إلى الاسم المجرور . فإذا " قلت : مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء ، وكذلك هذا لعبد الله . وإذا قلت أنت كعبد الله ، فقد أضفت لعبد الله الشبه بالكاف . وإذا قلت : أخذته من عبد الله فقد أضفت الأخذ إلى عبد الله بمن . وإذا قلت : هـُـ زمان ، فقد أضفت الأمر إلى وقت من الزمان بمذ . وإذا قلت : أنت في الدار ، فقد أضفت كينونتك في الدار إلى الدار بفي . وإذا قلت : فيك خصلة سوء ، فقد أضفت إليه الرداءة بفي . وإذا قلت يا الله و والله وتالله ، فإنما أضفت الحلف إلى الله سبحانه " ومعنى هذا أن حروف الجر تصرف الفعل الذي تتعلق به إلى الاسم المجرور بها . ومعنى إضافتها الفعل ضمها إياه وإيصاله إلى الاسم... ولذلك، إذا وجد الجار والمجرور في تركيب ما وليس فيه فعل أو ما في معناه ، قدّر الفعل أو ما في معناه «³.

5.3.2- ترابط الترتب: (أو الشرط وأشباهه) « المقصود بالترتب أن يتوقف أحد أجزاء الكلام على جزء آخر (...) و ما يفيد الترتب عدة صيغ لغوية خاصة ، منها : الشرط ،

1- حماسة، بناء الجملة العربية، ص 172.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه ، ص 173 . 174 .

والجزم في جواب الطلب ، والفعل المضارع المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية ، والقسم . ويعنينا هنا الحديث عن الترابط الواقع بين جزأي التركيب ووسائله اللغوية»¹.

أ- **الشرط**: بنية الشرط بصفة عامة تتكون من العناصر الآتية : " أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط ". وأدوات الشرط نوعان:

النوع الأول: أدوات جازمة ، تجزم الفعلين بعدها الأول في جملة الشرط ، والثاني في جملة جواب الشرط إذا كانا مضارعين ، وهي : « إن ، وإذ ما ، وأين ، وأنى ، وأيان ، ومتى ، ومهما ، ومن ، وما ، وحيثما ، [وأي] »⁵.

والنوع الثاني : أدوات غير جازمة وهي : « إذا ، لو ، لولا ، لوما ، أمّا ، كلّما ، لمّا »².
و أداة الشرط تعلّق إحدى الجملتين بالأخرى ، ويجعل الأولى شرطاً في حدوث الثانية، ولذلك تكون الثانية مترتبة على الأولى أو جواباً لها. وبهذا يكون الربط والتماسك بين الجملتين، فإذا حذفت الأداة أو حذفت إحدى الجملتين بوجودها تفكك الكلام وظهر نقصانه ويتضح هذا الدور من خلال ضرب مثال بأيّة أداة من الأدوات المذكورة دون حاجة إلى تتبعها واحدة واحدة ، وفيما يلي أمثلة عن بعض منها :

(1) قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (البقرة 197)

أداة جملة الشرط جملة جواب الشرط

(2) وقال أيضاً: ﴿إِذَا يُنْثَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء107)

أداة جملة الشرط جملة جواب الشرط

والملاحظ أن أداة الشرط في العربية لها الصدارة بخلاف الروابط الأخرى التي تتوسط طرفي الكلام الذي تربطه ، وكأنّ هذه الأدوات بالمعنى الذي تضيفه لجملة الشرط وهي في أولها تشحنها بطاقة مغناطيسية تنتقل إلى طرفها الثاني فتجذبُ إليها جملة جواب الشرط التي تأتي

1- المرجع السابق ، ص 210 .

* - لم يذكر المؤلف "أي" في المتن ولكنه ذكرها في الشرح كما أنه أسقط "كيفما" ومعلوم في مراجع أخرى أنها أداة شرط جازمة.

444- شرح قطر الندى، ص 108 وما بعدها.

2- أبو رجائي ، زياد، موضوع : أدوات الشرط غير الجازمة ، الموقع الالكتروني: شبكة المنهاج الإسلامية www.almenhaj.net .

*- معظم الأدوات المذكورة لا تحمل معنى الشرط وحده، أي أنها تحمل دلالة أخرى مع الشرط أو أنها قد تختلف دلالتها من استعمال إلى آخر .

بعدها. ومن الواضح أن الفعلين في المثال (1) " تفعلوا " و " يعلم " مجزومان ، والفعلين في المثال (2) " يتلى " و " يخزون " غير مجزومين .

علماً بأن الفعلين مع كل نوع من أدوات الشرط قد يكونان مضارعين أو ماضيين أو مختلفين، وهناك تفصيلات وتأويلات واختلافات يطول شرحها سواء في هذا الأمر أو في اسمية جملة الشرط أو جوابه ولكن لا داعي لإيراد ذلك هنا¹. إنما في إطار الحديث عن الربط بين الجملتين لابد من الإشارة إلى أن الجزم قد يكون ظاهراً (بعلاماته المختلفة سواء أكانت أصلية مثل " يعلم " أو فرعية مثل حذف النون في " تفعلوا ") أو مقدراً، وأن أدوات الشرط الجازمة أقوى دلالة على الربط لأن معنى الشرط فيها مدعم بعلامة الجزم ، أي أنّ « جزم فعلي جملتي الشرط والجواب علامة لغوية منطوقة على الاستجابة لهذا التأثير الشرطي وعلى تماسك الجملتين وترابطهما من أجل أداء المعنى المركب الذي يتوقف بعضه على البعض الآخر ، فالجزم أو تقديره هنا هو الذي حصل به الربط »² وعليه فإنه عندما يغيب الجزم يلزم « الإتيان برابط آخر هو " الفاء " في جملة جواب الشرط ، وتسمى " الفاء الجوابية " ومعناها الربط وتلازمها هنا السببية، وقد وضع النحاة قاعدة عامة لورود هذه الفاء هي: أن كل ما لا يصلح أن يكون شرطاً ووقع جواباً للشرط فإنه تلزمه الفاء، ويتحقق ذلك إذا كان الجواب جملة اسمية مثل: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام 17) أو جملة طلبية مثل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران 31). ومثل ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه 112) .³

وإنما لزممت الفاء هنا « لأن الجزم الحاصل به الربط مفقود وليس على تقدير الظهور، وخصت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية ، ولمناسبتها للجزاء معنى »⁴.

ولعل التعبير الأدق الذي يجب أن يكون في القول السابق هو " الجزم الذي تحصل به قوة الربط " وليس مجرد الربط ، لأن معنى الشرط الذي تحمله الأدوات هو وحده رابط بدليل أن

1- ينظر مثلاً: حماسة، بناء الجملة العربية ، ص 210 وما بعدها.

2- حماسة، بناء الجملة العربية ، ص 211 .

3- المرجع نفسه، ص ص 112 . 113.

4- الأزهري، الشيخ خالد، شرح التصريح على التوضيح 250/2، نقلا عن: بناء الجملة العربية، ص 213.

أدوات الشرط غير الجازمة هي أيضاً رابطة وإذا وجد مع بعضها رابط آخر يسمى " ربطاً إضافياً " وتكون له دلالة خاصة. فالأداة " لو " غير الجازمة « إذا كان جوابها ماضياً مثبتاً ، فالأكثر أن يكون مقترنا باللام مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ (الواقعة 65) والذي يدعو إلى أن تعد هذه اللام رابطاً إضافياً أنه يمكن أن يأتي الجواب الماضي المثبت بدونها مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ (الواقعة 70) وأما إذا كان جوابها منفيًا بـ [ما] ، فالأمر على عكس ذلك ، أي يكثر أن يتجرد جوابها من اللام مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام 112)

ويقول أن يقترب بها مثل قول الشاعر:

ولو تعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الليالي*¹

والخلاصة في " الشرط " أن أدواته سواء كانت جازمة أو غير جازمة لها دور الربط ، ولكن الجزم داعم آخر يقوي دور الربط في أدواته ويدل عليه شكليا ، وقد تعوضه " الفاء " في الجواب عند فقدانه ؛ كما أن الأداة غير الجازمة " لو " قد تدعم برابط إضافي وهو " اللام " لغرض دلالي معين؛ وبهذا يكون الشرط بأدواته ودعائمه المذكورة من أدوات الاتساق .

ب . جزم جواب الطلب:

يقول ابن هشام: « فالجزم لفعل واحد خمسة أمور ؛ أحدها: الطلب، وذلك أنه إذا تقدّم لنا لفظ دالّ على أمر أو نهى أو استفهام أو غير ذلك من أنواع الطلب، وجاء بعدها فعل مضارع مجرد من الفاء ، وقصد به الجزاء فإنّه يكون مجزوماً بذلك الطلب... وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ (الأنعام 151)، تقدم الطلب وهو «تعالوا» وتأخر المضارع المجرد من الفاء وهو «أتل» وقصد به الجزاء ؛ إذ المعنى تعالوا فإن تأتوا أتلت عليكم ؛ فالتلاوة عليهم مسببة عن مجيئهم فلذلك جُزِمَ ، وعلامة جزمه حذف آخره (وهو الواو)»².

* « هذه اللام التي تفيد الربط الإضافي.. تسمى " لام التسويف " لأنها تدل على تأخير وقوع الجواب عن الشرط... » ينظر التفصيل عند: حماسة، بناء الجملة العربية، ص 218.

1- حماسة، بناء الجملة العربية، ص ص 217 . 218.

2- ابن هشام ، شرح قطر الندى، ص 109.

ويفهم ممّا سبق أنّه « لا يكون جزم المضارع في جواب الطلب ملزماً ، ولكن هذا يتوقف على إرادة المتكلم ومراعاة الموقف الذي يعبر عنه ، فإن أراد ترتّب الفعل على ما قبله جزم الفعل ، وإن لم يرد جاء بالفعل مرفوعاً ، ويكون جملة حالية أو مستأنفة»¹

وعليه فإن « جزم المضارع في جواب الطلب دليل واضح على ترتّب الفعل المجزوم على الطلب قبله ، فإذا قلت : " زرني أكرمك " كان هذا دليلاً على ترتّب الإكرام على تحقق الطلب المذكور قبله وهو الزيارة ، ولذلك يكون جزم المضارع في جواب الطلب هو الدليل على الترابط بين الجملتين ترابط ترتّب . وأما إذا جيء بالفعل مرفوعاً فإن العلاقة تختلف مثل قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (التوبة 103) فالفعل "تطهرهم" مرفوع ولذلك فهو غير مترتب على أخذ الصدقة من أموالهم ، وجملة " تطهرهم " على ذلك إما أن تكون نعتاً لـ " صدقة " فتكون الجملة كلها واحدة ، وإما أن تكون مستأنفة فيكون التعبير جملتين»² « وليس هناك من دليل على إرادة ترتّب الفعل على ما قبله إلاّ الجزم. فالعلامة الإعرابية هنا لها دور كبير في تحديد هذه الحالة ، ويشاركها في أداء هذا الدور أن يكون الكلام السابق على الفعل المجزوم " طلباً " والطلب في تناول النحاة يعني : الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والتمني والرجاء والعرض والتحضيض :

فأما ما انجزم بالأمر فقولك : إئتني آتِك .

وأما ما انجزم بالنهي ، فقولك : لا تفعل يكنُ خيراً لك .

وأما ما انجزم بالاستفهام ، فقولك : ألا تأتيني أحدثك ؟ .

وأما ما انجزم بالتمني ، فقولك : ألا ماء أشربه . وليته عندنا يحدثنا .

وأما ما انجزم بالعرض ، فقولك : ألا تنزل تصب خيراً .

وأما ما انجزم بالرجاء ، فمثل : لعلك تقدّم أحسن إليك .

وأما ما انجزم بالتحضيض ، فمثل : هلاً تجيء أكرمك»³

1- حماسة، بناء الجملة العربية، ص 221.

2- المرجع نفسه، ص 220.

3- المرجع نفسه، ص 221.

ومن خلال الأمثلة الفارطة يتبين أن « جواب الطلب يرتبط بالطلب ارتباط جواب الشرط بأداة الشرط وفعل الشرط ، والطلب محتاج إلى جوابه كما تحتاج أداة الشرط و الشرط إلى الجواب. وينقل سيبويه عن الخليل رأيَه في ترابط هذا الأسلوب وهو أن الطلب يتضمن حرف شرط يقول: " وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلها (يقصد الطلب بأنواعه المختلفة) فيها معنى "إن" فلذلك انجزم الجواب، لأنه إذا قال: انتتي آتِك ، فإن معنى كلامه: إن يكن منك إتيان آتِك. وإذا قال: أين بيتك أزرِك، فكأنه قال: إن أعلم مكان بيتك أزرِك، لأن قوله: أين بيتك يريد به: أعلمني، وإذا قال: ليتَه عندنا يحدثنا، فإن معنى هذا الكلام: إن يكن عندنا يحدثنا... وإذا قال : لو نزلت فكأنه قال: انزل" ¹.

وبهذا يكون أسلوب الشرط هو البنية الأساسية والمعنى الحقيقي لأسلوب الطلب وجوابه ، وعليه فإن كلاً من الأسلوبين شبيه بالآخر في الربط بين الجملتين وعلامة ذلك الجزم ومن ثم فمن أدوات الاتساق « جزم جواب الطلب ».

ج . نصب جواب النفي والطلب: (بعد الفاء والواو) .

ينصب الفعل المضارع بـ " أن " مضمرة « بعد فاء السببية إذا كانت مسبقة بنفي محض، أو طلب بالفعل* ² و « بعد واو المعية ، إذا كانت مسبقة بما قدّمنا ذكره ³ .
ومن أمثلة النفي:

- 1 . قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ (فاطر 36) .
- 2 . وقوله أيضاً: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران 142)
ومن أمثلة الطلب (وقد سبق ذكر أنواعه في " جزم جواب الطلب ") .
- 3 . قول الشاعر أبو النجم العجلي؛ (بعد الأمر) :

1- المرجع السابق، ص 222 .

*- النفي المحض: هو الذي لا يمكن تأويله بإثبات، مثل: "مازال" لأن "ما" نافية و"زال" تعني النفي، ونفي النفي إثبات، فهي ليست نفياً محضاً .
- والطلب بالفعل: أي لا يكون الطلب بغير الفعل الصريح من الألفاظ التي تحمل معنى الفعل دون حروفه وهي: اسم الفعل (صه فينام الناس) والمصدر (ضرباً زيداً فيتأدب) ولفظ الخير (حسبك فيستريح الناس) . فإذا لم يتوفر هذان الشرطان وجب الرفع، كما في الأمثلة الأخيرة.
(ينظر: شرح قطر الندى، ص 98) .

2- ابن هشام، شرح قطر الندى، ص 98.

3- المرجع نفسه، ص 105.

يا ناقُ سيري عنقاً فسيحاً :: إلى سليمان فنستريحاً.

4. قول أبو الأسود الدولي (بعد النهي) :

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ :: عار عليك . إذا فعلت . عظيمٌ.¹

وبتأمل هذه الأمثلة يتضح أمر التماسك حيث « إنَّ المضارع واقع في جواب الطلب أو النفي المحضين ومترتب عليهما ومسبَّب عنهما ، ومن هنا سمَّيت الفاء فاء السببية والواو والمعية ، والمعية هي المصاحبة فكأن الفعل المنصوب مصاحب لما قبله . . . ووجود الفاء مع نصب المضارع بعدها ، وسبقهما بنفي محض أو طلب محض يجعل التركيب متماسكاً على هذا النحو الترتيبي.»²

ومما يؤكد الدور الرابطي لهذه الظاهرة اللغوية في العربية هو أن « بعض النحاة لم يسلب عن الفاء والواو معنى العطف ، ولذلك يرون أن كلاً منهما تعطف مصدرًا مؤولاً من " أن " المضمرة وجوبا والفعل المنصوب بها على مصدر مؤول من " أن " المضمرة وجوباً والفعل المنصوب بها على مصدر متوهم ، فإذا قلت " لا تهمل فتندم - بنصب تندم - فالتأويل " لا يكن منك إهمال فندمٌ »³.

ودون الغوص في التفاصيل لا سيما إذا جاء الفعل مرفوعاً ، فإن المهم في المسألة هنا هو أن " فاء السببية " و " وواو المعية " المدعمتين بعلامة نصب المضارع بعدهما تربطان بين جملتي النفي أو الطلب وجوابيهما ، وذلك من أدوات الاتساق .

د . القسم وروابطه:

« أسلوب القسم يتكون من جملتين : الأولى ، جملة القسم ، والثانية ، جواب القسم ، وجملة القسم قد تكون جملة فعلية أو جملة اسمية ، فالجملة الفعلية نحو " حلفت بالله وأقسمت و آليت وعلم الله ويعلم الله " .

1- ينظر في كل هذه الأمثلة : المرجع السابق ، ص 98 وما بعدها.

2- حماسة، بناء الجملة العربية، ص 223.

3- المرجع نفسه، ص 223.

وقد يُكتَفَى بحرف الجر وما أقسم به ويحذف الفعل الدال على القسم ويسمى حرف الجر هنا حرف قسم . وهو ثلاثة : الباء والواو والتاء . فإذا كان حرف القسم المستخدم هو الباء فإن الفعل الذي يتعلق به الجار والمجرور يكون محذوفاً جوازاً ، ولذلك قال النحاة : إن الباء هي أصل القسم " ولذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو : أقسم بالله لتفعلن " (...) والذي يعني هنا من قول النحاة إن الأصل في القسم هو الباء ولذلك خصت بذكر الفعل معها دون الواو والتاء، أن البنية الأساسية للقسم بالجملة الفعلية تتكون من [فعل وفاعل وحرف جر يوصل به إلى المقسم به] . و لذلك عندما يقول النحاة في القسم بالواو والتاء إن الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف وجوباً، يعد هذا محاولة للرجوع إلى ذلك الأصل الذي يمكن ظهوره مع الباء دون الواو والتاء .

وأما القسم بالجملة الاسمية، فمثل ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر 72) وهنا كلمة عَمُرَ (بفتح العين من أجل القسم) مضافة إلى ضمير المخاطب ، ويمكن أن تضاف إلى غيره من الظاهر والمضمر، مثل: لعمر أبيك، ولعمر الله، وكذلك يمين الله و أيمن الله وأيم الله وأمانة الله، وعلى عهد الله، إلى آخره. ومن الملاحظ أن النحاة يقررون أنه إذا كان المبتدأ أو الخبر نصاً في اليمين أي مخصوصاً بالقسم وحده، فإن الطرف الأساسي الثاني للجملة في هذه الحالة لا بد أن يكون محذوفاً (...) مثل " في ذمتي لأفعلن " .. " عهد الله لأفعلن " ¹ . وتعزى كثرة الحذف في الجملة القسمية إلى التخفيف..²

والمهم في هذا كله هنا هو أن أسلوب القسم يتكوّن من جملتين جملة القسم وجملة جوابه وهما مترابطتان وهذا الترابط نوعان إذ « فضلاً عن الترابط المعنوي بين هاتين الجملتين ، حيث تكون جملة القسم تأكيداً لجواب القسم ، فإن جواب القسم لا بد فيه من روابط لغوية تميّزه وتحدّده »³. وفي هذا يقول ابن يعيش :

1- في جملة القسم في كل من هذين المثالين ، حذف المبتدأ في المثال الأول وتقديره ما هو غير محذوف في الثاني وحذف الخبر في الثاني وتقديره ما هو في الأول

2- حماسة، بناء الجملة العربية، ص ص 229-230.

3- المرجع نفسه، ص 230.

« كل واحد من القسم والمقسم عليه جملة ، والجملة عبارة عن كل كلام مستقل قائم بنفسه ، وكانت إحداها لها تعلّق بالأخرى ، ولم يكن بد من روابط تربط إحداها بالأخرى ، كربط الشرط بالجزاء »¹. وهذه الروابط اللغوية تختلف باختلاف جملة جواب القسم ويمكن تلخيصها في الجدول الموالي :²

الرابط	نوع جملة جواب القسم	مثال أو توضيح
اللام	فعلية موجبة (مثبتة)	يكثر اقتران هذه اللام بأدوات أخرى أو تجردها منها وفق حالاتها الآتية:
اللام + نون التوكيد	فعلية موجبة فعلها مضارع	﴿وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء 57).
اللام + قد	فعلية موجبة فعلها ماضي متصرف	﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ (يوسف 73)
اللام (فقط)	فعلية موجبة فعلها غير متصرف	﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا﴾ (يوسف 91) قول زهير: يمينا لنعم السيدان وجدتما :: على كل حال من سحيل ومبرم.
إن + اللام	اسمية موجبة	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (العصر 1.2)
إحداها (إن أو اللام)	اسمية موجبة	﴿قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف 95) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات 6) (وهي جواب لقسم الآية الأولى ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾) ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان 3.1)
ما (النافية)	فعلية منفية فعلها ماضٍ.	﴿وَاللّٰهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام 23)
لا (النافية ³)	اسمية منفية	﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ إبراهيم 44
	فعلية منفية فعلها مضارع ⁴	﴿لَسِنُ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَسِنُ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ (الحشر 12) (فاللام في الآية موطنة للقسم وقد تقدّم القسم على الشرط)

1- شرح المفصل، ابن يعيش، الشيخ موفق الدين يعيش بن علي النحوي، عالم الكتب ، بيروت، د. ط ، د. ت ، ج 9، 96.

2- ينظر: بناء الجملة العربية ، ص ص 231 . 233 (نقلا عن أمهات الكتب النحوية المذكورة في هامشه).

3- يقرر المرجع المعتمد أنه لا يكون نفي جواب القسم إلا بأحد هذين الحرفين (ما) و (لا) .

4- لما كان الفعل المضارع في جواب القسم لا يأتي إلا ومعه " اللام + نون التوكيد " في حالة الإثبات و " لا " في حالة النفي، فإنه إذا جاء جواب القسم فعلاً مضارعاً خالياً من هذه الأدوات وكان معنى الكلام النفي « اعتقد النحاة أن " لا " مقدرة مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ تَقْتُلُنَا تَنْكُرُ يُونُسَ﴾ (يوسف 85) ، أي " لا تقتلنا " .. ينظر : بناء الجملة العربية ، ص 232.

والملاحظ أن حروف القسم (الباء والواو والتاء) هي حروف جر، وهي لا تربط بين جملة القسم وجملة جوابه إلا من خلال معنى القسم الذي تضيفه على الجملة الأولى، وإنما تربط ربطاً شكلياً بين طرفي جملة القسم داخلها فقط على النحو الذي فصل في « حروف الجر » سابقاً. وبناء على ما سبق فإن " القسم " يحقق الاتساق بين جملتيه من خلال نوعين من الروابط . الأول هو معنى التوكيد الذي ما أوتي بالقسم إلا ليثبتته في جوابه. والثاني : هو الروابط اللغوية الآتية التي تقع بين الجملتين وفق شروط مخصوصة : اللام وحدها . اللام + نون التوكيد . اللام + قد . إن + اللام . إن أو اللام (إحداهما) — ما (النافية) — لا (النافية).

6.3.2- حروف التفسير:

يقول ابن هشام متحدثاً عن الجملة : « المفسرة ثلاثة أقسام : مجردة من حروف التفسير... ومقرونة بـ"أي" كقوله :

وَتَرْمِينِي بِالطَّرْفِ أَيُّ أَنْتَ مَذْنُبٌ... وَتَقْلِينَنِي لَكِنْ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

ومقرونة بـ " أَنْ " ﴿ فَأَوْحِينَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ ﴾ (المؤمنون 21) وقولك : " كتبتُ إليه أَنْ افْعَلْ " .¹

وقال الزنجاني شارح (الهادي) : « وقد يفسر الكلام بـ " إذا " ، تقول : عسّس الليل إذا أظلم ، فتجعل " أظلم " تفسيراً " لعسّس " ... »² .

لا يهمّ هنا قسم " التفسير المجرد من الحروف " . الذي ذكره ابن هشام . لأنّه ينتمي إلى الانسجام كما سيأتي³ ، كما لا تهمّ تفاصيل كون " أي " تفسر المفردات والجمال و " أَنْ " تختص بتفسير الجمل على أن تتضمن الأولى معنى القول دون حروفه ، ولا تفاصيل الفرق ما بعد " أي " و " إذا " في الشكل كما جاء في كتب النحو المذكورة وغيرها ، ولكن الذي يهمّ هو أنّ هذه الأدوات (أي . أَنْ . إذا) تقع بين طرفي الكلام فتربط الأوّل منه بالآخر ،

1- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2 ، ص 62 .

2- نقلاً عن: السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمان ، بن الكمال أبو بكر جلال الدين ، الأشباه والنظائر في النحو، راجعه : فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، 1404 هـ . 1984م ، ط1 ، ج2 ، ص 142 .

3- ينظر البحث : في مبررات الفصل ، ص 237 ، والمناسبة والتناسب ، ص 266 وغيرهما من المواضع.

كما هو ظاهر في الأمثلة السابقة ، وذلك بعامل المعنى الذي تحمله حيث يفهم منها أن الكلام الثاني مفسّر للكلام الأول ، فهي إذن أدوات ربط يمكن أن تدرج منطقياً ضمن أدوات الاتساق .

والخلاصة هي أن أدوات الاتساق الواصلة قسمت هنا إلى قسمين:

القسم الأول: أدوات الوصل المعجمية: وهي مفتوحة وغير محددة.

القسم الثاني: أدوات الوصل النحوية، وهي:

. العطف: بحروفه العشرة ومبرراته.

. الإسناد: وروابطه الشكلية.

. الترابط غير الإسنادي؛ ومنه:

أ- الاستثناء.

ب- الإضافة.

ج- حروف الجر.

. ترابط الترتيب (أو الشرط وأشباهه):

أ- الشرط.

ب- جزم جواب الطلب.

ج- نصب جواب النفي والطلب (بعد الفاء والواو)

د- القسم وروابطه.

. حروف التفسير .

المبحث الثاني: وسائل الانسجام

• تمهيد:

لقد تبين نظريا في عنصر "العلاقة والمقارنة بين الاتساق والانسجام" أن بعض أدوات الاتساق لا تؤدي دورها الخاص بها إذا لم تدعمها مبادئ معنوية هي لمفهوم الانسجام أقرب، وقد ظهر ذلك بجلاء في "مبررات العطف" الذي هو نوع من الاتساق؛ كما أن وسائل الانسجام قد تتخللها أدوات اتساق أيضا إلا أن منهجية البحث التعليمية تقتضي الفصل وتفادي هذا التداخل ما أمكن ، ومن ثم فإن أدوات الاتساق الشكلية لم تعد تعني البحث هنا سواء كانت موجودة أم غير موجودة في ما سي طرح لاحقا.

وينبغي التنبيه كذلك إلى أن طريقة عرض وسائل الانسجام ستختلف هنا عن طريقة المبحث السابق الخاص بعرض أدوات الاتساق ، ذلك أن الاتساق - كما سبق بيانه - ظاهر على المستوى السطحي بوسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة ليس فيها اختلاف كبير بين العلماء، أما الانسجام «الذي يعني الوحدة والاستمرار والتشابه فيقوم على قواعد وأبنية تصويرية تجريدية، وقد أدت هذه الخاصية الجوهرية لها إلى الاختلاف بين علماء النص في محاولاتهم المتكررة والمتباينة المداخل لاكتشافه»¹ ونظرا لهذا الاختلاف حول مظاهر ووسائل الانسجام فإن اجتهادات كل عالم فيها ستعرض لاحقا وحدها ولا تجمع إلا الآراء المشتركة أو يُكتفى بذكر أحدها، مع الاعتماد في التلخيصات على بعض المراجع الشارحة أو الملخصة والمترجمة للمباحث المطولة لا سيما الأجنبية والتراثية ، على أن يذكر كل منها في حينه.²

1- في لسانيات الخطاب: عند فان دايك

على غرار ما انتهجه محمد خطابي ، في مرجعه المذكور آنفا، أثناء بحثه عن الانسجام والذي سيحتذى حذوه في سائر المبحث، فإن كتاب النص والسياق (Texte and context, 1977) هو الذي ستؤخذ منه وسائل الانسجام عند صاحبه تون فان دايك.

1- بحيري، علم لغة النص، ص 111.

2- من أبرز المراجع التي سيعتمد عليها في التلخيصات الموالية، خطابي، محمد ، لسانيات النص.

وقد اعتبره خطابي ممثلاً لمنظور "لسانيات الخطاب" نظراً لما ورد في مدخل هذا الكتاب من تطلعات وتساؤلات نظرية هامة ... ومن الجانب الدلالي للخطاب وانطلاقاً من النص ذاته يرى فان دايك أن وسائل الانسجام هي كالآتي:¹

1.1- الترابط بين القضايا:

دون الخوض في الترابط الشكلي بين الجمل، فالمقصود هنا بالترابط بين القضايا هو العلاقة الدلالية بينها، التي تحدد مقبولية الجمل التي وردت فيها من عدمها ولتوضيح هذا المفهوم يضرب فان دايك الأمثلة الآتية حيث إن الأول مقبول والثاني أقل مقبولية والثالث غير مقبول:

1- جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.

2- جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيراً من الأسطوانات.

3- جون أعزب، وإذن فأستردام هي عاصمة هولندا.

وأما الشروط التي تحكم الترابط فهي كالتالي، وهي شروط متكاملة لا يغني أحدها عن الآخر:

أ- العلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل: مثل الجملة (1) حيث مفهوم "أعزب" يتضمن مفهوم "غير متزوج".

ب- التطابق الإحالي .. ج- الترتيب الزمني.. (وقد تناولهما البحث ضمن أدوات الاتساق).²

د- تعالق الوقائع التي تشير إليها القضايا: ففي الجملة (2) رغم أن المتحدث عنه هو هو

ولكن ذلك لم يكن كافياً لمقبوليته التامة إذ لا يفهم من أي منظور يمكن أن يتعالق واقع

كون جون أعزب وواقع شرائه كثيراً من الأسطوانات .

هـ العوامل الممكنة: ويتضح ذلك في المثال الآتي:

4- حلمت أن الطقس حار جداً فذهبت إلى الشاطئ.

1- ينظر أ- خطابي، لسانيات النص، ص ص 31 - 34.

ب- فان دايك النص والسياق ، ت: عبد القادر قنيني، ص ص 71- 136 .

2- ينظر البحث ، ص 113، ص 146 وما بعدهما (على التوالي).

حيث إن واقع كون الطقس حارًا في عالم حلم ليس سببا عاديا للذهاب إلى الشاطئ في عالم فعلي ومن ثم فإن الانسجام غير متحقق.

ويخلص فان دايك إلى أن « الجمل مترابطة إذا كانت الوقائع التي تشير إليها قضايا متعلقة في عوالم متعلقة.¹ ويذهب إلى أن أحد شروط تعالق الوقائع هو علاقة السبب والنتيجة، فكلما كان السابق شرطا كافيا للنتاج كانت الوقائع متعلقة؛ مثال ذلك (جون أعزب فهو إذن غير متزوج).

ولكن علاقة "السبب والنتيجة" غير واردة دائما ويوضح هذه الأمثلة التالية :

5- ذهبنا إلى الشاطئ لكن بيتر ذهب إلى المسبح.

6- ذهبنا إلى روما وكذلك فعلت أسرة جونسون.

ففي هاتين الجملتين لا يعبر الناتج (الشرط الثاني) عن قضية تشير إلى واقع يعد نتيجة للواقع الذي يشير إليه السابق (الشرط الأول) ولكن هذا لا يعني أن الوقائع غير مترابطة ولكن الذي يضمن الترابط هنا كما في المثال (5) هو النشاط المتماثل وهو "السباحة" على عكس ما هو وارد في الجملة التالية التي لا مجال للمقارنة بين ما جاء في شطريها الأول والثاني.

(7) ذهبنا إلى الشاطئ وولد بيتر في مانشستر.

بالإضافة إلى ذلك فإن تماثل الأنشطة يمكن أن يحدد انطلاقا من "وجهة نظر" معينة وهي في الجملة (5) مثلا "أنشطة التسلية" وكذلك من وجهة نظر زمن معين أو عالم ممكن أي "أمس"، وباعتبار وجهة النظر الأخيرة يمكن أن تكون الجملة (5) جوابا عن سؤال مثل "ماذا فعلتم أمس؟" في حين لا يمكن أن تكون الجملة (7) مناسبة في الجواب عن هذا السؤال.

« ويترتب عن هذا أننا نؤول العلاقات بين الوقائع بالنظر إلى قاعدة مشتركة.² وباختصار فإن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعلقة بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب،

1- نقلا عن: خطابي، لسانيات النص، ص 32 - 33.

2- فان دايك ، النص والسياق، نقلا عن: خطابي، لسانيات النص، ص 33 .

وهكذا ينتهي الباحث إلى أن «الشرط الأدنى لتربط القضايا التي تعبر عنها جملة أو متتالية هو ارتباطها بموضوع (موضوعات) التخاطب نفسه»¹

2.1- تناسق فحوى الخطاب*

المقصود بتناسق فحوى الخطاب أن بعض خواصه الدلالية « القائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى»²، «على معنى أن الجمل لا تؤول حسب نماذج "معزولة" بل متناسبة لكون تأويل الجمل المترابطة مندرجة في نماذج متصلة، وإنما تتحد العلاقة الموجودة بين الجمل باعتبار هذه التأويلات»³. ولتوضيح هذا المفهوم أكثر يمكن القول بأن مصطلح " الترابط بين القضايا" (المذكورة سابقا) « يشمل في الظاهر جانبا واحدا من [تناسق فحوى الخطاب] أعني العلاقة المباشرة ذات الاتجاه الثنائي بين تلازم القضايا ككل، وبالرغم من ذلك فإن الجمل أو القضايا في كل خطاب قد تشكل كلا متسقا حتى ولو كانت جميعها لا ترتبط بكل جملة على حدة أو قضية قضية»⁴.

ولكي يبرهن " دايك " على ضرورة هذا النوع من التأويل يشرع في تحليل ثلاثة مقاطع من قصة بوليسية وهي التي تساعد على تحديد مظاهر " تناسق فحوى الخطاب" ووسائله وذلك بإبراز العلاقات التي تجعل المقطع متماسكا، ثم العلاقات القائمة بين تلك المقاطع ، وهذه المقاطع هي⁵:

(1) أ - دخلت كلاير راسل إلى مكتب الـ (Clarion) في الصباح التالي يملأها الإحساس بالتعب والكآبة ، ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها ، نزعَت قبعَتها ، لمست وجهها بالمدركة ثم

1- المرجع نفسه، ص 34.

* - هذا العنصر (من وسائل الانسجام) سماه خطابي " الانسجام " (لسانيات النص، ص 34) وعنونه عبد القادر قنيني في ترجمة المصدر نفسه " اتساق فحوى الخطاب " (النص والسياق، ص 137) إلا أن هذا الأخير في ثانيا الفقرة الأولى أورد التعبير التالي «.. الذي يتحدد بما يسمى بالاتساق أو التناسق » وأمام هذا التخيير بـ " أو" بين الاتساق والتناسق كان لفظ " التناسق" أولى في هذا البحث نقاديا للخلط بين المصطلحات، وحتى لا يسمى الفرع بما سمي به الأصل ، فهذا العنصر فرع من موضوع " الاتساق والانسجام " الذي هو الأصل.

2- النص والسياق، ت : عبد القادر قنيني، ص 137.

3- المرجع نفسه ، ص 140.

4- المرجع نفسه ، ص 137.

5- الترجمة ل: خطابي في لسانيات النص، ص 34.

جلست إلى منضدتها . كان بريدھا مشتتا ومنشفتھا ناصعة البياض ومحبرتها مليئة بالمداد . لكنها لم ترغب في العمل .

(1) ب- دفعت البريد جانبا وحدقت من النافذة وكانت الشمس حارة والشوارع مغبرة، كانت فيرفيو في حاجة ماسة إلى المطر . وكان منظر المدينة الصغيرة المتناثرة محترقا .

(1) ج - وهي جالسة هناك ، فكرت في هاري ديوك ، كانت تفكر فيه معظم الليل . هاري ديوك وبيتر ، بيتر وهاري ديوك ، كانت تتقلب في السرير الضيق، محدقة في الظلام ، متذكّرة كل التفاصيل الصغيرة لما كان قد حدث . إنها ترى هاري ديوك بشكل جلي، إنها ترى كتفيه القويتين ، ورأسه الفاحم الصغير، وشاربه المقلم القصير، إنها تحس بقوته، كان عليه فقط أن يمد يده لتضع فيها يدها بسرور، إنها تعرف أنه يعلم ذلك، وقد أخافها ذلك(...).

إن العلاقات المتكاملة التي أسهمت في انسجام هذا النص يمكن تلخيصها على النحو التالي:¹

أ - التطابق الذاتي: (individual Identity) ومثال ذلك التطابق بين (كلاير راسل) وبين الضمير (هي) المستتر في الأفعال المتعلقة بها [وهذا من مظاهر الاتساق ..]. أما الذوات الأخرى فهي متعلقة بطريقة غير مباشرة وهي: مكتب، غرفة العمل، قبعة، وجه، المذرة، منضدة، محبرة، منشفة، بريد .

ب - علاقات التضمن والعضوية: (membership) ، الجزء . الكل ، ثم الملكية ، ومثال علاقة الجزء بالكل ، غرفة العمل جزء من مكتب ، كما أن المنضدة جزء من الغرفة، والوجه جزء من شخص . وعلاقة الملكية تتجلى في أنّ القبعة والمذرة ملكيات ممكنة لأنثى إنسانية .

ج - الحالة العادية المفترضة للعوامل: (Assumed normality) التي يشمل عليها الخطاب، وهو شرط معرفي، ويعني «أنّ ضروب توقعنا بشأن البنيات [الدلالية] للخطاب تحددها معرفتنا بترتيب العوامل في أعم أحوالها وأخصها أو معرفتنا بجريان الأحداث،

1- ينظر : أ) خطابي، لسانيات النص، ص ص 35-37.

ب) فان دايك، النص والسياق. ت : قنيني، ص ص 137 - 179.

وبالنسبة للعوامل غير السوية فنحن نحتاج إلى أمارات مخصوصة، مثلاً حرف الاشتراك (لكن) في الجملة السابقة من المقطع الأخير يدل على أن عدم الرغبة في العمل هو حالة شاذة بالنسبة لموقف الاشتغال في المكتب تحت ظروف جدّ مواتية (من وجود ..دواة مملوءة حبراً وغيرها)»¹

وللتوضيح أكثر « يسوق دايك الأمثلة التالية:

- (...) نزع ثيابها (...)

- (...) ألق منضدتها خارج النافذة (...)

- (...) شربت حبرها (...)

غني عن البيان أن هذه الأمثلة البديلة... غير منسجمة مع عالم العمل وتوافر شروطه، وهذا لا يلغي إمكانية ورودها في سياقات أخرى.. ولكي تبعد إمكانية ورود هذا الخطاب البديل يلجأ فان دايك إلى مبدأ.. مفهوم الإطار»²

د - « مفهوم الإطار الذي يميز معرفتنا للعالم*: ففي المقطع الأول إطار مكتب أي مجموعة نمطية من ذوات المكتب وأنشطة نمطية في المكاتب، ومعنى هذا أن الخطاب البديل أعلاه ليس مقبولا لا لأنه يخرق مبدأ الحالة العادية المفترضة للعوامل فقط وإنما لأنه يتناقض أيضا مع إطار المكتب الذي تشكّل لدينا بناء على تجربتنا الحياتية اليومية»³. وبناء على المفهوم السابق ينسجم المقطع الثالث . مثلا . باعتبار أن الذوات الواردة فيه تتمركز حول إطارين: إطار الليل وتدرج فيه الذوات: الليل، الظلمة، السرير.. ثم إطار الإنسان الذكر: الكتفان، الشارب، الرأس، القوة.

هـ - تعالق المحمولات: فالمحمول « حدقت (خارج النافذة)» متعالق مع المحمول «كانت في المكتب» ومع محمول « لم ترغب في العمل».. والمحمول الأول ورد في المقطع الثاني بينما المحمولان الآخران وردا في المقطع الأول. كما أن المحمول «حدقت خارج النافذة» هو

1- فان دايك، النص والسياق، ت قنيني، ص 144.

2- خطابي، لسانيات النص، ص ص 35-36.

* - سيأتي التفصيل أكثر عن معرفة العالم ومفهوم الإطار عند براون ويول، ينظر البحث: ص 222، ص 224 (على التوالي).

3- خطابي، لسانيات النص، ص 36.

الذي يربط الموضوع الجديد في المقطع الثاني (الشمس،المطر،الشوارع،المدينة..) بالموضوع السابق بما فيه الجملة الأولى في نفس المقطع ،فعلاقة النظر إلى الخارج هي التي تبرّر الحديث عن ذوات جديدة.

وكذلك في المقطع الأخير هناك موضوع جديد يجسده المحمول «خلق العالم» (world creating) و" التفكير" ، وهو المحمول الذي سمح بإدراج ذوات جديدة غير موجودة واقعا في العالم الفعلي لموضوع الخطاب الأول، وقد تم إدراج هذا الموضوع الجديد بواسطة علاقة التذكّر والاسترجاع ، والذوات المدرجة في الموضوع هي: (هاري ديك) و (بيتر) و (السرير)، ولكن الاسمين العلمين سبق إدراجهما في فصول سابقة من القصة ويرى ديك أن إدراج هذه الذوات منسجم مع العالم الفعلي بواسطة علاقة التذكر والاسترجاع. والخلاصة إن أهم وسائل الانسجام الفرعية المشكلة للوسيلة الأساسية "تناسق فحوى الخطاب"، هي كما يلي:*

أ- التطابق الذاتي.

أ- علاقات التضمن والعضوية : الجزء . الكل، الملكية.

ب- الحالة العادية المفترضة للعوامل.

ج- مفهوم الإطار.

د- تعالق المحمولات.

3.1- ترتيب الخطاب:

ويعني «الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، [الذي] تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم. والمقطع الأول من الخطاب [السابق مثال له].

(1) أ- دخلت كلاير راسل إلى مكتب (...) ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها،نزعنت قبعتها،لمست وجهها بالمذرة ثم جلست إلى منضدتها. فالأفعال.. في هذه المتتالية مرتبة حسب وقوعها إلى درجة أننا لو نقلنا فعل "الجلوس إلى المنضدة" إلى أول المتتالية وأخرنا

*- بالإضافة إلى هذه الوسائل تطرق فان دايك أيضا إلى بعض أدوات الاتساق، ضمن ما يشكل تناسق فحوى الخطاب، وقد سبق أن تناولها البحث وهي: التطابق الإحالي بواسطة الضمير " هي " وتكرير كلمة (بريد) وكلاهما يربط بين المقطع الأول والثاني، وكذلك اسم الإشارة (هناك) الذي يربط المقطع الثالث بما سبقه.

"الدخول إلى المكتب" لكان الترتيب غير عادي ، لأن "معرفتنا للعالم" هي التي توجه معرفة الترتيب العادي من غير العادي.. إن المعلومات التي ترد في المتتاليات ليست خاضعة للمصادفة ولا لمشئئة الكاتب، إن لم نفترض وجود مقصدية خلف هذا الترتيب أو ذاك .

على أن مبدأ الترتيب ليس صارما إلى درجة استحالة تغيير الترتيب في متتالية ما، بل يحتمل أن يحدث التغيير ولكنه يكون مصحوبا بنتائج تجعل التأويل مختلفا من زاوية تداولية. ووسائل تغيير الترتيب متنوعة نكتفي بالإشارة إلى واحدة منها وهي إدخال ظرفي الزمان " قبل " أو " بعد " أو " آنفا " على المتتالية:

(8) ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها وقبل أن تجلس إلى منضدتها، نزعت قبعتها ولمست وجهها بالمزرة.

(9) ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها وجلست إلى منضدتها بعد أن نزعت قبعتها ولمست وجهها بالمزرة.

يترتب عن هذا التغيير في الترتيب ورود المعلومات قياسا إلى (1) أن " نزع القبعة والتجميل " في (8) أهم من الجلوس إلى المنضدة، بمعنى أن إعادة الترتيب هذا له " قيمة إخبارية " أكثر من الترتيب العادي في (1)أ.

ويمكن أن نميز بين نوعين من الترتيب، أولهما حر والثاني مقيد، ويكون الترتيب حرًا إن لم يحدث فيه التغيير أي أثر دلالي أو تداولي، ويكون مقيداً إن أحدث فيه التغيير أحد هذين الأثرين، أو أدى إلى عدم انسجام الخطاب بعد ما كان منسجما، ومثال الترتيب المقيد:

(10) جلست إلى منضدتها، نزعت قبعتها وذهبت مباشرة إلى غرفة عملها.

فهذه المتتالية غير منسجمة لأن المفترض (حسب معرفتنا للعالم) أن يسبق ورود غرفة العمل الجلوس إلى المنضدة بناء على علاقة الاحتواء. ويمكن أن نسوق، بالمقابل، المثال التالي على الترتيب الحر:

(11)(...)جلست إلى منضدتها، كانت منشفتها ناصعة البياض ومحبرتها مليئة بالمداد وبريدها مشتتا (...).

الملاحظ أن الذوات (المنشقة، المحبرة، البريد) قد عُير ترتيبها بالقياس إلى (1)أ، ولكن هذا الترتيب لم يغير في انسجام المتتالية شيئاً.

و..العلاقات التي تحكم هذا الترتيب،..هي علاقات تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والاهتمام... وقد حصرها الباحث فيما يلي:

العام . الخاص.

الكل . الجزء.

المجموعة . المجموعة الفرعية . العنصر .

المتضمن . المتضمن.

الكبير . الصغير.

الخارج . الداخل.

المالك . المملوك.

و... كمثال عن علاقة العام . الخاص:

(12) إنها ترى هاري ديوك، إنها ترى كتفيه القويتين (...)

...إننا نرى عادة مجموع الشيء قبل أجزائه، كما أننا نرى شيئاً كبيراً قبل أن نرى شيئاً أصغر منه، إلا أن الترتيب الخاضع بدوره لهذه العلاقات يمكن أن يحدث فيه تغيير ما، إذ يمكن أن يفسّر شيء خاص بشيء عام، مثلاً:

(13) تأخر بيتر مرة أخرى، لم يحدث أن حضر أبداً في الوقت المحدد.

كما يمكن أن يتقدّم المملوك على المالك أو الجزء على الكل..الخ ، ويتم ذلك لأغراض ومقاصد يهدف المتكلم/ الكاتب إلى تحقيقها... .

وهكذا يتضح أن الترتيب يقوم بدور أساسي في انسجام الخطاب، وكلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضاً معينة، محددة سلفاً، كان الخطاب غير منسجم(من حيث

إغفاله للعلاقات السالفة الذكر أي العام . الخاص...).¹

1- خطابي، لسانيات النص، ص 38 . 40 .

4.1- الخطاب التام والخطاب الناقص: (أو الصريح والضمني)

« المقصود بالخطاب التام أن كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب، ولأن الوقائع التي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر فإن الخطابات ليست تامة ولا تحتاج إلى تكون كذلك، بمعنى أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات "الضرورية" ..

يقرر دايك أن خطاب اللغة الطبيعية، إذا قيس بخطاب اللغة الصورية، يعد غير صريح أو قل يعد ضمنيا، مما يدفع المخاطب/ القارئ إلى استغلال آلة الاستدلال [الاستنتاج]، في بعض الأحيان ، لفهم وتأويل الخطاب»¹ ومن ثمَّ فهناك خطاب تام(أو صريح) وخطاب ناقص (أو ضمنى).

ولكن تمام الخطاب ونقصانه ليس مظهرا ثابتا بل هو درجات وهو مرتبط بنوع الخطاب والهدف منه فالتقرير الأمني حول جريمة قتل مثلا يتطلب التفصيل لكل صغيرة وكبيرة بينما وصف انجازات شركة معينة طوال سنة يقتضي الخطوط العريضة فقط.² ومن خلال الأمثلة الموالية التي يطرحها ديك تتضح أهمية كل ما سبق ذكره في انسجام الخطاب:

(14) عاد جون إلى منزله في الساعة السادسة.نزع معطفه وعلقه في المشجب. قال " هي ، حُبِّي " مخاطبا زوجته،و قبلها ، سأل: " كيف كان العمل في المكتب اليوم؟ " ثم أخذ من المبردة[مشروبا] قبل أن يشرع في غسل الصحون.

(15) عاد جون إلى منزله في الساعة السادسة وتناول عشاءه في الثامنة.

(16) عاد جون إلى منزله في الساعة السادسة ،وهو سائر في المدخل الرئيسي وضع يده في الجيب الأيسر لمعطفه،بحث عن مفتاح الباب وجده، أخرجته وضعه في القفل، أدار المفتاح ودفع الباب، دخل وأقفل الباب وراءه.

1- المرجع نفسه ، ص 40.

2- ينظر: فان دايك، النص والسياق، تر : قنيني، ص 157.

« ويعلق دايك على هذه الخطابات بأن(14) مستوى وصفي ناقص أو ضمني بالنظر إلى المعلومات المقدمة في (16)، في حين (15) ناقص انتقائيا بالنظر إلى المعلومات المعطاة في(14). وإذا فهمنا الاستدلال بشكل شامل قلنا إن (16) يمكن أن تستدل من(14)، وخاصة من الجملة الأولى من(14)، في حين أن (14) لا يمكن أن تستدل من(15). وبهدف إبراز تأثير النقصان في انسجام الخطاب يعيد فان دايك إخراج (16) محتفظا ببعض التفاصيل حاذفا أخرى:

(17) (...) وضع يده في الجيب الأيسر لمعطفه وبحث عن المفتاح. أدار المفتاح. أقفل الباب (...).

فالخطاب (17) خطاب دون التمام لأنه اكتفى بذكر بعض التفاصيل وحذف أخرى، وهي مكونات أساسية للفعل المركب، ومن ثم فهو غير منسجم. وفي مقابل هذا إذا قمنا بإدماج الخطاب (16) في (14) فسيكون لدينا خطاب فوق التام، لأن التفاصيل المعطاة تتعلق بفعل واحد، ولم تفصل بقية الأفعال الأخرى، ومن ثم ستكون لدينا معلومات " كثيرة " قياساً إلى مستوى الوصف المؤسس ببقية الخطاب يخلص دايك من خلال هذه التعليقات إلى أن صفتي "دون التام" و" فوق التام" تعتبر شرطا لعدم انسجام الخطاب، في حين أن النقص يعد طبيعيا لأسباب تداولية.¹

وبعدّ الخطاب الناقص انتقائيا خطابا منسجما لأن المتلقي يملأ النقص عن طريق الاستدلال أي استنتاج ما هو ضمني من القضايا غير المعبر عنها. * ويحدّد دايك المعلومات الضمنية بأنها « ما يكون ضروريا للفرد بالتأويل للجمال المندرجة تحت اللزوم»² أي هي مجموعة المعلومات غير المذكورة اللازمة لتأويل الجمل المذكورة.

ويقرر أيضا (دايك) أنه لا يعني هذا أن جميع الاستدلالات التي يقوم بها المتلقي واردة، بل إن « كثيرا من الاستدلالات قد تعدّ حشوا، ما دمنا نملك بنية معرفية ذهنية اسمها

1- خطابي، لسانيات النص، ص ص 41 - 42.

* - القضايا غير المعبر عنها تسمى " الحلقات المفقودة" وسيأتي الحديث عنها كذلك عند براون ويول لاحقا ، ينظر البحث ص132.

2- فان دايك، النص والسياق، تر: قنيني، ص 161.

الإطار، ومن بين هذه الاستدلالات التي تعد من باب الحشو: إذا أرسل س رسالة إلى ص، فإن س كتب هذه الرسالة ووضعها في ظرف مختوم ثم وضع طابعاً بريدياً على الظرف ثم ذهب إلى البريد.. الخ، فهذه المعلومات لا تعتبر استدلالات لأنها جزء من معرفتنا الفرعية «لإرسال رسالة» أي إطار إرسال رسالة ما.¹

5.1- موضوع الخطاب:

إن موضوع الخطاب «يُعدّ بنية دلالية بواسطتها يصف فان دايك انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة "إجرائية" حدسية..»². ولم يحدد فان دايك مفهوم "موضوع الخطاب" ووصفه بكونه «أشدّ لبساً»³ مما سبق، ولكنه يقارب وظيفته بقوله:

« يبدو أن موضوعات الخطاب ترد المعلومات السيمانطيقية وتنظمها وترتيبها تراكيب متوالية ككل شامل.»⁴، ولكي يعطي صورة أوضح عن موضوع الخطاب وقواعده يضرب بعض الأمثلة منها مقطع آخر من القصة البوليسية التي تعرض منها المقاطع السابقة، وهو كالآتي:

(1) د- « لقد كانت مدينة فيرقيو متجهة إلى الموت، ففي الماضي كانت هذه المدينة نشيطة، متقدمة، وأصغر مدينة مزدهرة، وكان مصنعها الواسع المختصان في صنع الأدوات اليدوية مصدرين مربحين للثروة.

وفي هذه الأيام تحقق لها عصرها الذهبي، وقد شهد لذلك مجمل الإنتاج فيها؛ غير أن طرق إنتاج هذه المدينة الصغيرة لا تستطيع أن تنافس المصانع المعاصرة التي برزت فجأة في ضواحي المنطقة .

إن مجمل الإنتاج ومدينة بنتونفيل كلفا فيرقيو ثمناً باهظاً، ذلك أن بنتونفيل كانت مدينة تتسع الصناعة فيها سريعاً، وهي تبعد بثلاثين ميلاً عن فيرقيو، وكانت مشتهرة بالفطريات،

1- خطابي، لسانيات النص، ص 42.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- فان دايك ، النص والسياق، تر: قنيني، ص 185.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فاتجه إليها الشباب لبريق حوانيتها المصبوغة النظيفة، وانخفاض ثمن مساكنها المنبثة في كل مكان، ثم عربات حافلاتها السريعة، وكذلك قلبها الشاب القوي النابض بالتجارة.

وعلى ذلك فإن شبيبة فيرفيو قد انتقلت هي كذلك إلى بنتونفيل أو بعيداً إلى شمالها، وقد سافر بعضهم إلى مدينة نيويورك.

وأيضاً فإن الأعمال التجارية الأكثر نمواً قد انتقلت إلى بنتونفيل حالما ظهرت الإعلانات المكتوبة على حيطانها، ولم تبق إلا الدكاكين الصغرى الأقل مغامرة مواصلة نشاطها على أحسن ما يمكن.

وعلى ذلك فإن مدينة فيرفيو كانت قد انهزمت وأنت يمكنك أن تراها في منازلها الرديئة وأزقتها المهملة، ونوعية بضاعتها المعروضة على نوافذ حوانيتها، كما يمكنك أن تلاحظها في رداءة جماعة المهاجرين الصغيرة من رجال الأعمال المتقاعدين الذين كانوا قد اشتغلوا كثيراً في العصر الذهبي والذين اكتفوا بأن تمسكوا وقنعوا بالعيش الدون في هذه المدينة الصغيرة الحزينة المتجهة إلى الركود. ويمكنك أن تراها بوجه خاص في الأعداد العاطلة من العمال الذين يتكدسون في زوايا الأزقة غير مبالين كسالى، جامدين.¹

ويتوقع دايك² أنه لو سأل: ما هو موضوع هذا المقطع؟ لكان الجواب من قبيل: "فيرفيو مدينة صغيرة" أو "انحطاط العصر الذهبي لفيرفيو" أو "انحطاط فيرفيو حادث عن مجمل الإنتاج ومنافسة المدينة المجاورة بنتونفيل" ثم تسأل: ما هي القواعد (الدالية) والإجراءات التي تساعد هذه القدرة على بناء موضوع الخطاب؟ والإجابة الأولى هي أن الموضوع قد عبّر عنه في المقطع مراراً كثيرة:

(18). إن فيرفيو كانت متجهة إلى الموت.

. وكان لها عصرها الذهبي.

. وقد كلف مجمل الإنتاج و بنتونفيل فيرفيو ثمناً غالياً.

. انهزمت فيرفيو.

1- ينظر: فان دايك، النص والسياق، تر: قنيني، ص 186 .

2- ينظر: المرجع السابق، ص 186 - 187 .

« فالملاحظ أن فيرفيو تشتغل كموضوع لعدد من جمل متتالية، غير أن هذه الإجابة غير كافية،ويمكن أن نجد دليلا أقوى في كون معاني جمل هذه المتتالية متقاربة،إضافة إلى أن هذا المعنى تحدده جمل أخرى.

وهكذا يعالج الباحث انسجام هذا المقطع انطلاقا من الواقع الحالي لفيرفيو أي الانحطاط، الذي يتضمن ازدهاراً سابقاً، فمفهوم الانحطاط هذا ينظم أجزاء المقطع السالف بالإضافة إلى كون كثير من الجمل تخصيصاً له، مثال ذلك مظهر المدينة ، شوارعها، حالة البطالة، الخ. لكن المقطع يحدد، في مقابل ذلك، بعضاً من أسباب الانحطاط وهي عدم القدرة على التنافس لكون طرق الإنتاج تقليدية... كما أن المقطع تضمّن أوصافاً للانحطاط مثل "قديم" و"التقاعد" و" طرق تقليدية" الخ، بينما وصف مظاهر الازدهار على النحو التالي: "عصري" "شاب" "تشيطا"، الخ... .

وينتهي دايك إلى أن " انحطاط فيرفيو الناتج عن عجزها عن منافسة بنتونفيل" هو موضوع خطاب هذا المقطع بينما تقوم الجمل الواردة في (18) "بإعلان" عن موضوع مقطع صغير، أو تؤكد، بعد مقطع ما، الموضوع المفترض الذي بناه القارئ. وبهذا المعنى يمكن أن ينظر إلى الجمل الأخرى كجمل " تشرح" أو " تخصص" إخبار الجمل التي تعتبر موضوعاً، وانطلاقاً من هذا التحليل ينتهي فان ديك إلى أن مفهوماً ما (الانحطاط في فيرفيو) يمكن أن يصبح موضوع خطاب إذا كان ينظم سلمياً البنية المفهومية (القضية) للمتتالية.»¹

والمفيد من هذا كله هو إن الموضوع وإمكانية بنائه في خطاب ما (أو جزء من خطاب) يعني انسجامه، حيث لا يمكن أن يوصف خطاب بالانسجام دون موضوع محدّد تدور حوله قضايا الفرعية والجزئية. وقد يتّضح هذا الدور أكثر عند الكلام لاحقاً عن البنية الكبرى التي لا تختلف كثيراً عن موضوع الخطاب كما يصرح فان دايك حين يقول: « إن خاصية مفهوم موضوع (جزء) الخطاب مما ذكرنا آنفاً قد تصدق على ما نقصده أن يكون حاصلًا للبنيات الكبرى الشاملة.»²

1- خطابي، لسانيات النص، ص ص 43 - 44 .

2- فان دايك، النص والسياق، تر: قنيني ، ص 191 .

6.1- البنية الكبرى: (Macro-structure)

« تطلق تسمية "الأبنية الكبرى" على الوحدات البنيوية الشاملة للنص. ومن ثمّ فإنه بوسعنا أن نطلق "الأبنية الصغرى" (Micro-structure) "على أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينهما وبين الأبنية النصية الكبرى. والغرض الذي يعتمد عليه علم النص كمنطلق لتحديد ذلك هو أن "متتاليات الجمل التي تمتلك أبنية كبرى هي وحدها التي تسمى من الوجهة النظرية نصوصاً"... فمن المفترض أنه توجد أبنية نصية ذات طابع شمولي هي التي تسمى أبنية كبرى، وأنها ذات صبغة دلالية. أي أن البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص. وبينما نجد أن المتتاليات ينبغي أن تحقق شروط التماسك الخطي أو الأفقي فإن النصوص لا تكتفي بتحقيق هذه الشروط، لمجرد أنها مجموعة من المتتاليات؛ بل لابد لها من تماسك بنوي شامل.¹

وتحدد البنى الكبرى باستخلاص « الأكثر جوهرية في مضمون نص متناول ككل »² وذلك « باختزال المعلومات الواردة في الخطاب [كعملية] "تحدد ما هو هام نسبياً في المقطع". بالنظر إلى الأجزاء التي يتكون منها الخطاب وليس باستقلال عنها ».³

أما قواعد عمليات الوصول لهذه الأبنية الكبرى للنصوص فهي كما يشرحها " فان دايك" تتمثل فيما يلي:⁴

الأولى: الحذف: وتعني أن أية معلومة قليلة الأهمية وليست جوهرية يمكن أن تحذف.. فكل مجموعة من الأقوال.. نحذف منها ما ليست له وظيفة في النص أي لا تترتب عليه نتائج في بقية النص، ففي جملة مثل: " مرّت فتاة ترتدي ثوباً أصفر " نجد أنفسنا حيال ثلاثة أقوال:

أ . مرّت فتاة ب . ترتدي ثوباً ج . كان الثوب أصفر اللون .

1- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 256.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 45.

4- ينظر في تلخيص هذه العمليات والأمثلة المستعملة فيها: بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 257 وما بعدها.

ويمكن اختصار هذه المجموعة إلى (أ) و(ب) أو إلى حدها الأدنى وهو (أ) فقط، إن كان تفسير النص التالي لا يحتاج إلى معرفة أن الفتاة كانت ترتدي ثوبا وليس بنطلونا مثلا، وأن الثوب كان أصفر وليس أسود.

الثانية: الاختيار: وتعني أيضاً حذف بعض المعلومات وإبقاء البعض الآخر، مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف والمتروك، ففي مجموعة من الأقوال مثل:

أ . اتجه أحمد إلى سيارته ب . استقلها ج . ذهب بها إلى [وهران].

نجد أنه طبقا لقاعدة الاختيار يمكن أن نحذف الجملتين الأولى والثانية؛ إذ أنه طبقا لشروط القول نجدهما فرضين مكملين أو نتيجتين لقول آخر غير محذوف وهو (ج)؛ إذ أنه يترتب على معلوماتنا عن الانتقال أنه كي نسافر بسيارة ينبغي أن نتوجه إليها أولا ونستقلها، كما أنه بوسعنا أن نحذف قولاً رابعا هو (د) . وصل إلى وهران .

إذ من البديهي أننا نصل إلى المكان المقصود من الرحلة ما لم يحدث شيء يعوق ذلك . فإذا لم يمض الأمر على ما هو معروف فإن جملة مثل (هـ) . لكنه لم يصل إلى وهران . لا يمكن أن نحذفها؛ لأن لها أهمية دلالية جوهرية غير متضمنة في النص؛ إذ تشير إلى الحادثة التي وقعت له مثلا .

والقاعدة الثالثة: التعميم: وهي تقتضي أيضاً حذف بعض البيانات الجوهرية . لكنها تفعل ذلك بطريقة يترتب عليها ضياع هذه البيانات كما في القاعدة الأولى لعدم احتوائها . ففي مجموعة من الأقوال مثل:

أ . على الأرض كانت هناك دمية . ب . كان هناك قطار صغير . ج . وكانت هناك مربعات خشبية .

يمكن أن نضع بدلا منها قولاً واحداً:

د . على الأرض كانت هناك مجموعة من اللعب .

إذ إن كل الأقوال السابقة تتضمن من الناحية التصويرية أو المفهومية القول الوارد في الجملة الأخيرة . ومن هنا فإننا في التعميم نضع التصور الكلي موضع الجزئيات التي

نحذفها، وهو يشملها كلها، ففي كلمات مثل "عصفور" و "قط" و "كلب" يمكن أن تحل محلها "حيوانات أليفة" وهكذا. و التعميمات التي تحدث بهذه الطريقة تسمى عمليات تجريد. ومعنى هذه العمليات أن الخواص المميزة لكل من هذه الأشياء تصبح قليلة الأهمية في هذا المستوى « وبتعبير آخر يمكن القول أن هذه العمليات ترتبط بالوصول إلى العام انطلاقاً من الخاص»¹.

والرابعة: التكوين والبناء: ووظيفتها تشبه وظيفة القاعدة الثانية وهي الاختيار. وإن كانت تختلف عنها من ناحية علاقة العناصر ببعضها. فأى موقف يتطلب مجموعة من الشروط والمواصفات والنتائج التي يمكن أن تكون في جملتها مفهوماً عاماً كلياً يمكن إعادة تكوينه في جملة واحدة، مثلما نجد في الأقوال التالية:

أ. ذهبت إلى محطة القطار. ب. اشتريت تذكرة سفر. ج. اقتربت من الرصيف

د. صعدت إلى القطار. هـ. جلست في مقعدي. و. تحرك القطار.

وهذه المجموعات بدورها يمكن تقسيمها إلى تفاصيل أدق، لكنها في جملتها متضمنة في قول واحد هو:

ز. ركب القطار. لأنه من المعلوم أن ركوب القطار يقتضي العناصر الممكنة السابقة. وإن لم تكن كلها "إجبارية" في تكوين هذا "الإطار" للسفر في القطار. وأهمية هذه القاعدة تكمن في أن مفهوم "السفر في القطار" ليس من الضروري أن يكون حاضراً في النص بكلماته، بل يكفي أن يوجد عدد من العناصر المكونة له حتى نستنتج الرابط بينهما انطلاقاً من النص ذاته.

وهناك ملاحظة عامة عن هذه القواعد وطريقة تطبيقها. فهي تتطلب القيام بعملية تجريد وتعميم، لكن بشرط أن لا يؤدي إلى أن يفقد النص محتواه الأصيل، وهذا يعني أنها تعمل في أضيق الحدود.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 45.

فعندما نقوم "بالتعميم والبناء" مثلاً ، علينا أن نختار التصور الأعلى مباشرة لا نتجاوزه ، فلا ننتقل من مجموعة " طائر وقط وكلب" إلى " حيوان" فحسب، بل " حيوان أليف" كما لا ننتقل قفزاً إلى " كائن حي" أو " شيء" . ومعنى هذا أن القول الأكبر الناجم عن أقوال صغرى ينبغي أن يستخلص دائماً من عملية " تضمن مباشر" في الأقوال المعطاة. مما يضمن أن تكون البيانات في جميع هذه المستويات، وحتى في القطع النصية الطويلة، ذات طابع محدود. إذ لا يصبح من التلخيص الكاشف عن بنية النص في شيء أن نقول في نص ما "إن أحد الناس يفعل شيئاً مع آخر لما في ذلك من إهدار لكل الخواص النصية".¹

ولكي يؤكد دور البنية الكلية في انسجام الخطاب يحاول فان دايك البحث عن البيّنات والأمارات اللسانية التي تتجلى عبرها البنيات الكلية، ويمكن اختصارها فيما يلي:²

أول بيّنة: هي ردود أفعال المتلقي إزاء المتواليات التي تنقصها بنية كبرى ، والتي تدل بخاصة على وجود نواقص دلالية، تجعله لا يقبل الخطاب فيقول مثلاً لمحدثه: " ما الذي أنت متحدث عنه؟" "وقد أخلطت كل شيء!.."

فالبيّنة الأولى إذن هي أن « فئة المتواليات التي لا تتوفر على بنيات كبرى غير مقبولة عادة في السياقات التواصلية»³ مع ملاحظة أنه عند تحديد البنية الكبرى « أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة، تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم وآرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر»⁴ .

البيّنة الثانية: وجود « ما ندعوه بالجمال الواقعة موضوعاً في بداية المقطع أو آخره في غالب الأحوال. والوظيفة المعرفية لهذه الجملة واضحة ، لأنها تمنح على وجه مباشر البنية الكبرى

1- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 260.

2- ينظر: أ - فان دايك، النص والسياق، ت: فنيي، ص 207 - 209 .

ب- خطابي، لسانيات النص، ص 45.

3- فان دايك، النص والسياق، ص 207.

4- فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 256 .

*- كل من المستوى المعرفي للمتلقى وبعض خصائص النص الشعري الحديث يطرح إشكالا في اكتشاف البنية الكلية، ينظر لسانيات النص، ص 284 - 285.

للمقطع بدل أن تترك تركيب البنية الكبرى لحس المستمع/القارئ أي أنها تسهل عملية الفهم»² (انظر الجمل الواردة في المثال (1) في عنصر موضوع الخطاب).

البنية التابعة للسابقة: هي وجود روابط بين القضايا من نحو (وفضلا عن ذلك، مهما يكن من شيء وكذلك، لكن... وغيرها).

البنية الثالثة: هي الإحالة المرجعية من خلال الضمائر المحلية إلى الأشخاص وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة المحيلة إلى الأشخاص والأماكن والأحداث.

البنية الأخيرة: التطابق الزمني والمكاني وتطابق الصيغ، وهي أدوات موظفة في الخطاب السردى وكل مقطع دال على السرد القصصي فقد تكون صيغته في العادة صيغة الماضي.

يفهم مما تقدم» أن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. على أن البنية الكلية ليست شيئا معطى، حتى وإن كانت هناك بيانات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته.. وتعد البنية الكلية افتراضا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتجعله مقبولا كمفهوم، وقد وجد دايك أن مفهوم "موضوع الخطاب" هو هذه الوسيلة»¹.

وخلاصة وسائل الانسجام عند فان دايك كممثل لمنظور "لسانيات الخطاب" هي:

- 1- الترابط بين القضايا.
- 2- تناسق فحوى الخطاب.
- 3- ترتيب الخطاب.
- 4- الخطاب التام والخطاب الناقص.
- 5- موضوع الخطاب.
- 6- البنية الكبرى

1- خطابي، لسانيات النص، ص 46.

وتحت كل وسيلة من هذه الوسائل الأساسية وسائل فرعية مكونة لها، منها ما يدخل في أدوات الاتساق المذكورة سابقاً.*

2- في تحليل الخطاب: عند براون و يول

على خلاف كثير من الباحثين فإن جيليان براون وجورج يول (George yule & Gillian brawn) من خلال مؤلفهما تحليل الخطاب (سنة 1983) « لا يعتبران انسجام الخطاب شيئاً معطى، شيئاً موجوداً في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسدياته)، وإنما هو، في نظرهما، شيء يُبنى، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم. للبرهنة على رأيهما يقدمان نصوصاً تقتقر إلى روابط الشكلية، ومع ذلك يستطيع القارئ فهمها وتأويلها، أي اعتبارها نصوصاً منسجمة رغم تفككها الظاهر... [ومن أجل الوصول إلى هذا التأويل] هناك مبدآن اثنان يمكن الاعتماد عليهما، أولهما واقع كون مكونات [النص] متجاوزة إذ " رغم عدم وجود روابط شكلية تربط السلاسل اللغوية المتجاوزة، فإن واقع كونها متجاوزة يجعلنا نؤولها كما لو كانت مترابطة". وثاني المبدئين هو افتراض الانسجام**.. ذلك أن المتلقي ينطلق من افتراض أن الخطاب، كيفما كانت طريقة تقديمه.. خطاب منسجم، ثم يبحث بعد ذلك عن العلاقات الممكنة (المتطلبة) من أجل بناء انسجامه.. بالإضافة إلى ذلك يعتمد المتلقي على ما تراكم لديه من تجارب سابقة في مواجهة أمثال هذا الخطاب، وكذا الاحتمالات الممكنة (المتحققة خاصة) في إخراج النصوص.»¹

*- وفي ذلك صورة أخرى من صور التداخل بين أدوات الاتساق ووسائل الانسجام.
**- وهو ما يسميه آخرون مبدأ "حسن الظن" في المتكلم (المنتج) إذ مهما أنتج كلاماً إلا وله معنى يريد تبليغه، فتبقى بعد ذلك المسؤولية على المتلقي ليفهمه

1- خطابي، لسانيات النص، ص ص 51 - 52.

من منطلق ما تقدم ذكره ومن منظور تحليل الخطاب يحدد الباحثان (براون ويول) ثلاث عشرة وسيلة من وسائل انسجام الخطاب عند المتلقي ويسميان الأربع الأولى منها مبادئ الانسجام والباقية عمليات الانسجام، وهي كما يلي:¹

1.2- السياق : (context)

السياق الذي يظهر فيه الخطاب عند براون ويول « يتشكل من المتكلم/ الكاتب والمستمع/ القارئ والزمان والمكان »² هذا ما يستشفه المتتبع لمؤلفهما السابق الذكر، كما يفهم أيضا أن هذه المكونات للسياق هي عبارة عن أركان وأن هناك عناصر أخرى تابعة لها أو للخطاب ذاته يمكن أن تجمع جميعها تحت اسم خصائص السياق، ومن هذه الخصائص

المميزة للسياق نقل الباحثان عن هايمز (1964) مايلي:

«... .الباث: هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول..

. أما المتلقي: فهو السامع أو القارئ الذي يستقبل القول..

. المستمعون: إذ أن وجود مستمعين.. قد يُسهم في تحديد معنى الحدث الكلامي..

. الموضوع: المتحدث عنه..

. الظرف : أي السياق الزماني والمكاني للحدث..

. الوضع الجسمي: هيئة الجسم وطبيعة الحركة وتقاسيم الوجه،

. القناة : ... لفظا أم كتابة أم إشارة أم باستعمال الدخان؟..

. الشفرة: المستعملة أي اللغة أو اللهجة أو الأسلوب..

. صيغة الرسالة:.. هل هي حديث عابر غير رسمي أم مناظرة أم خطبة أم حكاية

شعبية أم قصيدة أم رسالة غرامية.. الخ..

1- ينظر في استخلاص هذه الوسائل:

أ- براون و ويول، تحليل الخطاب، ، ترجمة: الزليطني و التريكي، ص ص 35 - 81 (الفصل الأول).

ب- لسانيات النص، ص ص 50 - 75 .

ج- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 153 - 179.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 52.

- الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلية الذي يمكن أن نضمن داخله نمطا خطابيا معيناً..يمكن للخطبة أو الدعاء أن تكون جزءاً من حدث أكبر هو الصلاة في الجامع...

. الطابع: (الذي يتضمن تقييم الكلام: هل كانت خطبة جيدة أم تفسيراً تافهاً..الخ.)..

- الغرض: (ماذا كانت الأطراف المشاركة تنوي التوصل إليه كنتيجة للحدث التواصلية؟)»¹

ونقل الباحثان أيضاً قائمة أخرى من خصائص السياق للفيلسوف " لويس " هي شبيهة في عمومها بالقائمة السابقة مع بعض الاختلاف في التفصيل والإجمال وفي بعض الإضافات منها إضافة " لويس " لخاصية:

- « مؤشر الخطاب السابق: وذلك لتفسير عبارات مثل الأخير، السابق الذكر.. الخ.»² ولقد اعتبر المؤلفان ذلك هو السياق النصي* وعلقا عليه بالقول: « ولقد أتى لويس بهذا المؤشر لتفسير الجمل التي تتضمن إحالة على ما سبق ذكره كما في قولنا " السابق الذكر " .. ولكن واقع الأمر هو أن أي جملة غير الجملة الأولى من مقطع خطابي تتأثر في فهمنا لها بالضرورة بالنص السابق لها ، وليس فقط تلك العبارات التي تنص علنا على الإحالة على النص السابق مثل عبارة " السابق الذكر "»³ ومن إضافات لويس للسياق أيضاً خاصية:

- « مؤشر الإسناد: ويشمل مجموعة مفتوحة لا نهاية لها من الأشياء (مجموعات، حلقات... الخ)»⁴

ويعتبر المؤلفان في ثنايا موضوعهما أن خصائص السياق " لا متناهية " ¹

1- Hymes,D.(1964) Toward ethnographies of communicative events ' in (ed.) P.P Giglioli

نقلا عن: تحليل الخطاب، ص ص 47-48.

2- Lewis.(1972) 'General semantics '(eds.)D.Davidson & G.H Herman semantics of Natural language Dordrecht: Reidel 173. نقلا عن تحليل الخطاب، ص 51.

*- السياق النصي (cotext) ويسمى السياق مقالتي: وهو العلاقة المعنوية للكلام داخل النص. ويقابله السياق المادي. كما أسماه المؤلفان في الصفحة 57 ويسمى أيضاً السياق المقامي أو المقام (context) وهو علاقة النص بما هو خارجه.

3- براون، تحليل الخطاب، ص 57.

4- نقلا عن: المرجع نفسه ، ص 51.

يأتي حديث براون ويول عن السياق تحت عنوان " دور السياق في عملية الفهم " وهذا يعني أن متلقي الخطاب بل محله عليه أن يأخذ بعين الاعتبار خصائص السياق حتى يكتشف انسجامه وبالتالي يفهمه، ذلك لأن السياق له دور فعال في تأويل الخطاب ولا يمكن فهم خطاب ما إذا فصل عن سياقه..

في هذا الصدد يقول فيرث: « أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلاً تاماً بين الأصوات (المتكلمة) وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها، وبالتالي فإنه يجب النظر إلى كل النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طياتها مقومات القول، بحيث تحيل على مشاركين نموذجيين في سياق معمم².

ويعرف هايمز دور السياق في الفهم بأنه « يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود³.

ويشير هايمز إلى « أن بإمكان المحلل أن يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلية خاص، بمعنى أن هذه الخصائص ليست كلها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية⁴ ولكن « كلما زادت معرفة المحلل بخصائص السياق زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله⁵.

ولتأكيد كل هذه المعاني في دور السياق يسوق براون ويول عدة أمثلة بطرق مختلفة منها:

1- ما هو قول واحد بسياقين مختلفين الأمر الذي يجعل له تأويلين مختلفين تماماً.

2- وما يعزل عن سياقه فيستحيل تأويله لمن لم يعرف منه شيئاً.

3- وما يُغيّر عنصر واحد أو عنصرين فقط في سياقه فيتغير الكثير في تأويله.

أما مثال الحالة الأولى فيطول شرحه ولكنه بسيط فكثيراً ما يحدث أن عبارة واحدة تقال في مقام معين إلى شخص (س) فتدل على مضمون معين وتقال العبارة نفسها في مقام آخر إلى

1- المرجع نفسه، ص 71 (مثلاً).

- Firth J.R (1957), papers in Linguistics, oxford university press,P226.

نقلا عن: تحليل الخطاب، ص 2.46.

3- نقلا عن: المرجع نفسه، ص 47.

4- خطابي، لسانيات النص، ص 53.

5- براون، تحليل الخطاب، ص 50.

(ص) فتدل على مضمون آخر خاصة إذا تغيّر الأسلوب من الحقيقة إلى المجاز. فجو الفكاهة والنكت مثلاً كثيراً ما تغيّر فيه مقاصد الحديث عن جو الجدّ ، وجو الجد ذاته يختلف من ظرف إلى آخر. وعلى سبيل المثال انظر عبارات التخاطب ودلالات الضمير vous بالفرنسية ما الذي يغيّرها غير السياق الاجتماعي؟
أما الحالة الثانية فيضرب لها براون ويول المثال الآتي:¹
(1) - الحشرات المرفوسة لا تعض الحكم للعقل الجنوني.

Squashed insects don't bite mad mental rule

إن كل مفردة في هذه العبارة معلومة على انفراد من الناحية المعجمية ولكن تجميعها هو الذي يجعل القارئ لا يفهم منها شيئاً ، لأنها خطاب خاص صادر من جهة معيّنة وموجّه إلى جهة أخرى في ظرف مخصوص، ولكن بمجرد أن يعرف القارئ الخصائص المولية من مقام هذه العبارة يتضح له مفهومها:

.الباث: عضو من عصابة تسمى " العقل الجنوني " (mad mental).

.المتلقي: أعضاء عصابة تسمى " الحشرات " (the insects) وسكان المدينة عموماً.

. المكان: مدينة كلاسكو (في اسكتلندا).

.الزمان: سنوات السبعينيات التي اشتهرت بظهور خطابات مماثلة..

.القناة : كتابة على الحائط بواسطة مرش للأصباغ.

. صيغة الرسالة: تبادل الشتائم الاستفزازية بين عصابات الشوارع..

. الخطاب السابق: الذي أعلنت فيه عصابة " الحشرات " أن " الحشرات تعضّ ".

« بهذه الطريقة يمكنك الوصول إلى القصد من وراء التحذير " الحشرات المرفوسة لا تعضّ "

ومن التقرير المباشر " الحكم للعقل الجنوني " »².

وهذا يعني أن النص المعروض لم يحصل له الانسجام في الذهن إلا عن طريق السياق الذي قيل فيه، فتغيب السياق نتيجته العجز عن التأويل، ومن الأمثلة التي تزيد الأمر

1- المرجع نفسه، ص 52.

2- براون، تحليل الخطاب، ص 55.

توضيحا أنك»إذا وجدت على باب مكتبك ورقة كتب عليها " سأزورك بعد نصف ساعة" ولم تسعفك قرائن أخرى على معرفة صاحبك أو زمان كتابة الرقعة [أي بعض خصائص السياق] فإنك لن تجني من هذا الخطاب إلاّ عناء الشك والحيرة.¹

أما الحالة الثالثة فيضربان لها المثال الموالي:²

(2) - أ . أنت هنا دائما؟

ب . أنا هنا غالبا، مرة في الشهر ، جئت الآن لرؤية أبنائي*.

إن ما يهمننا هنا . حسب ما يقول الباحثان . هي أنماط الاستنتاجات المختلفة التي نخلص إليها كمخاطبين بالاعتماد على متغيرات مثل عمر المتكلم وجنسه عند سماعنا لما يقوله (ب). لو افترضنا أن (ب) رجل يبلغ من العمر سبعين عاماً فإننا سنتوقع أن يكون أولاده في مقتبل العمر، ولن يترتب عن قدومه لزيارتهم مرة في الشهر أي استنتاج يذكر سوى أنه تربطه بهم روابط وثيقة. لنفترض الآن أن المتكلم رجل في الثلاثينات من عمره . فمن المتوقع أن يكون أطفاله صبياناً ممن يعيشون عادة مع آبائهم. ولنا أن نتساءل لماذا لا يعيش أطفال (ب) مع والدهم؟ هل أن متطلبات حياته المهنية أم علاقته بأب الأطفال هي التي تجبره على العيش بعيداً عنهم؟ ولنفترض أخيراً أن المتكلمة امرأة... في الثلاثينات من عمرها. فسننتوقع مرة أخرى أن يكون لها أطفال صغار ممن يفترض أن يعيشوا معها. وبما أن الأطفال الصغار... في حالة فراق الوالدين يعيشون عادة مع أمهم فقد يدعونا هذا إلى أن نستنتج أن أطفال هذه المرأة يعيشون في رعاية إحدى المؤسسات الخيرية أو التربوية... إن ما يجب ملاحظته هو أن أنماط الاستنتاجات التي كنا بصدد مناقشتها لا تتبع من اللغة المستعملة. بل إن تلك الاستنتاجات تابعة من تغيير السياق، أي من التلاعب البسيط بعمر الباث وجنسه [وهما عنصران فقط من جملة خصائص السياق العديدة].

1- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 167.

2- ينظر: براون، تحليل الخطاب، ص 56.

* - ترجمة هذا المثال لخطابي (لسانيات النص، ص55) لأن ترجمة الكتاب المعتمد تبدو أنها لا تخدم الغرض لكونها تصرّح بالضمير المذكّر ، الأمر الذي يزيل الإبهام المتعلّق بالجنس الموجود في الصيغة الانجليزية ، مع أن المسألة مبنية على إبهام العمر وإبهام الجنس.

« نستخلص مما تقدم أن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه ، بالمعنى المحدد سالفاً ، إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية) من حيث لغته) ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظرفاً) تجعله غامضاً غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس.¹»

2.2- مبدأ التأويل المحلي*:

« وفقاً لهذا المبدأ فإن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما² يفهم من هذا القول أن التأويل المحلي هو أن ينتقي المتلقي « من جملة الخصائص السياقية اللامتناهية في الظاهر³ ما يناسب الموقف الذي هو فيه. فعلى سبيل المثال فإن كلمة " الآن " مطلقة لا تدل على فترة زمنية محددة ، فهي لفظ واحد يقولها من تكلم في الحاضر أو منذ سنة أو بعد سنتين..

وكذلك اسم أي شخص "محمد" مثلاً هناك ملايين الأشخاص يحملون هذا الاسم.إن الذي يحدّد الفترة الزمنية المناسبة لكلمة " الآن " ويعين الخصائص المناسبة للشخص المسمى " محمد" في خطاب ما هو مبدأ " التأويل المحلي " الذي يرتبط « بما يمكن أن يعتبر تقييداً للطاقة التأويلية لدى المتلقي⁴».

وذلك باعتماده . حسب الباحثين . على ثلاث ظواهر خطابية أخرى أما الظاهرة الأولى فهي: السياق النصي: وهو ما عرف سابقاً عند لويس في خصائص السياق⁵ " بالخطاب السابق أي ما تقدم من خطاب.

. وأما الثانية والثالثة فهما مما سيأتي الكلام عنهما لاحقاً وهما:

- مبدأ التشابه أو القياس أو التجربة مع أحداث مماثلة.

1- خطابي، لسانيات النص ، ص 56.

* - في ترجمة الزليطني و التريكي لكتاب تحليل الخطاب، ص71: "الفهم المحلي" ، وهذه الترجمة، في لسانيات النص، ص56.

2- براون، تحليل الخطاب، ص 71.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- خطابي، لسانيات النص، ص56.

5- ينظر البحث ، ص212.

- مبدأ معرفة العالم أو المعرفية الخلفية.

وفي هذا يقول الباحثان في سياق حديثهما عن قدرة السامع/القارئ في التأويل أو الفهم المحلي: «... إن تجربته مع أحداث مماثلة هي التي تمكنه من الحكم على المقصد الذي يمكن أن يهدف إليه الكلام. كما أن معرفته للعالم هي التي تحدد فهمه المحلي»¹.

ولتوضيح وظيفة هذا المبدأ يضرب المؤلفان المثال (3) الموالي ويعلقان كما يلي:

«(3)- كان رجل وامرأة جالسين في غرفة الجلوس + وكانت المرأة تقرأ وهي جالسة بكل سرور. شعر الرجل بالملل فقام إلى النافذة، ونظر إلى الخارج + ثم غيّر ثيابه وذهب إلى النادي + أخذ قدحا وتحدث مع الساقى.

لقد أشرنا... إلى تأثير السياق النصي في تحديد فهمنا لما يلحق. ذلك أن الشكل الأولي للسياق يحدّد المجال السياقي الذي سيمكن المتلقي من فهم ما يقال لاحقاً. فهو يفترض أن الكيانات المشار إليها تبقى ثابتة، وأن الإطار الزماني سيظل قاراً، وأن الإطار المكاني لن يتغيّر، اللهم إلا إذا عبّر المتكلم عن حدوث تغيير في أيّ واحد من هذه الأطر. حينئذ سيوسّع المتلقي دائرة السياق بشكل محدود. ولا يقتصر المتلقي على افتراض أن الكلام يدور حول "الرجل" نفسه طول النص، بل إنه يفترض كذلك أن هذا الرجل سيظل في المكان نفسه، اللهم إلا إذا أعلن المتكلم أنه قد انتقل إلى مكان آخر، فإذا سمع المتلقي " ثم قام إلى النافذة " فإنه يفترض أنها " النافذة " الموجودة في غرفة الجلوس ذاتها التي ذكرها آنفاً، ويفترض أن الرجل " يقوم إلى النافذة " في تلك المناسبة ذاتها بعد دقائق معدودة من المنظر الأصلي "جالسا في غرفة الجلوس ". وعندما يعلم السامع أن الرجل " ذهب إلى أحد النوادي " فإنه يفترض أن هذا النادي " يقع في المدينة نفسها، بحيث لم يأخذ الرجل الطائرة ليطير إلى لاس فيجاس مثلاً. ومرة أخرى فإن توسيعاً طفيفاً في الإطار الزماني والمكاني سيشير إلى أن الرجل "قد تناول قدحاً" و " تحدث مع الساقى " داخل النادي ذاته في تلك المناسبة ذاتها وفي فترة زمنية محدودة، نفترض أنها ساعة بدلاً من أن تكون سنة»².

1- براون، تحليل الخطاب، ص 73.

2- المرجع السابق، ص ص 71 - 72

« وبهذه الطريقة إذن ندرك أهمية التأويل المحلي الذي يقيد السياق (ويقيد تبعاً لذلك الطاقة التأويلية للقارئ)، إذ ما المانع من اعتبار أن النادي الذي ذهب إليه الرجل في الخطاب السابق يوجد في مدينة أخرى؟ أو أن النافذة التي أطل منها توجد في غرفة أخرى؟ المانع من ذلك هو أن الخطاب لا يتضمن أي مؤشر يسند هذا التأويل، وثانياً لأن التأويل المحلي يقيد تأويلنا ويجعلنا نستبعد التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب»¹.

3.2- مبدأ التشابه: * Analogy

والمقصود به التشابه بين الخطاب الذي يوجهه المتلقي وبين خطابات أخرى واجهها في تجربته مع أحداث مماثلة سابقاً وهو «عملية ذهنية أساسها المقارنة»² يقوم بها المتلقي بين الخطابين بناء على «أن تجربة الإنسان مع أحداث سابقة مشابهة ستزوّد بتوقعات وافتراسات عن خصائص السياق التي يحتمل أن تكون مناسبة (..) إن معاشتنا لمواقف تواصلية معينة تعلمنا ماذا يمكن أن نتوقع من ذلك الموقف سواء كان ذلك بمعنى التنبؤ العام (كنوعية المواقف المحتمل التعبير عنها ونوعية المواضيع المحتمل إثارتها على سبيل المثال) وهو ما يولد لدينا مفاهيم "التناسب" .أو كان ذلك بمعنى التنبؤ المحدود وهو الذي يمكننا من فهم علامات لغوية (مثل الأدوات الإشارية هنا والآن) بنفس الطريقة التي فهمناها بها في سياقات مماثلة³».

وكدليل على حاجة المتلقي إلى التجارب المماثلة السابقة فإنه «من الجلي أن تطرأ أنماط من المناسبات ليست لها سابقة في تجاربنا الماضية، ولدينا قوالب ثقافية جاهزة تفيد أن مثل هذه المناسبات تسبب صعوبة بل حتى إحراجاً لنا لعدم علمنا بردود الفعل المناسبة، وهكذا فإذا سمعت للمرة الأولى نوعاً خاصاً من النكت فقد تقف حائراً لا تعرف نمط ردّ الفعل المناسب. لكنك إذا أعدت الكرة فستكون أكثر ثقة بما هو متوقع»⁴.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 57.

* - في ترجمة الزليطني و التريكي، تحليل الخطاب، ص71: "مبدأ القياس"؛ وهذه الترجمة لخطابي، لسانيات النص، ص57.

2- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص171.

3- براون، تحليل الخطاب، ص73 و ص76.

4- المرجع نفسه، ص76.

ثم إن مبدأ الحاجة إلى البحث عن نقاط التشابه لفهم ما يكتب أو ما يقال مهما كان غامضاً هو مما يجعل «رد الفعل الطبيعي للإنسان يبدو في سعيه لإضفاء معنى على كل علامة تشبه اللغة أو تشبه أي محاولة من محاولات الاتصال، إن رد فعل الرجل الذي يجد علامات تبدو منقوشة على صخرة في الصحراء هو أن يحاول فك رموزها للوصول إلى معناها، كما إن رد فعل الآباء لأطفالهم الصغار وردّ فعل الأصدقاء تجاه ملفوظ أصدقائهم المصابين بمرض شديد هو إضفاء معنى على كل همسة يمكن فهمها على أنها ترتبط بالموقف، ومتى أمكن ذلك محاولة فهم ما يبدو قولاً على أنه يشكل رسالة مفيدة تسمح للسامع بإنشاء فهم مترابط في ذهنه»¹. ومن أجل توضيح هذا المبدأ يعود الباحثان إلى المثال السابق (1) " الحشرات المرفوسة لا تعض، الحكم للعقل الجنوني " ليدكر كيف كانت الحاجة إلى معرفة نصوص سابقة مماثلة في فهمه*. ثم يقرران في الختام « إن مبدأي القياس [التشابه].. والفهم المحلي.. هما اللذان يكوّنان أساس فرضية التماسك المعنوي [أي الانسجام]** في تجربتنا الحياتية عموماً، وبالتالي في تجربتنا مع الخطاب كذلك»².

4.2- التفسير: Matisation

مفهوم التفسير في نظر خطابي يتعلق «بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطاب، وإن شئنا التوضيح قلنا إن في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه»³ ويبرر مفهومه هذا انطلاقاً مما أخذه عن براون ويول « بأن ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه. وهكذا فإن عنواناً ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه. كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تقيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية النص أيضاً.

1- المرجع نفسه، ص 79.

* - ينظر: الخاصية الأخيرة من خصائص سياق هذا المثال، ص 117 من البحث.

** - هكذا ترجمها خطابي في لسانيات النص، ص 59. (الانسجام عوض التماسك المعنوي).

2- براون، تحليل الخطاب، ص 81.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 59.

بمعنى أننا " نفترض أن كل جملة تشكل جزءاً من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم " ¹.

ويسمى خطابي نقطة البداية التي ينبني عليها التغيريض " الثيمة " وهي تعريب للمصطلح الأجنبي thème ².

« وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة... أما الطرق التي يتم بها التغيريض فمتعددة نذكر منها تكرير اسم شخص ، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية... » ³ وهنا يلاحظ بالتأمل البسيط أن الإحالات بأنواعها . وهي من الاتساق . هي من أهم طرق " التغيريض " . المدرج في الانسجام . إلا أنها ليست طريقته الوحيدة ⁴ أي أن التغيريض أوسع من الإحالة فهو يمثل في الذهن عملية دوران الكلام حول محور واحد بوسائل مختلفة وعديدة حيث إن إحالة واحدة لا تكفي لتحقيق دور التغيريض المتمثل في تحديد البؤرة أو مركز الجذب الذي تحوم حوله بقية أجزاء الخطاب كما سبق بيانه.

ومن أجل توضيح مفهوم التغيريض ووظيفته أكثر يعرض البحث النص الشعري الموالي للشاعر الإسلامي المخضرم النابغة الجعدي*، حيث يتم تغريض المتحدث عنه لفظ الجلالة "الله" جل وعلا المذكور في بداية القصيدة، بطرق عدة منها: **

- إعادة ذكره بأسمائه وصفاته الحسنى سبحانه وتعالى؛ مثل: الخافض ، الرافع ، الخالق ، البارئ ، المصور...

- أفعاله جلّت قدرته: المولج الليل...، قدّها مقدّرها، يخلق ، كسا ، فرق الكلما ، سيجمعكم، رحم..

1- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

2- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص 174.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 59.

4- ينظر: أ) خطابي، لسانيات النص، ص 60 (في مناقشة تغريض نص حازم القرطاجني كمثال).

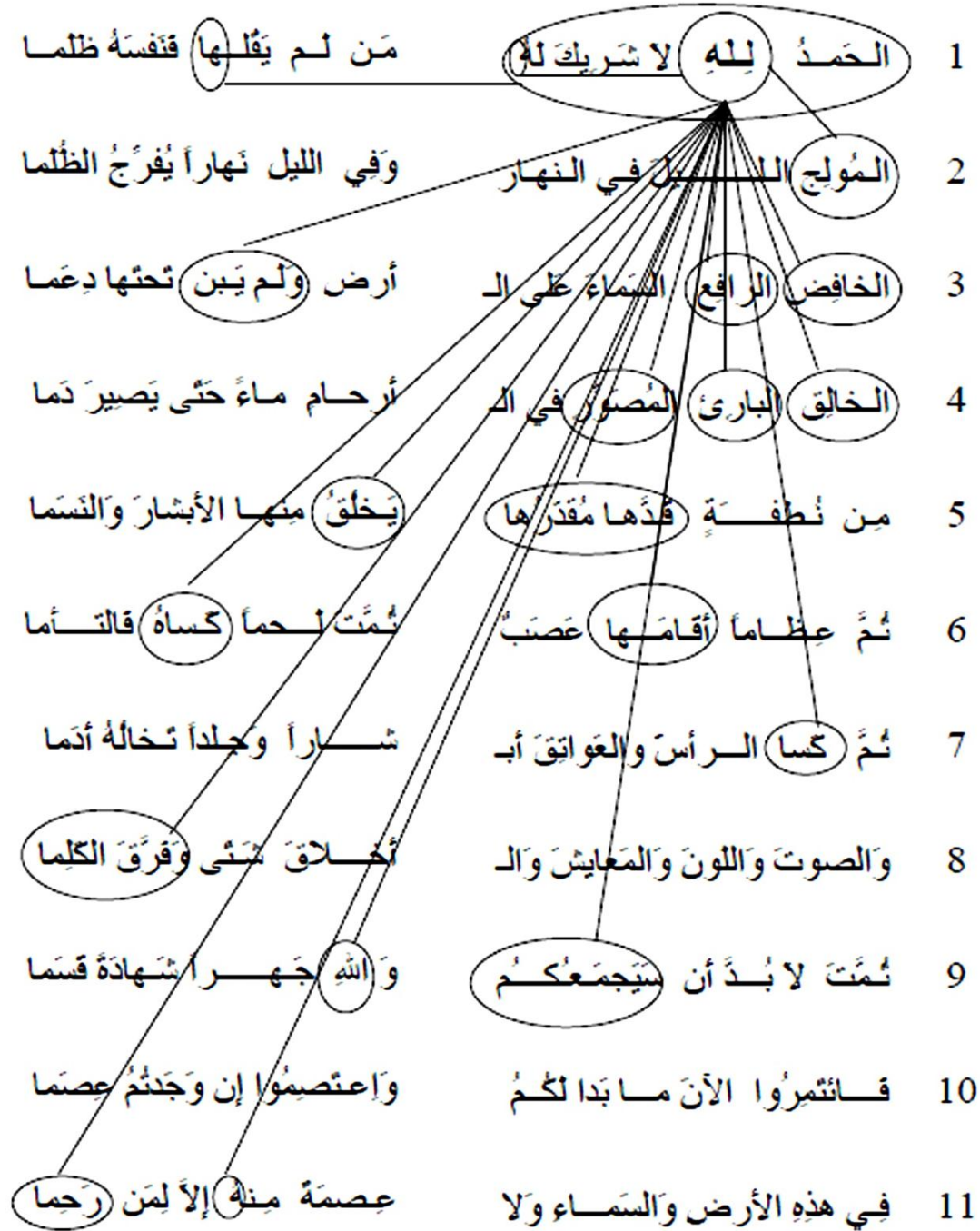
ب) المرجع نفسه، ص 294 (في تغريض أحد مقاطع القصيدة التي يحللها " المدونة").

*- اختير هذا النص لوضوح التغيريض فيه، وهو من النصوص المبرمجة حالياً للسنّة الأولى ثانوي.

** - ويصح أن يكون التغيريض للعبارة الأولى من النص بكاملها لأن كل ما يأتي بعدها هو الموجب لذكرها أو هي موجبة لذكره.

. الضمائر العائدة عليه: المستترة في الأفعال السابقة، والبارزة مثل: الهاء في " له " وفي " منه " في آخر بيت ...الخ.

وحتى تظهر صورة " التغريض " أمام الأنظار، يمكن تطبيق طريقة معمول بها في العديد من البحوث والمؤلفات وتتمثل في تجسيد " التغريض " على الورقة بالربط الخطي بالقلم بين " النيمة " (نقطة البداية) وكل أداة أو معنى يعد وسيلة للتغريض يعود عليها، حتى تصير جميعها كأنها معلقة بهذا اللفظ، أو كأنّ النص نسيج من الخيوط . وهذا ما يمثله الشكل الموالي الذي يعرض به النص المذكور.



5.2- المعرفة الخلفية: (معرفة العالم): Connaissance du monde

ينطلق الباحثان (براون ويول) هنا من أن المتلقي لا يواجه الخطاب وهو خالي الذهن ، بل لابد أن لديه جملة من المعارف حوله هي التي يعتمد عليها في تأويله وهي التي تسمى "المعرفة الخلفية " أو "معرفة العالم ". وهي « التي بإمكان الكاتب/المتكلم افتراض توفرها لدى القارئ/المستمع كلما تم وصف موقف معين. فإذا كان لدينا موقف معين، مثل مشهد لمطعم

فإن الكاتب/المتكلم لا يحتاج إلى إخبار القارئ/السامع عن وجود طاولات وكراسي في المطعم أو أن الإنسان يطلب الطعام للاستهلاك داخل المطعم ويدفع ثمنه... هكذا تعد معرفتنا بمشهد في مطعم مخزنة في الذاكرة كوحدة واحدة يسهل الوصول إليها بدلا من كونها مجموعة مشتتة من الحقائق المفردة نحتاج إلى تجميعها من أجزاء مختلفة من الذاكرة كلما تم ذكر مشهد في مطعم»¹.

وهذا يعني أن فهم الخطاب عملية ذاكرية أي أنه « عملية استرجاع المعلومات المخزنة في الذاكرة، وربطها بالخطاب الذي نتعامل معه.»² وهذه المعلومات المخزنة في الذاكرة منظمة بطريقة مضبوطة ولكن المتلقي لا يختار منها للاسترجاع إلا ما يلائم الخطاب الذي يواجهه وما يحتاج منها لفهمه. « لنأخذ على سبيل المثال قارئاً يواجه نصاً جاهلياً.. فالمفترض أن هذا القارئ له اطلاع سابق على مجموعة من النصوص الشعرية عموماً وعلى نصوص جاهلية خصوصاً، هذا بالإضافة إلى اطلاعه على تصنيفات النقد القديم للشعر الجاهلي إلى مديح وهجاء ورثاء... ومواصفات كل غرض... ثم على ترتيب الشعراء في طبقات، أضف إلى هذا كله ما تراكم لدى القارئ المعني من المعلومات المتعلقة بقضايا الشعر الجاهلي، ونحن نعتقد أن القارئ الذي تجمع لديه هذا الكم الهائل من المعلومات لا يواجه النص الجاهلي وهذه المعلومات غائبة عن ذاكرته بل يفعل ذلك وهي ماثلة في ذهنه، ولكن المشكل إذ ذاك هو أن النص المواجه قد لا يحتاج إلى استحضار كل هذه المعلومات، مثلاً قد يتطلب فقط استحضار واقعة بعينها أو حدث بعينه أو تجربة غرامية عاشها الشاعر، أسبابها ونتائجها. لنفترض أن النص المراد معالجته هو معلقة طرفة بن العبد، فالمفترض هو أن يستحضر القارئ علاقة الشاعر بقبيلته، ونوع الحياة التي كان يمارسها طرفة، وكذا العلاقة التي تربط الفرد بالقبيلة عموماً ثم أخلاق القبيلة التي تقنن السلوك ولا تسمح بتجاوز حدود

1- براون، تحليل الخطاب، ص ص 282 - 283 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

معينة، الخ ، مع إلغاء الأخبار المرتبطة بأيام العرب وصراعاتهم وحلهم و ترحالهم وتنقلهم بين الغدران.»¹

ومن أجل معرفة كيفية تنظيم المعلومات في الذاكرة ومعرفة كيفية استعمالها يلجأ الباحثان لمجالي الذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي لدراسة بعض المفاهيم المتعلقة بالموضوع، فيأخذان من المجال الأول:الإطارات المعرفية(أو الأطر) والمدارات (أو المدونات) ومن المجال الثاني: مفهومي المخططات الذهنية (أو السيناريوهات) والأنساق الذهنية (أو الخطاطة)*. وكلها من وسائل الانسجام يجمعها تعريف ذكره سمولنسكي (smolensky): «هي جملة من المعلومات المنظمة سلفا تمكن من القيام بالاستدلال [على المعنى المناسب] inférences في وضعيات نمطية جاهزة.»². وفي ما يلي نبذة عن كل منهما.

1.5.2 - الإطارات المعرفية:** (الأطر) cadres de connaissance

يقول براون ويول: « فمنسكي يرى أن معلوماتنا مخزنة في الذاكرة في شكل بنى مخصصة للبيانات يسميها «إطارات معرفية» تمثل مواقف نموذجية وهي تستعمل بالطريقة التالية: عندما يعترضنا موقف جديد(...) فإننا نحتاج مما هو متوفر في ذاكرتنا إلى بنية تسمى إطارا معرفيا،وهي عبارة عن إطار نتذكره يتم تكييفه ليتناسب مع الواقع،وذلك بتغيير التفاصيل حسب الحاجة...وتحتوي البنية الأساسية للإطار على خانات مبوبة يمكن تعبئتها بالتعبيرات وهي مائتات...فعلى سبيل المثال نجد في إطار يمثل منزلا نموذجيا خانات مبوبة " للمطبخ " و " الحمام " و"العنوان" إلى غير ذلك .ويمكن أن نعد أي منزل خاص موجود في العالم أو مذكور في نص مثالا على إطار المنزل،ويمكن تصويره بملء الخانات بالخصائص المميزة لذلك المنزل الخاص.»³.

1- خطابي، لسانيات النص، ص ص 61 - 62.

**- المصطلحات الواقعة بين قوسين من ترجمة خطابي(لسانيات النص) وغيرها ترجمة الزليطني والتركي في (تحليل الخطاب).

- نقلا عن:الشاوش ، أصول تحليل الخطاب... ، ص 176 . 3-Smolensky,introduction aux sciences cognitives,p97

** - تحدث فان دايك فيما سبق عن مفهوم الإطار ومعرفة العالم (الخلفية) ضمن العناصر الفرعية المشكلة "لتناسق فحوى الخطاب"، ينظر البحث ص 194.

3- براون، تحليل الخطاب، ص 285.

ويقول خطابي شارحا هذا الكلام مستعينا بالمثل الذي استعمله المؤلفان نفسيهما «وتعدّ الأطر تمثيلات نموذجية لوضعية ما بحيث أن المتلقي لا يحتاج، إن صادف كلمة "منزل" في خطاب ما، أن يُذكر بأن لهذا المنزل سقفا ويا... الخ ، باعتبار أن هذه المعلومات جاهزة لديه. بمعنى أن في الإطار فراغات لاصقة يمكن أن تملأ بعبارات. لتوضيح هذا الأمر نضرب المثل التالي:

(5)- حين تذهب إلى مكان الاقتراح أخبر الموظف باسمك وعنوانك.

فالإخبار الذي توصل به المنتخب يتضمن فراغا مرتبطا بمكان التصويت، لكن هذا الفراغ لا يخلق مشكل فهم بالنسبة للقارئ ، إذ إن هذا المكان جاهز في " إطار التصويت لديه" ولهذا تجاوز منتج الخطاب تعيين المكان. إن المتلقي ليس في حاجة إلى أن يخبر بأن هناك مكانا معيناً تباشر فيه عملية التصويت لانتخاب الحكومة المحلي، وأن هناك موظفا يشرف على هذه العملية ، والسبب في ذلك أن منتج الخطاب يتوقع من المتلقي امتلاك هذه المعرفة»¹.

2.5.2- المدارات (المدونات): Prototype

المدار [أو المدونة] « يعني الأحداث المميزة لسياق معيّن، والتي تدرس من حيث أثرها في فهم النص أو حفظه، فمدار السفر بالطائرة، مثلا، يفترض في العادة الذهاب إلى المطار وإجراء المعاملات الإدارية، والصعود إلى متن الطائرة، ثم النزول منها.. الخ فمعرفة هذه الأحداث تؤثر في فهم القارئ لنص يذكر فيه السفر بالطائرة دون تفصيلاته، فتسعه في تصور المجريات تصوراً لا يستطيعه من يجهل هذا المدار بعينه»².

« لقد تم تطوير مفهوم المدار بالقياس مع نظرية " الإطارات المعرفية" التي جاء بها منسكي، غير أن مفهوم المدار " اختص بأنساق التعاقب الحدثي"»³ أي متواليات الأحداث، « ففي حين يعامل الإطار على أنه أساس مجموعة من الحقائق بشأن العالم، يتسم المدار بأنه أكثر

1- خطابي، لسانيات النص، ص 63.

2- براون، تحليل الخطاب، تعليق: الزليطني و التريكي، إحالة رقم 4، ص 288.

3- براون، تحليل الخطاب، ص 288.

برمجة من حيث كونه يضمّ " نسقا قياسيا من الوقائع جاء في وصف ظرف معين" ¹ ولتبسيط الفرق بين مفهومي الأطر المعرفية والمدار يمكن القول أن الأول (الأطر) يتعلق بالمعلومات الثابتة عن شيء من الأشياء في الوجود والثاني (المدار) يتعلق بالأحداث المتصورة التي تطرأ في العادة في مجال من مجالات الحياة، هكذا يفهم من الكلام السابق، ولذلك كانت الأمثلة في الحديث عن "الأطر" حول المنزل وما فيه من أجزاء.. أما أمثلة "المدار" فكانت عن السفر والإجراءات اللازمة فيه كأحداث معتادة.

اهتم روجي شانك بمفهوم المدار (المدونة) وطبقه « على فهم النص مقترحا طريقة لدراسته سماها "التبعية المفهومية" ² بحيث "يمثل المعاني في الجمل وذلك بتهيئ شبكة تبعية مفهومية تسمى الجدول س. ويتضمن الجدول س مفاهيم بينها علاقات يصفها شانك كتبعيةات" ³. ولتوضيح ذلك يضرب براون ويول المثال الآتي:

(6) - أكل جون الآيس كريم بملعقته.

(6)أ- تناول جون الآيس كريم بنقله بملعقته إلى فمه.

ثم يعلقان بأنه « في الصيغة " التصورية " [أي المفهومية] التي يقترحها للجملة (6) يقدّم شانك جزءا من فهمنا لتلك الجملة لا يبدو صريحا في نصها المكتوب وهو أن الفعل المذكور في (6) قد صار ممكنا من خلال " عقد صلة بين الآيس كريم والفم" وعلى هذا النحو يضمّن شانك مظهرًا من مظاهر معرفتنا بالعالم في نمطه التصوري [المفهومي] الذي ساقه لفهمنا للجملة (6)، وهو أمر لم يكن ليتحقق لو قام تحليله على مجرد العناصر التركيبية والمعجمية في تلك الجملة» ⁴.

ويشير المؤلفان (براون ويول) إلى أن رايزيك وشانك أثريا التحليل التصوري (المفهومي) بعنصر آخر مفاده " أن فهمنا يقوم على التوقع " « فحين نقرأ المثال (7) مثلا، تكون لدينا توقعات كبيرة لما يمكن من الكلمات أن يحتل الموقع س ، من وجهة نظر تصورية.

1- المرجع السابق، ص 290.

2- في ترجمة الزليطني والتركبي : " التبعية التصورية " وهذه الترجمة لخطابي.

3- خطابي ، لسانيات النص ، ص 64.

4- براون ، تحليل الخطاب، ص 289.

(7) - اصطدمت سيارة جون بالسيّاح. فلما جاءت سيارة الإسعاف. نقلت جون إلى س. يشير رايزيك وشانك إلى أن توقعاتنا تصويرية أكثر مما هي معجمية، وأن أيًا من المفردات التي سنختارها لتحتل الموقع س (كالمستشفى أو الطبيب أو المركز الصحي، الخ) تقع جميعا ضمن توقعاتنا¹.

ويؤكدان هذه النظرة من خلال الخطأ الذي نقع فيه عند التكهّن بما قد يأتي من كلمات حين يكون التعبير مجازيا. ويقدمان المثل الذي يقدمه رايزيك وشانك وهو:

(8) أ - ذهبنا في رحلة صيد. ب . اصطدنا غزالتين.

« في تمثيلنا التصوري لهذا النص، نستحضر بلا شك بنادق و عيارات وحيوانات ميتة. لكننا نكتشف عند مجيئنا إلى الجملة الثالثة (8 ج) أن توقعاتنا كانت مخطئة وأن علينا أن نرجع من جديد إلى تشكيل ذلك التصور.

ج . فإذا بنا نقع في حبّهما.²

ولا شك أن التنبّه إلى هذا الأمر مفيد خاصة في تحليل النصوص الأدبية.

3.5.2 - المخططات الذهنية (السيناريوهات):

« اختار سانفورد و جارود (81) مصطلح المخطط الذهني [أو السيناريو] للحديث عن " المجال المرجعي الموسّع " الذي نعود إليه في تأويل النصوص المكتوبة».³ ويتشكل حسبهما من الوضعيات والظروف والمواقف المحيطة بالنص حيث يقولان: « نستطيع أن ننظر إلى معرفتنا بالظروف المحيطة والمواقف على أنها تمثل المخطط الذهني الذي يكمن وراء تأويلنا للنص».⁴ فإذا كان الكلام في "الأطر المعرفية" عن المعلومات والعناصر المتعلقة بموضوع الخطاب فالكلام هنا عن الأسباب التي تستحضرها، أي أن معرفة هذه الوضعيات والظروف والمواقف ترسم في ذهن المتلقي صورة للموضوع وتزوده بالعناصر التي تساعد على الفهم »

1- براون، تحليل الخطاب ، ص 289 - 290 .

2- المرجع نفسه ، ص 290.

3- المرجع نفسه، ص 293.

4- Sanford , A.J. et. Garrod , S.C.(1981) understanding, writeen Language chichester Wiley. P 110.

نقلا عن: براون، تحليل الخطاب، ص 293.

فإذا كان القارئ أمام نص " الذهاب إلى المطعم " فإنه ليس في حاجة إلى أن يذكر بأن في المطعم نادلا وكراسي..وحتى إن لم تذكر في النص فهي موجودة قبلاً في سيناريو [المخطط الذهني] المطعم الجاهز».¹

ولكن من أين للمتلقي هذه المعرفة؟ وللإجابة « يؤكد سانفورد وجارود أن نجاح عملية الفهم القائمة على المخطط الذهني يعتمد على درجة النجاعة التي يحققها صاحب النص في تنشيط المخططات الذهنية المناسبة. وهما يلاحظان أن " قطعة من النص لابد أن تمثل وصفا جزئياً محددا لعنصر من المخطط الذهني ذاته حتى يمكن لها أن تظهر ذلك المخطط للعيان "».²

وفي المثال الموالي (9) الذي يضربانه توضيح للمسألة، حيث في (أ) بذكر "المحكمة" ينشط المخطط الذهني (السيناريو) الخاص بالمحكمة وما يحيط بها فيسهل ويسرع قراءة وفهم ما يأتي بعدها وبالذات الجملة المستهدفة التي ذكر فيها "المحامي" التي ستكون المدة الزمنية المستغرقة لقراءتها سريعة جداً، بخلاف ما يحدث في (ب) حيث نشط سيناريو غير محدد وهو (قول الكذب).

(9) . أ . العنوان: في المحكمة.

كان فريد تحت الاستجواب.

كان متهما بارتكاب جريمة قتل.

الجملة المستهدفة: كان المحامي يحاول إثبات براءته.

. ب . العنوان: قول الكذب.

كان فريد تحت الاستجواب.

لم يستطع قول الحقيقة.

الجملة المستهدفة: كان المحامي يحاول إثبات براءته.³

1- خطابي، لسانيات النص، ص 66.

2- براون، تحليل الخطاب، ص 294.

3- نقلا عن: تحليل الخطاب، ص 294.

4.5.2- الأنساق الذهنية: (الخطاطة) Schéma

الأنساق الذهنية (أو الخطاطة) هي بنيات معرفية اعتبرها براون ويول « بمثابة الخلفية المعرفية المنظمة التي تقودنا إلى أن نتوقع أو نتنبأ بمظاهر معينة في تأويلنا للخطاب.»¹ وكونها (المنظمة) في نظرهما أي أنها مجرد موجّهة وليست قيوداً حتمية لكيفية تأويل الخطاب. ويضربان مثالا لذلك بالأحكام المسبقة التي يصدرها جنس بشري معين على آخر انطلاقا من التحيز العنصري أو الجهوي الذي يرسّخ في الأذهان نمطا محددا من التفكير والتفسير اتجاه كل ما يصدر من الجنس الآخر، فإذا كان الحكم المسبق على هذا الجنس هو التخلف مثلا فإن نظرة التخلف ستصعب تفسير كل خطاب يصدر من أفراده. والمثال الآخر الذي يضربانه هو الأكثر تداولاً في حياة الناس ويتعلق بالخطابات السياسية والحزبية، فإذا ما دعي كثير من الناس إلى سماع شيء من ذلك رفض وقال " أنا أعرف مسبقا ما سيقولون".²

وتجدر الإشارة إلى أن الأنساق الذهنية (الخطاطة) لها تأثيرات أخرى تؤثر في تشكيلها وتؤدي بالتالي إلى التأثير في الفهم والتأويل ومن بين هذه التأثيرات الخلفيات الثقافية وطبيعة الجنس (ذكر، أنثى) الذي يترتب عنه اختلاف في الاهتمام. ولكي يثبت الباحثان ذلك عرضا تجربتين قام بها غيرهما³.

أما التجربة الأولى فهي عرض مشاهد فيلم دون حوار على مجموعتين الأولى أمريكية والثانية يونانية، ثم قامت كل مجموعة بوصف أحداث تلك المشاهد فكان الاختلاف واضحا بين الوصفين، « ذلك أن تباين الخلفيات الثقافية قد نتج عنه أنساق ذهنية مختلفة في وصف أحداث مشاهدة».⁴

1- براون، تحليل الخطاب، ص 296.

2- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها أو لسانيات النص، ص 67.

3- ينظر: براون، تحليل الخطاب، ص ص 296 - 297 أو لسانيات النص، ص 68.

4 - براون، تحليل الخطاب، ص 297.

أما التجربة الثانية فهي تقديم نص فيه إبهام لمجموعة من الطلبة ومجموعة من الطالبات وكل مجموعة تختلف عن الأخرى في التخصص، فكان تأويل كل مجموعة لذلك الإبهام وفق اهتمامها مختلفا عن تأويل المجموعة الأخرى.

وخلاصة العناصر السابقة هي : إن الإطارات المعرفية (الأطر) والمدارات (المدونات) والمخططات الذهنية (السيناريوهات) والأنساق الذهنية (الخطاطة)، كل منها « وسيلة لتمثيل تلك الخلفية المعرفية [معرفة العالم] التي نستعملها جميعا ونفترض أن الآخرين قادرين على استعمالها كذلك، أثناء إصدارنا للخطاب وتأويلنا إيّاه».¹

ومن خلال فهم ما سبق يمكن اختصار ما يتعلق بكل وسيلة من هذه الوسائل كعنصر في "المعرفة الخلفية" على النحو الآتي:

. الأطر المعرفية: استحضار المعلومات والمعارف المخزنة في الذاكرة حتى التي لم تذكر في الخطاب ولكنها تعد من عناصر موضوعه.

. المدونات: توقع الأحداث النموذجية المعتاد جريانها فيما هو من جنس موضوع الخطاب.

. السيناريوهات: معرفة الظروف والمواقف المحيطة بالموضوع من خلال ما يذكر في قطعة من النص، فهي تمثل المرجع الموسع الذي يعود إليه تسريع قراءة وتسهيل فهم ما هو مستهدف في النص.

- الخطاطة: بنيات معرفية ناتجة عن ثقافات واهتمامات أو غيرها تتشكل منها ما يشبه الأحكام المسبقة تؤثر في الفهم والتأويل..

« والجامع بين مختلف هذه المفاهيم أنها نماذج متراوحة بين الآلة تُبرمج ببعض ما يقوم به الدماغ البشري والدماغ البشري يستعان على فهم عمله بالصورة التي تعمل عليها الآلة (...) ويمكن أن نجمل القول بترك الفوارق بين هذه المفاهيم.. وبردّها إلى أمر أقلّ تعقيداً.. وهو أن تعاملنا مع ما يعترضنا من النصوص . ومن غير النصوص . يكون اعتماداً على أمرين اثنين (اعتمدنا في بيان الفرق بينهما على ما ذكره Sperber و Wilson ..):

1- المرجع السابق، ص 299.

- جملة الأصول والقواعد المنطقية التي يعمل بمقتضاها الفكر، وهي أصول متناهية كمّا وكيفا لا يكاد تختلف الناس فيها.

. جملة المعارف الموسوعية التي حصّلناها، وهي غير متناهية يمكن الزيادة عليها أو تعديلها بالطرح منها بالعدول عما يبدو لنا خاطئاً.¹

ولأن الربط بين الاجتهادات يزيد في وضوح المسائل فمن المفيد الإشارة هنا إلى أن هذه المفاهيم تبدو متصلة إلى حد ما بما ذكره السكاكي من مبررات العطف وهي الجامع العقلي والجامع الوهمي والجامع الخيالي.²

6.2- الاستدلال والحلقات المفقودة:

إن انسجام الخطاب يتم عبر تداولية المفاهيم السابقة المتعلقة بمعرفة العالم، وقد سماها البعض " أعراف الحبك"³، التي تؤدي إلى عملية تدعى الاستدلال، حيث نقل خطابي عن براون ويول أنهما « يعتبران أن كل العمليات الذهنية السابقة [المتعلقة بمعرفة العالم] يقوم خلالها المتلقي بنوع من الاستدلال».⁴

وهذه العملية (الاستدلال) بدورها تؤدي إلى اكتشاف ما يسمى " بالحلقات المفقودة" التي تظهر هي الأخرى عن طريق النظر إلى ما يسمى " الأفعال الإنجازية"، هذا ما يفهم من جملة ما جاء عن براون ويول وغيرهما من الباحثين. ولكي تتضح هنا هذه العمليات المتداخلة لأبد من تحديد مفاهيم المصطلحات الجديدة فيها وهي: الاستدلال، والحلقات المفقودة ، والأفعال الإنجازية ، كما يلي:

● الاستدلال: (وهو مرادف للفظ " الاستنتاج" كما في بعض الترجمات).

وهو « العملية التي يجب أن يقوم بها القارئ (أو السامع) للانتقال من المعنى الحرفي لما هو مكتوب (أو مقول) إلى ما قصد الكاتب (أو المتكلم) من وراء الخطاب»⁵.

1- الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النحوية النظرية العربية، ص 176 - 177 .

2- ينظر البحث ص 160 وما بعدها ، وقد أشار إلى هذه العلاقة محمد الشاوش في: أصول تحليل الخطاب، ص 178.

3- ينظر: العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 95.

4- خطابي، لسانيات النص، ص 69..

5- الشاوش، تحليل الخطاب، ص 306.

ومن خلال المثال الحرفي الموالي (10أ) (لبراون ويول) يتضح عن طريق الاستدلال أن المتكلم يقصد معنى آخر مثل ما هو في المثال (10ب) :

(10) . أ . إن الجو بارد حقاً هنا، وهذا الشباك مفتوح.

. ب . أقفل الشباك من فضلك.

وهذا لا يعني أن الجملة (أ) تعني الجملة (ب) في اللغة ولكن السامع نتيجة سماع الجملة في سياق معين يستنتج الثانية من الأولى لأن ذلك ما يقصده المتكلم.

ولقد تطرق الباحثون إلى تنوع الاستدلالات وأصنافها، وذكروا أن بعضها يحتاج إلى مدة زمنية أكثر من بعض، وبيّنوا ما هو آلي وما هو غير آلي، وتساءلوا عما هو آلي لا يستغرق وقتاً لاستنتاجه هل هو استدلال أم لا؟... ولكن المقام لا يتطلب أكثر من عرض بعض الأمثلة فقط لتجلية المفهوم أكثر، دون الخوض في التفاصيل. وذلك من خلال ما ورد عند براون ويول نقلاً عن غيرهما¹ حيث تعد كل جملة (ج) في الأمثلة الموالية هي نوع من الاستدلال* يستنتجه المتلقي دون أن يذكره المنتج:

(11) . أ . أخرجت ماري من السيارة بعض المدّخّرات لتناولها أثناء النزهة.

. ب . كان العصير ساخناً.

. ج . تتضمن مؤونة النزهة شيئاً من العصير.

(12) . أ . ألقيت نظرة في داخل الغرفة.

. ب . كان السقف عالياً جداً.

. ج . للغرفة سقف.

(13) . أ . جاءت الحافلة بسرعة شديدة من منعطف الشارع.

. ب . كادت المركبة أن تدوس أحد المارة.

. ج . الحافلة مركبة.

1- ينظر: المرجع السابق، ص ص 307 – 309.

*- مع شيء من التحفظ في بعض الأنواع، يملّيه النقاش الوارد حول كون الجمل الرابطة التي لا تحتاج إلى وقت إضافي لاستخلاصها، لا تعد استدلالية كما في المثالين (12) و(13) الجملة (ج). ينظر: أ- تحليل الخطاب، ص ص 307 – 322. ب- لسانيات النص، ص ص 71 – 75.

• الحلقات المفقودة:

إن ما يفهم من عموم كلام براون ويول لا يختلف عما جاء عند فان دايك الذي يقصد بالحلقات المفقودة « القضايا التي نسلم بها على أنها تنشئ الحيك النظري للنص والتي لا يعبر عنها في الخطاب. ويمكن أن يعاد تركيب هذه الحلقات المفقودة بواسطة ما يسمى بقوانين الاستدلال... أو القوانين والإجراءات التي تحدد على مستوى التداولية، أو أن تحدد بواسطة النظرية المعرفية.¹»

ومن هذا التعريف يبدو واضحاً أن الجمل المستنتجة عن طريق الاستدلال في الأمثلة السابقة هي "الحلقات المفقودة" في الخطاب والتي باستحضارها في الذهن يكون الخطاب منسجماً. ولمزيد من التوضيح لا بأس بإضافة مثال آخر (14) نقلا عن ويدوسن (Widdoowson)² الذي استدل براون ويول أيضاً بأقواله كثيراً:

(14). أ. ماذا فعل رجال الشرطة؟

ب. جئت لتوي.

إن هذا الحوار بين "أ" و "ب" لا يكون منسجماً ومفهوماً إلا إذا أضيفت له استنتاجا في الذهن العبارة الواقعة بين قوسين في (ب14 مكرر) التي يسميها محمد العبد "الرابطية القضية المفقودة" وهي نفسها "الحلقة المفقودة" ولكن من نوع آخر، فيصير عندئذ الحوار كالتالي:

(14) مكرر: أ. ماذا فعل رجال الشرطة؟

ب. (لا أعرف ما فعله رجال الشرطة لأنني) جئت لتوي!

• الأفعال الإنجازية: وتسمى أيضاً "الأفعال القولية".

يقول المؤلفان (براون ويول) في مفهومهما: « إن المتكلم عند لفظه أي جملة يمكن أن نقول عنه إنه أنجز عملاً ما. ولو أردنا المزيد من الدقة لقلنا إن هذا العمل هو العمل الدلالي.

نقلا عن: العبد ، النص والخطاب والاتصال، ص 951 . - Van Dik.. Text and context, P 9.

2- ينظر: النص والخطاب والاتصال، ص 96.

ويرتبط عادة بكل عمل دلالي شحنة القول التي يمكن وصفها بكونها فعلا إنجازيا مثل " الوعد" أو " التحذير"..¹.

أما عن دورها في الانسجام « يشير لابوف إلى أن تعرفنا على وجود أو عدم وجود تماسك معنوي في المقاطع المتتابعة في المحادثة لا يعتمد على وجود علاقة بين الأقوال بل " بين الأفعال التي تنجر بالتلفظ بتلك الأقوال"..²

ولتوضيح ذلك يمكن تقديم المثال التالي لويديوسن:³

(15). أ. الهاتف يرنّ.

ب. إنني في الحمام.

أ. حسناً.

« يقترح ويديوسن أننا لا يمكن أن نقبل هذه المقاطع المتتالية كخطاب متماسك معنوياً إلا بالتعرف على الفعل الذي قام به كل واحد من هذه الأقوال في إطار التتالي المتعارف عليه لمثل هذه الأفعال.

ويمكن تقديم هذا التتالي المتعارف عليه كما في (16):

(16). أ. يطلب من (ب) القيام بفعل.

ب. يصرّح بالدّاعي الذي يمنعه من تلبية الطلب.

أ. يأخذ على عاتقه القيام بالفعل..⁴

وهذا يعني أن المتتالية تتكون من أفعال إنجازية ثلاثة وهي على التوالي:

أ - طلب. ب - اعتذار. ج - وعد.

إن اعتبار هذه الأفعال الإنجازية في ذهن السامع هو الذي يجعل المحاورة متماسكة لأن بها يتم الاستدلال وبالتالي اكتشاف الحلقات المفقودة، وفي هذا المعنى يقول محمد العبد في مثال شبيهه (لا يختلف عن السابق إلا بتغيير الحديث عن "الهاتف" بالحديث عن "الباب"):

1- براون، تحليل الخطاب، ص 278.

2- المرجع نفسه، ص 271.

3- نقلا عن: المرجع نفسه، ص 273.

4- المرجع نفسه، ص 273.

تكون المنطوقات الثالثة خطابا محبوبا، إذا نظرنا إليها من حيث هي " أفعال إنجازية". يساعد هذا الفهم للعلاقات بين المنطوقات على تزويد المبادلة السابقة " بالروابط القضية المفقودة" [أي الحلقات المفقودة وهي الواقعة بين قوسين] والتي تعيد إليها خاصية السبك: أ. هناك شخص بالباب (هل يمكن أن تفتحه؟).

ب. (لا، لا يمكنني أن أفتحه، ف) أنا مشغول!

أ. طيب (سأفتحه أنا).¹

لا شك أن هذه المفاهيم قد اتضحت ووضحت معها علاقة التفاعل بينها التي تؤدي إلى الانسجام كما جاء في البداية.

ولمزيد من التوضيح يمكن تبين كيف تتم هذه العمليات في المثال الأخير. حيث إن معرفة الفعل الإنجازي من قول (أ)، (هناك شخص بالباب) على أنه طلب كانت من خلال المقام والمعرفة الخلفية وأعراف الحبك وبذلك يتم الاستدلال على الرابطة المفقودة (هل يمكن أن تفتحه؟) وهكذا يتم الرد والرد الآخر بنفس الطريقة وينتج في النهاية خطاب بثلاثة مقاطع متتالية منسجمة.

وتظهر قيمة الانسجام بهذه الآليات أكثر في المعاملات اليومية، مثلاً من خلال الخطابات والرسائل و التقارير المتخصصة، فلو يعطى تقرير طبي أو صناعي لغير أهل ميدانه لا يفهم منه شيء لا لغموض لغته و مصطلحاته ولكن لغياب المعطيات المذكورة آنفا وما ينتج عنها لدى المتلقي.

ولعل تلخيص ما سبق وتدعيمه يوجد في الفقرة الموالية لمحمد العبد وقد أوردها عقب تعريف "الحلقات المفقودة" لفان دايك المذكور في البداية، و بفهمها يربط أول المبحث بآخره ويظهر تكامل هذه العمليات والمفاهيم في حبك (انسجام) الخطاب، حيث يقول: « ويرتبط مفهوم "الحلقات المفقودة" عند فان دايك بمفهومين آخرين عند ويدوسن (Widdoowson)؛ أحدهما

1. العبد، النص والخطاب والاتصال، ص98.

أعراف الحبكة Conventions of coherence والآخر ما يسميه بالرابطة الإنجازية illocutionary Link.

خلاصة المفهوم الأول [أعراف الحبكة] أننا نربط ما يقال بما نعرف، وأن قدرًا من المقدرة على الاستدلال يؤول إلى تقاليد وأعراف مرتبطة بنوع الخطاب. نحن نتعلم مثلًا أن المكاتبات الإدارية ذات صيغة بعينها، وأن المَعمَليين يكتبون تقاريرهم على نحو بعينه، وهكذا يكون الخطاب محبوبًا على قدر إدراكنا إياه من حيث هو تمثيل لاستعمال لغوي عادي، وهو محبوبك على قدر قبولنا الأحداث الإنجازية بوصفها خاضعة للأعراف السائدة في هذا النوع أو ذاك من أنواع الخطاب.

يخلص ويدوسن إلى القول "بأن الحبكة يقاس بمدى خضوع حالة بعينها من حالات الاستعمال اللغوي للمعرفة المشتركة بالأعراف وبكيفية ارتباط الأحداث الإنجازية لتكوين وحدات أكبر من الخطاب، من أنواع مختلفة. إذا قابلتنا قطعة من اللغة، أمكننا الحكم بكيفية حبكها وصفًا، أو تقريرًا تقنيًا، أو مذكرة قانونية... الخ".

وخلاصة وسائل الانسجام عند براون ويول كنموذج لمنظور "تحليل الخطاب" من منطلق أن المتلقي هو الذي يحكم على النص بأنه منسجم أو غير منسجم؛ هي:

- السياق وخصائصه - مبدأ التأويل المحلي - مبدأ التشابه - التفسير - المعرفة الخلفية، (معرفة العالم) - الاستدلال والحلقات المفقودة والأفعال الإنجازية (بوظائفها المتكاملة).

3- في الجهود العربية:

لقد ظهر في ما سبق وبخاصة في مبحث "أدوات الاتساق" أن لعلماء العربية ولاسيما القدامى منهم إسهامات معتبرة ترتبط " بعلم النص"، ولئن لم يعرض الأمر سابقًا بشكل مستقل ومميز فما هي الفرصة تتيحها هنا المنهجية المتبعة والتي عُرضت فيها جهود بعض الاتجاهات لتكون الجهود العربية واحدًا منها، وذلك على غرار ما فعله العديد من الباحثين العرب المحدثين الذين أفردوا للجهود العربية أبوابًا ومباحث خاصة في مراجعهم، ومن هؤلاء د. محمد خطابي الذي يقول في مقدمة باب "المساهمات العربية" مبررًا لاستحدثائه بعد

عرض إنتاجات الغربيين :«... لكن هذه العودة إلى القديم لا تعني أن النص العربي يسلك ، في اتساقه وانسجامه سبيلاً مخالفاً تماماً للنص الغربي بحيث تعجز الأدوات التي اقترحها الغربيون عن مقارنته من هذه الزاوية ، وإنما تعني إعادة الحياة إلى هذه الإسهامات باعتبار أن فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوصية عما قدمه الغربيون»¹.

واعتماداً على ما جمعه بعض هؤلاء الباحثين وعلى رأسهم خطابي تأتي المحاولة اللاحقة، التي ستكون انتقاء، وتلخيصاً لأهم وسائل الانسجام في نظر العلماء العرب في كل من البلاغة والنقد الأدبي والتفسير وعلوم القرآن. وليست الغاية من تناول هذه الإسهامات هي استعراض كل إنتاجات العرب في هذا المجال والإشادة بها ، ولكن الغاية هي البحث عن إضافات أخرى لوسائل الانسجام بالذات . دون الاتساق . لتقصي أكبر عدد ممكن منها بغض النظر عن مقترحها .

1.3- عند البلاغيين والنقاد:

1.1.3- الفصل: شغلت مسألة "الفصل و الوصل" حيزاً هاماً في البلاغة خاصة عند قطبين من أقطابها هما الجرجاني و السكاكي، وقد سبق أن تطرق البحث إلى قضية "الوصل" في "أدوات الاتساق" باعتباره يتم عن طريق الروابط الشكلية المتمثلة أساساً عند بلاغي العربية في حروف العطف وعلى رأسها "الواو" إلا أن هذه الحروف دعمت بمبررات معنوية لمقبوليتها كما سلف.

أما الفصل فهو، على العكس من ذلك، يعني الحالات التي لا يليق فيها الربط الشكلي ولكن الكلام فيها يكون متماسكاً، فهو إذن تماسك معنوي ومن ثمَّ يصحَّ . حسب تصنيف البحث . أن تُعدَّ دواعي ومبررات الفصل من وسائل الانسجام.

وبالرجوع إلى الحالات (السابق ذكرها في البحث) التي لخص فيها الجرجاني العلاقات الممكنة بين الجمل والتي شملت الحالة الثانية منها (فقط) كل مبررات "الوصل"، يتبين أن

1- خطابي، لسانيات النص، ص95.

الحالتين الباقيتين . أي الأولى والثالثة . هما اللتان تدور حولهما مبررات "الفصل" (المطلوبة هنا). وهاتان حالتان هما:

الحالة الأولى: جملة حالها مع التي قبلها حالُ الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها . لو عطف . بعطف الشيء على نفسه.(...) الحالة الثالثة: جملة ليست في شيء من الحالتين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إيّاه، ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحقّ هذا ترك العطف البتة¹.

أما في ما ذكره السكاكي من أصناف العلاقة بين الجمل فالفصل يتعلق بالصنفين الأول والثاني وهما يشبهان حالتي الجرجاني، ويمكن تلخيصها بمصطلحات السكاكي نفسه « كمال الاتصال وكمال الانفصال...»².

هذه بصور إجمالية حالات الفصل ولكن يمكن تفصيلها كوسائل الانسجام عند كل من الجرجاني و السكاكي على النحو التالي:³

أ- التأكيد (غير النحوي) ونقصان المعنى:

إذا كان التوكيد في النحو تابعاً يعود على ما قبله في الإعراب والمعنى أي أنه ذو طابع إحالي، وقد أدرج سابقا ضمن أدوات الاتساق الإحالية⁴ ، فإن المقصود هنا هو تأكيد الجمل بعضها لبعض، من الناحية المعنوية الصرفة وذلك بمثابة « العلاقة الخفية القائمة بين الجمل المشكلة للخطاب. وهي علاقة لا تعتمد على رابط شكلي ظاهر سطحيا. عن هذه العلاقة أورد الجرجاني أمثلة من القرآن الكريم.. منها " قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة 6-7). فقوله تعالى " لا يؤمنون" تأكيدا لقوله: " سَوَاءٌ

1- ينظر البحث في مبررات العطف، ص 160 وما بعدها.

2- ينظر البحث، الصفحة نفسها.

3- المصطلحات الواردة كعناوين من اقتراح د. محمد خطابي في لسانيات النص.

4- ينظر البحث ص 126 وما بعدها.

عَلَيْهِمْ أَلَّنَزَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ". وقوله: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ" ثان أبلغ من الأول، لأن من كان حاله إذا أُنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة. "إننا في هذه الآية أمام تأكيدين اثنين كل منهما يضيف جديداً إلى المعنى، ومن ثم فإن الثاني ليس حشواً مادام أبلغ من الأول، وهو كذلك لأنه يبين سبب استواء الإنذار عندهم بعدمه، ذلك لأن الله ختم على قلوبهم... بهذا المعنى يعتبر تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة من وسائل تماسك الخطاب رغم أن كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي.¹

وما دامت الجمل التي ضرب بها المثل هنا لا تعرب تأكيداً فإن الفرق بات واضحاً بين هذا النوع من التوكيد المقصود به تقوية المعنى فحسب وبين "التوكيد" كتابع نحوي ذي القيمة الإحالية الذي غالباً ما يأتي على مستوى الجملة الواحدة.

وقد تكلم السكاكي أيضاً عن "التأكيد" بهذا المعنى كمبرر للفصل ولكن د.خطابي اقترح له تسمية أخرى وهي "نقصان المعنى" بناء على ما ورد في تحديد السكاكي للحالة التي تقتضي هذا الأمر وهي: «أن يكون الكلام السابق غير وافٍ بتمام المراد (...) أو كغير الوافي (...)» فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد المراد² وقد ضرب لذلك المثال الآتي:

«أقول له ارحل لا تقيمن عندنا :: وإلا فكن في السرّ والجهر مسلماً.

فصل الشاعر "لا تقيمن" عن "ارحل" لأن النهي هنا نزل من الأمر منزلة كلام ناقص معناه. ولأن قصد الشاعر هو "كمال إظهار الكراهة لإقامته، بسبب خلاف سره العلن"، فإن إضافة النهي "لا تقيمن" أوفى بتأدية المراد من قوله "ارحل" (...) وإذا كانت دلالة الرغبة عن إقامة المعنى متضمنة في "ارحل"، فإنها صريحة في النهي "لا تقيمن" مع كونها خالية من التأكيد في الفعل الأول ومشحونة به في الثاني³

1- خطابي، لسانيات النص، ص 107.

2- السكاكي، مفتاح معلوم، ص 253.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 114.

وتجدر الملاحظة هنا إلى التشابه موجود بين وسيلة الانسجام هذه كداع من دواعي الفصل وبين أداه الاتساق المتمثلة في الإبدال أو التكرار بالمعنى الحاصل هنا "ارحل" و"لا تقيمن" لكونهما يحملان معنى واحداً ، إلا أن الفرق يكمن في أن هذه بين الجمل والسابقة بين الكلمات.

ب- اختلاف صيغة الخطاب:

جاء في البحث من ضمن مبررات العطف عند الجرجاني أن تكون صيغة الخطاب واحدة حكاية وخبراً، وتبين من المثال المذكور هناك معنى كل من الاختلاف والتماثل¹ وعندها اعتبر نوع التماسك اتساقاً لأن الترابط فيه شكلي (الوصل بالعطف)، أما في حالة اختلاف صيغة الخطاب بين جملتين متعاقبتين فإن الفصل هو الذي يكون واجباً مع بقاء التماسك رغم غياب الأداة فنوعه عندئذ انسجام.

ولتوضيح حالة الفصل والانسجام عند اختلاف صيغة الخطاب، يضرب الجرجاني بعض الأمثلة منها: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نحن مصلحون ألاّ إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة 11-12) إنما جاء ﴿إِنَّمَا هم المفسدون﴾ مستأنفاً مفتتحاً بـ"ألا" لأنه خبر من الله تعالى بأنهم كذلك. والذي قبله من قوله: ﴿إِنَّمَا نحن مصلحون﴾ حكاية عنهم. فلو عُطِفَ لِلزِّمِ عليه مثل الذي قدّمت ذكره من الدخول في الحكاية، ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون، ولصار كأنه قيل: قالوا: "إنما نحن مصلحون" وقالوا: "إنهم المفسدون"، وذلك ما لا يُشَكُّ في فساده.²

ج- اختلاف الأفعال الكلامية:

وهو مبرر للفصل عند السكاكي شبيهه بسابقه (اختلاف صيغة الخطاب) عند الجرجاني، حيث «يذهب السكاكي إلى أن الجملتين المختلفتين خبراً وطلباً ينبغي أن تفصلا عن بعضهما (...) والمثال التالي يوضح هذا:

ملكته حبلي ولكّنه :: ألقاه من زهد على غاربي

1- ينظر البحث ص167.

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 178.

وقال: إنِّي في الهوى كاذب :: انتقم الله من الكاذب

يتكون الشطر الأول من البيت الثاني من خبر، ويتكون الثاني من طلب (دعاء).

الخبر: "إنِّي في الهوى كاذب". . الطلب: " انتقم الله من الكاذب".¹

فسبب اختلاف الفعلين الكلاميين (خبرا وطلبا) وجب الفصل وحصل الانسجام بين الشطرين الأول والثاني من البيت الثاني. وللتذكير فإن تأويل الخطاب الذي يزيل اختلاف الأفعال الكلامية يجعل الوصل هو المطلوب لا الفصل كما ورد سابقا في مبررات العطف.²

د - انكسار بنية الخطاب مع تماثل الفعلين الكلاميين:

وذلك . حسب ما استخلصه خطابي³ عن السكاكي . ما يمكن اختزاله في مفهوم "اختلاف موضوع الخطاب" أي إقحام موضوع أجنبي في بنية الخطاب الأصلي.

فعندها قد تكون الجملتان متماثلتين خبراً، ولكن يجب أن تقطع إحداها عن الأخرى ويبقى الكلام منسجماً بالعودة إلى الموضوع الأصلي بعد الانتهاء من الموضوع الاعتراضي. وذلك كأنَّ « تكون في حديث ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما أنت فيه بوجه... يدعوك إلى ذكره داع فتفصل»⁴.

وذلك كثيرا ما يحدث في الواقع، ومنه أحد المثالين اللذين نقلهما خطابي عن السكاكي ضمن القول السابق نفسه وهو كقولك: « كان معي فلان فقراً . ثم خطر ببالك أن صاحب حديثك جوهري، و لك جوهرة لا تعرف قيمتها، فتعقب كلامك أنك تقول: " لي جوهرة لا أعرف قيمتها، هل أرينكها؟ [قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ رافعا الله، ناصبا العلماء، فلما سألته عن سبب رفعه ذلك ونصبه هذا، روى لي حكاية من أغرب ما سمعت...]⁵».

1- خطابي، لسانيات النص، ص 116.

2- ينظر: البحث، ص 167.

3- ينظر: خطابي، لسانيات النص، ص ص 116-118.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 270.

5- الكلام الموضوع بين معقوفين أضافه خطابي ليتضح مقصود السكاكي.

وفي المقابل أمر آخر يوضح ما سبق وهو أن العطف وترك الفصل بين الجمل ذات المواضيع المختلفة تجعل الكلام غير منسجم إلا إذا عُثر له عن موضوع موحد ولتوضيح ذلك يضرب السكاكي المثال الآتي:

« زيد منطلق ودرجات الحمل ثلاثون، وكُم الخليفة في غاية الطول، وما أحوجني إلى الاستقراغ، وأهل الروم نصارى، وفي عين الذباب جحوظ، وكان جالينوس ماهراً في الطب. وختم القرآن في التراويح سنة، وإن القرد لشبيه بالآدمي»¹.

وبهذا يتضح أن كسر بنية الخطاب بكلام مخالف للموضوع الأصلي ثم العودة إلى الموضوع نفسه ولو مع الحفاظ على النوع الواحد للفعلين الكلاميين هو أمر يوجب الفصل أيضاً ويحقق الانسجام، أما إذا تواصل اختلاف الموضوع دون العودة إليه (كما في المثال الأخير) فلا يتحقق الانسجام ولا التماسك عموماً ولو بوجود روابط شكلية إلا مع « وجود موضوع خطاب يجمع أطرافاً متوالية من الجمل»² ولو تأويلاً.

وإذا كان الكلام عن موضوع الخطاب قد سبق فإن الجديد هنا هو "كسر بنية الخطاب مع تماثل الفعلين الكلاميين" قبل كسر البنية وبعدها « وهذا تنبيه من السكاكي لئلا يذهب بنا الظن إلى أن اختلاف الفعلين الكلاميين هو وحده الموجب للفصل بين الجملتين»³ لتحقيق الانسجام.

هـ- الاستفهام المقدّر:

« من دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق، سؤال مقدر غير متجل في سطح الخطاب والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكون من سؤال مقدّر/جواب ظاهر»⁴.

وقد التقى كل من الجرجاني و السكاكي في تحليل هذا الداعي ولم يختلفا في تناوله⁵. يمثل الجرجاني لهذا بعدة أمثلة ويعلق عليها، ومنها ما يلي:

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 271.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 118.

3- المرجع نفسه، ص 116.

4- المرجع نفسه، ص 109.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

« زعم العواذل أنني في غمرة :: صدقوا، ولكن غمرتني لا تتجلي.

لما حكى عن العواذل أنهم قالوا " هو في غمرة "، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك، وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مُخرجه إذا كان ذلك قد قيل له، وصار كأنه قال: أقول: صدقوا أنا كما قالوا، ولو قال: " زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا" [بالعطف] لكان يكون لم يضع في نفسه أنه مسؤول، وأن كلامه كلام مجيب.¹ والأمثلة التي يضربها الجرجاني هنا نصوص قرآنية كثيرة، يقول في بدايتها: « واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ "قال" مفصلاً غير معطوف، هذا هو التقدير فيه . والله أعلم . أعني مثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ فَارَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات/24-28]. جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال. فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا: فما قال هو؟ ويقول المجيب قال كذا؛ أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه...²

وينقل خطابي دواعي إضمار السؤال المقدر كما يراها السكاكي وهي:

. إما لتببيه السامع على موقعه .

. أو لإغنائه أن يسأل .

. أو لئلا يُسمع منه شيء .

. أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه.

. أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ.

ثم يعقب عليها بتعليقات أهمها ما جاء في آخرها وهو قوله: « أما الاعتبار الخامس فيتعلق بالخطاب نفسه بحيث يستغني عن تكرير السؤال بين كل قولين، إذ لو تكرر لأثقل الخطاب بكلام حقه أن يستغني عنه اعتماداً على ما يقتضيه المقام، أي الاستغناء عن إظهار رابط

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 180

2- المرجع نفسه، ص 183.

لفظي بتقدير زوج السؤال (المقدر)/ الجواب الذي يظل ثاويا في عمق الخطاب المخرج على هذا النحو.¹

ولا يخفى ما في هذا الكلام من علاقة مع ما ورد سابقا عند باحثين آخرين لاسيما " الخطاب الصريح والضمني " عند فان دايك و " الحلقات المفقودة " أيضاً عند براون ويول.² «بهذا المعنى يسهم زوج الاستفهام المقدر/الجواب في جعل الكلام متصلا ببعضه ببعض دون وجود رابط شكلي، وهو ، في رأينا وسيلة قوية من حيث الربط.»³

و- أمن اللبس (مع تقدير السؤال):

ومن مبررات الفصل عند السكاكي التي تحفظ التماسك ما يسمى بأمن اللبس ومن بين دواعيه « أن يكون للكلام السابق حكم، وأنت لا تريد أن تشرك الثاني في ذلك فيقطع»⁴ ولتوضيح ذلك يضرب السكاكي المثال التالي:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً، أراها في الضلال تهيم.

«إن ما ينقله هذا البيت هو أن سلمى تظن أن صاحبها يحب أخرى، ولكنه في الحقيقة لا يحب إلا سلمى، وقوله " أراها في الضلال تهيم " نفي لظنها وردّ لاتهامها إيّاه، لذلك قطع "أراها" عن الكلام السابق، لكي لا يعتقد القارئ أنه معطوف على "تظن" بحيث يصير من مضموناتها، وما هو منها. ومن ثم فإن قوله "أراها" حكم من الشاعر على ظن سلمى، ولو عطف لامتنع أن يكون جواباً عن ظنها، ولانتظر القارئ جواب الشاعر في بيت آخر، وليس معنا جواب غيره، فالداعي إلى قطع كلامه عن قوله هو أمن اللبس.»⁵

1- خطابي، لسانيات النص، ص 116.

2- ينظر: البحث، ص200، ص 231(على التوالي).

3- خطابي، لسانيات النص ص 109.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص252.

5- خطابي، لسانيات النص، ص 113.

وتجدر الإشارة إلى أن مبرر الفصل هذا (أمن اللبس) له علاقة بالمبرر السابق (تقدير السؤال) حيث « يذهب السكاكي أيضاً إلى مكان تقدير سؤال بعد قوله " وتظن...بدلاً" فحواه "فما قولك فيما تظنه سلمى؟" ويكون قوله "أراها" جواباً عن هذا السؤال المقدر.¹»

ز - الإيضاح (الخفي/الجلي) أو البيان:

يلخص خطابي رأي السكاكي في هذا المبدأ بقوله « الداعي إلى الإيضاح والتبيين هو "أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء، والمقام مقام إزالة له" هذا مبدأ آخر يجعلنا ندرك العلاقة الوطيدة التي تنظم الخطاب رغم غياب الروابط الشكلية (وجوب غيابها)، وذلك هو مبدأ " الخفاء/ إزالة الخفاء"، فعلاقة الكلام اللاحق بالسابق علاقة تجلية وتوضيح. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه120) فالملاحظ أن قوله تعالى ﴿قال يا آدم﴾ مفصول شكلياً عن ﴿فوسوس...﴾ لا اعتبار معنوي هو أن المقول إيضاح للوسوسة (أي لما وسوس الشيطان له به)².

أما الأزهر الزناد فيركّز على هذا المبدأ ويسميه "البيان" أو الاستئناف البياني أو الربط البياني ويقول:

« فالبيان إذن أساس الروابط في كل ملفوظ³ ثم يذكر أشكال وروده التي يصفها بأنها « ذات مرونة كبيرة لأنها تتصل بملايسات المقام والتفاعل (interaction) بين أطراف الحوار⁴».

ومن الأشكال التي يرد بها الربط البياني ما جمعه الزناد في ما يلي:⁵

« - ويكون البيان بتفصيل المجل⁶... على سبيل... " قال: ستسمعون خبراً غريباً. هي أختي، رحمها الله، وقد ذكرتها...".

1- خطابي، لسانيات النص، ص 113.

2- المرجع نفسه، ص115.

3- الزناد، نسيج النص، ص40.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ذكر الباحث في البداية أنواعاً من الربط البياني ذكرها البحث سابقاً في أدوات الاتساق الشكلية، ولم تكرر هنا وهي: التتابع والحال وحرف التفسير "أي" والعناصر المعجمية الدالة على التفسير مثل: عنى ، أراد ، أفاد ، الخ.

6- سيأتي "تفصيل المجل" كوسيلة انسجام (ضمن علاقات المناسبة والتناسب)، ينظر البحث: ص268.

. ويكون بإسناد الفعل إلى المعلوم بعد وروده مسنداً إلى المفعول (المجهول): "وأسير ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مرة بن عوف الجشمي...".

. بيان بذكر الدليل للإقناع كما يكثر في نصوص المناظرات و الجدل (...).

. ويكون البيان بإيراد مضمون الرسالة بعد التنبيه بالنداء. [وهو ما يسمى في النحو بجواب النداء.]: "...يا أبا هريرة حدث!".

- ويكون البيان كذلك بإيراد الجواب بعد الاستفهام من المتكلم عندما لا يقصد إلى الاستخبار: ﴿يا أيها الذين آمنوا، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعملون﴾ (الصف 10-11) «¹.

ثم يختم الزناد بقاعدة سماها الربط البياني وهي: «كل جملتين متتاليتين في النص، ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة»².

بهذا تكون مبررات "الفصل" سبعة وهي: التأكيد . اختلاف صيغة الخطاب . اختلاف الأفعال الكلامية . انكسار بنية الخطاب مع تماثل الفعلين الكلاميين . الاستفهام المقدر . أمن اللبس . الإيضاح (أو البيان).

وكما فعل د. خطابي مع مبررات "الوصل" سعى إلى جمع دواعي "الفصل" في ما يشبه المبادئ أو القواعد أيضاً، ويمكن التعبير على فحواها كما يلي:

. إذا كان الفعلان الكلاميان مختلفين، ما لم يكن في المقام ما يجعل الوصل وارداً.

. إذا كانت الصيغة التي أخرج بها الخطاب مختلفة.

. إذا كان الخطاب مخرجاً على شكل أزواج سؤال مقدر/جواب مظهر.

- إذا كانت العلاقة بين جملتين (أو بين جملة وبين جمل) علاقة تأكيد أو بيان وإيضاح... الخ³

1- نسيج النص، ص ص 40-41.

2- المرجع نفسه، ص 41.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 140.

2.1.3- التشبيه الضمني:

سبق أن تناول البحث التشبيه بشكل عام كأداة إحالية للاتساق بناء على أنه يحدث ترابطا شكليا، ونظراً لكون التشبيه الضمني يتم دون أداة وإنما يفهم باستعمال الفكر كما يفهم من تعريفه¹ فإن ذلك مدعاة إلى إدراجه ضمن وسائل الانسجام لأنه يربط بين أطراف الكلام معنوياً.

ومن أمثلته:

1- قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوانُ عليه :: ما لجرح بميتٍ في إيلام.

2- وقول ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً :: أن يُرى النَّورُ في القضيْب الرطيب.

3- وقول أبي فراس:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم :: وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

4- وقول أبي العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها؟ :: إن السفينة لا تجري على اليبس.

5- وقول آخر:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت :: وقَعُ السهام ونزعهنَّ أليم.

ليس خفياً أن في كل بيت من الأبيات السابقة تشبيهاً ضمناً حيث المشبه في الشطر الأول والمشبه به في الشطر الثاني من البيت. كما أنه من الواضح لكل قارئ أن ارتباط الشطر الأول بالشطر الثاني من كل بيت إنما هو من خلال المعنى الذي يحققه التشبيه الضمني دون رابط شكلي، بل حتى وإن وجدت الأداة، مثلما هو الحال في البيت (3) (حيث حرف العطف الواو)، فإن المتأمل يجد أنها ما كانت لتكون رابطة لولا المعنى الذي يحمله التشبيه الضمني.

1- تعرّف كتب البلاغة التشبيه الضمني بأنه تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلحان في التركيب. (ينظر مثلاً: البلاغة الواضحة، علي الجارم و مصطفى أمين، ص 47).

وقد تناول علماء البلاغة التشبيه ومنهم الجرجاني في "أسرار البلاغة" حيث تحدث عن التشبيه (والتمثيل) ودوره في تماسك النصوص بما فيه التشبيه الضمني. يقول د. خطابي محلاً لمثال ضربه الجرجاني يربط فيه التشبيه الضمني بين بيتين اثنين (لا بين شطرين في بيت واحد فقط): «..إنَّ هناك أبياتاً لا يظهر فيها رابط تشبيهي: وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِقٌ :: لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ. فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً :: إِلَى النَّاسِ، أُنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ. فما العلاقة بين البيت الأول الذي محوره الإنسان، وبين البيت الثاني المتمحور حول الشمس؟

(المرء ← طول المقام ← مخلق ← النفور/ البديل : الاغتراب)

(الشمس ← غير سرمدية ← متجددة ← التعلق الشديد/ البديل: Ø).

نلاحظ أن علاقة التضاد هي الغالبة بين العنصرين المشكلين للبيتين اللذين يقوم عليهما التمثيل، لكن البديل المقترح (=الاغتراب) يأتي كحد يخفف من هيمنة علاقة التضاد، وبالتالي لتبرير التمثيل. إذ لما كانت الصفة الغالبة في الإنسان هي الميل إلى الاستقرار، لضرورات معينة، لم تشركه الشمس في هذه الصفة إذ لا تستقر على حال سرمدية، فتارة تغيب، وتارة تحضر لكنها محجبة (...). على أن هناك حداً آخر جعل العلاقة واردة، ونقصد به موقف الإنسان من عدم سرمدية الشمس، وموقفه من طول مقام المرء، إذ بقدر نفوره من الثاني نجده متعلقاً بالأول، هكذا إذن يبدو البيتان متباعدين متقاربين، وتلك إحدى وظائف التمثيل (التشبيه عموماً)*، كما يعبر عن ذلك الجرجاني "وهل يخفى تقريبه المتباعدين، وتوفيقه بين المختلفين".

*- حتى وإن كان الحديث هنا عن التشبيه عموماً ولكن كونه متعلقاً بمثال فيه تشبيه ضمني (دون أداة) فهو يحقق الغرض المقصود وهو إثبات أن التشبيه الضمني وسيلة انسجام.

يمكن أن نسترسل في ضرب الأمثلة وتعليقات الجرجاني عليها، ولكن هدفنا هو إبراز أهمية التمثيل وعلى الخصوص انتباه الجرجاني إلى وظيفته، في جعل الخطاب منسجماً.¹*

3.1.3- الاستعارة (التعاليق الاستعاري) أو تناسق الحقول الدلالية:

الاستعارة صورة بيانية وهي الأخرى نوع من التشبيه ولكنها تشبيه محذوف أحد الطرفين وبدون أداة أيضاً. وتشارك الاستعارة مع بعض الصور الأخرى في كونها تعبيراً مجازياً. ولقد تكلم القدماء عن هذه الصورة ووظيفتها الجمالية في الكلام وفصلوا فيها، وذكروا لها ثمانية أنواع أهمها الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية.

- فالتصريحية مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِي﴾ كتابٌ أنزلناه إليك لتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿إِبْرَاهِيمَ 01﴾. فقد شبه صراحة الكفر بالظلمات والإيمان بالنور. والمكنية مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم 04). حيث شبه الرأس بالوقود والشيب بالنار ولم يذكر المشبه به.

ولكن الذين أفاضوا في الحديث عن دور الاستعارة التماسكي هم المحدثون من الباحثين وذلك لما كثر توظيف الاستعارة والمجاز عموماً خاصة في الشعر «لأن الشعر العربي الحديث يعتمد بشكل مكثف على التركيب الاستعاري في النص..»² ولقد أدى هذا الاعتماد المكثف على الاستعارة إلى غموض وتعقيد جعل الدارسين يضاعفون جهودهم لاستجلاء الغامض وفك المعقّد حتى توصلوا إلى اكتشاف ما أطلقوا عليه «التعاليق الاستعاري» - وهو المهم هنا - ذلك أن «النص الشعري العربي الحديث يعتمد على الاستعارة كوسيلة أساسية في انبثاقه، وإذا كان القارئ يتعامل مع النص باعتباره كلاً موحّداً (منسجماً)، ويدركه في هذه الكلية، ويصل إلى دلالاته (أو دلالاته) فمعنى هذا أنه قد اكتشف علاقات رابطة بين تلك الاستعارات، بمعنى أن هناك تعالقا بين الاستعارات التي تشكّله.»³

1- خطابي، لسانيات النص، ص 129.

* التشبيه الضمني يشبه في معناه ما يسمى " الاستشهاد والاحتجاج " وهو « أن تأتي بمعنى ثم تؤكد معنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته ». ينظر: النص الخطاب والاتصال، محمد العبد، ص 113.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 327.

3- المرجع نفسه، ص 331.

ويقول خطابي أيضا: «أول من اهتم . في حدود علمنا . بالتعالق الاستعاري هو ميخائيل ريفاتير مصطلحا على هذا الواقع بالاستعارة المتتابعة (métaphore fileée) معرفا إيّاها بأنها "سلسلة من الاستعارات المتعاقبة بواسطة التركيب، أي تنتمي إلى الجملة نفسها أو إلى البنية نفسها السردية أو الوصفية، وبواسطة المعنى حيث يعبر كل منها عن مظهر خاص من كل أو من شيء أو مفهوم تعرضه الاستعارة الأولى من السلسلة". وفي هذه الحالة تكون الاستعارات الأخرى مشتقة من الأولى بحيث تقوم بتدقيقها أو تطويرها، ويقصد ريفاتير بالاشتقاق أن خانة المستعار تشغلها كلمة بينها وبين خانة المستعار الأول أو اصر قري، وكذا نفس الشيء بالنسبة للمستعار له.¹»

وعند تتبع عمل خطابي في تطبيقه لهذا الكلام على نص مدونته* لبيّن كيف تتعالق استعاراته وكيف يسهم هذا التعالق في انسجامه يجد القارئ أن الباحث في كل مقطع أو فقرة يبحث عن الحقول الدلالية أو الرمزية أو الإيحائية للاستعارات المتقاربة وذلك من خلال عرض المعاني المعجمية الممكنة للمفردات البارزة في كل استعارة والمقارنة بينها ثم يبحث عن أو اصر القرابة و التناسق بين هذه الحقول لينشئ سلسلة من الصور أو الدلالات أو الأحداث المتناسقة والقابلة للتصور والفهم الموحد وبذلك يعيد للنص كيانه الذي يبدو لأول وهلة في مظهر المفكك وكأنه لا علاقة بين ألفاظه، وعندها يبرز لكل ذي فهم دور الاستعارة في الانسجام.

ولتوضيح ذلك يمكن في ما يأتي عرض مقطع من عمل الباحث:

« من المقطع الذي عنوانه "مهيار" يمكن أن نركز على المركب الاستعاري الآتي:

مهيار .	أجراس	بلا رنين
مهيار .	أغنية	تزورنا خلصة
مهيار .	ناقوس	من التائهين

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

*- قصيدة: "فارس الكلمات الغربية" لأدونيس ، وهي أنموذج للشعر الحديث الموعول في الغموض والتعقيد.

فبدءاً نلاحظ أن العنصر الأول من هذه الاستعارات متماثل، والثاني متماثل باعتبار اشتراكه في الصوت، والموسيقى (الإيقاع) التي يمكن أن يحدثها كل منهما. "فالجرس: أداة من نحاس ونحوه، مجوفة، إذا حركت تتذبذب فيها قطعة صغيرة صلبة ، فيسمع صوتها، والفعل جرس: الطائر: صوت جرس الكلام : نغم به وتكلم ، ويقال أيضاً : أجرس الحادي... والناقوس: مضرب النصراري الذي يضربونه إيذاناً بحلول الصلاة. مع ملاحظة أن الناقوس يستعمل للتنبيه عموماً، مثل ناقوس الدراجة، ومنبه السيارة... إذن من الزاوية المعجمية نرى أن الاستعارات متعاقبة، لكن أية علاقة يمكن أن نجدها بين هذه الاستعارات؟ لكي ندرك هذا لابد ، في اعتقادنا ، من النظر إليها في سياقها، أي ما يتقدمها وما يلحقها»¹ .

ولو لا الرغبة في الاختصار وخشية الإطالة لظهر كيف يواصل الباحث تعليله للمركبات الاستعارية بهذه الطريقة ثم يربط بينها بما أمكن عن طريق تناسق حقولها الدلالية وإبجاءاتها بعد أن يجمع كل مركب تحت عنوان واحد، ويرسمها في بعض الأحيان على الشكل الموالي*:

« فبشكل مركز جداً يمكن أن نختزل هذه الاستعارات في ثلاث مراحل أيضاً... بإلحاق المراحل بعضها ببعض نحصل على التوليف التالي:

الجمود + الضياع ← التأهب + التجمع (الاستعداد) ← الخطر + التحرك»²
وغالباً ما يختم تحليله للمقطع بالتأكيد على دور الاستعارات في تحقيق الانسجام بمثل قوله: « بهذا الشكل إذن يبدو لنا أن الاستعارات الموظفة حتى الآن ليست مصادفة. كما أن الطريقة التي ينمو بها النص ظلت هي هي منذ بدايته حتى الآن، مما جعله متأخذ الأطراف متماسكها، وفي نهاية الأمر جعله كل ذلك منسجماً.»³

وبهذا يثبت انتماء الاستعارة (والمجاز عموماً) لقائمة وسائل الانسجام وإن كان ذلك بشهادة اعتراف متأخرة التأريخ على يد المحدثين ولكن الذي يهم هو الطابع العربي، فبعد أن أثبت

1- خطابي، لسانيات النص، ص 351.

*- يمكن الرجوع إلى تفاصيل ذلك في لسانيات النص ، من ص 327 إلى ص 383.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 354.

3- المرجع نفسه، ص 372.

القدماء وجود الاستعارة ونسبها، أبرز المحدثون دورها في انسجام النص العربي ولو بالاستعانة بغيرهم، وهذا التواصل مطلوب.

4.1.3- تلاحم الأجزاء الصوتية (أو تباعد مخارج الأصوات):

يرى الجاحظ أن « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج. فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكا واحداً. فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»¹ ومن الواضح أن الجودة المقصودة تدور حول انسجام وتلاحم الأجزاء.

والمقصود عنده "بتلاحم الأجزاء" تآلف الكلام في الجانب الصوتي نتيجة تباعد مخارج الأصوات وتناسبها فيما بينها سواء في اللفظ الواحد أو في الألفاظ المتجاورة لأن تقارب المخارج يؤدي إلى تنافر، وسوء انسجام، ولذلك نجد الجاحظ يستقبح البيتين الآتين².

.قبر حرب بمكان قفر :: وليس قرب قبر حرب قبر

.لم يضرها والحمد لله شيء :: وانثنت نحو غرف نفس ذهول

وذلك لتنافر الألفاظ في معظم البيت الأول وخاصة في "قبر حرب" وفي الشطر الأخير من البيت الثاني حيث أن هذا الكلام كما علّق الجاحظ نفسه « بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»³.

ويبرر الجاحظ رأيه هذا بقوله: «.. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساً، ولينة المعاطف سهلة؛ وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكدّه. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسلة النظام خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»⁴. وتراه يدقق أكثر حين يذكر الحروف المتنافرة التي لا يليق أن تتحاذى في النطق فيقول: « فأما في اقتران الحروف،

1- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2003م، ج1، ص55.

2- المرجع نفسه، ص54.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص55.

فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير.¹

والخلاصة هي أن تلاحم الأجزاء الصوتية وتباعد مخارج الأصوات وسيلة من وسائل انسجام الكلام ولكن من جانبه الصوتي وليس من الجانب التركيبي أو الدلالي وهو جانب مهم إلا أنه على ما يبدو يختلف من لغة إلى أخرى ويخضع إلى حد ما إلى الأذواق وخاصة الأذواق العامة، أذواق المجتمعات المستعملة للغات، أي أن ما قد يستهجنه المستعلمون للغة ما قد لا يستهجنه غيرهم (يمكن المقارنة بين العربية وغيرها). وبما أن ما ذكره الجاحظ مرتبط بالعربية فهو جدير باهتمام البحث

5.1.3- الإلحاق: ويسمى أيضاً انتظام المعاني².

ويتعلق باتصال الكلام وإتمام معناه وتآلفه دلالياً. ولقد أفاض علماء العربية القدماء كثيراً في هذا المفهوم وما يشابهه، وعليه تعددت التسميات المتطابقة أو المتقاربة في أنواعه لدرجة التداخل أو صعوبة التفريق بين هذا المفهوم وذاك، ومن ذلك فإن الفرق دقيق جداً بين هذه الوسيلة الحكيمة وبين ما سبق أن أطلق عليها "المناسبة"³ إلا أن من الباحثين المحدثين من وضّح الفرق بينهما بكون كل منهما ينتمي إلى مظهر معين من مظاهر الحبك.

يقول د. محمد العبد: «دل القدماء على خاصية الحبك اختصاراً، ولكنهم أفاضوا . إلى حد ما . فيما يعد من مظاهره ، أخص بالذكر هنا مظهر التجانس ومظهر انتظام المعاني. عبروا عن التجانس بين عناصر المنطوق الواحد أو بين المنطوقين المتولين بمفاهيم عدة كالمشاكلة والمواءمة والتناسب [أو المناسبة] والمؤاخاة وغيرها. وأما المظهر الآخر فقد عبروا عنه بانتظام المعاني واتصال الكلام»⁴.

1- المرجع السابق ، ص56.

2- المصطلح الأول من اقتراح الدكتور محمد خطابي، في لسانيات النص، ص146، والثاني للدكتور محمد العبد ، في النص الخطاب والاتصال، ص 102 ، استنبطه من كلام ابن طباطبا (اللاحق).

3- ينظر البحث، ص136 ، ص266.

4- العبد، النص والخطاب و الاتصال، ص114.

والفرق . على ما يبدو . واضح بين التجانس الذي يعني أن المنطوقات من جنس واحد وبين انتظام المعاني الذي يعني أن المعاني مرتبة كل معنى في موضعه متم لما قبله . وموضوع الحديث هنا هو المفهوم الثاني الذي يقول فيه ابن طباطبا: « وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتتنظم له معانيها ويتصل كلامه فيها (...) » ويتفقد كل مصراع ؛ هل يشاكل ما قبله ؛ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا ينتبه على ذلك إلا من دقَّ نظره ولطف فهمه.¹

يقول د.العبد معلقاً: «انتظام المعاني واتصال الكلام في إشارة ابن طباطبا السابقة أمور ينبغي لها أن تفهم في ضوء مبدأ الاستمرارية المعنوية التي توفر للخطاب حكماً طويلاً هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر له حكماً كلياً هو نواة بنيته الكبرى. اتصال الكلام وانتظام المعاني يؤديان بالضرورة إلى المشاكلة بين أجزاء القول...»² وللتوضيح « يذكر ابن طباطبا أن البيتين التاليين قد رويَا لأمري القيس هكذا:

كأنّي لم أركب جواداً للذة :: ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل :: لخيلي كري كرة بعد إجفال

هكذا الرواية قال ابن طباطبا: " وهما بيتان حسان. ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، كان أشكل وأدخل في استواء النسج، فكان يروى:

كأنّي لم أركب جواداً، ولم أقل :: لخيلي كري كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة :: ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال

يقضي مبدأ انتظام المعاني واتصال الكلام أن يكون نص الشاعر هو المتمتع بالمشاكلة؛ وذلك أن ركوب جواده في المصراع الأول يشاكله أمر خيله بالكر في المصراع الثاني. الكلام هكذا متصل ، والمعاني هكذا منتظمة. وهذا ما دق ولطف على الراوي، فلم يفتن إليه في

1- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق دكتور عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت ، ص209.

2- العبد، النص والخطاب الاتصال، ص 103.

نص روايته. نص الشاعر [الثاني] ونص الراوي [الأول] مقابلة بين نص مسبوك محبوك ونص مسبوك فحسب.¹

ودون الإكثار من الأمثلة المذكورة في مختلف المراجع، فقد صار واضحاً أن مفهوم "الإلحاق" أو "انتظام المعاني" وسيلة أخرى من وسائل الانسجام (الحبك) رغم تداخله مع غيره مما ذكره القدامى بل يبدو أنه شبيه "بتناسق فحوى الخطاب" عند فان دايك ، أو قل أنه يصلح أن يكون مظهراً من مظاهره.²

6.1.3- مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

والمقصود به أن يكون الكلام بمحتواه ونمط نظمه وألفاظه مناسباً للغرض، وهو « مبدأ بلاغي اعتنى به السكاكي أكثر من غيره (...) وبناء عليه لا يعقل أن يكون الغرض هو الغزل، ويختار الشاعر ألفاظاً الفخر أليق بها، أو العكس. بتعبير آخر ينبغي أن تكون العلاقة بين الغرض و بين التعبير عنه علاقة انسجام، وليس علاقة تناقض»³.

وفي هذا يقول ابن رشيق: « فأول ما يحتاج إليه الشاعر ... حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخلّ وأوجع، وإن فخر خبّ ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان، ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه فذلك هو سرّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس و به تفاضلوا»⁴.

على أن هذه العلاقة بين الغرض والتعبير « يحكمها مبدأ تداولي أسهمت (وجهت) في صياغته تقاليد اجتماعية وأعراف سنّتها أجيال واحتفظت بها أخرى بعدها. وبتعبير حديث تتحكم فيه تجربة الفرد ومعرفته للعالم.»⁵

1- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص ص 103-104

2- ينظر: البحث، ص 194.

3- خطابي، لسانيات النص، ص 151.

4- ابن رشيق، أبو علي الحسن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط 1972، ص 4م، ج 1، ص 199.

5- خطابي، لسانيات النص، ص 151.

ويرى حازم القرطاجني أن الشاعر لا يكمل له القول على الوجه المختار وبالتالي لا يستطيع أن يطابق بين الكلام وغرضه إلا « أن يتمتع بقوى ثلاث وهي:

(الأولى) القوة الحافظة: وذلك أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازا بعضها من بعض. والقوة الحافظة هي التي تزود الشاعر بالخيال الذي يليق بكل غرض يريد أن يقول فيه من نسيب ومديح وغيرهما.

(الثانية) القوة المائزة: وهي القوة التي يميز بها الشاعر بين ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك، وما يصح مما لا يصح.

(الثالثة) القوة الصانعة: وهي القوة التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتراكيب إلى بعض والتدرج من بعضها إلى بعض. وعلى الجملة هي القوة التي تتولى جميع ما تلتم به كليات صناعة الشعر.

إذا جمع الشاعر بين هذه القوى جميعا كان متمتعا بـ " الطبع الجيد " في تلك الصناعة.¹ ويعلق محمد العبد على ذلك بقوله: « أما كلام حازم عن القوى الثلاث التي يكمل بها القول للشاعر (وبصفة أعم كل متكلم)، فهو أدنى شيء إلى ثلاثية الكفاءة في النظرية اللغوية المعاصرة: القوة الحافظة عنده تضاهي الكفاءة اللغوية التي تعني ما يعرفه متكلم اللغة الأصلي عن لغته وما يختزنه في عقله منها وقدرته على استعمالها. والقوة المائزة عنده تضاهي الكفاءة التداولية التي تعني قدرة صانع النص على ربط لغته بالمواقف والسياقات، وقدرته على جعل منطوقاته ممتثلة لمقاصده الكاملة؛ أي جعل منطوقاته مناسبة وظيفيا وموقفيا لسياق الاتصال. والقوة الصانعة عنده تضاهي الكفاءة الموضوعية التي تعني قدرة صانع النص على تعيين ما يريد أن يصل إليه عند متلقيه، وقدرته على تنسيق أجزاء النص والربط بينها.²

1- القرطاجني، أبو الحس حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الكتب الشرقية. تونس، 1966م، ص 12-13، نقلا عن: النص الخطاب والاتصال ص ص 133-134.

2- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 135.

وبهذا تكون "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" بتعبير السكاكي وبتضافر آراء عدة من القدماء واحدة من وسائل انسجام النص.

7.1.3- الابتداء والتخلص والانتهاه:

وهي إجراءات ثلاثة تحدت عنها القدماء مطولاً من شأنها أن تجعل النص وحدة من خلال تكامل وظائفها. ومع هذه النتيجة المشتركة لوظائفها، فإن شرح وتفصيل هذه الإجراءات ينبغي أن يكون لكل منها على انفراد، كما سيأتي:

أ- **الابتداء:** « هو الابتداء والمبدأ والفاحة والافتتاح والمفتتح والاستفتاح والمقدمة والتصدير والمطلع والاستهلال (...) وهو الوحدة البنائية الأولى من النص. وهي وحدة سمعية ومعنوية تفتح للخطاب قناة الاتصال إذا كان الشعر قفلاً، فأوله . كما يقول ابن رشيق . مفتاحه. وينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة.¹»

وعن علاقة الابتداء بما بعده أو بالأحرى دوره في عملية حيك النص وانسجامه بالإضافة إلى ما يفهم من الكلام السابق، يعبر ابن رشيق بقوله: « أن يكون دالاً على ما بعده²» وفي كلام ابن الأثير ما يفصل هذا من الإجمال حيث يقول: « وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من هذا الكلام. إن كان فتحاً ففتح، وإن كان هناء فهناء، أو عزاء فعزاء. وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع.³»

ويؤكد حازم القرطاجني نفس المعنى بصفة مميزة للقول الافتتاحي فيوجه الشاعر إلى « أن يجعل مبدأ كلامه دالاً على مقصده، ويفتح القول بما هو عمدة في غرضه.⁴» والصفة المميزة هنا هي أن يكون المبدأ "عمدة". والكلام "العمدة". كما هو معلوم في النحو. هو

1- المرجع السابق ، ص 117.

2- ابن الرشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج 1 ، ص 216

3- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، مقدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طيانه؛ دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ج 3، ص 145.

4- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 206 .

الأساس إذا سقط انهارت الجملة بخلاف " الفضلة " الذي يقابله والذي لا يؤثر سقوطه في سلامة التركيب وعليه « فإن العمدة في هذا المعنى تتخذ شكل قطب (بؤرة) تدور حولها بقية المعاني»¹.*

ولقد حدد القدماء شروط وآليات الابتداء المستحسن ويمكن إيجازها فيما يلي:

. شرط الصياغة: وهو حسن اختيار الألفاظ وصحة السبك.

. الشرط المعنوي: وهو وضوح المعنى وارتباط دلالة المبدأ بما بعده.

. الشرط المقامي: وفيه مراعاة كل من: حال المخاطب والدور الاجتماعي والموقف الخارجي²

ويضيف حازم:

. معيار المناسبة: أي مناسبة البيت الثاني للأول في حسنه..

- وفكرة التناصر: أي تناصر المعاني وهو من مظاهر الارتباط المضموني والشكلي في

الطليعة.³

والملاحظ أن كل الكلام السابق عن "الابتداء" يدور حول "دلالة المعنى على ما بعده" التي تعني بالضرورة تحقق المناسبة المعنوية بينهما ومن ثم تحقق الانسجام.

ولشدة اعتناء القدماء بذلك كانت لهم « طائفة من صدور الرسائل التي شدها التناسب إلى

الإنباء عن المضمون..»⁴ وقد صارت عندهم تقليدا يعاب من خالفها ولم ينسج على

منوالها.*

1- خطابي، لسانيات النص، ص 154.

*- يذكر مفهوم " الابتداء " هنا " بالتغريض " عند براون ويول ، ينظر البحث: ص220.

2- ينظر: النص والخطاب والاتصال، ص ص 118-120.

3- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 138..

4- المرجع نفسه، ص 121.

*- ومن أمثلة ذلك: . أطال الله بقاء أمير المؤمنين(مخاطبة الأمراء).

. أما بعد، أحسن توفيقك، ونهج إلى الرشد طريقك(يكتب به عن الأمراء إلى من مرق عن طاعة).

. سلام على من اتبع الهدى وتجنب سبيل الضلالة والهوى(يستفتح به عنهم إلى زعماء الروم).

. يا بني، ومن سلمه الله وأبقاه(يكتب به الأب إلى ولده).

. يا مولاي وجمال دنياي(يكتب به الولد إلى والده)...ينظر:

أ- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، إحكام صنعة الكلام، حققه وقدم له د.محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1405هـ - 1985م،

ص67.

ومن أمثلة التصديرات التي عيبت على أصحابها والتي يوضح ذكرها مفهوم الابتداء المحقق للانسجام «ما كتبه أبو إسحاق [الصابي] في ابتداء كتاب عن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها، وكان فتحاً عظيماً: "الحمد لله ربّ العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلي المجيد، الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات ولا ينعت إلا برفع النعوت، الأزلي بلا انتهاء... الخ" قال ابن الأثير معقبا: " وهذه التحميدة لا تتاسب الكتاب الذي افتتح بها، ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنّفات أصول الدين... وأما أن توضع في صدر كتاب فتح فلا".¹

أما الابتداء الموفق فهو الأصل فقد « كان المعتاد بين كبار المنشئين رعاية المناسبة المعنوية بين الابتداء ومضمون الرسالة (...) في مقابل نموذج أبي إسحاق الصابي نرى نماذج عدّة عند الكلاعي وابن الأثير روعيت فيها المناسبة. من نماذج الكلاعي ابتداء رسالة لمحمد بن عبد الله أبي جعفر المشهور بابن عبد كان (ت 280هـ) جمع فيها ذكر استقامة الحال بين أبي الحسن خمارويه (ت 282هـ) وبين المعتضد أحمد بن طلحة الخليفة العباسي (ت 289هـ)، وهو قوله: "الحمد لله مقلب القلوب، وعلام الغيوب، الجاعل بعد عسر يسراً، وبعد تحارب اجتماعاً".²

ب- التخلّص: « وهو التخلص والخروج والتوسّل. قال ابن رشيق "ومن الناس من يسمي الخروج تخلّصاً وتوسّلاً." 3 عرّفه يحيى بن حمزة العلوي بأنه: «عبارة عن الخروج إلى المقصد المطلوب عقيب ما ذكره من قبل. ومثاله قوله تعالى من سورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، ثم تخلص بعض ذلك إلى ما هو المقصود بقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ فلما اتعظ الرسول بالأمر بالإنذار، عقبه بالوعيد الشديد للوليد بن المغيرة بقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى آخر الآيات...» 4

«ومن شواهد "حسن الخروج" (التخلص) عند ابن المعتز قول أبي العتاهية:

1- المرجع السابق، ص 122.

2- المرجع نفسه، ص ص 122-123.

3- المرجع نفسه، ص 123.

4- ابن حمزة، يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط، ج3، ص365.

وأحببت من حبّها الباخلين :: حتى ومفتّت* ابن سلّم سعيداً

وإذا سيل عرفاً كسا وجهه :: ثياباً من المنع صفراً وسوداً.¹

ففي البيتين انتقال (تخلص) واضح من الغزل في الشطر الأول من البيت الأول، إلى الهجاء في بقية الكلام.

« ارتبط التخلص في الشعر بطراز القصيدة المركبة** (...) وكان القدماء على صوت واحد في استحسان التنويع في الأغراض في النص الشعري الواحد (...) أفرزت القصيدة المركبة في الجاهلية قوالب لغوية للتخلص من غرض إلى غرض: نحو "دع ذا" و "عد عن ذا" وربما تركوا المعنى الأول، وقالوا "وعيس" أو "وهوجاء" وما أشبه ذلك وإذا أرادوا ذكر الممدوح قالوا: "إلى فلان" وأخذوا في مديحه، وربما تركوا المعنى الأول وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا مثل تلك القوالب؛ وهو ما عرف باسم "الطفر" أو "الانقطاع".²

وكذلك فعل قدماء العرب بعد الجاهلية، حيث عنى بعضهم ببيان التخلص في الرسائل فجمعوا مثلاً ما توصلوا به من الألفاظ في ابتداء الخطاب إلى غرض الكتاب أو ما توصلوا به من الألفاظ في ردّ الجواب إلى غرض الكتاب³ حتى صار ذلك قوالب تقليدية للتخلص عندهم. ومن تعريفات التخلص التي تدلّ على وظيفته التماسكية ما جاء عن ابن طباطبا وهو « أن يصل المتكلم كلامه صلة لطيفة»⁴ ثم يشرحه في موضع آخر فيقول: « ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا؛ حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً.. لا تتاقض في معانيها، ولا وهي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها.»⁵

*- ومقه = أحبه (القاموس المحيط).

1- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 123-124.

**- القصيدة المركبة هي القصيدة ذات الأغراض المتعددة كما يفهم من الكلام الموجود في مكان الحذف.

2- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 125.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص 126.

5- ابن طباطبا، عيار الشعر، ص 213.

وفي الاتجاه نفسه يعرف حازم القرطاجني التخلص ويضيف بعض الإضافات والتوجيهات والشروط فالتخلص عنده: « خروج في الكلام من غرض إلى غرض على سبيل التدرج. إذا كان الخروج من غير تدرج. ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات سمي عنده باسم "الاستطراد". التدرج إذن هو العمود الفقري للتخلص عند حازم. مقياس التدرج عند حازم في قوله: " أن يكون الكلام غير منفصل بعضه من بعض، وأن يحتال فيما يصل بين حاشيتي الكلام ويجمع بين طرفي القول حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكما. »¹ ولتبيان ما يسميه "كيفية العمل" في نظام التدرج، وعلى سبيل التمثيل فإن « الأحسن في النسيب عند حازم أن يجري التدرج هكذا:

. البدء بما يرجع إلى المحب.

. ثم بما يرجع إلى المحب والمحبيب معاً،

- ثم إرداف ما يرجع إليهما معا مما يشجو وقوعه بذكر ما هو راجع إليهما مما يسر وقوعه (...).

. ثم يحتال في عطف أعنة الكلام إلى المديح؛ فهذا هو الموضع التام المناسب.

أما المديح المتخلص إليه من نسيب، فالوجه في ترتيبه عند حازم:

. أن يصدر بتعديد فضائل الممدوح.

. وأن يتلى ذلك بتعديد مواطن بأسه وكرمه، وذكر أيامه في أعدائه.

. وإذا كان للممدوح سلف حسن تشفيح ذكر مآثره بذكر مآثرهم.

- ثم يختتم بالتيمن للممدوح والدعاء له بالسعادة ودوام النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك.²

أما شروط حازم في التخلص فهي:

« . التحرز من انقطاع الكلام.

. التحرز من الإخلال واضطراب الكلام.

1- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 139.

2- المرجع نفسه، ص ص 140-141.

. التحرز من النقلة بغير تطف (...).

. أن يُجهد الشاعر نفسه في تحسين البيت التالي لبيت التخلص (...).

. التحرز في بيت التخلص من الحشو.

. التحرز في بيت التخلص من الاضطرار إلى الكناية (...).

الحشو والكناية... يضعفان قوة إخلاص التخلص لوظيفة الربط المضموني المنطقي في

موضع تلح فيه الحاجة إلى نقل الكلام . في تدرج . من محور خطابي إلى آخر¹.

والخلاصة « ينبغي للتخلص أن يكون على سبيل التدرج وأن يؤدي إلى الالتقاء المحكم بين

الأغراض² »

ج . الانتهاء: ويفهم من لفظه أنه آخر ما يقال في النص وقد « أوجب أبو هلال العسكري

في الانتهاء أو بيت الخاتمة أن يكون أجود بيت في القصيدة (...) » كما فعل ابن الزعري في

آخر قصيدة يعتذر فيها إلى النبي (ﷺ) ويستعطفه:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت :: واقبل تضرّع مستضيف تائب.

فجعل نفسه مستضيفاً ومن حق المستضيف أن يضاف، وإذا أضيف فمن حقه أن يسان.

وذكر تضرعه وتوبته مما سلف. وجعل العفو عنه مع هذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا

البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو.

أما ابن رشيق فقد وصف الانتهاء بأنه "قاعدة القصيدة". وبالقياص يكون الانتهاء قاعدة كل

كلام من شعر أو غيره، وينبغي لمفهوم "القاعدة" هنا أن يكون مفهوماً دلالياً؛ وذلك لأن

النص لا قاعدة له ما لم يتقدم هذه القاعدة من المنطوقات والمفاهيم وأجزاء المعاني التي

ترتبط بينها العلاقات الدلالية المختلفة، حتى تقرر على قاعدة النص. ومن ثم، يصبح اشتراط

ابن رشيق في الانتهاء "أن يكون محكماً" اشتراطاً طبيعياً. شرح ابن رشيق معنى "الانتهاء

المحكم" بقوله: "لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه. وإذا كان أول الشعر مفتاحاً

له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه..."

1- المرجع نفسه، ص ص 141-142.

2- المرجع نفسه، ص 142.

الإحكام في موضع الانتهاء يؤدي بالضرورة إلى توفر خاصية الحبك بين منطوقاته وما قبله. هو إحكام معناه بما يكون نتيجة لما قبله وتدعيما له ولمقصد النص الكلي في آن معا؛ وذلك أن القاعدة لا تكون قاعدة إلا إذا كانت مرتبطة بما فوقها ارتباطا دلاليا بعلاقة ما، وهي غالبا علاقة السبب . النتيجة.¹

ويشترط حازم القرطاجني في "الانتهاء" ما يلي:

«1- تحرّي أن يكون ما وقع فيها من كلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة.

2- أن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كرهه أو معنى منفر للنفس عما قصدت إمالتها إليه، أو مميل لها إلى ما قصدت تنفرها عنه.

3- أن يتحفظ في أول البيت الواقع مقطعا للقصيدة من كل ما يكره ولو ظاهره وما توهمه دلالة العبارة أولاً. وإن رفعت الإبهام آخرا ودلت على معنى حسن. ومن هذا قول المتنبي:

فلا بلغت بها إلا إلى ظفر :: ولا وصلت بها إلا إلى أمل (...)

كان ابن رشيق قد علّق على هذا البيت قائلا: "فإن هذا شبيه ما ذكر من بغيض: كأن يصابح الأمير فيقول: لا صبح الله الأمير بعافية، ويسكت، ثم يقول: إلا رماه بأكثر منها، ويماسيه فيقول: لا مسّى الله الأمير بنعمة، ويسكت سكتة ثم يقول: إلا وصبحه بأتم منها، أو نحو هذا. فلا يدعو له حتى يدعو عليه..²

فالسكتة على ما قبل أداة الاستثناء توهم بعكس ما سيأتي بعدها وورود مثل هذا في الخاتمة يفسدها في النفس وفساد الخاتمة يسيء إلى كل ما جاء قبلها من كلام حسن « ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو وترميد بعد إنضاج»³.

والقانون المستخلص مما سبق: أن يكون الانتهاء قاعدة النص وأن ترتبط الخاتمة بما قصد إليه المتكلم في النص، وألا يكون تأثيرها فيما قبلها من حيث المعنى تأثيراً سلبياً.⁴

1- المرجع السابق، ص ص 130-131.

2- المرجع نفسه، ص 143.

3- القرطاجني، نقلا عن المرجع السابق، ص 144.

4- ينظر: العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 131. ص 144.

8.1.3- التسويم والتحجيل:*

إذا كانت عمليات " الابتداء والتخلص والانتهاء " السابقة الذكر تتعلق بالنص ككل فإن كلا من " التسويم والتحجيل " يتعلق بالفصل أو المقطع الواحد داخل النص، وفي ذلك على ما يبدو تحريراً لتماسك النص في كل أجزائه حتى لا يبقى فيه موضع دون حبك وهو يستحق الحبك. وهذان الاصطلاحان من وضع حازم القرطاجني.**

« التسويم " يعني العناية برؤوس الفصول العناية التي توظف نشاط النفس لتلقي ما يتبعها ويتصل بها. أطلق حازم على هذا الموضع التسويم؛ لأن العناية هنا ترتبط بفواتح الفصول، فتجعل لها بهاءً وشهرة وازدياناً حتى كأنها بذلك ذوات غرر.

أما " التحجيل " عنده فيعني تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكيمة والاستدلالية... ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحواً من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس.¹

خاتمة: لقد اهتم القدماء من البلاغين والنقاد وعلى رأسهم حازم القرطاجني بإجراءات ومظاهر أخرى للحبك غير التي ذكرت سابقاً ولكنها لم تدرج هنا إما لجزئيتها وانضوائها تحت غيرها وإما لكونها أدرجت أو ستدرج في موضع آخر من البحث.***

ويبدو أن هذا الذي تناوله هؤلاء القدماء يدور حول تناسب وترابط المعاني بين الأجزاء والعناصر الصغيرة والكبيرة المشكلة لبنية النص وهو ما يجعله وحدة واحدة متماسكة ومحبوكاً دلالياً ومستحسنًا جمالياً أيضاً.

والملاحظ أن تماسك النص الشعري بالذات الذي تحققه وسائل الانسجام المذكورة عند العرب القدماء لا يتعارض مع فكرة " استقلال البيت " في الشعر العربي القديم. بحيث، وإن كان فيما يبدو لا يهتم الشاعر فيه " بالوحدة العضوية " للنص ويحرص على أن يكون البيت كيانه دلالياً

*- جاء في القاموس المحيط: التسويم: من سَوَّم الفرس تسويماً: جعل عليه سيمة. . التحجيل: بياض في قائم الفرس.

** - يقول خطابي في لسانيات النص، ص163: « إن تناول القرطاجني المحيط بأجزاء القصيدة هو الذي جعلنا نعتبره أول ناقد عربي . فيما نعلم .

يقدم وصفاً مفصلاً لكيفية تماسك النص الشعري . القديم على الأقل . مهتماً ببداية القصيدة ونهايتها مروراً بوسطها. »

1- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 154.

*** - ومن ذلك: " تقديم الأهم فالأهم " وهو ما يدخل في " ترتيب الموضوع أو الخطاب " ومنه أيضاً: " بعض العلاقات " التي تأتي لاحقاً في " المناسبة والتناسب " ، ص266 من البحث ، وما بعدها.

متكاملا مستغنيا عن غيره في أغلب الأحوال، إلا أنه لا يهمل " الوحدة الموضوعية" بل يكون حريصا حتى على ربط الموضوعات المختلفة في النص الواحد كما سبق الحديث عن القصيدة المركبة.

وفي هذا « يشير ابن خلدون (ت 808 هـ) إلى استقلال البيت في النص بالإفادة مع رعاية مبدأ التناسب في الوقت عينه قائلاً: "وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وعما بعده. وإذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته، ثم يستأنف في البيت الآخر كلاما آخر كذلك".

حقيقة الأمر هنا ينبغي لها أن تكون استقلال البيت عن غيره من حيث هو وحدة تركيبية ومعنوية، لها كيائها الخاص، ولكنه الكيان الخاص الذي يتصل بما قبله وما بعده . داخل وحدة النص العامة أو وحدة المقطع من النص على الأقل . اتصال الجزء بالكل، يؤكد ذلك على مستوى النظر رؤية ابن خلدون نفسه القصيدة سلسلة متصلة تبنى فيها المقاصد والمعاني على تناسب: " ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود، بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني، ويبعد الكلام عن التناثر»¹. ومن الواضح أن عدم التعارض بين " استقلال البيت" و " انسجام النص" تحققه الوسائل والإجراءات المذكورة آنفا وخاصة منها "التخلص" أو الخروج كما يفهم من القول السابق.

2.3- عند المفسرين والمصنفين في علوم القرآن:

من خلال دراساتهم القرآنية بين المهتمون بعلوم القرآن وتفسيره العديد من مظاهر الانسجام ووسائله، منها ما سبق ذكر مثلها ومنها ما لم يذكر، إلا أن هدف البحث . كما سبقت الإشارة . ليس استقصاء كل ما أنتجه أصحاب كل تخصص بقدر ما هو جمع ما أمكن من هذه الوسائل المتنوعة دون إعادة وتكرار، وعليه يكفي هنا التطرق لما لم يذكر من قبل أو ما هو مكمل لما ذكر.

1- العبد، النص والخطاب الاتصال، ص 115- 116.

1.2.3 - المناسبة والتناسب:

لقد سبق التطرق للمناسبة في أدوات الاتساق مع الإشارة إلى أنها من الأدوات التي يتداخل مفهومها بين الاتساق والانسجام، والفصل المقترح في ذلك أنها إذا كانت شكلية ظاهرة أو متمثلة في لفظ واحد فهي أداة اتساق وإذا كانت تتعلق بالمعنى المرتبط بأكثر من لفظ فهي انسجام¹. والنوع الأخير تتمثل تفاصيله في ما يسمى بالعلاقات الدلالية وغيرها مما سيعرض لاحقا بعد الحديث عن مفهوم المناسبة من هذه الزاوية.

اهتم القدماء . كما سبقت الإشارة . "بالمناسبة والتناسب" بين آيات القرآن وسوره اهتماما بالغاً لدرجة تصوّر القرآن كله كالنص الواحد بل كالكلمة الواحدة، كما عبّر على ذلك في المراجع التي تناولت الموضوع².

حتى أنهم اعتبروا هذا الأمر المتمثل في النظر في المناسبة بين أجزاء القرآن وعلاقاتها ببعضها علما مستقلا سموه: "علم المناسبة" ومن الأقوال التي تؤكد هذه الفكرة وتبيّن المقصود "بالمناسبة" ما جاء عن أبي الحسن الشهرستاني الذي يقول: «أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري؛ وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»³، وبشكل أدق في تحديد المناسبة وفضلها ودورها في التماسك يقول الزركشي: «المناسبة علم شريف، تحرّر به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول. والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقترب منه ويشاكله... وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم؛ ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

1- ينظر: البحث، ص136.

2- ينظر مثلاً: أ) خطابي، لسانيات النص، ص 165. ب) الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص 101.

3- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها؛ ومرجعها . والله أعلم . إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات... وفائدتها جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»¹.

ويتضح مما جاء في القول السابق أن تفاصيل التناسب تكمن في أنواع العلاقات التي تحقق ما يسمى "بالمعنى الرابط" بين أجزاء الكلام. وهي بمصطلح السيوطي "وجوه المناسبة"² ويسمى بعضها في المراجع الحديثة "العلاقات الدلالية" ويقول د.خطابي: «ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة، ينظر إليها على أنها علاقات دلالية»، مثال ذلك علاقات العموم/الخصوص، السبب/المسبب، المجمل/المفصل..وهي في نظرنا علاقات لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل سالكا في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه»³.

ومن أهم العلاقات التي تعتبر وسائل انسجام، ما استنتجه السيوطي من بين سور القرآن الكريم على أساس أنه مدونة كبرى موحدة لطائفة من النصوص المتناسبة. ويمكن إحصاء وعنونة هذه العلاقات وتلخيص مفهوماتها على النحو الآتي:⁴

أ- تفصيل المجمل:

هذه قاعدة استقر بها القرآن الكريم عند السيوطي إذ يستخلص: «أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجاز»⁵.

1- المرجع السابق، ص 35-36.

2- يوجد هذا المصطلح في مواضع مختلفة من كتابه تتأسق الدرر .

3- خطابي، لسانيات النص، ص 268-269. (الجزء الأول من هذا القول أخذه خطابي عن: جان.م. أدام، (1984)، ص 203).

4- ينظر: أ- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 157 - 164.

ب- السيوطي، الحافظ جلال الدين، تناسق الدور (أسرار ترتيب القرآن)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1983 م .

5- السيوطي ، تناسق الدور (أسرار ترتيب القرآن)، ص 78.

« بناء على هذا تصبح هذه العلاقة الدلالية أهم العلاقات التي وقّرت للنص القرآني المحكم
خاصية الحبك (...)»

. فسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة.

. سورة آل عمران شرح لإجمال ما في البقرة قبلها، ومثاله أن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه، وقال في آل عمران (الآية 03): ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وذلك بسط وإطناب لنفي الريب عنه. وهكذا تطرد للسيوطي قاعدته.¹

ويمثل د. خطابي لهذه العلاقة في جداول خاصة بتحديد الآيات المجملة والآيات المفصلة بين السور الخمس الأولى (الفاتحة، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام) ثم علق بقوله: « على هذا النحو يمكن أن يشبّه النص القرآني بسلسلة تتشّد حلقاتها بعضها إلى بعض، مما يضمن تلاحمه كنص لا تتبي العلاقات بين أجزائه تتقوى كلما تقدّمنا في قراءته.»²

ب- التلازم والاتحاد: إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد كانت خاصة السورة الثانية مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد. مثال ذلك أن آخر آل عمران مناسب لأول البقرة؛ فإنها افتتحت بذكر المتقين؛ وأنهم المفلحون، وختمت آل عمران بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الآية 200). وختمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك.

ج- تشابه الأطراف: يعني اشتراك أول السورة مع خاتمة ما قبلها في الموضوع. من تشابه الأطراف الذي وقف عليه السيوطي أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وبدئت النساء به. وختمت يوسف بوصف الكتاب، ووصفه بالحق، وبدئت الرعد بمثل ذلك..

د- علاقة المقابلة: من الأمثلة على ذلك أن سورة الكوثر كالمقابلة لسورة الماعون قبلها؛ لأن الماعون وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، وذكر في الكوثر في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الآية 01) أي: الخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ (الآية 02)؛ أي دم عليها. وفي مقابلة الرياء: ﴿

1- العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 159 - 160.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 202.

لِرَبِّكَ..﴿(الآية 02)أي:لرضاه، لا للناس وفي مقابلة منع الماعون﴾﴿وَأَنْحَزْ﴾(الآية 02) وأراد التصديق بلحوم الأضاحي.

هـ- علاقة المقارنة: تستنبط هذه العلاقة من كلام السيوطي مثلا على وجه الاتصال بين سورتي الفيل واللمزة. قال السيوطي: "لما ذكر حال الهمزة لللمزة، الذي جمع مالا وعدده، وتعزز بماله وتقوى، عقب ذلك بذكر أصحاب الفيل، الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر أموالا وعتوا، وقد جعل كيدهم في تضليل، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه، وجعلهم كعصف مأكول... فمن كان قُصارى تعززه وتقويه بالمال، وهمز الناس بلسانه، أقرب إلى الهلاك، وأدنى إلى الذلة والمهانة.

و- علاقة الملابس: وتتجلى هذه العلاقة بين سورة الشمس والليل والضحى. قال السيوطي: هذه الثلاثة حسنة التناسق جدا؛ لما في مطالعها من المناسبة لما بين الشمس والليل والضحى من الملابس..

ز- علاقة التحقيق: وذلك إذا كانت بداية إحدى السورتين قسما على تحقيق ما في سابقتها. من أمثلة هذه العلاقة ما لاحظته السيوطي من الارتباط بين سور الفجر والغاشية قبلها. يقول السيوطي: "لم يظهر لي من وجه ارتباطها (يعني الفجر) سوى إن أولها كالأقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها (يعني الغاشية)؛ من قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ثم إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴿﴾(الآية 25-26)

وعلى ما تضمنه من الوعد والوعيد. كما أن أول الذاريات قسم على تحقيق ما في (ق)، وأول المرسلات قسم على تحقيق ما في (عم).

ح- بيان العلة (السبب): ويعني أن تقع السورة موقع العلة لما قبلها. من ذلك مثلا أن سورة البينة . كما يذكر السيوطي . واقعة موقع العلة لسورة القدر قبلها؛ لأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ (آ: 01) قيل لم أنزل؟ قيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم، حتى تأتيتهم البينة، وهو رسول من الله يتلو صحفا مطهرة. وذلك هو المنزل. من ذلك أيضا أن أول سورة

الحديد واقع موقع العلة للأمر بالتسبيح في سورة الواقعة؛ وكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لأنه ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ط - الإتيام: وذلك أن تكون السورة في ترتيبها كالنتمة لما قبلها. من الأمثلة على ذلك أن سورة المعارج . فيما ذكر السيوطي . كالنتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار . وسورة النمل كالنتمة للشعراء قبلها في ذكر بقية القرون، فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان، وداود، وبسط فيها قصة لوط أبسط مما هي في الشعراء.

ي - وصف الإطار الزمني: تستتبط هذه العلاقة من كلام السيوطي مثلاً عن وجه الاتصال بين سورتي البينة والزلزلة. قال السيوطي: "لما ذكر في آخر "لم يكن" (يعني البينة) أن جزاء الكافرين جهنم، وجزاء المؤمنين جنات، فكأنه قيل: متى ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الآية 01)؛ أي: حين تكون زلزلة الأرض إلى آخره.

وإذا كانت العلاقات السابقة مسقطاً على السور فيما بينها فحدوثها . أو حدوث بعضها على الأقل . بين الآيات من باب أولى. ومن العلاقات السابقة التي فصل فيها المفسرون بين الآيات علاقة "تفصيل المجمل" ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير فخر الدين الرازي للآية 31 من سورة البقرة التي تقول: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ فقال:

«اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (من الآية 30) أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي.»¹ وهذا معناه أن الآيات: 31-32-33 تفصيل للآية 30.

1- الرازي، محمد فخر الدين، تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م، مج1، ج2، ص 190-191.

ومن الملاحظات التي يسجلها الدارسون أن هذه « العلاقة بين الآيات لا تسلك دائما سبيل المجلد/المفصل، بل قد تتقلب الآية فينقدم المفصل على المجلد لتحقيق غاية معينة، وهذا ما نقرأه في تفسير ابن عاشور للآية 17 [التي تقول: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾]، قال: "... أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل، وإتماما للإجمال بعد التفصيل وقعا من نفوس السامعين..." أي أن التمثيل إجمال لتفاصيل وردت في الآيات 8 إلى 16.¹

ثم إن علاقات المناسبة والتناسب ليست محدودة بما ذكر آنفا. إذ أن في عمل السيوطي وحده « يمكن . في استقراء موسع . أن نضع الأيدي على مزيد من العلاقات »² فضلا على أن علماء آخرين ذكروا علاقات أخرى تربط بين الآيات. فهذا الزركشي في برهانه يستجلي ما أطلق عليه المصطلحات الآتية: التنظير . المضادة . الاستطراد . الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع.³ وهناك علاقة العموم والخصوص التي تناولها بعض الباحثين⁴ وهناك أيضا علاقة البيان والتفسير التي فصلت سابقا عند البلاغيين⁵ كمبرر للفصل.

وهذا التنوع الوافر للعلاقات والذي يوحى باللامحدودية على ما يبدو يدل على أن هذه العلاقات ليست قواعد ثابتة ومحدودة لكنها تبريرات للتواصل المعنوي شبيهة بمبررات الفصل عند البلاغيين، وهي بذلك تتعدد بتعدد أنواع المعاني وتخضع لمدى القدرة على إنتاج الخطاب الجيد وكذا القدرة على فهمه.

ولكن مهما تنوعت وتعددت هذه العلاقات فهي تجمع كلها تحت وسيلة انسجامية كبرى تسمى المناسبة.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 189.

2- العيد، النص والخطاب والاتصال، ص 164.

3- الزركشي، البرهان، ج1، ص ص 47- 50.

4- ينظر مثلا: خطابي، لسانيات النص، ص 272- و ص 181 تحت عنوان "تنظيم الخطاب".

5- ينظر: البحث: ص 245.

2.2.3 -العلاقات المنطقية ومبررات التغيير في ترتيب الخطاب:

سبق أن تناول البحث وسيلة "ترتيب الخطاب" عند فان دايك وخلص إلى " أن الترتيب يقوم بدور أساسي في انسجام الخطاب، وكلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة محددة سلفا، كان الخطاب غير منسجم".¹ ولكن الجديد في الحديث عن "ترتيب الخطاب" عند المفسرين هو:

أ- إن العلاقات التي تحكم الترتيب أوسع من تلك التي حددها الباحث السابق ، لاسيما إذا كان الخطاب فكريا بحيث تكون مفتوحة إلى كل العلاقات المنطقية الممكنة والمناسبة للمعنى المقصود، فقد أضاف الفخر الرازي على سبيل المثال في تفسيره للآيتين 21-22 من سورة البقرة ما لخصه خطابي في:

. علاقة القرب والعلم بالشيء.

. علاقة السببية (السبب . المسبب أو المؤثر والأثر).

. علاقة الفرع بالأصل.

ثم علق على ذلك بقوله: « من خلال ما تقدّم نرى أن الرازي ركّز في تخريجه لأسباب ترتيب العناصر في الخطاب.. على العلاقة المنطقية وهذا أمر مبرر، في نظرنا، إذا علمنا أن مقصد المتكلم هو الإقناع..²».

ب- في الخطاب السردى تبين أن المفسرين كانوا متفطنين إلى ما سبقت الإشارة إليه من أنه " كلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة محددة سلفا كان الخطاب غير منسجم".

ولذلك كانوا يبحثون عن مبررات تغيير الترتيب في الخطاب القرآني، كما فعل الزمخشري في تفسير الآيات 67-73 من سورة البقرة المتضمنة لقصة البقرة، حيث قال: «فإن قلت: فما

1- ينظر: البحث: ص198 وما بعدها.

2- خطابي، لسانيات النص، ص 186.

للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدّم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها»¹ ...

وخلاصة المبرر الذي اهتدى إليه الزمخشري هو أن الغرض من الكلام كله هو تقرير بني إسرائيل وأنه ينقسم إلى قصتين كل منهما تهدف إلى تقرير خاص، ثم ذكر كلا التقريرين بالتفصيل.

وليس المهم هنا هذا التفصيل وليس المهم أيضاً مدى صوابيته ولكن المهم هو أصل الفكرة، فكرة "مبرر تغيير ترتيب الخطاب" التي يبدو أن الأدب الحديث اكتشف منها ما صار الآن من بديهياته وهو أن القلب في الترتيب وتغيير تسلسله إبداع يتطلبه "الفن القصصي" قصد التشويق وشد الانتباه وتقوية لذة القراءة والمتابعة، كما يحدث في الروايات الفنية والأفلام. وقد أنشئت لذلك مصطلحات أدبية متنوعة مثل: تنويع طرق الاستهلال، والاسترجاع، والاستباق وغيرها مما لا يؤثر في الانسجام بل يزيد النص جمالاً ومتعة إذا توفرت شروط أخرى مثل الروابط والإحالات؛ الأمر الذي يجعل، على ما يبدو، مبررات تغيير الترتيب تكون حينئذ هي وسيلة الانسجام، ولكنها وسائل مفتوحة وغير محددة فلكل حالة مبرراتها.

• خاتمة وملخص الأدوات والوسائل:

هذا من بين ما تميزت به اجتهادات «المفسرين والمصنفين في علوم القرآن.. على أن الاهتمام بالانسجام لم يكن الانشغال الوحيد لهؤلاء وأولئك، وإنما كان جزءاً من انشغال أشمل هو فهم القرآن وإظهار وجوه إعجازه»² ولا بد من التأكيد على أنهم لم يتناولوا ما ذكر هنا فقط من وسائل الاتساق والانسجام، ولكن ما ذكر كان انتقاء لما تميز به عملهم دون غيره من الأعمال تقادياً لإعادة تكرير ما تطرق إليه البحث سابقاً.

وما يقال في هذه المسألة الأخيرة عن هؤلاء العلماء قيل كذلك عن الأدباء من البلاغيين والنقاد العرب.

1- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: محمد مرسى عامر، مراجعة: شعبان محمد إسماعيل، دار المصنف، القاهرة د.ت، د.ط، ج1، ص76.

2- خطابي، لسانيات النص، ص ص 204 - 205.

والخلاصة هي: إن أبرز ما أفرزته جهود هؤلاء جميعاً من وسائل للانسجام لم يذكرها غيرهم على العموم، هي ما يلي:

- 1- الفصل: ومبرراته العديدة..
- 2- التشبيه الضمني.
- 3- الاستعارة (التعالق الاستعاري).
- 4- تلاحم الأجزاء الصوتية (أو تباعد مخارج الأصوات).
- 5- الإلحاق (أو انتظام المعاني).
- 6- مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- 7- الابتداء والتخلص والانتهاء.
- 8- التسويم والتحويل.
- 9- المناسبة والتناسب: بعلاقاتها غير المحدودة.
- 10- العلاقات المنطقية ومبررات التغيير في ترتيب الخطاب.

أما في عموم المبحث فبناء على أن أدوات الاتساق شكلية ظاهرة على سطح النص وأن وسائل الانسجام دلالية تجريدية وقد تكون من خارج النص، جمع البحث من خلال جهود العديد من الباحثين العدد الكثير من هذه الأدوات والوسائل . وبالرغم من هذه الكثرة فلا يمكن القول بأن ذلك إمام شامل بكل وسائل التماسك النصي، ولكنه أبرز ما أفرزته بعض دراسات هذا العلم الناشئ وعليه فهو يمثل أشهر الوسائل التي تصلح للتوظيف والتطبيق عليها في البحث.

وتجدر الإشارة . قبل ذلك . إلى أن تعدد الآراء والمصطلحات في المفاهيم المتقاربة عند مختلف الباحثين وخاصة في الانسجام لا يعني التناقص أو الحشو والتكرير فهذا ما كان الحرص شديداً في البحث على تفاديهِ إلا أن ما كان يبدو كذلك فإنه يمكن أن يتكامل مع نظيره ويحقق نتيجة موحدة، مثلما أشار براون ويول في حديثهما عن " معرفة العالم " (مثلاً)

حين اعتبروا أن تعدد المصطلحات لا يعني « أننا أمام نظريات متنافسة، لأنها تهدف كلها إلى وصف الكيفية التي تنظّم بها معرفة العالم في ذاكرة الإنسان...»¹.

وعليه فسيكون في تعديد الأدوات و الوسائل اللاحقة العمل على تحقيق هذا التكامل ما أمكن، فقد يكون الدمج في بعض الحالات بين ما يؤدي نفس المفهوم ويحقق نفس الهدف.

■ أدوات الاتساق:

أ- الإحالية:	ب- الواصلة:
1- الضمائر.	10- العلامة الإعرابية
2- أسماء الإشارة.	11- العطف(عطف النسق).
3- الأسماء الموصولة	12- ألفاظ الوصل المعجمية.
4- المقارنة.	13- الإسناد.
5- بعض التوابع.	14- الاستثناء.
6- التكرير.	15- الإضافة
7- المحسنات البديعية.	16- حروف الجر
8- الحذف.	17- الشرط.
9- عناصر البنية الزمنية.	18- جزم جواب الطلب.
	19- نصب جواب النفي والطلب.
	20- القسم وروابطه.
	21- حروف التفسير.

1- خطابي، لسانيات النص، ص 63.

■ وسائل الانسجام:

- 1- المناسبة والتناسب
- 2- الإلحاق.
- 3- الترابط بين القضايا.
- 4- تناسق فحوى الخطاب.
- 5- ترتيب الخطاب ومبررات تغييره.
- 6- الخطاب التام والخطاب الناقص والحلقات المفقودة.
- 7- المعرفة الخلفية وأعراف الحبك.
- 8- السياق.
- 9- مبدأ التأويل المحلي.
- 10- مبدأ التشابه.
- 11- التغيريض.
- 12- موضوع الخطاب.
- 13- البنية الكبرى.
- 14- الفصل ومبرراته.
- 15- التشبيه الضمني.
- 16- الاستعارة.
- 17- تلاحم الأجزاء الصوتية.
- 18- مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- 19- الابتداء والتخلص والانتهاء.
- 20- التسويم والتحيل.

هذه أهم أدوات الاتساق و وسائل الانسجام المذكورة في البحث بعد دمج بعضها في بعض آخر واختزال ما هو في نظر البحث تفصيل أو تنويع لمفاهيم ذكرت بشكل مغاير. إن ما يمكن أن يعد جديداً في عرض هذه الأدوات والوسائل هو جمعها بهذه الكثافة في مرجع واحد مع تبسيط تبويبها وصوغها، الأمر الذي يجعلها سهلة وقريبة التناول للاستعمال والتوظيف خاصة في المجال التعليمي وبالضبط في موضوع البحث. حيث إن وجودها مجتمعة بهذا الشكل غير متوفر في أي مرجع من المراجع على الأقل التي اعتمدها البحث.

الفصل الثالث

وضع القواعد وتطبيقاتها.

- المبحث الأول: نظرات وضوابط منهجية.

.المطلب الأول: نظرات تعليمية في الاتساق والانسجام.

.المطلب الثاني: الضوابط التعليمية للتقعيد.

- المبحث الثاني: استنباط القواعد.

.المطلب الأول: قواعد المفاهيم.

.المطلب الثاني: قواعد الأدوات والوسائل.

- المبحث الثالث: دروس نموذجية و تطبيقاتها.

المبحث الأول

نظرات وضوابط منهجية

لابد للسائر على الأرض قبل وضع قدمه أن ينظر إلى موضعها ويرسم في ذهنه طريق مقصده ؛ من هذا المنطلق يأتي المبحث الأول من الفصل التطبيقي، والمتضمن نظرة تأمل في ميدان العمل (أي الاتساق والانسجام) وتحديد أهدافه و ضوابطه.

1- نظرات تعليمية في الاتساق والانسجام:

وهي نظرات تأمل حول طبيعة هاتين الظاهرتين اللغويتين (الاتساق والانسجام)، وحول أدواتهما ووسائلهما لتسجيل بعض الملاحظات التي تتعلق بالتعليمية فيهما بشكل أو بآخر، الأمر الذي قد يُلجأ إليه للعمل به أو للاستئناس في الإسقاطات التطبيقية، وهي ملاحظات مستخلصة مما تناوله البحث حول الظاهرتين.

أولاً: في الظاهرتين ومجالهما العلمي:

1.1- حادثة العلم:

ينتمي الاتساق والانسجام إلى علم النص انتماء عاماً (وبالذات إلى لسانيات النص) وقد ورد في أقوال العديد من العلماء والباحثين أن هذا العلم لم يظهر بشكل جلي إلا في السبعينيات¹ حتى أنه ورد في أحد المؤلفات (عام 2001) «إن لسانيات النص رغم المطولات والمجلدات التي ألفت فيها وأفردت لها ظلت حتى في نظر أصحابها بمثابة الرغبة والأمنية ... أو هي بمثابة مشروع أو برنامج يمكن التكهن ببعض خصائصه في حين أن بعضها الآخر يبدو في الوقت الراهن أبعد منالاً وأشدّ تمنعاً» (Sgall, 1979, 98) وقد بدت لنا النتائج التي حققها أشدّ بساطة، فلا مناسبة بينها وبين درجة تشعب النماذج وتعدد المنوالات النظرية التي راموا تفسيرها بها (petöfi, 1973, 207 - نقله 4 ; Genot 1984) «² .

1- ينظر البحث : ص14.

2- الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، ص119.

وبناء على ذلك فإن هذا العلم الذي وصفه سعيد بحيري أيضا (2004) بالبكر¹ مازالت بعض قضاياها الهامة في حاجة إلى دراسة أعمق ومنها قضايا التقعيد الذي ينعكس غيابه سلبيًا على تعليمية المواد المنبثقة منه، ومنها الاتساق والانسجام، فالتقعيد، كما هو معلوم، أساس تعليم كل مادة، وهو أمر ممكن بما هو متوفر من مادة في النظريات اللسانية.

2.1- ملائمة العربية:

بالرغم من حداثة هذا العلم إلا أن علماء اللغة العربية القدامى قد تناولوا الكثير من قضاياها بالدراسة المستفيضة ومنها بعض قضايا الاتساق والانسجام وأدواتهما كما جاء في البحث، وهذا يدل على أن العربية تتلاءم مع هذا العلم الحديث ومنتجاته سواء القديم منها أم المعاصر².

وقد تطرقت العديد من الدراسات العربية إلى ظاهرة السبق العربي هذه حتى صارت من البديهيات، وفيها يقول أحد الباحثين في التراث متحدثًا عن مختلف علوم اللغة «إن ما خطه أجدادنا لا يزال حيا يحمل نبضات العصر وروح المعاصرة، وما هذه النظريات التي جاء بها المحدثون في أوروبا وأمريكا إلا بضاعتنا قد ردت إلينا في أثواب أعجمية..»³ وهذا باحث آخر بعد عرضه لجملة من تصورات ومبادئ علماء العربية القدامى المتعلقة بالحبك يشير إلى: «أن التصورات والمبادئ السابقة جميعا، وهي حصائد فكر المهتمين بصناعة الكلام والنصوص من اللغويين والبلاغيين [العرب]، تكاد تشغل جميع المنظورات التي حددها ليفاندوفسكي للحبك في علم اللغة النصي..»⁴.

وملائمة هذا العلم للعربية بل ضرب جذوره في تراث علومها عامل قوي مساعد على تعليميته فيها وبالذات تعليم الاتساق والانسجام في العربية، ومن ثم السير في اتجاه تطوير

1- ينظر البحث، ص17.

2- ينظر: أ- البحث، ص22.

ب- خطابي، لسانيات النص، ص 95.

ج- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 83 وما بعدها.

3- كريم، زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1421هـ-2001م، ص: ك (المقدمة).

4- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص173.

هذه اللغة ونفي دعوى أن ذلك تجنّ على العربية من حيث إنه إقحام ما ليس منها في تعليمها.

3.1- تركيز العرب القدماء على الجانب الجمالي:

لم يهمل العرب القدامى في بحوثهم المرتبطة بالنص الجانب العلمي ولكنهم أولوا الذوق والجانب الجمالي في تماسك الكلام أهمية قصوى، فاجتهاداتهم « قد رفدتها نظرة شمولية ثاقبة في صناعة الخطاب العربي، تجمع بين العلم والذوق»¹ والمقصود بالذوق « نحو خلع أوصاف الاستحسان والاستبدال على المطالع والتخلصات والخواتيم، ونحو ربط حازم وغيره بين القصيدة المركبة والنفوس الصحيحة الأذواق.»² وعليه فإن كلام القدماء عن السبك والحبك مليء بأوصاف الاستحسان مثل: حسن، شريف، لطيف، جيد. ومثل: حلاوة، رشاقة، سهولة، عذوبة.. وفي المقابل تجد الاستبدال مثل: استقباح، نفور، كرية.. وكلها أوصاف ذوقية.

ورغم هذه الشمولية والجمع بين العلم والذوق في اجتهادات العرب القدامى فإن المقارن بينها وبين دراسات علم النص الحديث يلاحظ غلبة العناية بالذوق عند القدامى ولعل ذلك راجع إلى أمرين:

الأول: التخصص المعاصر: الذي يقتضي الدقة واشتغال كل ذي تخصص في مجاله، فعلم النص الذي كانت البلاغة السابقة التاريخية له، خرج منها وترك لها الجانب الذوقي بل تركه لعلم آخر أكثر تخصصا في الجمال (علم الجمال)؛ وعليه فإن عدم تطرق المحدثين لجماليات الاتساق والانسجام يجعل تناوله بارزا عند القدامى.

الثاني: الأهداف العلمية القديمة: فما دام لا يوجد تخصص دقيق "للنصية" في القديم فإن العلوم التي تناول أصحابها قضايا "السبك والحبك" كان يغلب على أهدافها استقصاء الجمالية والاعتماد على الذوق. وإذا كان هذا الأمر جليا في علمي البلاغة والنقد الأدبي فإنه في علوم

1- المرجع السابق، ص 174.

2- المرجع نفسه، ص 175.

القرآن وتفسيره لا يكون غامضا أيضا إذا تبين أن الهدف البعيد منهما هو إظهار الإعجاز الإلهي في القرآن وواضح أن من مظاهر الإعجاز بلوغ منتهى الروعة والجمال، ولذلك فإن التعليقات الوافية للتعبير القرآني مرصعة دائما بأروع نعوت الاستحسان ولا يحتاج هذا إلى استشهد محدد لأن كل ما قيل فيه شاهد.¹

والمهم، فيما سبق ذكره، من الناحية التعليمية يتلخص في أمرين مطلوبين وهما:
الأول: استثمار وتوظيف جماليات الاتساق والانسجام المستخلصة من الإنتاجات العربية في تعليم النصوص الأدبية على الخصوص.

والثاني: الحذر من الانحياز إلى الجانب الجمالي وحده في فهم الاتساق والانسجام ودورهما لأن ذلك يذهب المفهوم الصحيح لهما ويفوت فرصة الاستفادة من جوانب أخرى.

4.1- النمطية المقيدة للإبداع: وهذه ملحوظة أخرى في الاجتهادات العربية القديمة تابعة لسابقتها وهي أن بعض القدامى سعى إلى ترسيخ أنماط جمالية محددة أشبه ما تكون بالقواعد أو على الأقل تقاليد يعاب من خالفها. إلا أن ذلك، في مستويات كلامية معينة لا يقبل بحكم المنطق وما أثبتته الأدب المعاصر، وبالذات في المستوى الجمالي للكلام. فمن المقبول التمييط بل التعقيد للتماسك في مستوى صحة الكلام - وإن كانت صحة الكلام أساس جماله كما أشار البحث سابقا² - ولكن إذا بلغ الأمر إلى مستوى الجمال البحث الذي تتعدد فيه أوجه المقبولية وصيغ الصحة فإن التعقيد وفرض الأنماط المحددة يصير أمرا مقيدا للإبداع وبالتالي فهو غير مقبول. ولذلك يعمل أهل العصر بمقولة "الذوق لا يناقش" ويتجه أدبائه وبالأخص الشعراء منهم إلى التحرر أحيانا حتى من بعض القيود اللغوية تطلعا إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الإبداع، لدرجة أن بعض مقاطع القصيدة الحديثة لا يكاد يفهم لها مقصد للوهلة الأولى كما هو شائع.*

1- وقد اتخذ البحث هذا المعنى من بين الأدلة على الدور الجمالي للاتساق والانسجام، ينظر البحث، ص 44.

2- ينظر البحث، ص 43.

(*) للبحث عودة لهذه المسألة في ضوابط وخصائص التقعيد المتبعة.

أما في التراث فهناك من يحدد صيغا معينة أو شروطا خاصة ويقول: "إذا وافقها الكلام كان محبوبا حبكا جميلا"، ويفهم ضمنا قوله "وإلا فلا" وذلك - على ما يبدو منطقيا - قد يكون صحيحا ولكن ليس على إطلاقه، فليس بالضرورة أن يكون هو الجميل وحده فقد يوجد ما هو جميل مثله أو ما هو أجمل منه بطريقة أو بأخرى فالإبداع غير محدود.

ومن الأمثلة على ذلك التي يتضح بها المقصود أكثر، الشروط التي وضعها حازم القرطاجني للتخلص والتي منها طريقة التدرج عنده من النسب إلى المديح وهي: «البدء بما يرجع إلى المحب ثم بما يرجع إلى المحب والمحبوب معا، ثم إرداف ما يرجع إليهما معا مما يشجو وقوعه بذكر ما هو راجع إليهما مما يسر وقوعه (...). ثم يحتال في عطف أعنة الكلام إلى المديح؛ فهذا هو الموضع التام المناسب [ثم يواصل تنميط التدرج في المديح إلى أن يقول] ثم يختتم بالتيمّن للممدوح والدعاء له بالسعادة ودوام النعمة والظهور على الأعداء وما ناسب ذلك»¹.

لا يمكن تخطئة حازم هنا ولكن يمكن التعقيب على كلامه بالتساؤلات الآتية: هل هذه هي الطريقة الوحيدة السليمة الجميلة؟ وهل يصح التقييد للجمال؟ وماذا ترك هذا التوجيه لإبداع المبدعين؟!

وقل مثل ذلك في صدور الرسائل التي جمعها الكلاعي لشدة اعتناء القدماء بها حتى صارت عندهم تقليدا يعاب من خالفها.* فهل هي ناجحة فكرة المقدمات الجاهزة للخطب والرسائل؟ وهل يعد مستعملها أدبيا مبدعا؟! فلعله من الواضح أن الجواب على كل واحد من الأسئلة السابقة لا يكون إلا بالسلب.

1- القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تق و تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية ، تونس، د.ط، 1966م، ص321.

*- ومن أمثلة ذلك: - أطال الله بقاء أمير المؤمنين(مخاطبة الأمراء).

. أما بعد، أحسن توفيقك، ونهج إلى الرشد طريقك(يكتب به عن الأمراء إلى من مرق عن طاعة).

. سلام على من اتبع الهدى وتجنب سبيل الضلالة والهوى(يستفتح به عنهم إلى زعماء الروم).

. يا بني، ومن سلمه الله وأبقاه(يكتب به الأب إلى ولده).

. يا مولاي وجمال دنياي(يكتب به الولد إلى والده)...ينظر:

أ- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، إحكام صناعة الكلام، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1405هـ - 1985م، ص67.

ب- العبد ، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص 121.

أما المفيد تعليميا من هذا كله هو: إذا كانت الاستفادة من هذه الأنماط المقترحة مقبولة بل مطلوبة إلى حد ما، فإن ما هو غير مقبول ويجب الحذر منه هو التقيد بها وإبقاء التعليم حبيسا لها وكأنها قواعد ثابتة لأن النمطية الجمالية تقيد الإبداع، وهذا لا يتنافى مع وجود قواعد تضبط صحة التماسك لا جماله، ولا يتنافى أيضا مع ضبط الإبداعات الجمالية حتى لا تخرج بانزياحاتها وانحرافاتهما عن حدود اللغة الصحيحة والتواصل السليم وذلك بما سماه "شميت" "القواعد الثانوية"¹

5.1- نسبية الانسجام:

إذا كان الاتساق سطحيا يلحظه ويدركه كل متلق من خلال أدواته الظاهرة فإن الانسجام يعتمد في معظمه على عمليات ذهنية، وإدراكات ومعارف يختلف الناس في امتلاكها والقدرة عليها، ويتضح الأمر بالتأمل في وسائل الانسجام وما يتطلبه كل منها، مع تفاوت في مستوى ما هو مطلوب لها ودرجة إعمال الفكر فيه ومنها مثلا: المناسبة والتناسب و كذا المعرفية الخلفية²، وعليه فإن الانسجام نسبي قد يتهيا لمتلق ولا يكون لغيره « فما يبدو منسجما لبعضهم قد يبدو غير منسجم لآخر فالنص حسب (Berrendonner,346,1979) لا يمكن تمثيله في ذاته ولذاته(...) فانسجامه ليس رهين نسقه الداخلي الذي ينتظم مكوناته فحسب إنما هو كذلك رهين جملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبله، ويشد أمر هذه الملاحظة خطورة بالنسبة إلى النصوص الأدبية التي يقوى فيها حظ الإبداع، فترى الشيء مفككا لا يهتدى إلى إقامة الانسجام بين مكوناته إلا بالتوسل بضروب من أبواب الانسجام لا يقدر عليها إلا أصحاب ذلك الفن ومن توفرت له مفاتيحه وكان هذا الوضع مطية للدعوة إلى أمور لا تقل طرافتها عن غرابتها من قبيل: (...)

1- ينظر البحث: ص 305 (الخاصية 4 من خصائص القواعد التعليمية)

2- ينظر الموضوعان في البحث من خلال الفهرس.

- اقتراح اعتبار القارئ أو السامع بمثابة المعيد لإنشاء النص (réémetteur, 221-229, 1974 serres)

- القول بموت الكاتب منشئ "النص" كما ذهب إلى ذلك Barthes (...) [و لاثبات نسبية الانسجام] استدل بعض الدارسين على ذلك بأمثلة أصبحت من الأقوال السائرة من قبيل "ملك فرنسا أصلع" أو "فقد نلسون عينا في معركة كالفين ضد الفرنسيين، فبكاه شكسبير بدموع حرى (93,1984 Genet) فقالوا إن هذين القولين منسجمان بالنسبة إلى السامع الذي يجهل أنه ليس لفرنسا حاليا ملك وأن نلسون متأخر عن شكسبير.¹

إن نسبية الانسجام من أكبر الدواعي لتعليم الانسجام ووسائله حتى يتمكن الطلبة من الإلمام بأكثر قدر من وسائل الانسجام التي تساعد وتعود على استيعاب النصوص لا سيما الأدبية منها. إلا أن هذه النسبية- منطقيا- تجعل تعليم هذه المادة يتطلب أمرين اثنين:

الأول: مراعاة التناسب بين مستوى المتعلم ووسائل انسجام النص المدروس والمعارف التي تساعد على اكتشافها.

الثاني: ضرورة وضع النص في سياقه ما أمكن، من خلال تقديم مناسب، حتى يتمكن المتعلم من امتلاك ما يحقق به الانسجام.

6.1- التقاطع مع علوم ومواد أخرى:

الاتساق والانسجام مرتبطان بالعديد من العلوم والمواد اللغوية وقد سبقت الإشارة إلى المراحل التي مر بها والعلوم التي انحدر منها علم النص². كما تبين في ثنايا البحث كيف أن أدوات التماسك مستخلصة من مجالات عملية عديدة فمنها: النحوية، والبلاغية، والنقدية، والأسلوبية، والدلالية، والمنطقية.. الخ.

وهذا ما يتضح أكثر عند الاطلاع على مختلف الوثائق التعليمية بحيث لا تكاد تجد مادة تعليمية في اللغة أو نشاطا إلا وللاتساق والانسجام بها علاقة، إما بانتماء أدواتهما إليها أو

1- الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب، صص 112- 114.

2- ينظر البحث، ص19.

بالتشارك في خدمة التماسك، كالنحو والبلاغة والتعبير والعروض والمطالعة فضلا عن النصوص.

ثانيا - في الأدوات والوسائل:

7.1- الالمحدودية :

إن أول ما يلاحظ على وسائل التماسك النصي هو أنها في عمومها غير محددة العدد بدقة وذلك لسببين أساسيين:

السبب الأول : يتعلق بطبيعة أنواع هذه الوسائل في ذاتها، بحيث إن بعضها مفتوح أصلا، كالوسائل المعجمية، وبعضها خاضع في تحديده إلى الحالات المتغيرة التي يصعب ضبطها كالعلاقات الدلالية التي تخضع لها مبررات الوصل أو المناسبة.

السبب الثاني: يتعلق بحدثة نشأة "علم النص" مجال الدراسة، إذ تبين أن الموضوع ما زال حقلًا خصبا لبذل المزيد من الجهود الباحثة والضابطة والمدققة.

إن ملاحظة الالمحدودية هذه تستند في الأصل إلى ما جاء في الأبحاث المعتمدة وطرق معالجتها للموضوع، حيث إنها لم تتشارك إلا في عدد معين من الوسائل ومعظمها من أدوات الاتساق المتعارف عليها كالعطف والإحالات المشهورة، أما في غيرها وخاصة في الانسجام فكل باحث (تقريبا) ينظر من زاوية لم ينظر منها غيره ويفتح باباً جديداً كثيراً ما يصعب غلقه أو يستحيل كما في أمثلة السبب الأول المذكور آنفاً.

وتؤكد هذه الملاحظة بما صرح به بعض الباحثين الذين أنهكهم البحث ولم يصلوا إلى الإلمام بكل هذه الوسائل.

فهذا السيوطي بعد كل الجهود التي بذلها في جانب واحد من الانسجام وهو المناسبة وعلاقاتها يقول: « وجميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر »¹.

1- السيوطي، الحافظ جلال الدين، تناسق الدور (أسرار ترتيب القرآن)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1983م، ص100.

فلا عجب إذن أن يقول د.خطابي وهو من المحدثين، في خاتمة أحد مباحثه: «ومع ذلك فإن ما وصلنا إليه من خلال رصد أعمال ثلاثة مفسرين يجعل نتائجنا نسبية، خاصة وأن رصدنا للانسجام انحصر في سورة البقرة. معنى هذا أننا نفترض وجود مظاهر وآليات أخرى كامنة لا يمكن أن يكشف عنها إلا بحث استقصائي لمختلف التفسير ولبقية السور.»¹ وقال أيضا في خاتمة عرضه لجهود الغربيين: «ومع ذلك لا ندعي أننا أتينا على كل ما كتب في هذا المجال.»²

ويذهب محمد حماسة بعيدا في التعبير عن لا محدودية هذه الوسائل حين يقول: «كل ما يؤدي إلى الوضوح وعدم اللبس يؤدي بالضرورة إلى التماسك والترابط.»³ ويؤيده منطقيا وواقعا أن كل خطأ في الكلام يؤدي إلى تفككه وعدم فهمه وكأن عدد وسائل التماسك ينبغي أن يغطي عدد القواعد اللغوية المختلفة المجالات التي يجب ألا تُخالف حتى يكون الكلام سليما.

ومع ذلك فإن لا محدودية هذه الأدوات والوسائل لا تمنع من تدريسها لأن فيها قسما معتبرا ثابتا وواضحا*، ولكن يجب أن تراعى في تعليميتها هذه الملاحظة.

8.1- التداخل والتشابه:

يكثر التداخل والتشابه بين أدوات ووسائل التماسك، وذلك لأسباب عدة كأن تكون الفروق دقيقة بين المفاهيم أو يكون بعضها يخدم بعضا أو بعضها جزءا من بعض. ويكون هذا الأمر بين أدوات الاتساق ووسائل الانسجام مثل الإحالة والتغريض أو يكون بين بعض وسائل الانسجام فيما بينها مثل الترابط بين القضايا وتناسق فحوى الخطاب. ويشد التشابه على الخصوص أكثر في بعض الحالات عندما لا يكون الطرفان من منتج واحد مثلما هو في أنواع مبررات العطف عند كل من الجرجاني والسكاكي.**

1- خطابي ، محمد ، لسانيات النص، ص 205.

2- المرجع نفسه.الصفحة نفسها.

3- حماسة ، محمد عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة د.ط، 2003، ص92.

*- لهذه الفكرة عنصر خاص في آخر هذه النظرات (رقم:13.1) ، ص297.

**- يمكن العودة إلى الأدوات والوسائل المذكورة كعناوين من خلال فهرس الموضوعات.

ومن المظاهر الدالة على التداخل والتشابه بين أدوات التماسك الحالات الآتية:

أ-الضبابية والاختلاف في تصنيف بعضها:

على الرغم من الفصل نظريا بين مفهومي كل من الاتساق والانسجام بانتماء الأول إلى المستوى السطحي الشكلي والثاني إلى المستوى العميق التجريدي في النص إلا أن الاختلاف قائم بين العلماء في انتماء بعض الأدوات أو الوسائل هل إلى هذا المستوى أم ذاك، كما ورد في توطئة الحديث عن الأدوات والوسائل و تبين أثناء البحث. وحتى في حالة الفصل في الانتماء أحيانا تبقى الضبابية وعدم التمايز التام في طبيعة بعض الوسائل هل هي شكلية أم دلالية مثلما هو الحال في عناصر البنية الزمنية والإسناد..ولهذا السبب اجتهد البحث في أن يقسم " المناسبة" إلى قسمين، قسم في الاتساق(شكلية) وقسم في الانسجام(دلالية).

وقد يكون الاختلاف والغموض في التصنيف الفرعي داخل الاتساق مثل: بين ما هو ذو طابع إحالي وغير إحالي، أو مثل : الانتقاد الذي وجّه إلى هاليداي وحسن في اعتبار الحذف ضربا من الاستبدال.

ب- بعضها مدعم لبعض:

لقد تبين في العلاقة بين الاتساق والانسجام أنهما متكاملان. حيث إن "الحبك شرط لغوي في فهم السبك فهما أعماق"¹، هذا بصفة عامة أما عند التأمل في الأدوات والوسائل فإن بعض الأدوات في الاتساق لا تفهم ولا تؤدي دوره إلا عند ارتباطها ببعض الوسائل في الانسجام ؛ مثل العطف الذي هو أداة اتساق ولا يكون مقبولا إلا بتوفر أحد الأسس والمبادئ المعنوية التي تعد من جنس الانسجام. ومثل وسيلتي "ترابط القضايا" و "تناسق فحوى الخطاب" اللتين يوجد من العلاقات المشكلة لهما بعض أدوات الاتساق، كالتطابق الإحالي، والترتيب الزمني، والتكرير ..

ج- وجود نوع منها لا يعني حتمية غياب نوع آخر:

1- ليفاندوفسكي، نقلا عن: العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص92.

فقد توجد في الحالة الكلامية الواحدة العديد من الأدوات والوسائل، وذلك لصعوبة الفصل بينها التي تفرضها أحيانا الازدواجية التي هي من طبيعة بعض المفاهيم التماسكية المتقاربة أو الدقيقة الفروق- كما سبق ذكره- ومن أمثلة ذلك : المثال الذي استعمله السكاكي في مبرر " نقصان المعنى" للوصل¹ وهو قوله تعالى: ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما إننا لمبعوثون ﴾ (المؤمنون 81-82). ففي هذا المثال تجتمع الأدوات والوسائل الآتية:

1- نقصان المعنى: وهو مبرر للوصل « وذلك بافتراض أن المتلقي لا يعرف ما قاله الأولون. »²

2- الاستفهام المقدر: وهو كذلك مبرر للوصل؛ بناء على ما قاله الجرجاني عن « لفظ "قال" مفصولا غير معطوف. »³

3- أمن اللبس: مبرر للوصل أيضا وهو اللبس من التأويل الخاطئ لأن ما قالوه كثير (مثلا: قالوا اتخذ الله ولدا، قالوا أرنا الله جهرة...) فيتحدد بقول " أنذا متنا".

4- التكرير: للفظ "قالوا" وهو أداة اتساق وتفيد أيضا "البدل" و"التوكيد". ولعل هذه الملاحظة تساعد في عملية التقعيد "للاتساق والانسجام" حيث إنها توحى بوجود عامل مشترك يمكن أن تبني عليه قاعدة ما. وتعدد الأدوات في الموضع الواحد قد يكون ناتجا - على ما يبدو- عن أمرين يتعلقان بالتأليف لا بد من التحرز إزاءهما في المجال التعليمي:

الأول: عدم الدقة في وضع الأمثلة، بحيث يؤتى بالمثال لتوضيح أداة أو وسيلة ولا يُتحرى عدم وجود أخرى خاصة منها البارزة التي تشوّش عن المفهوم المقصود. ومن أمثلة ذلك ما جاء في أحد الأمثلة التي استعملها براون ويول في توضيح " الاستدلال بوصفه اكتشافا للحلقات المفقودة" التي تربط بين قولين وهو الآتي:

1- خطابي ، لسانيات النص، ص114.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ينظر: البحث، ص243.

أ - اشتريت دراجة الباردة.

ب- إطارها من الحجم الكبير جدًا.

ج- للدراجة إطار.¹

حيث إن الضمير "ها" في "إطارها" كاف للربط بين القولين أ و ب فلا يكون الاستدلال واضحاً هنا مثلما هو في الأمثلة المماثلة لهذا المثال في المرجع نفسه والتي استعملها البحث.²

الثاني الترجمة : فقد يكون لعدم تحرّي الدقة في الترجمة دخل في هذا الخلل(التداخل والتشابه) أو في غيره ، بل قد يكون ذلك ناتجا عن طبيعة الترجمة مهما كانت الدقة، حيث تفرض خصوصية كل لغة إحداث الخلط بين الأدوات والوسائل إذا ما نقلت من لغة إلى أخرى، مثلما هو الحال في أدوات الوصل المعجمية حيث إن نقل بعض الأنماط من الانجليزية إلى العربية يوجد أدوات أخرى هي وحدها كافية لإحداث الربط مثل أسماء الإشارة وحروف العطف والضمائر.³ وفي النماذج الآتية تظهر (على التوالي) هذه الأدوات وهي غير مقصودة في ذاتها بالربط ضمن العبارات المعجمية المقصودة بالربط:

هذه اللحظة. _ this moment.

أو في ناحية أخرى. _ on the other hand

في الوقت نفسه. _ at the same time.

د - تعدد التسميات وتطابق المفاهيم:

من الأدوات والوسائل ما يتطابق في التعريف والمفهوم ولكنها تختلف في التسمية والمصطلح فقط ، وتأتي هذه الظاهرة في صورتين:

1- براون و يول ، تحليل الخطاب، ص308.

2- ينظر: البحث، ص 233.

*- في هذا المثال نفسه لو وضع "الإطار" موضع "إطارها" لتحقق المقصود دون ازدواجية في الربط.

3- ينظر: البحث، ص151.

أما الأولى: فهي أن يكون منتج المفهوم هو نفسه ولكن تتعدد التسميات (مثلا) من قبل باحثين آخرين بسبب اختلافهم في ترجمته ، عندما يكون الإنتاج أجنبيا أو بسبب اجتهادات وتعليقات المحققين المحدثين عندما يتعلق الأمر بالتراث.

و من أمثلة المفاهيم المترجمة التي سميت بأكثر من مصطلح :

المفهوم 1: المعرفة الخلفية / معرفة العالم.

المفهوم 2: الإطارات المعرفية / الأطر.

المفهوم 3: المدارات / المدونات.

المفهوم 4: المخططات الذهنية / السيناريوهات.

المفهوم 5: الأنساق الذهنية / الخطاطة...

ومن أمثلة مفاهيم التراث:

المفهوم 1: الإيضاح = (الخفي، الجلي) = البيان = التفسير = الاستئناف البياني = الربط البياني.

المفهوم 2: تلاحم الأجزاء الصوتية = تباعد مخارج الأصوات.

المفهوم 3: الإلحاق = انتظام المعاني.

المفهوم 4: الابتداء = المبدأ = الفاتحة = الافتتاح = المفتتح = الاستفتاح = المقدمة = التصدير = المطلع = الاستهلال.

المفهوم 5: التخلص = الخروج = التوصل...

وهذه الصور من تعدد التسميات لا تؤثر سلبا إلى حدّ ما لأنها لا تحدث تضخما إلا على مستوى العنوان فقط وبشكل محدود.

أما الصورة الثانية: فهي أن تعاد فكرة المفهوم نفسها بطرح مغاير وبتسمية أخرى بين منتجين فأكثر. وقد يأتي الطرح الجديد بإضافات جزئية ولكنها غالبا ما لا ترقى إلى مستوى التمايز والاستقلال بتسمية خاصة، ومع ذلك تتعدّد التسمية، وهذا هو التضخم الذي يحتاج - على ما يبدو - إلى علاج من المحققين والمقّعين المنتظر وجودهم والمأمولة جهودهم.

والحقيقة أن أصحاب هذه الظاهرة غالبا ما يكونون معذورين خاصة إذا لم يكونوا متعاصرين أو لم يطلع بعضهم على إنتاج بعض. وكثيرا ما تحدث هذه الصورة في بعض المفاهيم الغربية الحديثة التي توجد - أو توجد أصولها على الأقل - في التراث العربي، وعندما تترجم لا تراعى - للأسف - علاقتها بالمنتج السابق قصد توحيد المصطلحات العربية أو تقليصها. ومن أمثلة هذه الصورة: المفهوم الذي سمي: التضام والإعادة الضمنية والمناسبة (في أحد مفاهيمها) والتكرار المعنوي. وكذلك مفهوم البنية الكبرى الذي سمي أيضا المقصد الأعظم.¹ وغيرهما .

لا شك أن ظاهرة التداخل والتشابه في أدوات ووسائل الاتساق والانسجام ستؤثر سلبا على تعليميتها وبالضبط من ناحية التمايز والوضوح ومن ثم فإنه في إطار استكمال هذا العلم وإنضاجه يقتضي الأمر جهودا إضافية ودراسات دقيقة من أجل الجمع والمقاربة والتوليف والاختزال والفصل والفرز وتوحيد المصطلحات واستحداث أخرى واختيار تسمية واحدة مناسبة للأدوات والوسائل ذات الوظيفة المزدوجة التي يصعب الفصل في انتمائها للاتساق أو للانسجام مثل: مصطلح "التماسك" الذي اقترحته بعض المراجع². و يقترح البحث في هذا الصدد أن يُنحت لها مصطلح واحد بتركيب مزجي بين اللفظين (اتساق وانسجام).

9.1- اختلاف بعض الأدوات والوسائل بين اللغات:

إذا كانت جملة من الأدوات والوسائل مشتركة بين اللغات تؤدي الوظيفة التماسكية نفسها في مختلف اللغات فإن طبيعة كل لغة تفرض وجود بعض منها في لغة دون أخرى أو وجود اختلاف في تصنيفاتها. فعلى سبيل المثال: علامات الإعراب التي تعتبر في العربية من أدوات الربط (أو عناصر في بعض الأدوات) لا توجد في لغات أخرى كالفرنسية والانجليزية وكذا الترتيب في التركيب الذي يفرضه الانسجام في لغة ما بطريقة معينة فإنه قد يشكل خلافا في لغة أخرى إذا كان بالطريقة عينها. والاختلاف واضح بين اللغات في تفاصيل أنواع الضمائر وفي حروف العطف وعددها وتصنيفها وفي وضعية "ال" التعريف في العربية وما

1- ينظر في التسمية الأخيرة : العبد ، النص والخطاب والاتصال، ص170.

2- ينظر: البحث، ص29.

يقابلها في لغات أخرى وغير ذلك من الحالات التي تتطلب الانتباه حتى لا يصاب تعليم اللغة العربية بالخلط ولي أعناق المفاهيم والقواعد، إرضاء للنظريات المستوردة ! وفي هذا يقول الفقي: «.. إن هناك أدوات كثيرة تتفق مع الأدوات المستعملة في اللغة العربية، بل تكاد كلها تكون مندرجة، أو قابلة للتطبيق على اللغة العربية، ومع هذا إذا وجد منها ما لا يتلاءم مع طبيعة اللغة العربية، فسوف نستبعده عند التطبيق، حتى لا نتهم بأننا نلوي النصوص العربية حتى نطبق عليها النظريات الغربية.»¹

10.1- ليست كل الأدوات والوسائل هي أدوات ووسائل محضة:

يبدو من خلال الاستعمال والمعاجم أن لفظتي "الأداة والوسيلة" تعنيان الآلة والواسطة التي يتم بها تحقيق غاية ما*، ولكن المتأمل في أدوات الاتساق ووسائل الانسجام ، إذا توخى الدقة، يجد أن بعضها لا يحمل هذا المعنى وحده وإنما هو أقرب إلى أن يحمل مع ذلك معنى آخر، ومن المعاني التي قد تحملها أداة الاتساق أو وسيلة الانسجام ما يلي:

أ-المبدأ: وقد صنف بعض الوسائل في مراجعها على أنها مبادئ ، مثل ما هو عند براون ويول في وسائل : "السياق ومبدأ التأويل المحلي، والتشابه والتغريض".² أو ما هو في مبادئ مقبولية العطف(الوصل) عند كل من الجرجاني والسكاكي³ والفرق واضح بين المبدأ الذي يعد شرطاً لصحة التماسك والأداة أو الوسيلة بمفهومها السابق.

ب- المظهر: ليس من الصعب أن يجد القارئ في بعض المراجع من حين لآخر لفظ "مظهر" بدل "أداة" أو "وسيلة"⁴ وخاصة عندما يتعلق الأمر ببعض وسائل الانسجام، التي توحى تسميتها بهذا المفهوم مثل تناسق فحوى الخطاب، ترابط القضايا، ترتيب الخطاب، التسويم و التحجيل..الخ. والفرق كذلك واضح بين "المظهر" الذي هو نتيجة لعملية ما و"الأداة أو الوسيلة" التي هي آلة أو واسطة لها.

1- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص115.

*- هذا ما يفهم من القاموس المحيط في مادتي: أدبي (ص126) - وسل (ص1080).

2- ينظر: البحث، ص 211 - 221.

3- ينظر: البحث، ص 160 وما بعدها.

4- ينظر ، مثلاً : البحث ، ص 285 (في قول د.خطابي في اللامحدودية).

وربما وجدت بعض المعاني والمفاهيم الأخرى التي تحملها بعض الأدوات والوسائل فتخرجها عن محضية مفهومها الوظيفي الدقيق (كالقرينة والطريقة..)، ولكن ما ذكر وحده يعد كافيا للتدليل على أن أدوات الاتساق ووسائل الانسجام - على الأقل الموجودة في المراجع التي اعتمدها البحث - في حاجة إلى تصفية وتدقيق مفهومي الأداة والوسيلة حتى يتميز ما هو خالص منها من غيره، تسهيلا لتعليميتها.

11.1- حاجة بعض الأدوات والوسائل إلى التدقيق في التسمية:

بالإضافة إلى الدقة المطلوبة سابقا في المفهوم، فإن بعض هذه الأدوات والوسائل يحتاج أيضا إلى جهد آخر من أجل التدقيق في تسميته، ويتعلق الأمر بتلك التي يُعبّر عنها بعبارة مطوّلة وليس لها مصطلح خاص مختصر في لفظ واحد، حيث تكون تلك التسمية غير كافية وحدها لتدل على أنها خاصة بأداة اتساق أو بوسيلة انسجام إلا مع التنبيه أو الشرح أو على الأقل السياق المناسب، مثل تسمية وسيلة "الكلام التام والكلام الناقص" ووسيلة "انكسار بنية الخطاب مع تماثل الفعلين الكلاميين".

ولا يخفى على كل ذي بصيرة ما في تدقيق المصطلح واختصاره من فائدة تعليمية.

12.1- مختلف تصنيفات الأدوات والوسائل:

أ- المستويات العلمية:

معظم الدارسين ومنهم خطابي يميلون إلى تصنيف أدوات ووسائل التماسك وفق مستويات

معينة يمكن تسميتها "المستويات العلمية" ومنها:¹

- المستوى النحوي: مثل الإحالة والعطف.
- المستوى المعجمي: كالتكرير والمطابقة.
- المستوى الدلالي: كالعلاقات (الإجمال/التفصيل - العموم/الخصوص) والبنية الكلية.
- المستوى التداولي: كالسياق وخصائصه والمعرفة الخلفية...
- المستوى البلاغي: مثل التعالق الاستعاري.

1- ينظر: خطابي، لسانيات النص، ص211.

ومع أهمية هذا التقسيم ولأن التصنيفات تتعلق بطبيعة الدراسة فإن النظرة التعليمية للموضوع تدعو إلى البحث عن وجوه أخرى لتصنيفه وذلك بتقليبه من جوانبه المختلفة ليتضح من أي جانب يمكن تناوله حسب كل مستوى دراسي، وعليه فإنه يمكن أن تصنف هذه الأدوات والوسائل تصنيفات أخرى من بينها ما يلي:

ب - الأساسي والفرعي:

هناك أدوات ووسائل أساسية وأخرى فرعية تتدرج تحت غيرها وتكملها في أداء وظيفتها؛ مثل:

- العطف (أو الوصل) أساسي ولكن مبادئه فرعية.
- المناسبة أساسية وعلاقاتها المتعددة فرعية.
- تناسق فحوى الخطاب وترابط القضايا كل منهما أساسي ولكن تحتها علاقات هي وسائل وأدوات فرعية..الخ.

ج - الضروري والكمالي:

ومنها ما هو ضروري للبناء والفهم لا يكون النص كاملاً صحيحاً لغوياً إلاّ به إذا غاب تفكّك الخطاب إلاّ أن يؤوّل، مثل معظم أدوات الإحالة والوصل لا سيما إذا دُعِمَت بما يلزم من مبادئ ومثل موضوع الخطاب وترتيب الخطاب والبنية الكبرى...ومنها ما هو كمالي دوره جمالي لا يؤدي فقدانه إلى فساد فهم النص ولكنه يؤثر في كمال جماله فقط. وذلك مثل العديد من الوسائل المستخلصة في البلاغة والنقد كالمطابقة والاستعارة و التسويم والتحويل والابتداء والتخلص والانتهاء..الخ.

د - قريب المنال والبعيد:

ومن هذه الأدوات والوسائل ما هو قريب المنال سهل الفهم والاستعمال لدى كل متعامل باللغة مهما كان مستواه حيث يظهر له على الفور الدور الرابطي لهذه الأداة أو تلك الوسيلة ويفتقده ويدرك الفراغ الذي يتركه إذا ما غاب وذلك مثل: أسماء الإشارة والضمائر وحروف العطف وسائر أدوات الربط الظاهرة..

ومنها ما هو بعيد المنال لا يدركه ولا يعرف قيمته ولا يفك شفرته إلا ذور مستويات معرفية عالية في الموضوع، قد يحتاج أمره إلى أدباء ومحللين كبار. ويتعلق هذا ببعض وسائل الانسجام مثلما هو حاصل في تفسير القرآن وعلومه وما استخلصه علماءه من علاقات في ما أسماه "المناسبة" حيث عبّر أحدهم عدة مرات عن الجهد الفكري الكبير الذي بذله فيها فقال مثلاً:

- عن سورة إبراهيم: «وجه وضعها بعد سورة الرعد (...) بعد إفكاري فيه برهة..»¹
- وعن مناسبة تبارك للتحريم: «.. ظهر لي بعد الجهد.»²
- وعن علاقة "نوح" بـ "المعارج": «أكثر ما ظهر في وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر..»³

- وعن سورة "الجن": «قد فكرت مدة في وجه اتصالها بما قبلها..»⁴

وتجدر الإشارة إلى أن الأمر ليس دائماً على هذه الحال من الصعوبة في استخلاص العلاقات، فقد عبّر هذا العالم نفسه عن سهولة ذلك بمثل قوله عن بعض السور: «لا يخفى وجه ارتباط أولها..» «لا يخفى وجه حسن وضعها هنا.» «لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين.»⁵ ولكن الشاهد هنا هو حالات الصعوبة التي تتطلب جهداً فكرياً كبيراً للاستدلال على علاقات الانسجام من قبل العلماء فكيف بغيرهم؟! وقد تفهم هذه الصعوبة أيضاً في كلام علماء آخرين في فنون أخرى مثل النقد الأدبي وتحليل الخطاب، وخاصة عند مواجهتهم لقصائد الشعر الحديث وما فيها من إبداعات غير خاضعة للأعراف.. وكل ذلك يدل على أن وسائل الانسجام على الخصوص ليست في متناول الجميع من ناحية علمية، وهذا التصنيف نابع من الملاحظة التي سبقت الإشارة إليها وهي كون "الانسجام نسبي" حتى على مستوى التعامل العادي بين الناس بالنظر إلى مستوى معرفتهم العالم المتعلق بالخطاب

1- السيوطي، تناسق الدرر، ص110.

2- المرجع نفسه، ص141.

3- المرجع نفسه، ص142.

4- المرجع نفسه، ص143.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص131، ص133.

المواجه ومدى امتلاكهم لخصائص سياقه. وما أروع كلام المتنبي إذ تفتن باكرا لهذا الأمر
في بيتين جميلين قال فيهما:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم¹

هـ- لكل مجموعة منها جهة خاصة:

بمعنى أن هذه الأدوات والوسائل مقسمة؛ كل مجموعة منها توجد في جهة معينة. وذلك كما
يأتي:

- خاص بالنص: فمنها ما هو موجود في النص (أو الخطاب) سواء كان ذلك على المستوى
السطحي مثل أدوات الاتساق الظاهرة كالأحالات والوصل وعناصره.. أم على المستوى
العميق مثل: موضوع الخطاب وبنيته الكبرى، وترتيبه، والمناسبة وعلاقاتها والفصل ومبادئه،
والابتداء والتخلص والانتها..

- خاص بالمتلقي: ومجموعة أخرى يجب أن يمتلكها المتلقي حتى يفهم الخطاب وهي التي
يركز عليها بعض الباحثين من أمثال براون ويول² وعلى رأسها: معرفة العالم وما يتبعها من
أعراف الحبك والاستدلال.

- خاص بالعالم الخارجي: وهو محدود ويتلخص في خصائص السياق المقامي، فإذا كانت
معرفة المتلقي لها تجعلها وسيلة خاصة به فإن وجودها في ذاتها بغض النظر عن امتلاك
المتلقي لها من عدمه له دور في انسجام النص نفسه، وعليه فعلى سبيل المثال: إن القول
الذي يقال في غير مقامه الاجتماعي لا قيمة له.³

يبدو أن التصنيفات الخمسة السابقة الذكر (من أ إلى هـ) لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام
تفيد في تعليميتها من عدة وجوه ومنها:

1 - المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1400هـ. 1980، ص232.

2- ينظر: البحث، ص 222 وما بعدها.

3- ينظر: البحث، ص214.

- ضبط التحكم في برمجة الأدوات والوسائل وفق المراحل وبشكل شمولي ومتوازن كما وكيفا بين مختلف الأصناف.
- حسن اختيار النص المناسب للأدوات والوسائل المراد تعليمها، وحسب المستوى المقدّمة له، فكلما توفّر في النص هذا الصنف أو ذاك من الوسائل كان النص مناسبا أكثر.
- دقة اختيار الأسئلة المناسبة. فقد يدرس ويناقش صنف ولا يناقش غيره مع وجوده في النص وذلك لعدم جدوى إثارته.
- ضرورة وضع النص في سياقه من خلال مقدمة كافية ومناسبة لمستوى المتعلم.

13.1- الحاجة إلى التقعيد:

رغم النقائص المسجلة سابقا في الاتساق والانسجام وأدواتهما ووسائلهما، ورغم- على الخصوص- لا محدودية الأدوات والوسائل فإن جانبا مهما وعددا معتبرا منها خال من السلبيات وهو محدّد وبارز يمكن اعتباره متفقا عليه يقول الفقي: « وأقوال علماء النص حول الأدوات التي تحقق التماسك النصي متعددة وتختلف في الغالب عن بعضها؛ غير أن هناك أدوات مشتركة بينهم، وهذا الاشتراك ليس إلا إبرازا لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا في ذكرها، وهي- فيما نرى- تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي.¹» وعليه فإن الاقتراح الذي تقتضيه التعليمية السليمة التامة هو أن توجد قواعد ثابتة مثل قواعد النحو والبلاغة يعتمد عليها في تعليم هذه المادة لا سيما في دائرة الأدوات والوسائل التي تضمن صحة تركيب الكلام وسلامة تعبيره وبالتالي فهمه، وقد دعا بعض الباحثين إلى هذا التقعيد،² بل إن بعضهم اقترح له نماذج، وهذا ما يسعى البحث إلى تحقيقه في الميدان التعليمي.

1- الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص115.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص252.

- **خلاصة النظرات:** والمتأمل في مجموع هذه الملاحظات يجد أن منها الإيجابي ومنها السلبي ومنها الحيادي، ولكنها في كل الأحوال لا تخلو كل واحدة منها من فائدة تعليمية سجلت في نهايتها مع المقترح المناسب لها، وخلاصتها كالآتي:
- حادثة نشأة علم النص الذي ينتمي إليه "الاتساق والانسجام" لها تأثيرات غير إيجابية على تدريس مادته، فلا بد من استدراك الأمر بتطويره واستكمال نقائصه. و ملائمة للعربية مساعدة على تعليميته فيها.
- لا بأس باستثمار وتوظيف جماليات الاتساق والانسجام في تدريس الأدب ولكن مع الحذر من الانحياز إلى الجانب الجمالي وحده حتى لا يسوء فهم الظاهرتين.
- كما يمكن الاستفادة من الأنماط الجمالية التراثية لهما مع الحذر من التقيد بها لأن النمطية تقيد الإبداع.
- نسبية الانسجام تدعو أكثر لتعليمه مع ضرورة مراعاة مستوى المتعلم ووضع النص في سياقه قبل عرضه.
- الاتساق والانسجام مرتبطان بأغلب مواد العربية ونشاطاتها، وهذا يزيد من أهمية تدريسهما.
- لا محدودية عدد أدوات ووسائل التماسك لا تمنع من تدريسها لأن فيها قسماً معتبراً ثابتاً وواضحاً.
- ظاهرة التداخل و التشابه بين هذه الأدوات والوسائل تؤثر سلباً في تعليمية المادة، وذلك تستدعي جهوداً إضافية كافية لمعالجة الظاهرة حتى تتمايز.
- يجب استبعاد ما لا يتفق مع اللغة العربية من الأدوات المستعملة في لغات أخرى، حتى لا يقحم في العربية ما ليس منها.
- لا بد من تصفية الأدوات والوسائل وتدقيق المفهوم الوظيفي لكل منها ومن ثم تنقيتها مما ليس منها وهو مسمى بها وذلك تسهيلاً لتعليمتها.

- لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام تصنيفات عديدة ينبغي أن تراعى ويستفاد منها في التعليم الثانوي وتحدد من خلالها ضوابط تدريس المادة.
- كل ما سبق لا يفيد شيئاً ما لم توجد "قواعد تعليمية" ثابتة لمادة لسانيات النص، على غرار النحو والبلاغة وغيرهما.

2 - الضوابط التعليمية للتقعيد ومنهجيته:

- انطلاقاً من النظرات السابقة واستناداً إلى غيرها مما جاء في البحث تضبط - في ما يأتي - خصائص القواعد المستهدفة ومنهجية استنباطها.

1.2- الخصائص التعليمية للقواعد النصية العربية:

إن من أهم ما يستخلص من النظرات السابقة هو أن ما جاء في القسم النظري من البحث لا يؤخذ على إطلاقه وإنما ينبغي أن ينتقى منه في التطبيق ما يتوافق والملاحظات الواردة آنفاً التي تدور في مجملها حول ثلاثة مميزات للقواعد المقصودة تميزها عن غيرها من عموم قواعد اللغة التي تناولها البحث في مبحث " التقعيد " ؛ وهي مميزات: النصية . التعليمية . العربية.

فالملاحظات المتمحورة حول هذه المميزات تستلزم خصائص تضبط القواعد المنتظرة ، بوساطة تجمع بين ثنائيات تبدو متعارضة في ظاهرها ولكن البحث لا يرى مانعاً من الجمع النسبي بينها، في مقارنة لوصل التقليدي بالحديث، بدافع تعليمي، دون الدخول في التناقض والاصطدام بطبيعة الأشياء. وهذه الثنائيات هي: نصية - جمالية / خاصة - كلية/ تربوية - علمية / إبداعية - نمطية / مراعاة المستوى الدراسي - الانتقاص من حقيقة المدروس.

1.1.2. قواعد نصية لا تستغني عن الجُمليّة:

من البديهيات التي لا تكاد يخلو من ذكرها بحث في الموضوع هي أن اللسانيات النصية (مجال البحث) تمثل انتقالاً من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" حين ظهر "نحو الجملة"

قاصرا عن معالجة القضايا المتعلقة بالنص ككل¹ ؛ وبالرغم من محاولة البعض إقامة حدود فاصلة بينهما؛ بل ذهب بعضهم إلى حد إعلان موت النحو التقليدي (نحو الجملة) وتشجيع جثمان النحاة على حد تعبير بول روبرتس² إلا أن ذلك لم يثبت في واقع الأمر حيث بينت معظم البحوث أن الدراسات النصية لا يمكن أن تستغني عن "نحو الجملة" الذي تبقى الحاجة إليه لأسباب موضوعية بل عضوية كحاجة الكل للجزء، لأن الجملة هي الأساس الذي تقوم عليه اللغة، إنها المظهر الذي تتجلى من خلاله الطاقات الاستعملية للنظام اللغوي، فبدونها تبقى اللغة مجرد قائمة من الألفاظ الصامتة. ولهذا اشتغل بها الباحثون منذ الأزل البعيد باعتبارها المدخل الأساسي للدراسة اللغوية.³ والنص يحتوي الجملة وما يفوقها وما هو دونها.. وهذه المستويات الثلاثة في دلالتها ترتبط بالمقام ارتباطا واحدا؛ وهذا الارتباط يعتمد طرفا التواصل في تركيب الكلام وتحليله؛ لكن نحو الجملة قاصر عن بيان وجوه هذا الارتباط ، إذا ما تعدى الملفوظ مستوى أكبر وحدة لفظية يشتغل عليها (أي الجملة) بالزيادة أو بالنقصان. وتظهر هاهنا الحاجة إلى جهاز وصف يتجاوز حدود الجملة، فيقف على دلالة النصوص والبنية التي تحكمها.⁴ بهذا يظهر التداخل بين النص والجملة ونحويهما ولاسيما في تماسك النص لأن تماسك الجزء (الجملة) من تماسك الكل (النص)، الأمر الذي يجعل "القواعد النصية" لا تستغني عن الجمالية، وعليه سيلجأ البحث في قواعده إلى القضايا النحوية للجملة ما تعلق بالتماسك منها كالإسناد والإعراب والعطف وغيرها.

وهنا تبرز مسألة هامة تتعلق بتعليمية المادة ولا بد أن تطبق في موضعها بما يناسب مستوى المتعلمين وتتمثل في أن تناول هذه القضايا النحوية لا يكون بالطريقة ذاتها التي يتناولها بها النحو التقليدي (المتأخر الإنتاج) وإنما تتوخى فيها معالجة كل الجوانب التي تخدم الطابع النصي للدراسة، ذلك أن مفهوم القواعد هنا "لا يتأسس على القوانين النحوية التي تسهم في

1- ينظر البحث، ص 15.

2- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ص561، نقلا عن: بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية، ص29.

3- ابن عيسى ، عبد الحليم ، القواعد التحليلية في الجملة العربية، ص10.

4- الزناد ، الأزهر، نسيج النص، ص16.

تركيب أركان الجملة فحسب؛ بل هو شامل وجامع لمختلف المعطيات الصوتية والصرفية والدلالية التي تسهم في تكوين الجملة¹

وللتذكير فإن الدراسة الشاملة بهذه الكيفية ليست غريبة عن اللغة العربية فقد تطرق البحث إلى أن علماء العربية القدماء الأوائل كانوا ينظرون للنحو نظرة شمولية فهو عندهم مجال لدراسة كل القضايا اللغوية.²

وبسبب هذه العلاقة بين النصية والجمالية فإن الدخول في الدراسة النصية (حول التماسك) لا يسهل للباحثين المعاصرين إلاّ بعد التمهيد لها مطولا بفكرة التداخل هذه بين الجملة والنص لأن النصية لا تستغني عن الجمالية.*

2.1.2. قواعد خاصة بالعربية وتلتزم بالمبادئ الكلية:

القواعد الكلية هي حصر للقواعد الفطرية التي تحكم اللغات البشرية؛ واللغة العربية واحدة من هذه اللغات لا يمكن أن تفلت من نظامها الطبيعي، فالقواعد الكلية تنطبق عليها كما تنطبق على بقية اللغات ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون لها خصوصيات لا تشملها هذه القواعد، يقول تشومسكي: «كل قواعد عائدة إلى لغة معينة تلتزم بمبادئ القواعد الكلية وإن تكن تبرز، زيادة عليها، قضايا عرضية تميز هذه اللغة»³ فهذه خاصية من خصائص القواعد التي يستهدفها البحث؛ فهي وإن كانت خاصة بالعربية كما هو مثبت في العنوان فهي لا يمكن أن تهمل ما هو مشترك بينها وبين بقية اللغات. فإذا كانت - مثلا - تتناول الإعراب الذي هو من خصوصياتها وتفصل في قضاياها المتعلقة بالتماسك فهي لا تهمل قضايا أخرى مثل الإحالة والعديد من وسائل الانسجام التي تستعملها كل اللغات؛ وهذه الخاصية تجعل العمل لها يدخل ضمن التوجه الذي يعمل العديد من الباحثين العرب المعاصرين في خطه أولئك

1- ابن عيسى ، القواعد التحويلية في الجملة العربية، ص15.

2- ينظر البحث، ص24.

*- ومن هؤلاء الباحثين الأزهر الزناد ، في مقدمة "سجته"، حيث قال في خاتمتها: «وقفنا من خلال ما سبق على التداخل بين نحو الجملة ونحو النص في وجوه كثيرة... هي كافية لتبين ما به يدفع الفصل بين المستويين في الإنجاز اللغوي العامل والجهاز العلمي الواسع، وهذا التداخل يفرض البحث عن تواصل بين المستويين والنحوين.» وكذا ستفعل قواعدا.

3- نقلا عن: زكريا، ميشال، النظرية الألسنية (1986)، ص73.

الذين يحدوهم الإيمان " بأن البحث عن معالم لسانيات نصية عربية ممكن"¹ وقد أثمرت جهودهم، بالفعل، إنتاج مؤلفات تعالج الخاصية ذاتها، اعتمد البحث على البعض منها* وتتوعد أهداف هذه الجهود بين تطبيق ما أنتجته الألسنية الحديثة على اللغة العربية وإبراز الخصوصيات الألسنية التي تميز العربية واستكشاف القضايا العربية التي لم تثرها الألسنية؛ ويهدف البحث إلى أن تحقق قواعده شيئاً من هذا كله، وهنا يتقاطع هدفه مع هدف أحد الباحثين الذي يصف عمله بقوله:« وهذا العمل ليس بحثاً في النظرية التوليدية والتحويلية(...) إنه استثمار لبعض أفكارها الأساسية من أجل مقاربتها بالطروحات العلمية التي قدّمها لغويونا في تفسير الجملة، وتوضيح المظاهر التحويلية التي تصيها، والسبب الذي جعلني أبحث وفق هذا المنظور هو ملاحظتي أنه على الرغم من أن اللغات قد تضبطها قوانين كلية(...) فإن لغتنا العربية، شأنها شأن اللغات الطبيعية الأخرى، توطرها خصوصيات، تجعلها تتضمن بعض القضايا والظواهر التي قد تكون النظرية التحويلية لم تُثرها.»²

وإتماماً لوصف هذه الخاصية لأبد من التأكيد على أنه كما أن للعربية خصوصياتها فإن لكل لغة من اللغات الأخرى خصوصياتها كما أشار البحث في نظراته السابقة (9.1)، وكما أن طبيعة اللغات الأخرى لا تقبل ما كان خاصاً بالعربية فإن هذه القواعد سوف تستبعد ما لا يتلاءم مع طبيعة اللغة العربية.**

3.1.2- قواعد تربوية الغاية علمية الوسيلة:

هذه القواعد تربوية تهدف إلى تعليم الدارس في الثانوية إنتاج وفهم وتذوق النص المتناسك الصحيح، وهي بهذا تلتقي مع نشأة النحو العربي ووضع كتب اللغة في العصور الأولى في نفس الهدف، لأن الغاية حينها كانت تعليم اللغة العربية السليمة حسب ما تذكر عموم

1- مصلوح ، سعد ، نقلاً عن: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية، ص32.

*- من هؤلاء: زكريا ميشال ، بعناوين مختلفة العبارة تدور كلها حول الألسنية الحديثة واللغة العربية، وكذا عبد الحليم بن عيسى، بعنوان: القواعد التحويلية في الجملة العربية.

2- ابن عيسى ، عبد الحليم، القواعد التحويلية في الجملة العربية، ص5.

**- ينظر عينة من أقوال الباحثين في هذا المضمار، البحث، ص 291 (الفتي في النظرات السابقة).

المراجع، وفي تعريف ابن جني للنحو تصريح بذلك إذ يقول: هو «انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره (...)» ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة¹ ويظهر كذلك في إشارة علماء العربية القدامى (المتقدمين منهم والمتأخرين) مسألة صحة الكلام ومقبوليته ومستويات تفاوت انحرافه عن معيار "الملاءمة مع أصول استعمال اللغة"²؛ ومن هؤلاء سيبويه* إذا يقول: «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة.

فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب:

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غدا.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا وسأتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر، ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت. كي زيدا يأتيتك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.³

واضح أن الكلام "المستقيم الحسن" هو الذي يتطابق مع المعيار وتتفاوت المستويات الأخرى في درجة الانحراف عنه منها ما يقبل (وبخاصة في الانزياح الشعري الحديث) ومنها ما لا يقبل، والغرض من عرض مثل هذه القضايا هنا هو تبين أن البحث يسعى إلى أن تعمل قواعده على هذا المنوال لتكون تربية تقوم بدور آلة الفرز لهذه المستويات المحتملة في الكلام ومعيارها في ذلك "التواصل الناجح مع مراعاة أصول اللغة العربية الفصيحة وقوانينها".

1- نقلا عن: السيوطي، الاقتراح، ص37.

2- زكريا، ميشال، الأسننية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، هامش ص ص 11-12.

*- ومنهم أيضا: أ- ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب، عندما يشير إلى مراعاة المتكلم الأصول وإلى سلوكه الكلامي.

ب- ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها، عندما يتكلم عن مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله.

ج- السيوطي في اقتراحه، في موضوع: الكلام الجائز والممنوع.

3- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، 1435 هـ -

2014م، ط5، ج1، ص25.

ولقد سبقت الإشارة إلى أن "القواعد التربوية" تقابلها "القواعد العلمية" (الأسنوية) ويمكن أن تستفيد الأولى من الثانية¹ بحيث تقود القواعد الأسنوية العلمية عملية وضع القواعد التربوية التعليمية وتساعد في حل مسائلها وتوجه إعداد المادة التعليمية ومراحل تعليمها المتدرجة²، وهذا هو النهج ذاته الذي يسير عليه البحث فهو يعمل بالنظريات الأسنوية النصية من بدايته إلى استنباط قواعده، فهي إذن قواعد تربوية الغاية علمية الوسيلة.

ولأنها قواعد تربوية تعليمية فهي في الغالب معيارية إلا أنها ليست صارمة في معياريتها للأسباب الآتية:

أ- الطبيعة اللسانية النصية للموضوع، واللسانيات النصية بطبيعتها ليست مجموعة من القواعد الصارمة³ وقد سبق أن أشار البحث إلى أن مهمة اللساني تتصل بالتوجه الذي يمثله المعيار المرجع لأنه يحتاج إلى وصف كل ما أنتج من كلام بغض النظر عن مستويات الاستعمال المختلفة ودون إهمال ما يعتبر خاطئاً من وجهة نظر المعيار التقديدي⁴.

ب - المعيارية الصارمة لها سلبياتها وأخطاؤها ومنها أنها قد تُوجد في اللغة ما ليس منها لأن القياس المعياري يفرضه ولذلك كثيراً ما يقال في مسألة واحدة "القياس كذا والسماع كذا" وهما مختلفان مع أن السماع هو الأصل وذلك مثل: فعل الأمر من "أمر" الذي يستعمل "أؤمر" قياساً على كتب اكتب وجلس اجلس ورفع ارفع والمسموع فيه: مُر مثل أخذ خُذ . أكل كُل⁵.

ج - الشعرية وانزياحاتها في النصوص الأدبية لا تقبل التقييد المعياري الصارم وذلك مما ستوضحه أكثر الخاصية القادمة.

1- ينظر البحث، ص 87.

2- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الأسنوية وتعليم اللغة، ص 12.

3- ينظر: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية، ص 29.

4- ينظر: البحث، ص 79.

5- ينظر: حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 34. وكذا: طالب، عبد الرحمن، العربية تواجه التحديات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، الدوحة، قطر، 2006 م . 1427 هـ ، ط 1، ص 101، وفي هذا الأخير أمثلة أخرى من اللغة العربية وغيرها.

وكمثال لتقريب صورة هذه المرونة المعيارية المقصودة يمكن التذكير بأن العربية عرفت من قديم ما يسمى بالضرورات والجوازات الشعرية، فهي انحراف عن القواعد المعيارية مسموح به، ولكن انحرافات الشعرية المعاصرة أكثر انفتاحا وأشد تفلّتا عن الحصر والضبط.

4.1.2 - قواعد تساير الإبداع ولا تقبل تنميته:

تتاول البحث دور كل من الاتساق والانسجام في الكلام، وخلص إلى أن دورهما المشترك الأساسي هو تحقيق التماسك النصي الذي يضيف بدوره أثرا جماليا يكون ناتجا عن طبيعته في ذاته دون تكلف ولكنه يزداد جماله رونقا بالعناية البلاغية المقصودة من المنتج، وبذلك يدخل الاتساق والانسجام بأدواتهما في مجال الإبداع الفني حتى إن بعض وسائل الانسجام تأتي جمالية بلاغية خالصة.¹

ولقد اهتم العرب القدماء خصوصا بالجانب الجمالي للاتساق والانسجام اهتماما بالغا لدرجة أن بعضهم سعى إلى ترسيخ أنماط جمالية محددة أشبه ما تكون بالقواعد، وقد أعاب البحث هذا المسعى في نظراته السابقة² ولكن في ذات الوقت دعا إلى الاستفادة تعليميا من هذه الأنماط المقترحة وحذر من التقيد بها وإبقاء التعليم الأدبي حبيسا لها كأنها قواعد ثابتة لأن التتميط الجمالي يقيد الإبداع. وهذا ما سيعمل به البحث وتتسم به في بعض قواعده المنتجة وهو أنها تساير الإبداعية وتشجع عليها بشكل لا يقبل النمطية ولا يخدمها.

وإذا كان رفض التتميط مبررا في النظرة المشار إليها أعلاه فإن مسايرة الإبداع مبررة أيضا في عنصر سابق³ حيث تتاول البحث "الأهمية التعليمية لتقعيد الاتساق والانسجام" وبيّن أن الأمر يدخل ضمن هدف "مواكبة اللغة العربية لمستجدات العصر" ووجه التبرير المقصود هنا بالتحديد هو أن العصر الحديث تتميز منتجاته الأدبية بشكل بارز وواضح - وخصوصا في الشعر - بالاعتماد المكثف على التركيب الاستعاري الذي يؤدي إلى الغموض والتعقيد نتيجة الانزياح والانحراف عن المعيار المعهود في اللغة، مما يجعل النص يبدو لأول وهلة

1- ينظر البحث، في الجهود العربية عند البلاغيين والنقاد ص ص 237 - 264.

2- ينظر: البحث في النظرة رقم (4.1)، ص 281.

3- هو رقم (2.4.4) من المبحث الثالث من الفصل الأول من البحث، ص 99.

مفككا لا قيمة له ولكن اللجوء إلى طرق التحليل الحديثة التي تكتشف له وسائل انسجامه تعيد فيه الروح وتجمع شتاته في ذهن المتلقي الذي يعيش عندها المتعة الشعرية الناتجة عن " لذة القراءة الكاشفة المكتشفة".¹

ولأن اللسانيات النصية هي المعنية بوصف صور الانحراف عن المعيار في النص، كما تشير مختلف المراجع² فإن هذا البحث سيعالج الظاهرة ويحاول تفسيرها والوصول إلى كفاءات تحققها وكشف طرق الانتقال من الانتظام إلى عدم الانتظام ولكن ذلك لا يعني وضع قيود تحد من عملية الإبداع وتحدده في أنماط معينة* وإنما يعني ما وصفه "شميث" بقوله: « وإذا تحدد المعيار على أنه قواعد لغوية تنتمي إلى النحو الأساسي، فإن قواعد الإقناع بالخلق اللغوي [الإبداع] توصف بأنها قواعد ثانوية، أما أنها قواعد فذلك راجع إلى انحرافها بناء على نظم معينة، وأما أنها ثانوية فالسبب أنها قواعد منحرفة عن قواعد النظام الأساسي الموجودة»³، فهذه " القواعد الثانوية" أو هذه " النظم المعينة" التي يبنى عليها الانحراف - كما في القول الأخير - هي التي سيتناولها البحث في قواعده رغم اعترافه "بوجود معرفة عند المتكلم تتعدى معرفته بالنظام اللغوي، وهي معرفته بنظم المجاز والتعبير الأسلوبي... الخ وهذه الأمور لا علاقة لها بنظام القواعد ومعرفتها، بل توجد خارج نطاق المعرفة اللغوية"⁴ ورغم أن تحليل الخطاب الشعري المعاصر يقوم على نفي كون النص الأدبي تلك الواحة التي يلقي القارئ بجسده عليها طلبا للراحة بل هو هم وعمل يلازمه فلا يستطيع الظفر بثماره إلا بعد تعب ولم يعد القارئ مجرد مستهلك للنص بل أصبح منتجا ومشاركا فيه بصورة أو بأخرى*** حتى نادى بارت R.Barthes "بإعلان موت المؤلف"⁴ بمعنى أن القارئ له الحرية اللامحدودة في فهم النص وإعادة بنائه وتشكيل صورته دون حاجة إلى ما يقصده المؤلف نتيجة طغيان الانحرافات اللغوية والانزياحات الشعرية ؛ فرغم هذا

1- ينظر: البحث، ص 100.

2- ينظر مثلا: بحيري، سعيد، علم لغة النص، ص140، واللفظ هنا لبوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية، ص53.

* هذه المعاني مستوحاة من المرجعين السابقين في الصفحات نفسها.

3- نقلا عن: بحيري، سعيد، علم لغة النص، ص141.

** - العلوي، رشيدة، النحو التوليدي، ص26. حيث تضرب المثل الآتي: «فحينما يقول أحدا للآخر: " هذه الشجرة تشكو الجفاف" فهذا القول قد يقصد منه قائله (طلب أن يسقي الشجرة)». وتضيف مثلا آخر لتشومسكي « عن أناس لا يمتلكون هذه القابلية (فهم المجاز) وتقتصر معرفتهم بلغتهم على معرفة نظام القواعد فقط، ولذلك تراهم، حين يطلب منهم "قلب الورقة"، أي نسيان الماضي والبدء بصفحة جديدة، تجدهم يقلبون أصيص الورد كي تتقلب أوراقه ظهرا لبطن».

*** - هكذا يرى - مثلا- عيسى فوزي، النص الشعري وآليات القراءة، ص 09، نقلا عن: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية، ص57.

4- ينظر: أ- بحيري، علم لغة النص، ص142. ب- الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص 114.

وذاك فإن الأعمال اللسانية تسعى جاهدة للبحث عن قواعد "شميث" الثانوية المذكورة آنفاً وحققت منها شيئاً ملموساً¹ مثل "التعالق الاستعاري" الذي أدرجه البحث كأحدى وسائل الانسجام²، وظهر كيف أن الطريقة التي توصل بها لإثبات ذلك وصفية وليست نمطية مقيدة للإبداع، مما يدل على طبيعة قواعده حين يتعلق الأمر بالجمال والإبداع الأدبي وما يستدعيانه من انزياح شعري وانحراف لغوي عن المعيارية.

وهنا يجدر التوقف عند مسألة ضمانات التواصل السليم وصحة اللغة: فهل يمكن تحديد ضوابط للانحراف؟

نعم، إن الإبداع الفني والشعري لا يعني الهذيان وإهدار قيمة اللغة، فحتى يضمن الانحراف التواصل السليم ولا يستهلك المعنى ويذهب بريح اللغة؛ عليه أولاً ألا ينال من خطوط الكلام الأساسية كالإعراب في العربية، ثم لا يتعدى حدود ضوابط لا تقيد الإبداع ولكنها تحقق الضمانات المقصودة .

تطرق سيبويه قديماً لما هو من جنس هذه المسألة عند معالجته قضية الجوازات الشعرية تحت تسمية " ما يحتمل الشعر " وجعل الضامن للتواصل بين الشاعر وهو يرتكب تلك الجوازات والمتلقي هو العلاقة بين المقيس أي الجوازات والمقيس عليه وهو الوجوه اللغوية التي حدها في مجالات ثلاثة هي " التشبيه والرد إلى الأصل والحمل على كثرة الاستعمال"، فلأن للجوازات وجهاً مألوفاً في اللغة في غيره من السياقات يتمكن المتقبل من تفكيك الاضطراب الموجود ورده إلى الانتظام المعهود، ومتى تعطلت إمكانية تفكيك الانحراف ورده إلى الوجوه الثلاثة التي حدها سيبويه يكون الخروج من المرونة التي تسمح بها اللغة.³

ويبدو أن الإبداع الجمالي والفني والانزياح في الشعر الحديث لا يخرج عن هذه الضوابط مادام لا يهتك قوانين اللغة الأساسية ومادام قابلاً للتفسير حتى وإن كان ذلك بصعوبة لا تذللها إلا معطيات ومعارف غير مشاعة تكون مهراً لمتعة لا ينالها إلا القارئ الذي يمتلك

1- ينظر: مثلاً: خطابي، محمد، لسانيات النص، في تحليله لنص شعري حديث " فارس الكلمات الغريبة" لأدونيس.

2- ينظر: البحث، ص 249.

3- ينظر: في الكلام الأصلي: سيبويه، الكتاب، ج1، ص26.

وفي التعليق عليه: الشارني، مجيد و فارس، فتحي، مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، ص 170.

آليات قراءة النصوص المفتوحة التي قد تستقي معارفها من علوم أخرى ؛ يقول سعيد يقطين: « يبقى النص مفتوحا وتظل قراءتنا ومشروعنا منفتحاً على السؤال والبحث والاستفادة من الإنجازات الهامة في مجال علوم الأدب والعلوم اللسانية والاجتماعية بما يسهم في إنجاز قراءة أكثر إنتاجية وأكثر انفتاحاً وقبولا للتطوير والإغناء: إغناء وتطوير وعينا وقراءاتنا للذات وللنصوص التي تنتج، أي بكلمة موجزة: إغناء المنهج الذي به نحل، والنص الذي نقرأ...»¹ وهذه الصعوبة أمر طبيعي في وسائل الانسجام ذكرها البحث حين تناول في نظراته السابقة أن وسائل الانسجام فيها ما هو قريب المنال وما هو بعيد الذي " لا يدركه ولا يعرف قيمته ولا يفك شفرته إلا ذوو مستويات معرفية عالية في الموضوع ، قد يحتاج الأمر إلى أدباء ومحللين كبار"².

ومادام الأمر هكذا فتوافر مثل هذه المعطيات لدى القارئ مطلوب، مما يؤكد لزوم تعليم آليات قراءة الشعر الحديث ووسائل انسجامه ضمن قواعد البحث.

5.1.2 -قواعد تراعي مستوى المتعلم دون إخلال:

أهم سمة للقواعد المأمولة أنها "تعليمية" ولأنها هكذا فلا بد أن تراعي مستوى المتعلمين، وهذه ضرورة تقتضيها طبيعة الأشياء، فلا يمكن أن يستوعب المتعلم أكثر من طاقته الذهنية، ولذلك نجد مختلف أصناف العلوم تصنف صنفين: تعليمية تقدم للدارسين وعلمية خاصة بالعلماء والباحثين وسبقت الإشارة في البحث إلى أن قواعد اللغة منها هذا وذاك.³

ومراعاة المستوى التعليمي يعني التبسيط والتكليف والتوضيح والإيجاز بل التقليل والحذف من المعلومات والمعطيات وكل ما من شأنه أن ينزل إلى مستوى المتعلمين الذي هو أقل من مستوى الباحثين الذين يتعاملون مع المادة كاملة دون نقصان بكل عمق وتفصيل، ومع ذلك فإن مراعاة المستوى التعليمي لا يعني الإخلال بحقيقة المادة أو تغييرها؛ لأن السكوت عن صفات معينة في الشيء حين لا يكون ذكرها مناسباً أو تقديم بعضها وتأخير بعض لا يغير

1- يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي، النص . السياق، بيروت ، المركز الثقافي العربي، 1989، د.ط، ص151.

2- ينظر: البحث، النظرة (12.1) بعنوان مختلف تصنيفات الأدوات والوسائل، التصنيف د .

3- ينظر: البحث، " تربية الغاية علمية الوسيلة " ص 302.

من حقيقة ذلك الشيء ولا ينقص منه وإنما يجعله يظهر في صورته المناسبة للظرف والمقبولة لدى المتلقي؛ وستتجلى هذه الخاصية في القواعد من خلال المظاهر التالية:

أ. السهولة وقرب المنال:

ستتوخى هذه القواعد السهولة في العرض من الناحية الشكلية والأسلوبية ولن تحوي في مضمونها إلا المفاهيم القريبة المنال التي يستوعبها الدارس الثانوي دون عناء كبير، ومن الطبيعي أن تكون هذه هي الصفة الأساسية للمواد التعليمية حتى إن كل العلوم المتصفة بها تسمى "تعليمية"، مثلما هو الحال في أصول النحو . مثلاً . حيث تصنف "علة" إلى ثلاثة أضرب ، وهي: علل تعليمية وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية، والمتأمل في ثلاثتها يجد أن أسهلها وأوضحها وأقربها للفهم هي العلل التعليمية، ثم تتدرج في الصعوبة والعمق بين الصنفين الموالين. ولاستجلاء الأمر أكثر يمكن نقل هذه الأمثلة المقارنة بين الأضرب المذكورة لأبي قاسم الزجاجي في كتابه "إيضاح علل النحو" حيث يقول: « فأما التعليمية: فهي التي يُتوصل بها إلى تعليم كلام العرب (...) ومن هذا النوع من العلل قولنا: "إن زيدا قائم" إن قيل لِمَ نصبتم زيدا؟ قلنا: بـ"إن" لأنها تنصب الاسم، وترفع الخبر، لأننا كذلك علّمناه ونُعلّمه. وكذلك "قام زيد" إن قيل: لم رفعتم زيدا قلنا لأنه فاعل اشتغل فعله به فرفعه فهذا وما أشبهه من نوع التعليم، وبه ضبط كلام العرب.

وأما علته القياسية فإن يقال: لم نصب زيد بـ"إن" في قوله: "إن زيدا قائم" ولم يجب أن تنصب "إن" الاسم؟ والجواب في ذلك أن نقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول فحُمِلت عليه وأُعْمِلت إعماله لِمّا ضارعت فـالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله نحو: "ضَرَبَ أخاك محمدٌ" وأشبه ذلك.

وأما العلل الجدلية النظرية: فكل ما يُعْتَلّ به في باب إن بعد هذا، مثل أن يقال لك: فمن أي جهة شابحت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها أبا الماضيّة أم المستقبلية أم الحادثة في الحال؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قُدّم مفعوله على فاعله. وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل وذلك الفرع؟ فأَي عِلّة

دَعَتْ إلى إلحاقها بالفرع دون الأصل؟ إلى غير ذلك من السؤالات. فكل شيء اعتل به جوابا عن هذه المسائل فهو داخل في الجدل والنظر».¹ ومحل الشاهد في ما سبق هو أن المقارنة بين أضرب العلل الثلاثة تسفر على اكتشاف سمة السهولة والبساطة بل السطحية لما هو تعليمي وذلك يبرر اتسام قواعد البحث - وهي تعليمية - بالسمة ذاتها.

وسبق للبحث أن قارن بين القواعد التربوية والقواعد العلمية² وفي تلك المقارنة ما يؤكد المعنى المذكور؛ كما أشار في نظراته التعليمية السابقة إلى أن الانسجام نسبي وأن بعضه ليس في متناول الجميع، مما يؤكد أيضا حتمية مراعاة مستوى الدارسين في قواعده والعمل بالاقترحات التعليمية المقدمة هناك.³

ب . التركيز على الأساسي والضروري:

أورد البحث في نظراته السابقة أيضا حول الاتساق والانسجام وأدواتهما جملة من الملاحظات تقتضي الانتقاء واجتتاب ما لا يناسب مستوى الطلبة منها، ليتم التركيز على ما هو أساسي وضروري للتماسك النصي تقاديا للتشويش على أذهان الدارسين بما ليس من ورائه كثير فائدة ، ومن هذه الملاحظات ومقتضياتها ما يأتي:

- من الأدوات والوسائل ما هو أساسي وضروري ومنها ما هو كمالي ومنها ما يفيد صحة الكلام ومنها ما هو خالص لتحقيق جماله، فالتركيز سيكون على الأساسي والضروري وما يفيد الصحة دون إبعاد ما هو بارز ومستعمل بكثرة مما يحقق الجمال، فالإبداع الجمالي لا يمكن حصره كله.

- اللامحدودية والاختلاف فيها بين الباحثين يستدعي التعيد لما هو بارز ومشهور ومشترك قدر الإمكان ولا مانع هنا من إعادة ذكر ما قاله الفقهاء في المسألة لأهميته: «وأقوال علماء النص حول الأدوات التي تحقق التماسك النصي متعددة وتختلف في الغالب عن بعضها ؛

1- نقلا عن: السيوطي، الاقتراح، ص111.

2- ينظر: البحث، ص86 وما بعدها.

3- ينظر: البحث، ص 283.

غير أن هناك أدوات مشتركة بينهم، وهذا الاشتراك ليس إلا إبرازاً لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا في ذكرها، وهي - فيما نرى - تمثل الأدوات الرئيسية للتماسك النصي¹ - وكذلك ملاحظات: "كونها ليست كلها أدوات ووسائل محضة" و"حاجة بعضها إلى التدقيق في التسمية" و"مختلف صور التداخل والتشابه" كلها تستدعي المراعاة بعين الاعتبار والعمل بما فيها من اقتراحات تعليمية² من أجل الوصول إلى بناء قواعد أساسية وضرورية دون الدخول في فرعيات وجزئيات غير مجدية للمرحلة التعليمية المستهدفة.

جـ. النص المكتوب هو المدونة الأولى:

تقسم الأدوات والوسائل من حيث الجهة المعنية بها إلى ثلاثة أصناف: صنف للنص وصنف للمتلقي وصنف للسياق الخارجي³؛ والذي يهم هذه القواعد وتركز عليه أكثر هو التماسك الموجود في النص "المكتوب" مثل الأدوات الظاهرة كالأحالات والوصل وعناصره، أو ما هو على المستوى العميق مثل: موضوع الخطاب وترتيبه والفصل ومبادئه... ولكن ذلك لا يعني الإغفال النهائي للوسائل الخاصة بالجهات الأخرى إذا كانت واضحة وتناسب المستوى.

وسبب هذه الأولوية (للنص المكتوب) يعود أولاً إلى أن التعليم الثانوي يعتمد "المقاربة النصية" في تدريسه فلا بد من ربط كل نشاط بالنص قبل غيره؛ ثم لأن النص المكتوب هو الذي يتعامل معه الدارس وكل معطيائه ملموسة بين يديه وذلك أدعى للتعلم وأسهل للإفهام، هذا فضلاً على أن أغلب وسائل الانسجام الخارجة عن النص ذات مستوى عميق قد تتنافى مع مظهر مراعاة المستوى "أ" (أي السهولة وقرب المنال).

ويدعم هذه المبررات نظريات نصية يمكن الاستئناس بها سواء كانت راجحة أم مرجوحة، مادامت تمثل مذهباً موثقاً يحقق تبنيه الغرض التعليمي المقصود، وهي تلك النظريات التي تعتمد على النص بالدرجة الأولى في تحليلها له واستخراج كوامنه، ويلخصها سعيد بحيري

1- الفقي، علم لغة النص، ج1، ص115.

2- ينظر: البحث في مختلف نظراته السابقة.

3- ينظر: البحث، ص296. (النظرات)

في قوله: « ويختار كثير من علماء الدراسات النصية الطريقة التي تعنى بوصف وتحليل الأبنية الثابتة في النصوص لأنها الأصلح للوصف القواعدي، ثم الانتقال إلى ما هو متغير وحرّ، وهو يمثل مقاصد صاحب النص وبعبارة أبسط ما يريد قوله.*»¹

وفق هذا النهج سيسير البحث بالدرجة الأولى إذ يركز في وضع القواعد للأدوات والوسائل على تلك التي تُستخرج من النص وتُطبق عليه، ولكن لا يهمل بعض الوسائل الأخرى الكبرى البارزة المعالم القريبة المنال ولو كانت من خارج النص.

د. التدرج:

العديد من أدوات ووسائل الاتساق والانسجام متكاملة بعضها يخدم بعضها ويدعمه²، بمعنى أن بعضها لا يفهم بسهولة إلاّ بعد عرض ما يخدمه ويمهد له ويساعد على توضيحه قبله، ومن ثمّ فلا بد من التدرج في عرض قواعد هذه الأدوات والوسائل كما يراعى التدرج أيضا في تدريسها، بحيث توزع على مستويات المرحلة الثانوية توزيعا يضمن التغطية الشاملة لها من جهة ومن جهة أخرى يراعى النمو التراكمي في معارفها عند ترتيبها في المقرر.

هذه إذن أهم المظاهر التي ستحقق في القواعد خاصية "مراعاة المستوى التعليمي للمستهدفين بها"، وهي بدورها ستؤدي إلى نتيجة حتمية تعد خاصية عامة لمجموع القواعد حول الأدوات والوسائل على الخصوص ألا وهي "الوضوح والتمايز ومحدودية العدد" بخلاف ما هو موجود في المادة الخام المتمثلة في مختلف النظريات التي تتناول موضوع التماسك النصي حيث تجتمع فيها ملاحظات وصفات مغايرة كما جاء في نظرات البحث التعليمية حولها.

وبصورة إجمالية فإن القواعد التي يسعى البحث لوضعها لها خصائص تميزها وتجمع بين عدة ثنائيات فهي قواعد نصية ولكنها لا تستغني عن القواعد الجُمليّة التقليدية وهي خاصة باللغة العربية مع أنها تلتزم بمبادئ القواعد الكلية المشتركة بين كل اللغات، أما غايتها فهي تعليمية تربوية إلا أنها تستنبط بالاستناد إلى النظريات العلمية الحديثة، كما أنها تساير

*- لا يقتصر هذا القول على النص "المكتوب" (كما في عنوان المظهر ج) ولكنه يفى بغرض الاستشهاد ما دامت الدراسة الأدبية في التعليم

الثانوي تقوم على النصوص المكتوبة فقط فالحديث عن الشفوية غير وارد هنا.

1- نقلا عن: بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية، ص36.

2- ينظر: البحث في نظراته، ص 287.

الإبداعية الجمالية وتشجعها وترفض تقييدها المقيد للإبداع، ولأنها خاصة بالتعليم فإنها يراعي فيها مستوى المتعلمين بجملة من الاعتبارات على رأسها السهولة في العرض وقرب المنال في المحتوى وذلك دون إخلال بحقيقة المادة المقعدة ؛ ولاشك أن هذه المراعاة ستؤدي إلى خاصة جامعة لكل الأدوات والوسائل المقعدة وهي: محدودية العدد بوضوح وتمايز بخلاف مادتها الخام في مختلف النظريات النصية.

2.2. منهجية التقعيد المتبعة:

أركان التقعيد التي اكتشفت في القسم النظري من البحث هي التي ستهيكّل عملية شرح منهجية استنباط القواعد في هذا القسم التطبيقي، وهي: المرجعية والمعيّار والمبادئ والإجراءات والصيغة*؛ وذلك بتحديد وتبيين ماهية المعطيات التي ستمثل كل ركن بالنسبة لقواعد البحث.

أ- المرجعية: تقعيد البحث ليس ميدانيا بحثا ولا تتبنى قواعده من فراغ أي أنه لا يتعامل مع اللغة أو يعالجها مباشرة كما هو الشأن في التقعيد الأصلي وإنما هو جمع لبعض شتات ما أنتجته النظريات اللسانية ومختلف جهود العلماء والباحثين في اللغة قديما وحديثا وانتقاء ما يناسب الموضوع منها و يصلح أن يكون مادة للتماسك النصي، ولذلك فإن مرجعية البحث في التقعيد هي النظريات اللسانية والقواعد اللغوية السابقة وبخاصة العربية منها.

ب - المعيّار: معيار هذه القواعد الذي يبرهن على صحة كون الواحدة منها قاعدة فعلا في المضمار المقصود هو أن تكون من داخل حيّز مرجعيتها ويكون تطبيقها محققا للتماسك النصي والتواصل الناجح، وتكون غير مخالفة لقواعد اللغة العربية الأصلية.

مع ملاحظة أنها قواعد تعليمية فلا بد أن تكون معيارية بالدرجة الأولى إلا إذا تعلق الأمر بالمستوى الجمالي للإبداعي للكلام فإنها تميل إلى الوصفية.

ج - المبادئ: إذا كان للتقعيد الأصلي مبدآن أساسيان هما السماع (أو استحضار المادة اللغوية) واستعمال العقل في المادة المستحضرة؛ فهذا التقعيد لا يختلف عنه كثيرا وإنما

*- ينظر: البحث، ص 73 وبعدها ، حيث شرح مفاهيم هذه المصطلحات.

عوض أن يكون السماع مباشرا من اللغة المستعملة ميدانيا يكون استحضار المادة من النظريات وأقوال الباحثين كما وضح الأمر في المرجعية.

د - الإجراءات: وهي نفس الإجراءات المنفذة " للسماع" في التقعيد الأصلي، ولكن بالشكل المناسب لطبيعة البحث؛ بحيث تبدأ بالبحث والتنقيب في مختلف المراجع عن كل ماله صلة بالاتساق والانسجام وأدواتهما ثم تصنف المادة المستحضرة وتقسّم إلى أبواب ثم تطبق عليها مختلف آليات الاستعمال العقلي وهي الملاحظة والاستقراء والمقارنة والانتقاء والتحليل والاستنباط بخطواته التي اقترحها الباحثون، على أن يكون الانتقاء وفق الخصائص التعليمية للقواعد المذكورة في المطلب السابق.

هـ - الصيغة: آخر خطوة هي صياغة القاعدة بالنمط المناسب (شكلا ومضمونا) من أنماط القواعد المذكورة في القسم النظري، مع مراعاة المستوى التعليمي للمعنيين وبالأخص سمة السهولة واليسر.

هذه إذن منهجية التقعيد التي ستتبع بناء على أركانه الخمسة، فهي لا تختلف عن التقعيد الأصلي أكثر من أن مادتها المرجعية ليست اللغة الميدانية المباشرة وإنما هي ما نقلته النظريات اللسانية والقواعد اللغوية الأصلية قديمها وحديثها؛ وبذلك يكون عمل البحث بعد الجمع ما هو من جنس الملاحظة والاستقراء والانتقاء والتوليف والتحليل والاستنباط ثم الصياغة المناسبة للطبيعة التعليمية المستهدفة.

المبحث الثاني

استنباط القواعد

• تمهيد :

بعد جمع المادة النظرية فيما سبق من البحث، والمتمثلة في مفاهيم النص وعلمه ، والاتساق والانسجام وأدواتهما و كذا كيفية التقعيد ثم عرض الضوابط التي سيسير عليها العمل ، تأتي الآن مرحلة التطبيق والتنفيذ وذلك باستنباط القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في مرحلة التعليم الثانوي، وفق الإجراءات العملية الآتية:

أ-إعادة قراءة المعطيات النظرية والتأمل فيها و تصنيفها وفق الضوابط السالفة،على اعتبار أنها هي المرجع والمدونة التي يستند إليها العمل وتتخذ منها القواعد المطلوبة.

ب- الانتقاء والاستغناء عن المعطيات التي لا تتناسب مع الضوابط والخصائص المذكورة المتعلقة بالمرحلة التعليمية.

ت- استحضار خطوات كيفية التقعيد و أنماط صياغة القواعد.

ث- مراعاة مستوى المتعلمين المستهدفين والطابع التعليمي للقواعد أثناء الصياغة وفق المظاهر المحددة في المبحث السابق، وعلى رأسها سهولة العرض التي قد تستدعي تغيير بعض المصطلحات طلباً للتبسيط، وعدم الخوض في التعليقات النظرية أو عرض النظريات وذكر أصحابها.¹

ج- تقادي الاختلافات الحاصلة بين المنظرين ومحاولة جمع ما هو متشابه في صياغة موحدة. مع ملاحظة أن التعبير وألفاظه في صياغة هذه القواعد قضية اجتهادية خاضعة للتعدد وقابلة للتعديل.*

وستعرض القواعد المستنبطة بشكل مباشر دون حاجة إلى توثيق وإحالات خارجية، ويكتفي بتمهيد تذكر فيه بعض الحثيات التي تربط القاعدة بالمادة النظرية المتعلقة بها، وربما تتم الإحالة في الهامش إلى المادة النظرية داخل البحث دون تمهيد.

1- قواعد المفاهيم:

على الرغم من أن بعض المفاهيم النصية محل نقاش كبير ولم تستقر بعد على صورة ثابتة يمكن اعتمادها بشكل نهائي دقيق إلا أن ذلك بدون شك واقع على المستوى العلمي العميق ومهما كانت المقاربات النظرية المطروحة بشأن هذا المفهوم أو ذاك راجحة أو مرجوحة فإنها لا تعدم فوائد وأجزاء معرفية صائبة يمكن أن تلمم وتشكل تصوراً تعليمياً واضحاً وبسيطاً مناسباً للمتعلمين في المستوى الثانوي.

وعليه تعرض فيما يلي في ثوب تعليمي قواعد من النمط التعريفي الوصفي لأهم المفاهيم النصية التي يراها البحث أساسية وهي: النص، لسانيات النص، مقومات النص، الاتساق والانسجام، الإحالة، الوصل.

1- ينظر البحث في الفرق بين القواعد العلمية والقواعد التربوية، 86.

*- إذا قبلت فكرة التقعيد هذه وقرر إدماج " القواعد النصية" في المناهج الرسمية، فلا شك أنها ستتم عبر لجان متخصصة للتحخيص والتدقيق في الصياغة والمضمون، حينها تصلح هذه القواعد لتكون أرضية للإثراء والتعديل.

1.1- النص: مفهوم النص من أهم المفاهيم التي ما زالت لم تستقر على صورة معينة عند الباحثين في الميدان، ولكن بناء على المكونات التي ترسم صورته من خلال التعريفات المعروضة في البحث¹ فإنه يمكن تعريفه على النحو الآتي:

• القاعدة 01 :

النص هو الكلام المنطوق أو المكتوب الذي يدور بين الباث والمتلقي في سياق معين، ومن أهم مقوماته أن يكون متماسكا وله معنى مقبول يفهم ولو بصعوبة، وقد يكون طويلا أو قصيرا، ومن أمثلته: الآية القرآنية أو السورة، والبيت الشعري أو القصيدة، والحكمة أو المثل، القصة أو المقال و أي كلام يدور بين طرفين نص مادام يحقق التواصل.

2.1- لسانيات النص:

خلص البحث في مدخله إلى أن المجال العلمي الذي ينتمي إليه موضوعه بصفة أخص وأدق هو الذي يطلق عليه مصطلح "لسانيات النص" أو المصطلحان المرادفان له: "علم لغة النص" و"علم اللغة النصي"، ذلك لأن مفهوم "علم النص" أوسع ولا يخص اللغة وحدها، أما مصطلح "نحو النص" فهو - من وجهة نظر البحث- أضيق لأنه يتعلق فقط بالجانب السطحي والشكلي للنص.² ولذا فإن المادة التي ستدرس هذه القواعد في التعليم الثانوي يقترح البحث تسميتها بهذا الاسم. وكما تم تحديد مفهوم لسانيات النص ضمن المفاهيم السابقة، فإن القاعدة المستتبطة هنا ستكون خاصة بالمفهوم نفسه دون غيره من مفاهيم المجالات العلمية المذكورة .

• القاعدة 02:

1- ينظر:المادة النظرية "النص" في البحث، ص11 وما بعدها.

2- ينظر : البحث، ص4.

لسانيات النص : (وتسمى أيضا : علم لغة النص ، وعلم اللغة النصي) فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة دراسة تفصل الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص ، وترتبط فيما بينها لتكوّن المعنى الكلي المفيد ولا تقتصر على دراسة كل جملة وحدها كما كانت تدرس اللغة في القديم .

فهو علم جديد ظهر في القرن العشرين عندما أدرك العلماء أن دراسة اللغة من خلال الجملة وحدها غير كافية لاكتشاف كل ما يوجد في النص .

ومن أهم وظائف هذا العلم :

- صياغة القواعد التي تبين كيفية بناء النص وكيفية فهمه .
- دراسة أدوات التماسك النصي الشكلي والدلالي (أي الاتساق والانسجام) وكل الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة ولا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية .
- الاهتمام بشرح كيفية قيام النص بوظائفه كالإقناع والتأثير .

3.1- مقومات النص:

ليس كل ملفوظ نصاً ، ولذلك حدد العلماء معايير معينة هي مقومات للنص ، إذا توفرت في الكلام يعتبر نصاً ، وقد تناول البحث هذه المعايير سابقاً في موضعين: الأول هو تعريف النص¹ والثاني هو دور التماسك وأهميته لأن التماسك يأتي على رأس هذه المعايير.² ومن خلال علاقة هذه المعايير الوطيدة بالنص ذاته ومكانه الاتساق والانسجام فيها تظهر قيمتها في لسانيات النص التي تستحق بها أن تفرد بالتفصيل هي الأخرى مع جملة المفاهيم الأساسية لأن فهمها يساعد على استجلاء مفاهيم أخرى.

• القاعدة 03:

مقومات النص : وتسمى معايير النصية، هي الخصائص والصفات التي إذا توفرت مجتمعة في الكلام كان نصاً و إذا تخلفت واحدة منها لم يكن نصاً وهي السبعة الآتية :

1- ينظر : البحث ، ص 11.

2- ينظر : البحث ، ص 38.

- 1- الاتساق (السبك) أو الربط النحوي والشكلي الظاهرة أدواته في الكلام .
- 2- الانسجام (الحبك) أو التماسك الدلالي والمعنوي الذي يدرك بالعقل ولا تظهر _ غالبا _ وسائله.
- 3- القصد : أي هدف النص .
- 4- القبول أو المقبولية وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص .
- 5- الإخبارية أو الإعلام : أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمها .
- 6- المقامية وتتعلق بمدى مناسبة النص للموقف الذي قيل فيه .
- 7- التناص : أي علاقة النص بنصوص أخرى .

4.1- الاتساق والانسجام :

يأتي الاتساق والانسجام على رأس معايير النصية ولهما دور مشترك مع التمايز - غالبا- في الأدوات ومستوى موقعهما في الكلام وكل ذلك مبسوط في الفصل الأول من البحث كمادة نظرية¹ ولذا سيكون تعريفهما في بداية القاعدة مجملا للظاهرتين معا فيما هما متشاركتان فيه من خصائص ثم يفصل تعريف كل منهما على حدة .

• القاعدة 04 :

الاتساق والانسجام (ولهما عدة مرادفات في العربية منها السبك والحبك) هما ظاهرتان نصيتان تحققان صفة التماسك التي لا يكون الكلام نصا إلا بها . وبالتماسك يؤدي النص دوره التواصلية ويكون جميلا .

و هما في الغالب متكاملان كالصفحتين في الورقة الواحدة ، وفي بعض الحالات قد يغني الانسجام وحده لتحقيق التماسك ، ويمكن التمييز بينهما في التعريف كما يأتي :

- **الاتساق** : هو ترابط وانتظام أجزاء النص ، ويتميز بأنه سطحي أدواته شكلية ظاهرة في الكلام. مثل العطف بين الجملتين : العلم نور و الجهل ظلام .

1- ينظر المبحث الثالث من الفصل الأول من البحث .

- **الانسجام** : هو ترابط معاني النص وانحداره في الفهم بسلاسة ، ويتميز بأنه دلالي عميق وسائله معنوية تدرك بالعقل ولا تظهر في ألفاظ الكلام . مثل الرابط المعنوي بين السؤال والجواب في الحوار الآتي :

أ _ هل يمكنك توصيلي للمنزل ؟

ب _ معذرة سأزور أختي .

5.1- الإحالة¹:

تدخل تحت عملية "الإحالة" عدة أدوات اتساق، ولذلك فإنها هي في ذاتها ليست أداة وإنما هي مفهوم لابد من تحديده ضمن المفاهيم العامة.

القاعدة 05:

أ- الإحالة هي عملية نقل ذهن المتلقي بين طرفين في الكلام لتفسير أحدهما بالآخر، وهما:

1- العنصر الإحالي (أو المحيل) وهو الملفوظ الذي لا يملك دلالة مستقلة، مثل الضمير "ها" في المثال اللاحق.

2- العنصر الإشاري (أو المحال عليه) وهو الذي يعاد إليه لتفسير المحيل، مثل "الدراجة" في المثال: محمد ركب الدراجة لكن عليا لم يركبها.

ب- تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين هما:

ب1- الإحالة النصية: وتكون بين العناصر اللغوية الواردة داخل النص، وهي قسمان:

- إحالة قبلية: يفسر فيها السابق اللاحق (كما في المثال السابق).

- إحالة بعدية: يفسر فيها اللاحق السابق مثل قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ».

ب2- الإحالة المقامية: وهي إحالة عنصر لغوي على عنصر غير لغوي خارج النص، كأن يحيل ضمير المتكلم على ذات صاحبه.

6.1- الوصل²:

1- ينظر: المادة النظرية "للإحالة" في البحث، ص113.

2- ينظر: المادة النظرية "للولصل" في البحث، ص148.

الوصل - أيضا - يدخل ضمن المفاهيم العامة التي يتحقق بها التماسك وتجسده عدة أدوات للاتساق تأتي لاحقا تحت اسم "الأدوات الواصلة".

• القاعدة 06:

أ- الوصل هو الطريقة التي يترابط بها بشكل منظم اللاحق مع السابق من المتتاليات المتعاقبة خطيا في الكلام حتى يكون وحدة متماسكة.

ب- وأدوات الوصل صنفان هما:

1. أدوات الوصل المعجمية: وهي ألفاظ غير محددة تدل على الربط ، مثل: بما أن ، وبناء على ، وبالتالي،...

2. أدوات الوصل النحوية: كالإسناد وحروف العطف.

ج- لكل أداة وصل معنى خاص يتم بواسطته الربط ، ولمجموع معانيها أربعة أصناف، وهي:

1- الوصل الإضافي: مثل معنى حرف "الواو" في العطف.

2- الوصل العكسي: مثل الاستدراك والإضراب في حرفي العطف: لكن ، بل.

3- الوصل السببي: مثل فاء السببية.

4- الوصل الزمني: مثل الترتيب بالتعقيب أو بالتراخي في حرفي العطف: الفاء، ثم.

2- قواعد الأدوات والوسائل :

تناول البحث أدوات الاتساق ووسائل الانسجام في الفصل الأول في شكل نظريات علمية ، وقد تجاوز عددها الأربعين¹ ومع ذلك عبر بعض الباحثين عن " لا محدوديتها " وأكدها البحث في نظراته في هذا الفصل² ولكن الخصائص التعليمية للقواعد (السابق ذكرها) ستغربل الأربعين ذاتها وتختزلها بحيث يحذف منها ما لا يكون مناسبا لمستوى تعليم المرحلة الثانوية ، كما تدمج بعض المتشابهات عملا بالمقترحات الواردة في النظرات التعليمية.³

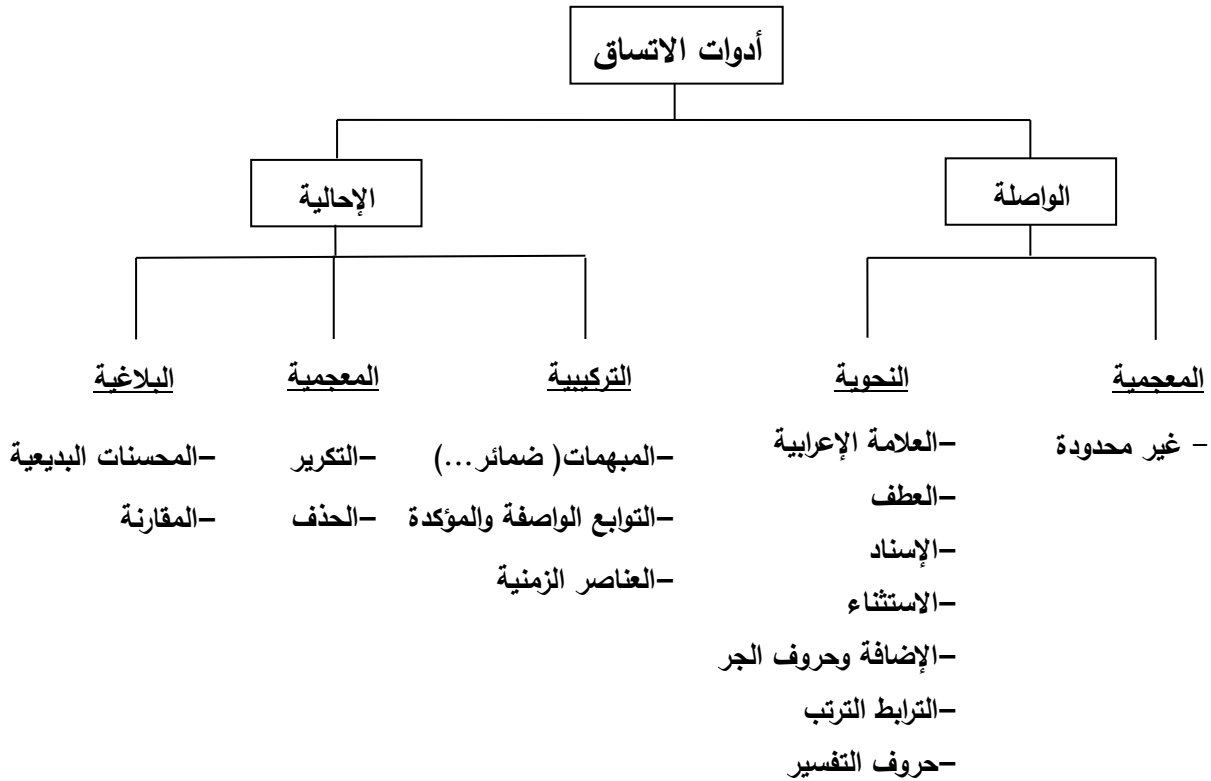
1- ينظر : البحث ، ص 273.

2- ينظر : البحث ، ص 285.

3- ينظر ، البحث ، لاسيما خلاصة النظرات ص 298.

1.2- قواعد أدوات الاتساق :

كما سبق التفريق بين الاتساق والانسجام في تعريفيهما بدافع الطابع التعليمي للموضوع ، فإن أدواتهما سيفصل أيضا بعضها عن بعض ، ولتكن البداية بأدوات الاتساق لأنها الأنسب لمبدأ " التدرج " لكون هذه الأخيرة شكلية ظاهرة وبالتالي فهي أوضح وأسهل للاستيعاب والفهم ، وعلى هذا الأساس أيضا تسمى "أدوات" وتسمى المظاهر المحققة للانسجام "وسائل". وقد سبق أن أشار البحث إلى أن أدوات الاتساق لا تخرج عن صنفين اثنين وهما : أدوات الإحالة وأدوات الوصل¹ ولتوخي السهولة أيضا فإن البداية بأدوات الوصل الخطية يكون أولى. ولكن قبل البداية تعرض في ما يأتي أدوات الاتساق مجملة ومصنفة تصنيفات فرعية أخرى.



1- ينظر : البحث ، ص 112.

1.1.2- الأدوات الواصلة: أدوات الوصل هي التي تجسد المفهوم النظري للوصل ، وترتبط بين طرفي الكلام في اتجاه واحد فيكون بذلك الكلام خطيا ¹ وهي قسمان أدوات معجمية و أدوات نحوية .

1.1.1.2- أدوات الوصل المعجمية : وهي غير محدودة العدد لأنها تؤخذ من معجم عموم اللغة وقد تستعمل مفرداتها لمعاني أخرى غير الربط ويجمع تعريفها في قاعدة واحدة هي :

• القاعدة 07:

أدوات الوصل المعجمية هي ألفاظ من معجم اللغة العام أو عبارات غير محددة العدد وهي موضوعة _ في الغالب _ لمعنى آخر غير الربط ولكنها توظف للتعبير على أن المتكلم يريد ربط الكلام بعضه ببعض، وفي هذه الحالة تسمى كل منها أداة اتساق ومن أمثلتها: أعني، وتعبير آخر، وعليه فإن، بما أن. وبالتالي، ومن ثم فإن، وبناء على ما سبق،... وغير ذلك من التعبيرات المشابهة.

2.1.1.2- أدوات الوصل النحوية:

والمقصود بالنحوية أنها ظواهر تنتمي في الأصل إلى قواعد النحو المتعلقة "بالجملة" ولكنها تدرس هنا من باب ذات دلالة تجعل الكلام مترابطا ، وقد سبق أن أشار البحث في الخصائص التعليمية لقواعده إلى أنها قواعد لا تستغني عن "نحو الجملة" ² وسيوضح أثناء عرض كل قاعدة أن المقصود هنا هو تبين الدور الذي تؤديه هذه الظاهرة النحوية أو تلك لكي يكون النص متماسكا، ومعيار هذا الدور هو "الفهم" وليس "الصحة" أي المهم أن يكون النص محققا للتواصل لا أن يكون مطابقا لكلام العرب كما هو الشأن في دراسة قواعد نحو الجملة .

وهذه الأدوات قسمان : إعرابية ودلالية وعلامة كل منهما شكلية ظاهرة ، أما علامة القسم الأول فهي الحركة الإعرابية أو ما ينوب عنها ، وأما علامة القسم الثاني إما تكون حرفا

1- ينظر: البحث ، تعريف الوصل، القاعدة 06: ص320 .

2- ينظر: البحث ، ص 300 .

كحروف العطف أو صيغة تركيبية كصيغة الشرط ، وقد تدخل علامة الإعراب في متمات بعض علامات القسم الثاني .

وفي ما يلي عرض قواعد هذه الأدوات متتالية دون تمهيد مع الإحالة إلى المادة النظرية لكل منها في الفصل السابق من البحث .

• القاعدة 08 : العلامة الإعرابية¹

العلامة الإعرابية في اللغة (سواء كانت حركة أم ما يعوضها) أداة اتساق هامة للكلام لأنها تجعله متماسكا وتمكن من فهم المعنى المقصود منه بدقة، وبغيابها يحصل الغموض وبتغييرها يتغير المعنى.

ففي الجملة الآتية - مثلا - لا يُعرف مرتكب الجريمة إلا برفع الفاعل ونصب المفعول : قتل الخادم السيد.

والكلام الواحد قد يحتمل عدة معان لا تميزها إلا الحركات في مثل جملة : " ما أحسن زيد " فهي تدل على النفي إذا رفع " زيد " وتدل على التعجب إذا نصب ، وتدل على الاستفهام إذا جر مع رفع " أحسن " ليصير اسما بعدما كان فعلا في الحالتين الأوليين .

وللحركة بوجه عام دور أساسي في تمييز الكلام ولو في حرف واحدة ، مثل : " لام الملك " (بالكسر) و " لام الابتداء " (بالفتح) ، فلو قلت " إن زيدا لهذا " دون حركة اللام ما فهم القصد بالتحديد.²

• القاعدة 09: العطف³

حروف العطف وعلى رأسها الواو هي أدوات اتساق تربط ما بعدها بما قبلها سواء أكانت بين كلمتين أم بين جملتين، لأن كل حرف منها يفيد معنى خاصاً يشترك فيه الكلام السابق واللاحق.

فمعنى: "جاء زيد وعمرو" مثلا، أنهما اشتركا في المجيء لأن الواو تفيد مطلق الجمع.

1- ينظر: المادة النظرية " للعلامة الإعرابية" في البحث ، ص153.

2- بكسر اللام تعني : زيد يملكه " هذا " وبفتحا تعني : تأكيد " هذا " هو زيد.

3- ينظر: المادة النظرية " للعطف" في البحث، ص159.

- وللعطف شروط ومستلزمات يفسد بدونها ويتفكك الكلام، أهمها:

1. أن المعطوف يتبع المعطوف عليه في الإعراب وبهذا يتأكد الربط بعلامة شكلية أخرى، مثل، الرفع في عمرو (في المثال السابق).

2. ألا يكون المعطوف من التوابع الواسفة والمؤكدّة، ففي قولنا: أحب المسجد الأقصى أولى القبلتين. لا يجوز العطف بين "الأقصى" و "أولى" لأن "الأقصى" هو نفسه "أولى القبلتين".

3. أن يكون المتحدثّ عنهما في المعطوفين نظيرين أو شبيهين أو متناقضين . مثل:

- زيد كاتب وعمرو شاعر

- زيد طويل القامة وعمرو قصير.

فلا يجوز مثلاً: زيد طويل وعمرو شاعر.

- يحكم على النص الذي تكثر فيه أدوات العطف بأنه أكثر تماسكا وأكثر إيجازاً، والقرآن الكريم نموذج لذلك.

• القاعدة 10 : الإسناد¹

الإسناد رابط نحوي تتشكل به نواة الجملة بنوعيتها، فيربط بين المسند والسند إليه وهما الفعل والفاعل أو الخبر والمبتدأ أو ما ينوب عن كل منهما.

والأصل في الإسناد أنه رابط معنوي مفاده أن الفاعل قام بالفعل أو اتصف به وأن المبتدأ مخبر عنه بالخبر، إلا أنه يعتمد على مظاهر شكلية إذا غابت كان فاسداً وتفكك الترابط وبوجودها يكون الإسناد أداة كاملة من أدوات الاتساق، ومن هذه المظاهر:

(أ) - بين المبتدأ والخبر:

1. الصيغة الاسمية للمبتدأ : اسم أو مركب اسمي، مثل:

(الصبر) خير - أو- «(وأن تصبروا) خير لكم» (النساء 25).

2. التعيين في المبتدأ بأن يكون معرفة أو نكرة مخصصة، مثل:

العالم محترم - رجل علم محترم.

1- ينظر: المادة النظرية " للإسناد" في البحث ، ص172.

3. الحالة الإعرابية لكل من المبتدأ و الخبر وهي الرفع الظاهر أو المقدر، مثل: السماء صافيةً (بالرفع) فلو تغير الرفع في أحدهما لتغير المعنى أو تفكك.
4. المطابقة بينها في النوع والعدد، إلا إذا سمحت قواعد اللغة بالاختلاف في مثل قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت» (آل عمران 185).
5. الترتيب بينهما والأصل تقدم المبتدأ و لكنه قد يتغير وفق ضوابط تفرضها قواعد اللغة خوفاً من اللبس.

(ب) - بين الفعل و الفاعل:

1. الترتيب الملزم بتقديم الفعل. ففي: "ظهر الحق " الإسناد فعلي فإذا قلنا " الحق ظهر " صار اسماً وتغير المقصود.
2. صلاحية الفعل للإسناد، فلا يكون -مثلاً- ناقصاً لا لتكتفي بمرفوعة، نحو: "كان الحق".
3. المطابقة بين الفعل والفاعل في النوع . مثل ظهر الحق وظهرت الحقيقة.
4. عدم المطابقة في العدد، يظل الفعل مفرداً ولو كان الفاعل مثنى أو جمعاً. مثل: قال قومك، وقال أبواك.
5. عدم جواز حذف الفاعل، فإن لم يكن ظاهراً فهو مقدر.

• القاعدة 11: الاستثناء¹

- أدوات الاستثناء (إلا وما جاء من الأسماء والأفعال فيه معناها) تربط بين طرفي جملة الاستثناء لأنها تقع - في الغالب - بين المستثنى والمستثنى منه، مثل: «فشربوا منه إلا قليلاً منهم» (البقرة 249) فقد أثبتت "إلا" الشرب لجماعة الغائبين وأخرجت منهم "قليلاً منهم".
- ويتأكد دور الربط لأدوات الاستثناء بإمكانية تعويضها بحرف العطف "لا" مع حفظ المعنى ولو بوجود فرق في جوانب أخرى ، مثل: قام القوم إلا زيداً - أي - قام القوم لا زيداً.

• القاعدة 12: الإضافة وحروف الجر²

1- ينظر: المادة النظرية " للاستثناء" في البحث، ص 176

2- ينظر: المادة النظرية " للإضافة وحروف الجر" في البحث، ص ص 177-179.

أ- الإضافة مركب اسمي يتم فيه ربط المضاف باسم مجرور بعده، وله شروط بدونها يتفكك الكلام وهي:

1- معنى الإضافة الذي يفسر ببعض حروف الجر وهي:

- اللام للتمليك، مثل: ثوب زيد بمعنى ثوب لزيد.

- من البعضية، مثل: خاتم فضة أي خاتم من فضة.

- في الظرفية، مثل: مكر الليل أي مكر في الليل.

2- فقدان التنوين في المضاف أو النون إذا كان مثني أو جمعا.

مثل: كتاب الطالب - كتابا الطالب، فلا يصح كتاب (بالتنوين وكتابان (بالنون) .

3- الجر في المضاف إليه، مثل: كتاب الطالب (بالكسر) ولا يجوز بغيره.

4- خلو المضاف الحقيقي من " ال " التعريف، فلا يصح مثلا، الكتاب الطالب (بالألف واللام في كتاب).

ب- تربط الإضافة بين اسمين (مثل الأمثلة السابقة) وقد تربط بين اسم وجملة ولاسيما مع الظرف، مثل: "حين يدخلون" .

ج- يفهم من تفسير دور الإضافة في الربط ببعض حروف الجر أن حروف الجر حروف اتساق هي الأخرى، ولذلك فإنها تسمى -أيضا- " حروف الإضافة" لأنها تضيف معنى الفعل إلى الاسم المجرور، فإذا قلت - مثلا- : مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وإذا قلت: أخذته من عبد الله فقد أضفت الأخذ إلى عبد الله بمن .

• القاعدة 13: ترابط الترتيب (الشرط وأشباهه)¹

المقصود بترابط الترتيب أن يتوقف أحد أجزاء الكلام على جزء آخر بأداة ظاهرة، ويتحقق في الشرط وأشباهه على النحو الآتي:

أ- الشرط:

1- ينظر: المادة النظرية " لترابط الترتيب" في البحث، ص180.

يلحق الشرط إحدى الجملتين بالأخرى بواسطة أداة تقع في الصدارة، ويجعل الجملة الأولى شرطاً في حدوث الثانية التي تكون مترتبة على الأولى أو جواباً لها، فإذا حذفت الأداة أو حذفت إحدى الجملتين بوجود الأداة تفكك الكلام، مثل:

(1) قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (البقرة 197)

أداة جملة الشرط جملة جواب الشرط

(2) وقال أيضاً: ﴿إِذَا يُنْثَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء 107)

أداة جملة الشرط جملة جواب الشرط

- وأدوات الشرط منها الجازمة (كما في المثال الأول السابق) ومنها غير الجازمة (في المثال الثاني)، والجزم (الظاهر أو المقدر) داعم آخر يقوي الربط وتعوضه الفاء في الجواب عند فقدانه، مثل قوله تعالى: «إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» (الأنعام 17).

ب- جزم جواب الطلب:

- جواب الطلب يرتبط بالطلب ارتباطاً بآداة الشرط وفعل الشرط لأن الطلب يتضمن معنى حرف الشرط "إِنْ" فلذلك انجزم جوابه. ففي مثل: "زني أكرمك" يكون المعنى "إِنْ تَزْنِي أَكْرَمُكَ".

وجزم فعل الجواب هو أداة الاتساق الظاهرة وهو الدليل على إرادة ترتب الفعل على ما قبله .

ج- نصب جواب النفي والطلب (بعد الفاء والواو):

"فاء السببية" و "واو" المعية المدعمتان بعلامة نصب المضارع بعدهما يربطان بين جملة النفي المحض أو الطلب المحض وجوابيهما، مثل:

- فاء السببية بعد النفي: قال تعالى: «لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا» (فاطر 36).

- واو المعية بعد الطلب: "لَا تَنْهَ عَنْ خَلْقٍ وَ تَأْتِي مِثْلَهُ".

وبالتأويل يتضح معنى الربط، فإذا قلت مثلاً: " لا تهمل فتتدم - بنصب تتدم - كأنك قلت "لا يكن منك إهمال فَنَدَمَ" حيث الفاء حرف عطف.

د- القسم وروابطه:

للقسم جملتان: جملة القسم وجملة جوابه، مثل: أقسم بالله/ أنك ناجح.

- والقسم يحقق الاتساق بين جملتيه بنوعين من الروابط:

الأول: معنى التوكيد الذي هو الهدف من القسم، وهو يشبه ربط الشرط بالجزاء.

الثاني: روابط لغوية تقع بين الجملتين وفق شروط مخصوصة، مثل اللام في قولنا: " والله

لأفعلن كذا". واللام مع قد في مثل قوله تعالى: « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ». (يوسف 91)

و إن مع اللام في مثل قوله تعالى: « والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر » (العصر 1-2).

- حروف القسم الثلاثة (الباء والواو والتاء) هي حروف جر تحقق معنى التوكيد وتربط طرفي جملة القسم فقط.

• القاعدة 14: حروف التفسير¹

أدوات التفسير: أي، أن، إذا، تقع بين طرفي الكلام فتربط الأول منه بالآخر، وذلك بعامل

المعنى الذي تحمله، إذ تفيد أن الكلام الثاني مفسر للأول، مثل:

- أوصدت الباب أي أغلقته.

- كتبت إليه أن سر إلينا.

- عسعس الليل إذا أظلم.

2.1.2- الأدوات الإحالية:

الأدوات الإحالية بدورها تجسد مفهوم الإحالة النظري، وتختلف عن الصنف السابق (الأدوات

الواصلة) بكون ربطها ليس خطياً في اتجاه واحد وإنما يتجه أحد الاتجاهات الثلاثة وهي:

الأمام أو الخلف في النص أو خارج النص، لتفسير العنصر الإحالي المبهم.

1- ينظر: المادة النظرية " لحروف التفسير " في البحث ، ص189.

ومن هذه الأدوات ما تتشابه خصائصه في قاعدة واحدة ومنها ما تختلف فتعرض قواعده قاعدة قاعدة، ويمكن تصنيفها إلى: تركيبية ومعجمية وبلاغية.

1.2.1.2- الأدوات الإحالية التركيبية:

وتشمل الأدوات النحوية وعناصر البنية الزمنية وهذه الأخيرة تكتسب صفة التركيبية من العلاقات بين الملفوظات الدالة على الزمان.

• القاعدة 15: المبهمات¹ (الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة).

الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة كلها أدوات اتساق إحالية لأنها مبهمات لا تفهم إلا بالعودة إلى ما يفسرها، وبهذه العودة تربط الطرف الذي هي فيه بمفسرها في موضع آخر فيتماسك الكلام ويفهم، وإحالاتها ثلاثة أنواع:

1- إحالة قبلية: تعود إلى ما قبل المبهم، مثل:

- محمد انتقل إلى منزله الجديد. (محمد → هو)

- الذي بناه منذ عام، (منزل → الذي)

- هذا ما سمعته اليوم. (الكلام السابق → هذا)

2- إحالة بعدية: تتجه إلى ما بعد المبهم، مثل:

- في خطاب له أكد الرئيس قراره، (هو ← الرئيس)

- الذي انتظره الشعب طويلا (الذي ← صلة موصول)

- وهذا مضمونه: (هذا ← النص الذي سيذكر)

3- إحالة خارجية: تحيل إلى خارج النص، مثل:

- أنا أشرح ما فهمته في ذلك (الكتاب) (كل عنصر إشاري خارجي)

• القاعدة 16: التوابع الواصفة والمؤكدّة (النعته والبديل والتوكيد).²

1- ينظر: المادة النظرية "للمبهمات" في البحث، ص ص 116-123.

2- ينظر: المادة النظرية " للتوابع " في البحث: ص ص 126.

أ) - التوابع النحوية الواسفة والمؤكدة وهي النعت والبدل والتوكيد أدوات اتساق ذات طابع إحالي لأنها غير مستقلة في معناها ولا تفهم إلا بالرجوع إلى متبوعها، وبهذا الرجوع يحدث التماسك المعنوي الذي تؤكد علامته الإعراب المشتركة بينها وبين متبوعها وتكون إحالتها قبلية فقط ولا تتعدى الجملة الواحدة، ومن أمثلتها:

- المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف (نعت)

- نجح الطلاب كلهم أجمعون. (توكيدان)

- «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا» (النبا 31-32). (بدل)

ب) - التمييز والحال يؤديان دور هذه التوابع نفسه في التماسك النصي لتعلق كل منهما بما قبله بمعنى خاص، ولكنهما لا يعدّان نحوياً من التوابع. نحو:

- طابت الصحراء هواءً. (تمييز)

- صلى المؤمن خاشعاً. (حال)

• القاعدة 17: العناصر الزمنية¹

أ) - العناصر الزمنية هي بالدرجة الأولى الأفعال والحروف الدالة على الزمن مثل: السين وسوف وقد ولم ولن وإذا... وكذا كل لفظ يدلّ على الزمن؛ وهي إن وجدت في تركيب واحد يكون أحدها عنصراً إحالياً لا يفهم إلا بالرجوع إلى عنصر إشاري مفهوم وبذلك يكون العنصر الزمني أداة اتساق إحالية تربط بين أجزاء الكلام. مثلما في جملة: "وصلت لَمَّا خرج فلان" لا يفهم زمن الوصول إلاّ بإدراك زمن الخروج.

ب) - لابد من التلاؤم المنطقي بين العناصر الزمنية في الكلام الواحد وإلاّ يزول التماسك ، مثل: سيسافر محمد أمس (حيث س ≠ أمس).

1- ينظر: المادة النظرية "للعناصر الزمنية" في البحث، ص145.

2.2.1.2-الأدوات الإحالية المعجمية: وهي ألفاظ من المعجم اللغوي العام حين تحمل معنى الإحالة بوجودها أو بحذفها.

• القاعدة 18: التكرير¹

(أ)- التكرير هو شكل من أشكال الاتساق يتمثل في إعادة عنصر معجمي أو أكثر بحيث لا يتم فهم العنصر الثاني إلا بالرجوع إلى الأول ليتماسك الكلام؛ فهو كالإحالة ولكنها إحالة صريحة.

(ب)- للتكرير عدة أنواع تلخص في أن العنصر المعاد ذكره قد يكون بلفظ السابق أو مرادفه أو مشابهه أو عمومه أو نظيره أو نقيضه؛ مثل:

- شرعت في الصعود إلى القمة، (الصعود/التسلق/العمل/الأمر..) سهل للغاية.

- قمنا بصعود شاق ، الهبوط أسهل بكثير.

• القاعدة 19: الحذف²

(أ)- الحذف: هو عدم ذكر عنصر معجمي أو أكثر لدلالة غيره عليه، وهو أداة اتساق إحالية لأن الفراغ الذي يتركه الحذف يفرض البحث عن "دليله" فيحدث التماسك بين الموضعين، أي إنه يشبه "التكرير" ولكنه تكرير بالصفـر. مثل:

"محمد اشترى بعض الكتب، وعلي (...) بعض قطع الحلوى"/ فالمكان الخالي (...) هو الصفر ويعوضه تكرير فعل "اشترى" المقدـر والرابـط بين حملتين.

(ب)- يشمل الحذف أنواع الإحالة الثلاثة:

1- ينظر: المادة النظرية "للتكرير" في البحث، ص132.

2- ينظر: المادة النظرية "للحذف" في البحث، ص142.

- القبليّة: كما في المثال السابق وكذا في قوله تعالى: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» (النحل 16) أي: قلوا [أنزل ربنا] خيرا.

- البعدية: كقول الشاعر: نحن بما عندنا (...) وأنت بما :: عندك راض والرأي مختلف.
(أي: نحن بما عندنا راضون)

- خارجية: كقولك لمن يقف في طريق سيارة قادمة: "السيارة السيارة"، أي احذر السيارة..
ودليل المحذوف في السياق ويدعمه نصب المذکور (السيارة).

3.2.1.2- الأدوات الإحالية البلاغية: وتشمل الظواهر البلاغية التي تؤدي مع قيمتها الجمالية دور الربط بطابع إحالي في الكلام.

• القاعدة 20: المحسنات البديعية¹

المحسن البديعي (اللفظي أو المعنوي) يأتي نتيجة لعلاقة تفاعل ذوقي معين بين عنصرين في الكلام تربط الثاني بالأول ربطا يحقق الاتساق الإحالي.

ففي المطابقة (أي الطباق والمقابلة) - مثلا - يكمن الأمر في علاقة المنافرة بين المعاني المشكلة لها، فالمعنى الثاني ينبّه إلى وجود قيمة فنية ودلالية تدفع الذوق إلى البحث عن سببها فيجدها في نقيضه المعنى الأول فيحدث الاتساق الجمالي.

مثل ما في قوله تعالى: «وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ» (الكهف 18).

وفي قول الحكيم: «لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية»

وكذلك الشأن في بقية المحسنات (كالجناس والسجع وغيرهما...) التي يتضح دورهما بإزالتها، فالفرق واضح بين المثالين الآتين الأول بالسجع والثاني بدونه:

- ما ملأ الراحة من استوطن الراحة.

- ما ملأ الكف من استوطن الراحة.

• القاعدة 21: المقارنة (التشبيه والتفضيل)²

1- ينظر: المادة النظرية "للمحسنات البديعية" في البحث، ص139.

2- ينظر: المادة النظرية "للمقارنة" في البحث، ص124.

أ)- المقارنة هي التشبيه والتفضيل وكلاهما يحتاج إلى طرفين وهما المشبه والمشبه به أو المفضل والمفضل. وكل من المشبه والمفضل يحتاج إلى نظيره ليكتمل المعنى. فإذا قلنا: "أنا أطول" يطرح سؤال: ممن؟ وإذا قلنا: زيد مثل.. يطرح: مثل ماذا؟ وبهذا البحث عن الطرف الآخر تكون المقارنة ضربا من الاتساق الإحالي، ولها أدوات ظاهرة هي:

- صيغة "أفعل" في التفضيل التي تربط بين الطرفين مثل: أنا أطول من فلان أو : أنا طويل وهو أطول.

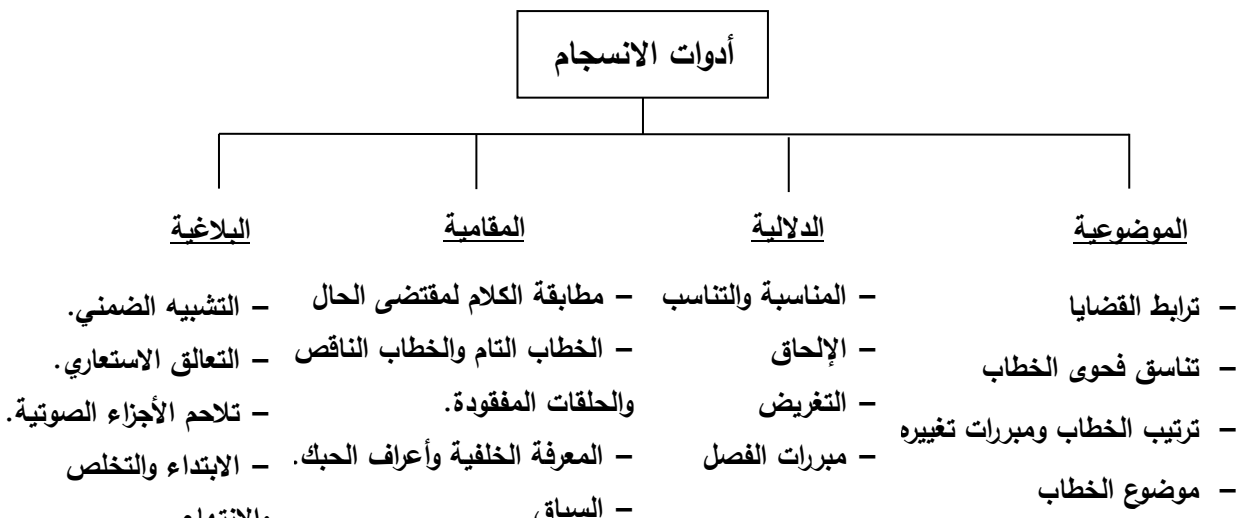
- أدوات التشبيه التي تقوم بنفس الدور، مثل الكاف في: زيد كـالبدر.

ب)- الإحالة في المقارنة لا تتجاوز حدود الجملة الواحدة، وتكون نصية (داخلية: قبلية أو بعدية، كما في الأمثلة السابقة) وقد تكون خارجية مثل قول الصياد عن حجم سمكة: "هي أكبر من...." (ويشير إلى ذراعه).

2.2- قواعد وسائل الانسجام:

وسائل الانسجام معنوية وليست شكلية والاختلاف فيها بين الباحثين أوسع، ويمكن تصنيف ما اكتشفه البحث منها إلى أربعة أصناف وهي: الانسجام الموضوعي، والانسجام الدلالي والانسجام المقامي، والانسجام البلاغي.

وحدات هذه الأصناف تتفاوت في عمقها وإمكانية فهمها ومناسبتها للمستوى التعليمي المستهدف، وسيتم تعييدها فيما يأتي بناء على انتقاء ما هو أنسب منها للمستوى وترك ما لا يناسب وإدماج متشابهاتها بغض النظر عن هويات منتجها. وهي تتوزع قبل الانتقاء والتقليص والإدماج على النحو الآتي:



1.2.2- وسائل الانسجام الموضوعية:

والمقصود بها وسائل الانسجام التي لها علاقة بموضوع النص بشكل كلي أو جزئي، وعددها في التصنيف السابق خمس إلا أنها تقلص هنا إلى ثلاث بسبب إمكانية إدماج وسيلتي "ترابط القضايا" و "تناسق فحوى الخطاب" تحت مسمى واحد وهو " ترابط وتناسق الخطاب" لتشابههما وتكاملهما مع تبسيط معانيهما، وكذلك ترك وسيلة البنية الكبرى لكونها مفهوما مجردا لا تناسب المستوى التعليمي ولكون "موضوع الخطاب" وسيلة ملموسة تغني عنها لدى المتعلمين.

• القاعدة 22: موضوع الخطاب¹

موضوع الخطاب هو الفكرة العامة التي تدور حولها قضايا الخطاب الأساسية والفرعية، ولا يمكن أن يوصف الخطاب أو النص بالانسجام دون وجود موضوع محدد فيه. وأهم القرائن التي تدل على وجود موضوع محدد هي:

1- شكليا: وجود لفظ أو ألفاظا مكررة أو محال إليها كثيرا، فإذا كان الموضوع مثلا

"استقلال الجزائر" فإن التكرير والإحالة تكون لهذين اللفظين .

2- مغنويا: قبول المتلقي السوي للخطاب ولو لم يفهمه.

• القاعدة 23: ترتيب الخطاب²

1- ينظر: المادة النظرية " لموضوع الخطاب " في البحث، ص202.

2- ينظر: المادة النظرية " لترتيب الخطاب " في البحث، ص 198.

أ)- الترتيب العادي للخطاب يحقق الانسجام، وهو الذي يأتي وفق العلاقات المنطقية والطبيعية للأشياء كما نعرفها في الواقع، مثل: دخل الأستاذ القسم، حيى الطلبة ووضع أدواته على المكتب ثم شرع في الدرس.

والترتيب العادي نوعان هما:

- الترتيب المقيد: كالمثال السابق الذي إذا تغير فيه ترتيب أية جملة من جملة يكون غير منسجم لمخالفة علاقة من العلاقات الطبيعية بين مكوناتها مثل علاقة " الاحتواء " بين القسم والطلبة أو المكتب.

- الترتيب الحر: مثل " فتح الأستاذ محفظته، جال جولة مراقبة بين الصفوف، كلف طالبا بمسح السبورة. "فهما تغير ترتيب هذه الجمل فلن يتغير الانسجام لأن العلاقة بين مكوناتها غير مقيدة.

ب)- الترتيب غير العادي: هو الذي يحدث بتغيير الترتيب العادي مع حفظ الانسجام، وله وسائل معينة منها إدخال الظروف: قبل، بعد...مثل: دخل الأستاذ القسم وقبل أن يشرع في الدرس حيى الطلبة ووضع أدواته على المكتب.

- شرع الأستاذ في الدرس بعد أن دخل القسم وحيى الطلبة ووضع أدواته على المكتب. وللترتيب غير العادي قيمة بلاغية تدل على أهمية الجزء المقدم من الكلام. وقد تكون له قيمة فنية في الأدب الروائي الحديث حين يوظف في الفقرات الطويلة والفصول بما اصطلح عليه بـ"الاستنكار(لما مضى) و الاستباق (لما سيأتي).

• القاعدة 24: ترابط وتناسق أجزاء الخطاب¹

أ)- لكي يكون الخطاب/ النص منسجما لابد من ترابط وتناسق أجزائه، أي: جملة وأفكاره، ومن مظاهر ذلك بالإضافة إلى الترابط الشكلي الاتساق:

- أن تدور الأفكار الجزئية حول الفكرة العامة للموضوع.

- أن يقوم فهم كل جزء على جزء آخر .

1- ينظر: المادة النظرية " لترابط القضايا " و " تناسق فحوى الخطاب " في البحث، ص ص192-194(مع التصرف في التعبير عن بعض المفاهيم للتبسيط).

- أن تربط بين الألفاظ والذوات علاقات طبيعية كعلاقة الجزء بالكل . مثل: يد، وجه، رأس إذا تعلق الكلام بالإنسان.

- مكتب، سبورة، كتاب، طلبة، إذا تعلق بالتدريس.

- أن تطابق العلاقة بين الأجزاء الحالات العادية المفترضة في الحياة، فلا تكون مثلاً من نوع: حلمت أن الطقس حار فذهبت إلى الشاطئ.

(ب)- قد تغيب بعض هذه المظاهر في الخطاب لغرض فني، كما في الشعر الحديث، ولكنه يكون منسجماً بإعمال الفكر في فهمه وتذوقه.
مثل قول الشاعر:

"خرجت الكواكب ترعى أعشاباً خضراء

بسط البحر يديه

مدت الغابة أعناقها

لا الأعشاب ذبلت

لا السمكة استجابت

لا العصفور خاف".¹

2.2.2- وسائل الانسجام الدلالية:

وهي الوسائل التي تقوم على العلاقات الدلالية والمنطقية بين الجمل والمعاني لتحقيق الانسجام في النص/الخطاب، ويبدو أن ما ذكر في هذا الصنف معظمه متشابه إلى حد يقارب التطابق، الأمر الذي يجعل الفروق بينها طفيفة يصعب تمييزها، ولذا فسيترك "الإلحاق" و"المناسبة" ويكتفى بقاعدتي "مبررات الفصل" و"التغريض".

• القاعدة 25: مبررات الفصل² أو (العلاقات الدلالية)

- الفصل (عكس الوصل) وهو الحالات التي لا يليق فيها الربط الشكلي، مع أن الكلام يكون فيها منسجماً، فهو تماسك معنوي يقوم على العلاقات الدلالية التي تعدّ مبررات للفصل

1- أدونيس ، مفرد بصيغة الجمع ، ص 175 ، نقلاً عن خطابي ، لسانيات النص ، ص 232.

2- ينظر: المادة النظرية "الفصل ومبرراته" في البحث، ص 237.

لا يتحقق إلا بها، وتلخص في "كمال الاتصال وكمال الانفصال" بين معاني الجمل، ومن تفصيلاتها:

- التوكيد غير النحوي عند نقصان المعنى في الجزء الأول، مثل: اخرج من عندنا Ø لا تقعد معنا .

- اختلاف صيغة الخطاب أو الأفعال الكلامية، كأن يكون الأول خبرا والثاني طلبا، مثل: إنه يتهمني بالكذب Ø انتقم الله من الكاذب. ومثل العلاقة بين النداء وجوابه.

- إيضاح الغامض وتفصيل المجمل، مثل: إنه خبر عجيب Ø من كان ينهانا عن التدخين صار مدخنا.

• القاعدة 26: التغريض¹

(أ) - التغريض: هو وسيلة انسجام تتمثل في الارتباط المعنوي الوثيق بين ما يدور في النص وأجزائه وبين نقطة البداية فيه التي تسمى "الثيمة".

(ب) - الثيمة: هي بؤرة تغريض النص ومركز جذب بقية أجزائه ومعانيه، وتأتي في البداية: كعنوان أو رأس الفقرة الأولى، وتكون اسم ذات أو قضية أو حادثة.

(ج) - الطرق التي يتم بها التغريض متعددة منها: تكرير الاسم أو جزء أو جزء منه، الإحالة إليه بضمير أو غيره، استعمال ظرف يخدم خاصية من خصائصه، ذكر دور من أدواره...*

3.2.2 - وسائل الانسجام المقامية:

وهي التي تتعلق بالسياق الخارجي للنص وسيُكتفى هنا بثلاث وسائل من الست المذكورة سابقا، بحيث نترك وسيلتا "مبدأ التأويل المحلي" و "مبدأ التشابه" لأنهما يعنيان المتلقي أكثر من النص من جهة، ومن جهة أخرى فهما فرعيان قد يغني عنهما بعض ما يأتي في قواعد وسائل أخرى؛ كما تدمج وسائل "الاستدلال" و "الأفعال الكلامية" و "الخطاب التام والخطاب الناقص" و "الحلقات المفقودة" في هذه الأخيرة، وتدمج وسيلة "تطابق الكلام لمقتضى الحال" في "السياق"، وذلك للتداخل والتشابه الحاصل بين كل مجموعة متداخلة.

1- ينظر: المادة النظرية "للتغريض" في البحث، ص220.

*- المثال الذي يوضح التغريض في ص220. من البحث، يمكن الاكتفاء به في موضعه تقاديا للتكرير.

• القاعدة 27: السياق¹

(أ) - يتشكل السياق أساساً من: الباث والمتلقي والزمان والمكان وله خصائص أخرى عديدة ومكملة تتعلق بالخطاب ومحيطه.

ودور السياق في الانسجام يكمن في أنه لا يمكن فهم الخطاب إذا فصل عن سياقه ولم تعرف عناصره؛ ومثال ذلك إذا وجد أحدنا على باب بيته ورقة كتب عليها: "سأزورك بعد ساعة" دون أن يعرف صاحبها و زمان كتابتها فإنه يبقى في حيرة؛ ولا يفهم منها شيئاً.

(ب) - كلما كان الكلام بمحتواه ونمط نظمه وألفاظه مناسباً للسياق وللغرض الذي هو جزء من السياق، كان أجمل وأكثر انسجاماً؛ وهذا ما سماه البلاغيون "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وعدوه وسيلة انسجام.

• القاعدة 28: معرفة العالم² (أو المعرفة الخلفية)

(أ) - معرفة العالم (أو المعرفة الخلفية) هي القواعد المنطقية وجملة المعارف المخزنة في الذاكرة والتي يوظفها المتلقي ويختار منها ما يكمل به الخطاب ليكون منسجماً ومفهوماً، لأن الباث لا يذكر - عادة - التفاصيل التي يفترض أنها متوفرة لدى المتلقي.

فإذا كان القارئ - مثلاً - أمام نص "الذهاب إلى المطعم" فإنه ليس في حاجة إلى أن يُذكر بأن في المطعم نادلاً وكراسي وطاولات... الخ فهي موجودة في ذهنه وهو يستحضرها تلقائياً لملء الفراغات في مثل: "جلست وطلبت أكلتي المفضلة" أي جلست (إلى الطاولة على الكرسي) وطلبت (من النادل الذي جاء يسألني) أكلتي المفضلة.

1- ينظر: المادة النظرية "السياق" في البحث، ص211

2- ينظر: المادة النظرية "لمعرفة العالم" في البحث، ص222.

(ب) - إذا كان الكلام مجازيا فلا بد أن تكون فيه قرينة لفظية أو معنوية توجه ذهن إلى فهمه على غير الحقيقة. مثل: خرجت إلى حديقة المنزل فإذا العصافير في الساحة تلعب. حيث لفظ "تلعب" يوجه الفهم من مخزون المعرفة الخلفية أن "اللعب للأولاد"، فيحدث الانسجام والفهم الصحيح.

• القاعدة 29: الحلقات المفقودة¹

(أ) - الحلقات المفقودة هي القضايا غير المعبر عنها في الخطاب، التي تربط في ذهن المتلقي بين أجزاء الخطاب المصرح بها، ليكون منسجما ومفهوما. وذلك مثل ما يظهر في الحوار الآتي بين قوسين:

س - هناك شخص بالباب . (هل يمكن أن تفتحه؟)

ع - (لا، لا يمكن أن أفتحه، ف) أنا مشغول.

س - طيب (سأفتحه أنا).

(ب) - يستحضر المتلقي الحلقات المفقودة من خلال المعرفة الخلفية والسياق، وتبرز الحاجة إليها بوضوح في الخطابات والتقارير المتخصصة (طبية ، صناعية، قانونية...) لدرجة أن غير أهل الاختصاص لا يكادون يفقهون منها شيئا.

4.2.2- وسائل الانسجام البلاغية:

والمقصود بها تلك الوسائل التي تكسب الخطاب قوة الانسجام بجمالها البلاغي البارز، فإذا غابت قد لا يتفكك الخطاب تماما ولكن يضعف تماسكه فقط؛ وأغلبها ذات طابع دلالي ولكن الذي يميزها عن الوسائل الدلالية الأخرى هو الصبغة البلاغية الجمالية؛ ولكن منها ما هو متعلق بالجانب الصوتي فقط حيث يظهر جمال انسجامه بين حروفه.

• القاعدة 30: التعاليق البياني²

1- ينظر: المادة النظرية "للحلق المفقودة" في البحث، ص 231.

2- ينظر: المادة النظرية "للتعاليق البياني" في البحث: التعاليق الاستعاري ص 249 ، التشبيه الضمني، ص 247

بعض الصور البيانية التي تخلو من الرابط الشكلي بين أجزائها تؤدي بجمالياتها دور الربط الدلالي، حيث تتعالق معنويا أطراف الكلام المكونة لها، ومنها على الخصوص.

- التشبيه الضمني: الذي يتم التعالق فيه داخليا في الصورة ذاتها؛ مثل : قول الشاعر:
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها :::: إن السفينة لا تجري على اليبس.

- التعالق الاستعاري: ويكون بين سلسلة الاستعارات في النص الواحد، حيث تتحاقل دلالتها ورموزها لتعيد للنص كيانه الذي قد يبدو لأول وهلة مفككا ، وبخاصة في نصوص الشعر الحديث.

• القاعدة 31: الابتداء والتخلص والانتهاء¹

(أ) - الابتداء والتخلص والانتهاء: هي إجراءات خطابية تهدف إلى جعل النص وحدة واحدة متماسكة وجميلة.

- الابتداء: يحقق حسن افتتاح النص بأن يكون دالا على ما بعده.

- التخلص: يأتي أثناء النص ويعني إتقان الخروج في الكلام من غرض إلى غرض على سبيل التدرج.

- الانتهاء: هو حسن الخاتمة حتى تكون "قاعدة دلالية" لما قبلها.

(ب) - التسويم و التحجيل:² عمليات مشابهة لما سبق ولكنها تحدث في المقطع الواحد داخل النص تحريا لتماسك النص في كل أجزائه.

- التسويم: هو العناية برؤوس الفصول والمقاطع العناية التي توقظ نشاط النفس لتلقي ما يتبعها ويتصل بها.

- التحجيل: يعني تحلية أعقاب الفصول بالأقوال الحكيمة والاستدلالية.

(ج) - هذه الوسائل الجمالية للانسجام إبداعية لا تقبل التقييد بشروط نمطية معينة لأنها نسبية تخضع لحكم الذوق.

• القاعدة 32: تلاحم الأجزاء الصوتية³

1- ينظر: المادة النظرية "للابتداء والتخلص والانتهاء" في البحث، ص 257.

2- ينظر: المادة النظرية "للتسويم والتحجيل" في البحث، ص 264.

3- ينظر: المادة النظرية "لتلاحم الأجزاء الصوتية" في البحث، ص 252.

من تمام الاهتمام بالانسجام في العربية العناية "بتلاحم الأجزاء الصوتية" ويعني تآلف الكلام في الجانب الصوتي نتيجة تباعد مخارج الأصوات وتتاسبها فيما بينها سواء في اللفظ الواحد أم في الألفاظ المتجاورة لأن تقارب المخارج يؤدي إلى التنافر وسوء الانسجام، مثلما في البيت المشهور: قَبْرُ حرب بمكان قَفْرٍ :::: وليس قَرَبَ قَبْرٍ حربٍ قَبْرٍ

ومن بين الحروف التي يُستهجن تقاربها في العربية كما يقول الجاحظ:

- "الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير".

• **خلاصة المبحث:** بالعدد اثنتين وثلاثين(32) بلغت القواعد التعليمية للاتساق والانسجام عدتها وهي تمثل تلخيص وتقليص ما جاء في النظريات التي عرضت في الفصلين الأولين حول الاتساق والانسجام و حول النص وعلمه .

والملاحظ أن عدد الأدوات والوسائل المقعدة قد نقص عن عدد العناوين المتعلقة بها الوارد في المادة النظرية وذلك نتيجة الانتقاء الذي حصل فيها لمراعاة المستوى الدراسي وكذا دمج المتشابهات فيها تقاديا للحشو والتكرار.

أما الجديد في هاته القواعد فهو الجمع والصياغة المناسبة حتى يسهل فهمها ويليق تدريسها، فهي إذن تقترح كأرضية عمل للجهات الرسمية لتخرجها في صيغتها النهائية التي يتم بها استكمال النقص الحاصل في الميدان الدراسي.

المبحث الثالث

دروس نموذجية وتطبيقاتها

الدرس الأول: (السنة الأولى ثانوي/ الفرع الأدبي)

• العنوان: العطف

• النص: ثقافة ومتقنون - طه حسين.¹

... وبمقدار ما يكون للإنسان من حظ في العلم أو حظ في الثقافة أو حظ في كليهما يكون حظه من التبعة بالقياس إلى البيئة التي يعيش فيها.

فالإنسان لا يحسن العلم ليجعله شيئاً بينه وبين نفسه دون أن ينفع به أحداً من الذين يعيشون معه في بيئته أو في وطنه، وإنما يحسن العلم والثقافة ليكون مصباحاً يضيء لمن حوله من الناس سبيل الحياة، وسبيل الرقي، وسبيل المعرفة أيضاً.

ولا أعرف مثلاً أدق ولا أصح وأصدق للذين يحسنون العلم والثقافة ثم يكتمونهما ، من هذا المثل الرائع الذي ضربه القرآن الكريم للذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها، ولم ينفعوا بها أنفسهم، ولم ينفعوا بها الناس من حولهم، فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً لأنه يحمل هذه الأسفار ولا يعلم مما فيها شيئاً ولا ينفع الناس بما فيها. تبعة العالم والمتقف إذن أمام بيئته ووطنه ثقيلة بمقدار حظه من العلم أو من الثقافة أو منهما جميعاً.

• مناقشة و إيضاح:

- ما هي حروف العطف التي عرفت في قواعد النحو؟
- ما معنى الفعل "عطف" الذي جاء منه لفظ عطف ؟
- ما علاقة هذا المعنى بوجود حروف العطف في الكلام ؟
- استخرج بعض حروف العطف من النص مع الكلمات المرتبطة به ؟

1- كتاب المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، للسنة الأولى من التعليم الثانوي ، جذع مشترك آداب، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للطبعات، ط1، 2006-2007، ص74.

- ما علاقة الكلمة السابقة لحرف العطف باللاحقة ؟
- ماذا تلاحظ لو أنك تحذف هذا الحرف ؟
- كيف يظهر لك دور حرف العطف في الكلام ؟
- هذا الدور في المعنى له أثر في الإعراب ما هو حسب ملاحظاتك؟
- لاحظ الجملة : " أحب المسجد الأقصى أولى القبلتين "
- هل تستطيع أن تجعل حرف العطف الواو مثلاً بين " المسجد الأقصى " و " أولى القبلتين " ؟
- لماذا ؟
- كم عدد حروف العطف في النص ؟ هل تعد كثيرة أم قليلة ؟
- بماذا يوصف الجسم الذي تكثر فيه أدوات التماسك ؟

• القاعدة:

حروف العطف وعلى رأسها الواو هي أدوات اتساق تربط ما بعدها بما قبلها سواء أكانت بين كلمتين أم بين جملتين، لأن كل حرف منها يفيد معنى خاصاً يشترك فيه الكلام السابق واللاحق.

فمعنى: "جاء زيد وعمرو" مثلاً، أنهما اشتركا في المجيء لأن الواو تفيد مطلق الجمع.

- وللعطف شروط ومستلزمات يفسد بدونها ويتفكك الكلام، أهمها:

4. أن المعطوف يتبع المعطوف عليه في الإعراب وبهذا يتأكد الربط بعلامة شكلية أخرى، مثل، الرفع في عمرو (في المثال السابق).

5. ألا يكون المعطوف من التوابع الواصفة والمؤكدّة، ففي قولنا: أحب المسجد الأقصى أولى القبلتين. لا يجوز العطف بين "الأقصى" و "أولى" لأن "الأقصى" هو نفسه "أولى القبلتين".

6. أن يكون المتحدثّ عنهما في المعطوفين نظيرين أو شبيهين أو متناقضين . مثل:

- زيد كاتب وعمرو شاعر

- زيد طويل القامة وعمرو قصير.

فلا يجوز مثلاً: زيد طويل وعمرو شاعر.

- يحكم على النص الذي تكثر فيه أدوات العطف بأنه أكثر تماسكا وأكثر إيجازاً، والقرآن الكريم نموذج لذلك.

• تطبيق: إحكام مورد المتعلم وضبطها :

- تقرأ الفقرة الأولى والثانية دون حروف العطف، ويطرح سؤال ماذا تلاحظ في المعنى؟ ولماذا؟.

- أعد كتابة الجمل التي تحتوي على عطف دون حروفه مع الحفاظ على المعنى؟ماذا تلاحظ؟أي التعبيرين أجمل.

- كون فقرة تحتوي على أكبر قدر ممكن من حروف العطف.

الدرس الثاني: (للسنة الثانية / الفرع الأدبي).

• العنوان: العلامة الإعرابية أداة اتساق

• النص: النزعة العقلية في القصيدة العربية - د. شوقي ضيف.¹

رقيت الحياة العقلية في هذا العصر رقياً بعيداً وهو رقي هيأت له الكتب الكثيرة التي ترجمت عن الهنود والفرس واليونان، كما هيأت له المحاورات والمناظرات بين أصحاب الملل والنحل والأهواء، وهي مناظرات دفعت الشعراء كما دفعت غيرهم إلى التفكير المتصل، الذي ما يني صاحبه يحاور وينظر متتالوا كل شيء، حتى يصقل عقله، وحتى يبلغ أقصى ما يريد من العلم والمعرفة وما لم يعرفه ولم يعلمه العلماء، سأل عنه ليصوره له وليزيلوا الشبهة فيه عن نفسه وفي ذلك يقول بشار بن برد:

شفاء العمى طول السؤال وإنما دوام العمى طول السكوت عن الجهل
فكن سائلاً عما عناك فإنما دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

• المناقشة والإيضاح:

- ما معنى الإعراب الذي عرفته في القواعد اللغة؟
- لماذا تختلف علامات الإعراب في الكلمات؟
- أشكل الجملة الأولى شكلاً صحيحاً؟ ماذا تلاحظ لو غيرنا علامة من علامات إحدى الكلمات؟ ماذا تفهم من ذلك عن دور العلامة الإعرابية في المعنى؟
- وللتأكد أشكل الجملة الآتية: قتل الخادم السيد؟
- ماذا يحدث في المعنى لو غيرنا إعراب "الخادم" و "السيد" بين الرفع والنصب؟ ما مدى خطورة هذا التغيير؟
- وتأمل أيضاً: " ما أحسن زيد" كم من معنى يمكن أن تحمله هذه الجملة بتغيير إعراب " أحسن" و " زيد".
- ماذا نستنتج من كل ذلك في مجال تماسك الكلام.

1- من كتاب: الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، للسنة الثانية من التعليم الثانوي، لشعبي الآداب و الفلسفة / الآداب واللغات الأجنبية، وزارة التربية الوطنية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر، ط1 2006-2007، ص23.

القاعدة:

العلامة الإعرابية في اللغة (سواء كانت حركة أم ما يعوضها) أداة اتساق هامة للكلام لأنها تجعله متماسكا وتمكن من فهم المعنى المقصود منه بدقة ، وبغيابها يحصل الغموض وبتغييرها يتغير المعنى .

ففي الجملة الآتية - مثلا - لا يُعرف مرتكب الجريمة إلا برفع الفاعل ونصب المفعول :
قتل الخادم السيد .

والكلام الواحد قد يحتمل عدة معان لا تميزها إلا الحركات في مثل جملة : " ما أحسن زيد " فهي تدل على النفي إذا رفع " زيد " وتدل على التعجب إذا نصب ، وتدل على الاستفهام إذا جر مع رفع " أحسن " ليصير اسما بعدما كان فعلا في الحالتين الأوليين .
وللحركة بوجه عام دور أساسي في تمييز الكلام ولو في حرف واحدة ، مثل : " لام الملك " (بالكسر) و " لام الابتداء " (بالفتح) ، فلو قلت " إن زيدا لهذا " دون حركة اللام ما فهم القصد بالتحديد.¹

• تطبيق: إحكام موارد المتعلم وضبطها.

1- ما الفرق في المعنى بين العبارات الآتية عندما تختلف بعض الحركات وعلامات الإعراب فيها ؟

التي تُرجمت عن الهنود والفرس و اليونان/التي تُرجمت/ هيأت المحاورات والمناظرات بين أصحاب المِلل و النحل/ المحاورات و المناظرات / المِلل والنحل./ رقيت الحياة العقلية / رقيت الحياة .

2- ماذا يحدث لو تغيرت الحركات بشكل عشوائي في كل تلك العبارات ما الذي تلاحظه؟

3- هات ثلاث جمل من إنشائك وغير المعنى في كل منهما بتغيير علامات الإعراب وبين متى تكون لا معنى لها.

1- بكسر اللام تعني : زيد بمكمله " هذا " ويفتحها تعني : تأكيد " هذا " هو زيد.

الدرس الثالث: (للسنة الثالثة / الفرع الأدبي).

• العنوان: دور الإسناد في تماسك النص.

• النص: من "الالتزام في الشعر العربي الحديث - مفيد محمد قميحة"¹

الأديب إنسان يعيش ضمن مجموعة من البشر يتبادل معهم التأثير والتأثير ويشاركهم الهموم والتطلعات، فهو لا يعيش في فراغ زمني أو مكاني، ولكنه يعيش ضمن مجتمع حي متحرك يهدف إلى التطور والتقدم نحو الأفضل، كما يهدف إلى معالجة قضايا الاجتماعية التي تقف عائقاً في طريق هذا التحرك المستمر والمتجدد، فهو " يتأثر بكل اهتزازات الذبذبة الإنسانية سلماً وإيجاباً، ويتأثر بكل ألوان الطيف الحياتي التي تتسكب في وعاء وجوده كإنسان يمثل طبيعة الوجود، وهو كإنسان تاريخي يجب أن يرسم الطريق للأجيال الحاضرة والقادمة عبر أدبه الإنساني الثرّ".

• المناقشة والإيضاح:

درست الإسناد في القواعد اللغة، فما هو معناه؟

- أين يظهر لك الإسناد في قول النص: " الأديب إنسان يعيش ضمن مجموعة من البشر".
- كيف عرفت هذا؟ هل يمكن أن تظهر لذلك علامات شكلية إذا غابت فسد الإسناد؟
- ما نوع الكلمة التي جاءت مبتدأ في الجملة الأولى؟ أين يظهر لك المبتدأ في قوله تعالى: « وأن تصبروا خير لكم»؟ ماذا يجب أن يكون المبتدأ من حيث نوع الكلمة ؟
- هل جاء المبتدأ معرفة أم نكرة؟ ماذا يحدث لو حذفنا "ال" التعريف؟
- من حيث الحالة الإعرابية كيف جاء كل من المبتدأ والخبر؟ ماذا لو غيرنا حركة "إنسان" بالنصب ماذا يصير إعرابها؟ وهل يتم الكلام بذلك؟ ماذا يعني ذلك؟
- ماذا نلاحظ في العلاقة من حيث النوع والعدد بين المبتدأ والخبر؟
- أيهما يكون الأول في الغالب المبتدأ أو الخبر؟ وهل يجوز التغيير؟ ومتى؟

1- من كتاب: اللغة العربية وآدابها، السنة الثالثة من التعليم الثانوي، للشعبتين: آداب/فلسفة، لغات أجنبية، وزارة التربية، الديوان الوطني للطبوعات المدرسية، ط1، 2007-2008، ص107.

- بالنسبة للجملة لموالية (الثانية) ما نوعها؟ أيهما جاء الأول الفعل أم الفاعل؟ ماذا لو غيرنا الترتيب ماذا يحدث؟ ما حكم الترتيب بين الفعل و الفاعل إذن؟
- هل الفعل تام أم ناقص؟ فلو كان الفعل ناقصاً هل تتم الجملة بالمرفوع وحده أم لا؟
- كأن نقول: " كان الحق " مثلاً؟ ما هو الحكم هنا؟
- كيف ترى المطابقة بين الفعل و الفاعل في النوع و العدد؟
- هل يجوز حذف الفاعل؟ ماذا لو لم يكن الفاعل ظاهراً؟
- ماذا يحدث في الكلام لو توفرت كل هذه الشروط وماذا يحدث لو غاب واحد منها؟
- القاعدة:

الإسناد رابط نحوي تتشكل به نواة الجملة بنوعيتها، فيربط بين المسند والسند إليه وهما الفعل والفاعل أو الخبر والمبتدأ أو ما ينوب عن كل منهما.

والأصل في الإسناد أنه رابط معنوي مفاده أن الفاعل قام بالفعل أو اتصف به وأن المبتدأ مخبر عنه بالخبر، إلا أنه يعتمد على مظاهر شكلية إذا غابت كان فاسداً وتفكك الترابط وبوجودها يكون الإسناد أداة كاملة من أدوات الاتساق، ومن هذه المظاهر:

أ- بين المبتدأ والخبر:

- 1- الصيغة الاسمية للمبتدأ : اسم أو مركب اسمي، مثل:
- (الصبر) خير - أو - «(وأن تصبروا) خير لكم» (النساء 25).
- 2 - التعيين في المبتدأ بأن يكون معرفة أو نكرة مخصصة، مثل:
- العالم محترم - رجل علم محترم.
- 3- الحالة الإعرابية لكل من المبتدأ و الخبر وهي الرفع الظاهر أو المقدر، مثل: السماء صافيةً (بالرفع) فلو تغير الرفع في أحدهما لتغير المعنى أو تفكك.
- 4- المطابقة بينها في النوع والعدد، إلا إذا سمحت قواعد اللغة بالاختلاف في مثل قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت» (آل عمران 185).

5- الترتيب بينهما والأصل تقدم المبتدأ و لكنه قد يتغير وفق ضوابط تفرضها قواعد اللغة خوفا من اللبس.

ب) - بين الفعل و الفاعل:

1- الترتيب الملزم بتقديم الفعل. ففي: "ظهر الحق " الإسناد فعلي فإذا قلنا " الحق ظهر" صار اسما وتغيّر المقصود.

2- صلاحية الفعل للإسناد، فلا يكون-مثلا- ناقصا لا لتكتفي بمرفوعة، نحو: "كان الحق".

3- المطابقة بين الفعل والفاعل في النوع . مثل ظهر الحق وظهرت الحقيقة.

4- عدم المطابقة في العدد، يظل الفعل مفرداً ولو كان الفاعل مثنى أو جمعا.مثل: قال قومك، وقال أبواك.

5- عدم جواز حذف الفاعل، فإن لم يكن ظاهراً فهو مقدّر.

• تطبيق: إحكام موارد المتعلم وضبطها .

1- استخراج طرفي خمسة إسنادات في النص، وبين علامة واحدة شكلية من علامات كل إسناد على أن تكون كل حالة من نوع مختلف عن البقية .

2- كَوّن جملتين بإسناد اسمي وجملتين بإسناد فعلي على أن تكون في كل منها كلمات "فضلة" وحدد العمدة والفضلة في كلمات كل جملة.

الخطاتنة

الخاتمة

هذا البحث المقدّم تحت عنوان: " القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية " حاول أن يعرض مفهومي النص وعلمه الذي ينتمي إليه كل من الاتساق و الانسجام و تطرق بعد ذلك إلى تعريف التقعيد وكيفيته ودواعي التقعيد اللغوي وأهميته ثم انتقل إلى مفهومي الاتساق والانسجام و دور كل منهما و العلاقة بينهما ثم أدوات الاتساق و وسائل الانسجام مستنتقا ما استطاع أن يطلع عليه من النظريات و المعارف في هذا الموضوع ، مقسما أدوات الاتساق إلى صنفين كبيرين فقط اختصارا وتسهيلا للتعليمية وهذان الصنفان هما: الأدوات ذات الطابع الإحالي والأدوات الواصلة أي ذات الطابع الرباطي الخطي؛ والشرط الأساسي في كل صنف أن تكون له أداة ظاهرة. والجدير بالذكر أن هذه الأدوات يكاد يُجمع على دورها التماسكي والاختلاف فقط في تصنيفاتها التي اجتهد البحث في الفصل فيها. أما وسائل الانسجام فإن اجتهادات العلماء والباحثين فيها متنوعة وغير محدّدة ولا محدودة، ولذلك عرض البحث كل مجموعة مما أمكن من هذه الوسائل ضمن اجتهادات الباحث الواحد المنسوبة إليه، وقد تحاشى إلى حد ما تكرير ما هو واضح التطابق والتماثل. وكانت الاجتهادات المعروضة هي الآتية:

- في لسانيات الخطاب: عند فان دايك.
- في تحليل الخطاب: عند براون ويول.
- في الجهود العربية: عند العديد من العلماء البلاغيين والنقاد والمفسرين والمصنفين في علوم القرآن.

و إثر كل هذا توصل البحث إلى لمّ شتات ما يزيد على أربعين أداة ووسيلة لم تكن مجتمعة و لا مرتبة بهذا الكم الكبير و لا بهذه الكيفية المبسطة في المراجع المعتمدة على الأقل . أما الجانب التطبيقي فقد استهله بنظرات تعليمية في الظاهرتين وضوابط التقعيد لهما قبل أن يشرع في استنباط القواعد استنادا إلى المادة النظرية المعروضة سابقا ثم ختم العمل بنماذج تطبيقية يمكن أن تحتذى في إخراج هذه القواعد في شكل دروس.

وبعد كل هذه الخطوات والجهود المنجزة في البحث يمكن الكلام في خاتمته عن نتائجه ومقترحاته النهائية إجمالاً لما أثبت في نهاية كل مبحث أو مطلب.

أ- النتائج النهائية:

إن أهم نتائج البحث هي تلك التي تجيب على الإشكالية المطروحة في مقدمته وهي: "بما أنها لا توجد - في الظاهر - في متناول الطلبة والدارسين العاديين للغة العربية مفاهيم وقواعد محددة ومبسطة جاهزة للغة في علم النص للدراسة والتطبيق، فهل يمكن صياغة قواعد تعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية على غرار قواعد البلاغة والنحو؟" والإجابة على هذه الإشكالية كانت عملياً بالإيجاب وتمثلت في أنه بعد تأكد البحث من انعدام وجود قواعد من النوع الذي يصبو إليه أنتج اثنتين وثلاثين قاعدة للمفاهيم والأدوات والوسائل المتعلقة بالاتساق والانسجام.

و تدخل تحت هذه النتيجة الأساسية نتائج أخرى فرعية وهي:

- الإسهام في إنضاج هذا العلم البكر بالتقعيد في أهم أسسه "الاتساق والانسجام".
 - توفير قواعد جاهزة يمكن توظيفها في تعليم الاتساق والانسجام ولاسيما في مرحلة الثانوي.
 - تقديم ما يمكن أن يساعد على تصحيح واستكمال النقائص الموجودة في برنامج التعليم الثانوي ووثائقه في الجزائر.
 - بلورة الكيفية التي يمكن أن يتم بها التقعيد اللغوي عموماً والتعليمي منه بالخصوص.
 - إبراز الأهمية التعليمية للتقعيد للاتساق والانسجام، وأهم الخصائص التعليمية لهما.
 - تحديد المجال العلمي "المزدوج" الذي ينتمي إليه التقعيد للاتساق والانسجام وهو لسانيات النص والتعليمية.
 - مقارنة المفاهيم المتعلقة بالظاهرتين ومجالهما العلمي.
- كانت هذه النتائج العملية العامة للبحث أما نتائجه النظرية والعلمية التفصيلية فمن أهمها:

1- العلم العام الذي ينتمي إليه الاتساق والانسجام وهو علم النص وفروعه (وما كان في معناه من ترجمات) حديث النشأة فلم يظهر بشكل جلي إلا في السبعينيات وقد وصفه أحد الباحثين (سنة 2004) "بالبكر". ويعد الاتساق والانسجام أهم ركائز هذا العلم وهما يجعلانه يتقاطع مع علوم أخرى كالبلاغة والنحو والتفسير وعلوم القرآن وغيرها.

2- رغم حداثة هذا العلم فإن علماء اللغة العربية القدامى تناولوا الكثير من قضاياها بالدراسة المستفيضة ومنها بعض قضايا الاتساق والانسجام وأدواتهما؛ وهذا يدل على أن العربية تتلاءم مع هذا العلم الحديث ومنتجاته سواء القديم منها أم المعاصر. وإن إدماج نظرياته فيها يعمل على تطويرها؛ خلاف ما يظن البعض.

3- نظرا لمكانة الاتساق والانسجام في تحصيل ملكة اللغة ، و من ثم الملكة النصية التي هي أرقى صور الملكة اللغوية ، فإن لتدريسهما والتعقيد لهما أهمية كبرى لخصها البحث في: الإسهام في تأهيل المتعلم (إنشاء وفهما وذوقا) ومواكبته العصر، وتطوير لغته (العربية) وإحياء تراثها، وتجاوبه مع قرآنه الذي اكتشفت منه العديد من وسائل الانسجام على الخصوص.

4- للتقعيد اللغوي كيفيتان: تقليدية (قديمة) تخص كل لغة على حدة وحديثة كلية تعني كل اللغات الإنسانية.

5- للتقعيد بصفة عامة أنماط محددة أهمها :القاعدة التعريف والقاعدة الحكم والقاعدة القانون، وله خمسة أركان اكتشفها البحث هي: المرجع والمعيار والمبادئ والإجراءات والصيغة.

6- إن كلاً من الاتساق والانسجام وسيلة لترابط النص وتماسكه، إذ لا يعد النص نصاً إلا وهو متماسك.

والاتساق يحقق التماسك الشكلي الظاهر على سطح النص والانسجام يحقق التماسك الدلالي والتجريدي. وعلاقة كل منهما بالآخر هي علاقة تكامل في الدور المذكور إلا أن الانسجام أهم من الاتساق حيث أن وجوده لأبد منه، فقد يغيب الاتساق ولا يضر غيابه إذا عوضه

الانسجام في حين قد يكون الاتساق ظاهراً ولا يفيد وحده. كما أن الانسجام على الخصوص يتميز بالنسبية بين متلق وآخر.

7- أحصى البحث إحدى و أربعين أداة ووسيلة مع تبسيط تبويبها وصوغها، الأمر الذي يجعلها سهلة وقريبة التناول خاصة في المجال التعليمي، وذلك قبل أن يختزلها أثناء التقعيد وفق ما يناسب المستوى التعليمي المستهدف ، وهذا من أهم نتائج البحث والجديد فيه هو أن وجود هذه الأدوات والوسائل بهذا الشكل غير متوفر في المراجع (على الأقل التي اعتمدها البحث)، وهي باختصار:

* أدوات الاتساق:

- الإحالية: الضمائر - أسماء الإشارة - الأسماء الموصولة - المقارنة - بعض التوابع (النعى والتوكيد والبدل) - التكرير - المحسنات البديعية - الحذف - عناصر البنية الزمنية.

- الواصلية: العلامة الإعرابية - العطف (النسق) - ألفاظ الوصل المعجمية - الإسناد - الاستثناء - الإضافة - حروف الجر - الشرط - جزم جواب الطلب - نصب جواب النفي والطلب - القسم وروابطه - حروف التفسير.

* وسائل الانسجام: المناسبة والتناسب - الإلحاق (أو انتظام المعاني) - الترابط بين القضايا - تناسق فحوى الخطاب - ترتيب الخطاب ومبررات تغييره - الخطاب التام والخطاب الناقص والحلقات المفقودة - المعرفة الخلفية وأعراف الحبك - السياق - مبدأ التأويل المحلي - مبدأ التشابه - التغريض - موضوع الخطاب - البنية الكبرى - الفصل ومبرراته - التشبيه الضمني - الاستعارة - تلاحم الأجزاء الصوتية - مطابقة الكلام لمقتضى الحال - الابتداء والتخلص والانتهاء - التسويم والتحجيل.

8- سجل البحث جملة من الملاحظات التعليمية حول الظاهرتين ومجالهما العلمي ملخصها الآتي:

-حادثة نشأة علم النص الذي ينتمي إليه"الاتساق والانسجام" لها تأثيرات غير إيجابية على تدريس مادته، فلا بد من استدراك الأمر بتطويره واستكمال نقائصه. و ملائمة للعربية مساعدة على تعليميته فيها.

- لا بأس باستثمار وتوظيف جماليات الاتساق والانسجام في تدريس الأدب ولكن مع الحذر من الانحياز إلى الجانب الجمالي وحده حتى لا يسوء فهم الظاهرتين.

- كما يمكن الاستفادة من الأنماط الجمالية التراثية لهما مع الحذر من التقيّد بها لأن النمطية تقيّد الإبداع.

- نسبية الانسجام تدعو أكثر لتعليمه مع ضرورة مراعاة مستوى المتعلم ووضع النص في سياقه قبل عرضه.

- الاتساق والانسجام مرتبطان بأغلب مواد العربية ونشاطاتها، وهذا يزيد من أهمية تدريسهما.

- لا محدودية عدد أدوات ووسائل التماسك لا تمنع من تدريسها لأن فيها قسما معتبرا ثابتا وواضحا.

- ظاهرة التداخل و التشابه بين هذه الأدوات والوسائل تؤثر سلبا في تعليمية المادة، وذلك تستدعي جهودا إضافية كافية لمعالجة الظاهرة حتى تتمايز.

- يجب استبعاد ما لا يتفق مع اللغة العربية من الأدوات المستعملة في لغات أخرى، حتى لا يقحم في العربية ما ليس منها.

- لا بد من تصفية الأدوات والوسائل وتدقيق المفهوم الوظيفي لكل منها ومن ثم تنقيتها مما ليس منها وهو مسمى بها وذلك تسهيلا لتعليمتها.

- لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام تصنيفات عديدة ينبغي أن تراعى ويستفاد منها في التعليم الثانوي وتحدد من خلالها ضوابط تدريس المادة.

- كل ما سبق لا يفيد شيئا ما لم توجد "قواعد تعليمية" ثابتة لمادة لسانيات النص، على غرار النحو والبلاغة وغيرهما.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث حاول معالجة حالة الاختلاف في التصنيف بالفصل فيها بناء على مبررات معينة كان أهمها المبرر التعليمي.

ب- المقترحات والتوصيات:

وبناءً على النتائج السابقة يتقدم البحث بالمقترحات والتوصيات الآتية:

1- لأن "التراكمية" من طبيعة البحوث الجادة فإن النتيجة الأساسية لهذا البحث يمكن أن تفتح باباً لعمل آخر بعده وهو وضع هذه القواعد في شكل دروس على النمط المقدم في البحث كنماذج أو ما يماثله وذلك بعد ترتيبها وتوزيعها على المستويات في التعليم الثانوي بالتدرج حتى تغطي كل سنوات المرحلة.

2- يوصي البحث الجهات الوصية بتخصيص وقت كاف لتدريس الاتساق والانسجام ليكون كرافد من روافد النصوص إما مع البلاغة أو كنشاط مستقل تحت أي اسم آخر، مثل: "لسانيات النص" وذلك لأهميتهما التعليمية ولمكانتهما في اللغة وفي علم النص، و حتى يترجم في الواقع التعليمي الاهتمام النظري الذي حظي به الموضوع في الوثائق المنظرة والمخططة له دون أن يبرمج فيها تدريسه. على أن يكون ذلك بشكل مدروس، شامل و متوازن ومتدرج في توزيع هذه المادة على مستويات المرحلة الثانوية الثلاثة وعلى حصص تدريسها.

3- كما يقترح عليها أن تتبنى هذا العمل وتتخذة أرضية للتقعيد للاتساق والانسجام ثم تدمج القواعد المنتجة في مقررات المرحلة الثانوية التي تدرس فيها الظاهرتان حالياً بأسئلة تطرح فيهما عقب كل نص دون مكتسبات قبلية للطلبة في شأنهما.

وفي الختام، و تتوجها لكل نتائج وفوائد البحث العلمية والميدانية يجدر بنا كلما تعمقت ودقت المعاني والحقائق اللغوية أن نتذكر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْأَلْوَانِكُمْ...﴾ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

خلاصة البحث

يظهر هدف البحث من عنوانه :القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية، ومن أجل تحقيقه عمل البحث على مقارنة المفاهيم المتعلقة بالموضوع وهي : النص وعمله والاتساق والانسجام ، ثم عرض المادة النظرية المفصلة لمختلف أدوات الاتساق ووسائل الانسجام في شكل آراء ونظريات علمية.

كما تطرق أيضا الى تعريف القواعد وفصل أنماطها وقوالها في القديم والحديث وبين مفهوم التقعيد وأهميته وكيفية تحقيقه، ثم حدد الضوابط المنهجية والخصائص التعليمية للقواعد التي سيضعها.

أما لبّ العمل التطبيقي فهو استنباط اثنتين وثلاثين قاعدة في الاتساق والانسجام (أدواتهما والمفاهيم المتعلقة بهما) استنادا إلى المادة النظرية المعروضة سابقا، وقد راعى في صياغتها المستوى التعليمي الموجهة إليه أي مرحلة الثانوية.

وخلص البحث في خاتمته إلى جملة من النتائج والتوصيات، أهمها التوجه إلى الجهات الوصية بإقتراح اعتماد هذا العمل كأرضية لبناء قواعد تعليمية تدرّس في الميدان الذي يشكو فراغا مهولا ونقصا فادحا في الموضوع ، حيث تدرّس ظاهرتا الاتساق والانسجام عن طريق طرح أسئلة فيهما ضمن نشاط النصوص دون تقعيد مسبق لهما يتعلمه الطالب كمكتسبات قبلية له يعتمد عليها.

Résumé

L'objectif de cette recherche est révélée à travers son titre : "les règles didactiques de la cohérence et de la cohésion dans la langue arabe.

Pour réaliser cet objectif, nous avons approché les différents concepts qui se rapportent à ce sujet: le texte, sa science, la cohérence et la cohésion, puis nous avons exposé la matière théorique détaillant les différents outils de la cohérence et les moyens de la cohésion sous formes d'opinions et de théories scientifiques.

La recherche a également abordé la définition des règles, et la différenciation de ses types et ses modèles dans le passé et le présent, ainsi que la notion de formalisation son importance et la manière pour la concrétiser; puis, nous avons délimité les normes méthodologiques et les caractéristiques des règles didactiques à mettre en place.

D'autre part, Le fond de notre travail est d'élaborer trente-deux règles pour la cohérence et la cohésion (leurs outils et les concepts qui leurs sont liés) fondées sur la matière théorique présentée précédemment, tout en respectant dans leur formulation le niveau d'enseignement auquel elles sont destinées: le secondaire.

Notre recherche fut conclue par une gamme de résultats et de recommandations, en premier lieu proposer l'adoption de ce travail comme une plate-forme pour la formulation des règles didactiques qui seront enseignées dans le domaine qui souffre d'une vacuité inquiétante et un déficit flagrant en ce qui concerne ce sujet comme ces deux phénomènes (la cohérence et la cohésion) sont abordées par des questions dans le cadre de l'activité des textes sans formalisation des règles au préalable que l'apprenant doit avoir en tant que connaissances à priori sur lesquelles il peut se baser pour les étudier.

الفہامرس

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (دون التقيد برواية معينة أو مصحف محدد).

1. المراجع العربية :

1. ابن أجروم، أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، متن الأجرومية، مطبعة المنار، تونس، د.ط ، د.ت
2. ابن الأثير ، ضياء الدين: المثل السائر ، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طيانه؛ دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، د.ت ، د.ط.
3. ابن حمزة، يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط.
4. ابن رشيق، أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت، ط4، 1972م،
5. ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد: عيار الشعر، تحقيق دكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت، د.ط.
6. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، د.ت.
7. ابن عيسى، عبد الحليم، القواعد التحويلية في الجملة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
8. ابن فارس، أحمد، بن زكرياء القزويني الرازي، الصاحب في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ - 1997 م
9. ابن مالك، محمد بن عبد الله الأندلسي، متن الألفية.
10. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري: - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، لبنان، د.ط ، د.ت، ج1.

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة د.ط، ، د.ت.
- شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط13، د.ت.
11. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي النحوي: شرح المفصل، ،عالم الكتب ، بيروت، د.ط ، د.ت.
12. أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ، إحكام صناعة الكلام،الكلاعي، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1405هـ - 1985م.
13. أبو غزالة، إلهام وحمد، علي خليل: مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1999م.
14. بحيري، سعيد حسن: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ط 1424هـ-2004م.
15. بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع و جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، إريد، الأردن ، ط2، 2010م .
16. تمام، حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1412 هـ . 1992م.
17. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، ت: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1424هـ-2003م.
18. جاسم، بن محمد بن مهلهل ، ونخبة من طلبه العلم، الجداول الجامعة في العلوم النافعة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1415 هـ . 1995م، / ط2، 1419 هـ . 1999م، ج2.

19. الجرجاني، أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، دلائل الإعجاز، تح: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون دمشق ، سوريا ط 1 ، 1426 هـ - 2005 م .
20. جرجيس ، العطية أيوب ، اللغة العربية تثقيفا ومهارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
21. الحلواني ، محمد خير ، أصول النحو العربي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب ، 2011 ، ط2.
22. حماسة، محمد عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2003.
23. حمودة ، طاهر سليمان : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
24. خطابي، محمد : لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 1991م.
25. الرازي، محمد فخر الدين: تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م.
26. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1400هـ - 1980م .
27. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، مراجعة: شعبان محمد إسماعيل، دار المصحف ، القاهرة د.ت ، د.ط.
28. الزناد، الأزهر، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت+ الدار البيضاء(المغرب)، د.ط، 1991.
29. السامرائي، إبراهيم: العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، بغداد، د.ط، 1982.
30. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم ، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.

31. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:

- الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1416، 3هـ-1996م.
- الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، ط5، 1435هـ - 2014م.

32. السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمان ، بن الكمال أبو بكر جلال الدين:

- الأشباه والنظائر في النحو، راجعه : فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1404 هـ ، 1984 م .
 - تناسق الدور (أسرار ترتيب القرآن)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1983م .
 - الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط ، د.ت.
 - الاقتراح، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ط ، د.ت.
 - معترك الأقران، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997 م .
- 33. الشاربي مجيد ، فارس فتحي ،** مداخل إلى تعليمية اللغة العربية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط 1، 2003 .

34. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس "نحو النص"، المؤسسة العربية، بيروت، د.ط ، 1421هـ-2001م.

35. طالب، عبد الرحمان، العربية تواجه التحديات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، الدوحة، قطر، 2006م . 1427هـ ، ط1.

36. العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.

37. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م .

38. **العلوي، كمال،** رشيدة، النحو التوليدي (بعض الأسس النظرية والمنهجية)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 1435 هـ - 2014م.
39. **العموش، خلود:** الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429 هـ - 2008م.
40. **فخري، محمد الصالح،** اللغة العربية أداء ونطقا وإملاء وكتابة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط2 1414 هـ 1994م.
41. **فضل، صلاح:**
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1413 هـ 1992م.
 - شفرات النص، (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)، دار الأدب، بيروت، ط1، 1999م.
42. **الفاقي، صبحي إبراهيم:** علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421 هـ - 2000م.
43. **القرطاجني، أبو الحسن حازم،** منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تق و تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية ، تونس، د.ط، 1966م.
44. **القزويني، الخطيب،** الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1428 هـ - 2017م .
45. **قطب ، سيد:**
- في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت و القاهرة ، ط10، 1402 هـ - 1982م.
 - التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط8، 1403 هـ - 1983م.
46. **كريم، زكي حسام الدين:** أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1421 هـ - 2001م.
47. **الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور:** إحكام صناعة الكلام، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية، عالم الكتب، ط2، 1405 هـ - 1985م.

48. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت د.ط ، 1400هـ .1980م.

49. مفتاح، محمد: المفاهيم معالم(نحو تأويل واقعي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1999، 1م.

50. زكريا، ميشال:

- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1405 هـ . 1985 م.

- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1406 هـ . 1986م .

- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1403 هـ ، 1983م.

- قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1405، 2هـ 1985م .

- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1405 هـ - 1985 م.

51. النجار، نادية رمضان ، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، م: عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر ، د.ط، د.ت .

52. نخلة،محمود أحمد: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1988م.

53. الياسري، علي مزهر، الفكر النحوي عند العرب(أصوله ومناهجه) مجمع البتراء للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، ط1، 2011 م .

54. يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي، النص . السياق، بيروت ، المركز الثقافي العربي، 1989، د.ط.

II. المراجع الأجنبية(*):

55. براون، جيليان و يول، جورج، تحليل الخطاب، ، ت:محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، جامعة الملك سعود،الرياض، د. ط،1418هـ-1998م.
56. برينكر ، كلاوس، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، ت: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425 هـ . 2005م.
57. بيرو، جان، موضوع الألسنية، مقال ضمن مؤلف: الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، لميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2 ، 1405 هـ ، 1985 م .
58. تشومسكي، نوام، مقال: الطبيعة الشكلية للغة، ضمن مؤلف: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1405 هـ . 1985 م.
59. جيرولد، كاتز ، التواصل اللغوي ، مقال ضمن مؤلف زكريا،ميشال ، الألسنية(علم اللغة الحديث) .
60. دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ، نقلا عن: بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية.
61. روبول، آن و موشلار، جاك، تداولية اليوم، ترجمة، د.سيف الدين دغفوس ود.محمد شيباني، مراجعة: د.لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار طليعة للنشر والتوزيع، لبنان، ط2003م.
62. زتسيسلاف واورز نياك، مدخل علم النص (مشكلات بناء النص)، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 1424 هـ 2003م.

(*)- المراجع المكتوبة بالحروف غير العربية مستعملة نقلا عن مراجع عربية ، و قد صرّح البحث بذلك في موضع كل منها ، لكنها سجلت هنا ضمن المراجع الأساسية لأهميتها و كثرة الاعتماد عليها أحيانا .

63. فان دايك:

- النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي)، ترجمة، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، الدار البيضاء (المغرب)، د.ط 2000م.
- علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ت: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.
- 64. كارل ديتربوننتج** ، المدخل إلى علم اللغة، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط2، 1431هـ - 2010م.

65. De Saussure Ferdinand, cours de Linguistique Générale, Edition Talantikit , Béjaia, Algerie, 2002..

66. Firth J.R (1957), papers in Linguistics, oxford university press
Halliday, M.A.K. and Ruqiyah Hasan, cohesion in English (1976)..longman, London.

67. HELGORSKY.F "1982,"La notion de norme en Linguistique" Le Français modern.

68. Hymes, D. (1964) Toward ethnographies of communicative events
' in (ed.) P.P Giglioli

69. Lewis. (1972) 'General semantics '(eds.) D. Davidson & G.H Herman
linguistics, (1981), Longman, London.

70. Maronzean , Lexique de la terminologie Linguistique .

71. Porquier R, et H, Besse, 1984, Grammaires et didactiques des langues.

72. Robert, de Beau Grande and wolf gang Dressler, Introduction to tex

73. Sanford , A.J. et. Garrod , S.C. (1981) understanding, written Language chichester Wiley. semantics of Natural language Dordrecht.

74. Sweet , A new English Grammar.

III. المعاجم :

75. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت.

76. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ت: نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ-2007،

77. J-Richads et. aL , Longman Dictionary of applied Linguistics.

IV. المجلات :

78. Linguistics and philosophy ، مجلة، المجلد7. 1981.

79. فصول، مجلة، مجلد10، عدد1: يوليو1991، أغسطس1991، القاهرة، مصر.

V. البحوث :

80. ابن عروس، مفتاح، الاتساق النصي: دراسة لظاهرة العائد في العربية، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة، إشراف: الدكتور الحواس مسعودي، جامعة الجزائر، سنة 97/96، رقم 1997/70013.

81. حلواجي، علي، واقع تدريس الاتساق و الانسجام من خلال برنامج الأدب و النصوص- السنة الثانية من التعليم الثانوي نموذجاً- دراسة تحليلية نقدية ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللغة ، تخصص تعليمية ، جامعة الجزائر، سنة2009/2010.

82. لوصيف، الطاهر، تعليمية النصوص و الأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري(برنامج السنة الأولى -جذع مشترك آداب- نموذجاً) دراسة وصفية تعليمية نقدية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة ، بجامعة الجزائر، سنة2007-2008 .

83. نصبه، أبوبكر، الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي، قصيدة " ساعة التذكار"أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي ، إشراف الدكتور: بلقاسم دقة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سنة 2005/2006.

VI. الوثائق التعليمية

84. الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، كتاب ، السنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، لشعبي: الآداب والفلسفة- الآداب واللغات الأجنبية، تأليف: أبوبكر الصادق سعد الله(أ.ثا)، كمال خلفي(أ.ثا)، مصطفى هواري (أ، ثا)، إشراف: أبوبكر الصادق سعد الله، إصدار: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، وزارة التربية الوطنية(الجزائر)، ط1، 2006-2007 .

85. مطبوعة "المنهاج و الوثائق المرافقة" ، السنة الثانية من التعليم الثانوي (كل الشعب)، اللغة العربية و آدابها ، وزارة التربية الوطنية ، مطبعة الديوان الوطني للتعليم و التكوين عن بعد، الجزائر ، مارس 2006 .

86. كتاب المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الأولى التعليم الثانوي جذع مشترك آداب، وزارة التربية الوطنية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، ط1، 2005-2006.

87. اللغة العربية وآدابها، السنة الثالثة من التعليم الثانوي، للشعبتين: آداب/فلسفة، لغات أجنبية، وزارة التربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر ، ط1، 2007-2008.

VII. المواقع الإلكترونية

88. شبكة المنهاج الإسلامية: www.almenhaj.net

89. ملتقى الأدباء والمبدعين العرب: www.atida.org

90. منتدى اللسانيات www.lissaniat.net

فهرس الموضوعات

• المقدمة.....	أ-ز
• مدخل	1
• الفصل الأول: المفاهيم النصية و التقعيد	9
المبحث الأول: النص وعلمه: المفاهيم والتاريخ.....	10
0- تمهيد.....	10
1- مفهوم النص.....	11
2- لسانيات النص (علم لغة النص).....	14
1.2- النشأة والحدأة:.....	14
2.2- المفهوم:.....	17
3.2- المهام والفوائد والعلاقة بالعلوم الأخرى:.....	19
4.2- النظرية النصية والتراث العربي القديم:.....	22
• خلاصة المبحث:	25
المبحث الثاني: الاتساق والانسجام: مفهومهما ومكائتهما في النصية	26
1- المفهومان	26
1.1- المعنى اللغوي:.....	26
1.1.1- الاتساق لغة:.....	26
2.1.1- الانسجام لغة:.....	27
2.1- التعريف الاصطلاحي:.....	27
• تمهيد:.....	27
1.2.1- الاتساق اصطلاحًا:.....	32

36	2.2.1- الانسجام اصطلاحاً:
38	2- الدور والمكانة والعلاقة:
38	1.2- الدور و المكانة:
46	2.2- العلاقة و المقارنة بين الاتساق والانسجام:
46	1.2.2- أهمية التكامل:
47	2.2.2- الاتساق سطحي والانسجام عميق:
48	3.2.2- متى يحين دور كل منهما؟:
49	4.2.2- الانسجام أهم:
50	أ - الحالة الأولى: أهمية الانسجام مع وجود الاتساق:
51	ب - الحالة الثانية: أهمية الانسجام عند فقدان الاتساق الكامل:
52	• خلاصة البحث:
53	• البحث الثالث: التقعيد: مفهومه وكيفيته ودواعيه
53	1- المفهوم: (التقعيد والقواعد):
55	2- أنماط القواعد وقوالبها:
56	1.2- أنماط القواعد التقليدية (القديمة):
56	1.1.2- مضامين أنماط القواعد التقليدية:
56	1.1.1.2- القاعدة التعريف:
58	2.1.1.2 . القاعدة القانون:
59	3.1.1.2- القاعدة الحكم:
60	2.1.2- أشكال أنماط القواعد التقليدية:
62	2.2- أنماط القواعد الحديثة:

63	1.2.2- مضامين أنماط القواعد الحديثة.....
63	1.1.2.2- المضمون الموضوعي للقواعد الحديثة.....
66	2.1.2.2- المضامين النمطية للقواعد الحديثة.....
66	2.2.2- أشكال أنماط القواعد الحديثة.....
69	3.2.2- أشكال توضيحية عامة(مشتركة):.....
72	- جدول ملخص لأنماط وقوالب القواعد اللغوية القديمة والحديثة.....
72	3- كيف يتم التقعيد؟.....
73	1.3- التقعيد القديم: (النحو العربي أنموذجا).....
73	1.1.3- المرجعية.....
73	2.1.3- المعيار.....
73	3.1.3- المبادئ.....
75	4.1.3- الإجراءات.....
77	5.1.3- الصيغة.....
77	2.3- التقعيد الحديث.....
78	1.2.3- المرجعية.....
79	2.2.3- المعيار.....
81	3.2.3- المبادئ.....
83	4.2.3- الإجراءات.....
85	5.2.3- الصيغة.....
86	3.3- المقارنة بين التقعدين (القديم والحديث):.....

4-	دواعي التقعيد اللغوي و أهميته:	90
1.4-	الدواعي العامة:	90
2.4-	الدواعي الحضارية:	92
3.4-	الدواعي التعليمية:	95
4.4-	الأهمية التعليمية للتقعيد: (اللغوي والنصي)	97
1.4.4-	المساهمة في تأهيل المتعلم: (إنشاء وفهما وذوقا)	98
2.4.4-	: مواكبة العصر	99
3.4.4-	: تطوير العريضة	102
4.4.4-	: إحياء التراث	103
5.4.4-	التجاوب مع القرآن الكريم	105
•	خلاصة المبحث	107
•	الفصل الثاني: المادة النظرية لأدوات ووسائل الاتساق والانسجام	109
•	توطئة	110
	المبحث الأول: أدوات الاتساق	112
•	تمهيد:	112
1-	الإحالة وأدواتها:	113
1.1-	تعريف الإحالة:	113
2.1-	أنواع الإحالة:	114
1.2.1-	الإحالة النصية:	114
2.2.1-	الإحالة المقامية:	115
3.1-	الأدوات الإحالية:	116

116	1.3.1- الضمائر.....
119	2.3.1- أسماء الإشارة:.....
123	3.3.1- الأسماء الموصولة.....
124	4.3.1- المقارنة.....
126	5.3.1- التوابع الوصفة والمؤكدّة:.....
132	6.3.1- التكرير.....
139	7.3.1- المحسنات البديعية: (المطابقة أنموذجاً).....
142	8.3.1- الحذف.....
146	9.3.1- عناصر البنية الزمنية:.....
149	2- الوصل و أدواته:.....
149	1.2- الوصل وأنواعه.....
151	2.2- أدوات الوصل المعجمية.....
153	3.2- أدوات الوصل النحوية
153	1.3.2- العلامة الإعرابية.....
159	2.3.2- العطف:(عطف النسق).....
172	3.3.2- الإسناد: (في الجملة العربية).....
176	4.3.2- الترابط غير الإسنادي (الاستثناء - الإضافة - حروف الجر).....
180	5.3.2- ترابط الترتّب.....
189	6.3.2- حروف التفسير:.....
191	المبحث الثاني: وسائل الانسجام:.....

191	• تمهيد:
191	1- في لسانيات الخطاب: عند فان دايك:
192	1.1- الترابط بين القضايا
194	2.1- تناسق فحوى الخطاب
197	3.1- ترتيب الخطاب
200	4.1- الخطاب التام والخطاب الناقص: (أو الصريح والضمني)
202	5.1- موضوع الخطاب
205	6.1- البنية الكبرى
210	2- في تحليل الخطاب: عند براون و يول
211	1.2- السياق
216	2.2- مبدأ التأويل المحلي
218	3.2- مبدأ التشابه
219	4.2- التغريض
222	5.2- المعرفة الخلفية: (معرفة العالم)
224	1.5.2- الإطارات المعرفية: (الأطر)
225	2.5.2- المدارات (المدونات)
227	3.5.2- المخططات الذهنية (السيناريوهات)
229	4.5.2- الأنساق الذهنية: (الخطاطة)
231	6.2- الاستدلال والحلقات المفقودة
236	3- في الجهود العربية:

1.3-	عند البلاغيين والنقاد	237
1.1.3-	الفصل (ومبرراته)	237
2.1.3-	التشبيه الضمني	247
3.1.3-	الاستعارة (التعاليق الاستعاري)	249
4.1.3-	تلاحم الأجزاء الصوتية (أو تباعد مخارج الأصوات):	252
5.1.3-	الإلحاق	253
6.1.3-	مطابقة الكلام لمقتضى الحال	255
7.1.3-	الابتداء والتخلص والانتها	257
8.1.3-	التسويم والتجليل	264
2.3-	عند المفسرين والمصنفين في علوم القرآن	265
1.2.3-	المناسبة والتناسب	266
2.2.3-	العلاقات المنطقية ومبررات التغيير في ترتيب الخطاب	272
•	خاتمة وملخص الأدوات والوسائل	273
•	الفصل الثالث: وضع القواعد وتطبيقاتها:	277
	المبحث الأول: نظرات وضوابط منهجية:	278
1-	نظرات تعليمية في الاتساق والانسجام:	278
1.1-	حادثة العلم	278
2.1-	ملاءمة العربية	279
3.1-	تركيز العرب القدماء على الجانب الجمالي	280
4.1-	النمطية المقيدة للإبداع	281
5.1-	نسبية الانسجام	283

284	6.1- التقاطع مع علوم ومواد أخرى
285	7.1- اللامحدودية.....
286	8.1- التداخل والتشابه.....
291	9.1- اختلاف بعض الأدوات والوسائل بين اللغات.....
292	10.1- ليست كل الأدوات والوسائل هي أدوات ووسائل محضة.....
293	11.1- حاجة بعض الأدوات والوسائل إلى التدقيق في التسمية.....
293	12.1- مختلف تصنيفات الأدوات والوسائل
297	13.1- الحاجة إلى التقعيد.....
298	• خلاصة النظرات.....
299	2 - الضوابط التعليمية للتقعيد ومنهجيته:
299	1.2- الخصائص التعليمية للقواعد النصية العربية:.....
299	1.1.2. قواعد نصية لا تستغني عن الجُمليّة:.....
301	2.1.2. قواعد خاصة بالعربية وتلتزم بالمبادئ الكلية:
302	3.1.2- قواعد تربوية الغاية علمية الوسيلة:.....
305	4.1.2- قواعد تساير الإبداع ولا تقبل تنميّطه:.....
308	5.1.2 - قواعد تراعي مستوى المتعلم دون إخلال:.....
313	2.2. منهجية التقعيد المتبعة:.....
315	المبحث الثاني: استنباط القواعد:
315	• تمهيد.....
316	1 - قواعد المفاهيم:

317	1.1- النص: القاعدة 01.....
317	2.1- لسانيات النص: القاعدة 02.....
318	3.1- مقومات النص: القاعدة 03.....
319	4.1- الاتساق والانسجام: القاعدة 04.....
320	5.1- الإحالة: القاعدة 05.....
320	6.1- الوصل: القاعدة 06.....
321	2- قواعد الأدوات والوسائل :
322	1.2- قواعد أدوات الاتساق :
323	1.1.2- الأدوات الواصلة.....
323	1.1.1.2- أدوات الوصل المعجمية: القاعدة 07.....
323	2.1.1.2- أدوات الوصل النحوية: القاعدة 08 : العلامة الإعرابية.....
324	القاعدة 09: العطف.....
325	القاعدة 10 : الإسناد.....
326	القاعدة 11: الاستثناء.....
326	القاعدة 12: الإضافة وحروف الجر.....
327	القاعدة 13: ترابط الترتب (الشرط وأشباهه).....
329	القاعدة 14: حروف التفسير.....
329	2.1.2- الأدوات الإحالية.....
330	1.2.1.2-الأدوات الإحالية التركيبية.....
330	القاعدة 15: المبهمات.....

330	القاعدة 16: التتابع الوصفة والمؤكد.
331	القاعدة 17: العناصر الزمنية.
332	2.2.1.2-الأدوات الإحالية المعجمية.
332	القاعدة 18: التكرير.
332	القاعدة 19: الحذف.
333	3.2.1.2- الأدوات الإحالية البلاغية.
333	القاعدة 20: المحسنات البديعية.
333	القاعدة 21: المقارنة (التشبيه والتفضيل).
334	2.2- قواعد وسائل الانسجام.
335	1.2.2- وسائل الانسجام الموضوعية.
335	القاعدة 22: موضوع الخطاب.
335	القاعدة 23: ترتيب الخطاب.
336	القاعدة 24: ترابط وتناسق أجزاء الخطاب.
337	2.2.2- وسائل الانسجام الدلالية.
337	القاعدة 25: مبررات الفصل: (أو العلاقات الدلالية).
338	القاعدة 26: التغريض.
338	3.2.2- وسائل الانسجام المقامية.
339	القاعدة 27: السياق.
339	القاعدة 28: معرفة العالم (أو المعرفة الخلفية).
340	القاعدة 29: الحلقات المفقودة.

340	4.2.2- وسائل الانسجام البلاغية:.....
340	القاعدة 30: التعالق البياني.....
341	القاعدة 31: الابتداء والتخلص والانتهاء.....
341	القاعدة 32: تلاحم الأجزاء الصوتية.....
342	• خلاصة المبحث.....
343	المبحث الثالث: دروس نموذجية وتطبيقاتها:.....
343	الدرس الأول: العطف.....
346	• الدرس الثاني: العلامة الإعرابية أداة اتساق
348	الدرس الثالث: دور الإسناد في تماسك النص.....
352	• الخاتمة
358	• خلاصة البحث (بالعربية والفرنسية).....
361	• فهرس المصادر والمراجع
371	• فهرس الموضوعات.....

جَمْعُ الدَّلِيلِ